سلسلة التراث العلوي

٦

المجموعة المفضلية

المفضّل بن عمرو الجعفيّ

تحقيق وتقديم

أبو موسى والشيخ موسى

دار لأجل المعرفة
ديار عقل - لبنان

سلسلة التراث العلَوي*

٦

المَجْمُوعَةُ المُفَضَّلِيَّةَ

المفضّل بن عَمرو الجَعَفِي*

تحقيق وتقديم

أبو موسى والشيخ موسى

دار لأجل المعرفة

ديارعقل– لبنان

هويّة الكتاب

مؤلِّف الكتاب	**المفضّل بن عمرو الجَعَفي**
إسم الكتـاب	**المجموعة المفضّليّة**
	١. الرسالة المفضّليّة
	٢. كتاب الحجب والأنوار
	٣. كتاب الأنوار والحجب
	٤. كتاب الصراط
	٥. كتاب التوحيد
	٦. كتاب الإهليلجة
	٧. آداب عبد المطّلب
	٨. كتاب الهفْت الشريف
	٩. كتاب البدء والإعادة
إسم السلسلة	**«التراث العلوي»، رقم ٦**
تقديم وتحقيق	**أبو موسى والشيخ موسى**
قياسه وصفحاته :	**(١٧×٢٤سم)، ٤٧٨ ص.**
دار النشر	**دار لأجل المعرفة، ديارعقل–لبنان**
الطبعة الأولى	**سنة ٢٠٠٦**

تقديم

مكانة المفضّل بن عمرو الجَعَفي :

المفضَّل بن عَمرو الجَعفي هو «باب» الإمام الثامن، علي الرضا (ت٢٠٣هـ/٨١٨م)، إبن موسى الكاظم (ت١٨٣هـ/ ٧٩٩م)؛ وكذلك أيضاً كان ابنه محمّد «باباً» للإمام التاسع، محمّد الجوّاد (ت٢٢٠هـ/ ٨٣٥م). ولسنا نعلم أنّ أباً وابناً قد تبوّأا منصبَ البابيّة هذا إلاّ المفضّل بن عمرو وابنه محمّد.

لقد كان المفضَّل بن عمرو تلميذَ الإمام السادس جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م)؛ سمع منه، ونقل عنه أقوالَه وأخبارَه، ووضع الكثير من الكتب والرسائل، التي تحتوي العقيدة العلويّة، ومبادئ الأخلاق والسلوك. ننشر معظَمها في هذه المجموعة التي سمّيناها «المجموعة المفضّليّة»، كما ننشر رسائل لتلاميذه نسبوها إليه.

من أشهر هذه الكتب: كتاب الصراط، وكتاب التوحيد، وكتاب الهفْت الشريف، المعروف أيضاً بـ كتاب الهفْت والأظلّة، والذي نُشر مراراً على أنّه من تراث النّصيريّين والإسماعيليّين على السواء. وهو ما جعل المفضَّل يُحسب على الفريقين معاً، ويبجلّوه كشخصيّة ذات فضل واحترام بالغَين.

أفكار المفضّل الدينيّة

إذا كانت الفكرة الدينيّة عند الحرّانـيّين، الذين نشرنا مؤلّفاتهم في العدد السابق من هذه السلسلة، ارتكزتْ على قـضايا الفلك والنجوم، فإنّ الفكرة الدينيّة عند المفـضّل بن عمرو وتلاميـذه، كما ننشر مـؤلّفاتهم في هذه المجـموعـة، ترتكز على التناسخ الذي هو العـقـيدة الأسـاسيّـة عند العلويّين،لإثبات تجسّد اللّه في الكون، بـحسبما سيشرحهـا لاحقاً الشيخ الخصيبي، الذي قد يكون أخذها عن المفضّل نفسه، كما عن غيره.

في رأي المفضّل إنّ للإنسان ثمانين قميصاً بشريًا يتردّى فيها، أو يتعالى، ضمن مهلٍ زمنيّة، هي، في كلّ جيل، خـمسون عاماً، فإن نقصتْ من جـيل بضـع سنين، زيدت في الجيل الـذي يليه بما يخلق هذا التـوازن النسبي بين مراحل تردّي الإنسان أو علوّه.

إنّ تردّي الرجل في قـالبٍ دون قـالب الإنسانيّـة هو المسـوخيّـة. والمسخ يكون إمّا بتردّيه في قـالب امرأة، أو حيوان. وأمّا ترقّـيه من قالب امرأة إلى قالب رجل فيسمّى التناسخ.

واستناداً إلى قـاعدة التناسخ هذه، يعـالج المفضّل مسـألة «ظهور المعنى في خلقه بـصورة مرئيّة». فـيقول بأنّ اللّهَ ظهـر في سبعـة صور بشريّة. كان آخرها صورة علي بن أبي طالب.

هذه المسـألة الأساسـيّـة لم تكن غريبـة عن الأديان التـوحيـديّة جمـيعـها: فاليـهوديّة تعـاملت مع اللّه الذي أوحى عن شخـصه وإرادته وعمـله في الخلق وفي الوحي، فظهر مـراراً وبأشكال مخـتلفة؛ وكـذلك المسيـحيّة قالت بتـجسّد اللّه في الإنسان، بواسطة يسـوع المسيح، الذي

كشف في شخصه عن سرّ اللّه؛ وكذلك أيضاً الإسلام، بالرغم من اعتباره اللّهَ واحداً أحداً صمداً متعالياً جدّا، فهو يحاول تجسيدَه في القرآن نفسه، الذي هو كلام اللّه الأزلي، وفيه يعرف المسلمون اللّهَ وأسماءه وكمالاته كما هي. وكذلك أخيراً الدرزيّة التي تقول بالكشف الإلهي، أو الظهور، أو التجلّي، وذلك لاثنتين وسبعين مرّة، كان آخرها ظهوره في شخص الحاكم، الخليفة الفاطمي.

والعلويّون أيضاً قالوا بظهور اللّه في صورة مرئيّة، مؤلّفة من ثالوث إلهيّ هو: المعنى، والإسم، والباب. ظهر المعنى صورة علي بن أبي طالب. وظهر الاسم في صورة محمدّ بن عبداللّه. وظهر الباب في صورة سلمان الفارسي. فالثلاثة " ع.م.س. "، أي علي، محمد، سلمان، يؤلّفون الثالوث الإلهيّ عند العلويّين.

ويتساءل المفضّل بن عمرو عمّا إذا كانت هذه الصورة الإلهيّة المرئيّة تتجزّأ، أو تتغيّر عن كيانها؛ وعمّا إذا كان الخلق يستطيع النظر إلى الخالق من دون هذه الصورة المرئيّة؛ وعمّا إذا كانت الصورة المرئيّة تحتوي الألوهة كلّها، فيكون اللّهُ محصوراً فيها؛ أم أنّها تحتوي بعضاً منها، فيكون اللّه غير كامل فيها...

هذه مشاكل عويصة تعرّض لها المفضّل بن عمرو، وغيره من العلويّين في كلّ عصر. إنّها المشكلة الأساسيّة في الدين العلويّ، التي لم تُحلّ، ولم يستطيعوا أن يرضوا بها المسلمين الذين، بسببها، انشقّوا عنهم. إنّها مشكلة الظهور الإلهي في الخلق، ومشكلة التناسخ في مختلف معانيه ومراحله.

الإيمان بـ " عـمس " ، أي الثالوث الإلهي هو أســاس الدين العلويّ برمّتــه. عليه تبنى سائر المعتـقدات، وتتأسّس مبــادئ السلوك والأخلاق والتعاليم جميعهــا. نجد الكلام عليه في مختلف المؤلّفات العلويّة؛ لأنّ هذا هو الذي يميّزهم عن المسلمين في جـميع فرقهم. ومَن يقــرأ هذه المؤلّفات من دون أن يضع في خلفيّة ذهنه هذه العقيدة قد لا يعي ممّا يقرأ شيئاً.

أبو موسى والشيخ موسى

في ٢٠٠٦/١١/٥

الرّسالة المفضّليّة

للمفضل بن عمرو

تعدّ الرسالة المفضّليّة أهمّ مصدر من مصادر العقيدة العلويّة وأخصّ هنا الدّستور الّتي كانت المفضليّة مرجعاً هامّاً له وأساساً تمكن من خلالها من شرح معنى وجود الله

حدثني أبو محمّد نصر بن محمّد قال: حدّثني أبي الحسين محمّد بن عليّ الجلّيّ عن والده أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدّسنا الله به قال: حدّثني جعفر بن مالك الفزاريّ عن عبد الله بن يونس الموصلّيّ عن محمّد بن صدقة العنبريّ عن محمّد بن سنان الزّاهريّ عن صفوان بن يحيى عن المفضّل بن عمر الجّعفي قال:

قلت لمولاي الصّادق الوعد منه الرّحمة وقد خلوت به ووجدت الفرصة منه، وقد كنت أتمنّاها، وآنست به لسؤلي له فقلت:

أسألك يا مولاي عن ما جرى في خاطري من ظهور المعنى في خلقه بصورةٍ مرئيّة، وهل تتجزّأ أو تتصوّر أو تتبعّض أو تحول عن كيانها أو تتوهّم في العقول، عقولٌ بحركةٍ أو سكونٍ، وكيف ظهور الغيبة للخلق الضّعيف، وكيف يطيق الخلق النّظر إلى الخالق.

فقال: يا مفضّل: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ لأَيَاتٍ لأُولِي الأَلْبابِ»، يا مفضّل إنّ علمنا صعبٌ مستصعبٌ، وسرّنا الوعر الأوعر، بعيدٌ على اللّسان أن يترجم منه إلاّ تلويحاً، وإنّما تعرف شيعتنا بحسب درايتهم بنا ومعرفتهم فينا، وسحقاً لمن يروي ما لا يدري ويقتصد ما لا يبصر، ولا يصحّ في عقلٍ ولا لبٍّ، وذلك أنّ القرآن نزل على معنى إيّاك أعني وعي يا جارة.

يا مفضّل: سيأتي على النّاس زمانٌ يتأخّر فيه الخامل ذكره، والنّاقص عند النّاس قدره، الّذي يحسده المقرّبون، ويلعنوه المخالفون، وهو منّا قريبٌ، ولدينا مجيبٌ، وسأكشف لك يا مفضّل فاستمع لما يوحى إليك، وانظر بعين عقلك، وأنصت بنور لبّك، واسمع وعي، فقد سألت عن أمرٍ عظيمٍ وخطبٍ جسيمٍ وحقٍّ يقينٍ، وسألقي عليك منه قولاً ثقيلاً، وأمراً جليلاً، وهو الّذي ضلّ به وفي معرفته الخلق الكثير والجمّ الغفير إلاّ من رحم ربّك إنّه هو الغفور الرّحيم.

وهو ما أنبأنا به الباقر لجابر بن يزيد الجّعفيّ، وقد سأله عمّا سألت، وهي المحنة العظمى والسّرّ المستور والعلم الصّعب المستصعب الوعر الأوعر الّذي خفي عن سائر العوالم إلاّ عن الصّفوة المختارين والبلغاء المستحفظين الّذين أخلصوا فاختصّوا وشهدوا بعلم ما علموا وصدّقوا بما عاينوا، كما ذكره في التّنزيل من قول السّيّد الجّليل: «إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وهُمْ يَعْلَمُونَ» [1]، (في الأمر).

يا مفضّل سرّ مولاك لطيفٌ غامضٌ، إعلم إنّ الذّات تجلّ عن الأسماء والصّفات، غيبٌ ممتنع، ولا يمتنع عنه باطنٌ ولا يستتر عنه، خفيّ الضّمير، لطيفٌ ولا شيءٌ أعظم منه، موصوفٌ بأفعاله، مشهودٌ بآياته، معروفٌ بظهوراته، كان قبل القبل ومن قبل أن يجيب مجيبٌ، إذ لا أحدٌ غيره، وقبل المكان، إذ لا مكان إلاّ مكانه، وهو إلى ما لا نهاية، لا يحول عن حالٍ ولا عمّا كان من هُو كيانه أزال، لم يفتقر إلى شيءٍ فيَعُزْ بِهِ، ولا انتسب إلى غيره فيعرف به، بل هو هو حيث هو، وحيث كان ولم يكن إلاّ هو..

و اعلم يا مفضّل: أنّ الظّهور تمام البطون، والنّطق تمام الصّمت، ومتى لم تكن الحكمة تامّةً في بطونها، كاملةً في ظهورها، كانت الحكمة ناقصةٌ من الحكيم وإن كان قادراً.

فقلت: زدني يا مولاي واشرح صدري حتّى يحيا به من قرب منّي ونظر إلى حياتي.

---

[1] وردت الآية كاملة: «ولا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وهُمْ يَعْلَمُونَ»

فقال: أعرّفك بحقيقة المعرفة الّذي يقرب منك من مشا بنوري، ثمّ قال: يا مفضّل: إنّ ظهور الأزل بين خلقه عجيبٌ لا يعلم ذلك إلاّ عالمٌ خبيرٌ، وإنّ ذلك الصّعب.

اعلم أنّ الذّات لا يقال لها نورٌ، لأنّها منيرة كلّ نور، وإنّ مولاك الأزل شاء من غير فكرةٍ به ولا وهُوماً لإظهار المشيئة وخلق للشّيء وهو الميم والسّين، فأشرق من نور ذاته نوراً شعشعانيّاً لتثبت له الأنوار، وأظهر النّور ضياءً لم يبن منه، وأظهر الضّياء ظلاًّ، فقام صورة الوجود في الظّلّ والضّياء، وجعل باطنه الضّيا والنّور، والذّات قائمةٌ بذاتها، وذلك قوله: أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ولَو شاءَ لَجَعَلَهُ ساكناً [1]، يعني ما كان فيه من الذّات، فالصّورة الأنزعيّة هي ذات الضّياء والظّلّ، وهي الّتي لم تتغيّر في قديم الدّهور، ولا فيما يحدث من الأزمان، وظاهره الصّورة الأنزعيّة، وباطنه المعنويّة، وتلك الصّورة هيولى الهيولات وأسّ الحركات، معلّة كلّ علّة ولا يعلّها شيءٌ، ولا يعلم ما هي إلاّ هي..

و يجب أن تعلم يا مفضّل، أنّ الصّورة الأنزعيّة الّتي قالت: ظاهري إمامةٌ ووصيّةٌ، وباطني غيبٌ لا يدرك، ليست كلّ الباري، ولا الباري غيرها، وهي هو إثباتاً وإيجاداً وعياناً ويقيناً، ولا هي هو كلاًّ ولا إحصاراً ولا إحاطةً.

قال المفضّل: فقلت: مولاي زدني شرحاً، فقد علمت من فضلك ونعمتك ما أقصّ به عن بعض صفةٍ من صفاتك به يا مولاي؟ فقال لي: يا مفضّل: سل عمّا أحببت.

قلت: يا مولاي، تلك الصّورة الّتي رؤيت على المنابر، تدعو من ذاتها إلى ذاتها المعنويّة، وتصرّح باللاّهوتيّة.

قلت: إنّها ليست كلّ الباري، ولا الباري غيرها، فكيف لي علم هذا الموضع؟
فقال: يا مفضّل: تلك صفات النّور وقمص الظّهور ومعادن الإشارة وألسن العبارة، حجبكم بها عنه، ودلّكم بها عليه، لا هي هو ولا هو غيرها، محتجبٌ بالنّور، ظاهرٌ

---

[1] وردت الآية كاملة : «أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ولَو شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً».

بالتّجلّي كلاً يراه بحسب معرفته، ويتأمّله بقدر طاقته، فمنهم من يراه قريباً، ومنهم من يراه بعيداً.

يا مفضّل: إنّ الصّورة قدرة قديرٍ ونورٌ منيرٌ وظهور كمولاك رحمةٌ لمن آمن وأقرّ وعذابٌ على من جحد وأنكر، وليس وراءه غايةٌ ولا له نهايةٌ..

قلت: يا مولاي، فالواحد الّذي هو محمّدٌ؟ فقال: الواحد هو محمّدٌ إذا سمّي ومحمّدٌ إذا وصف.

قلت: يا مولاي فعليٌّ؟ قال مه يا مفضّل: المعنى فوق إسمه، ألم تسمع إلى قوله: ظاهري وصيّةٌ وإمامةٌ وباطني غيبٌ لا يدرك.

فقلت: يا مولاي، ما باطن محمّد؟ قال لي: نور الذّات، وهو أوّل الكون وبدؤ الخلق، المكوّن لكلّ مخلوق، متّصلٌ بالنّور منفصلٌ بمشاهدة الظّهور، إن بعد فقريبٌ، وإن دعي فمجيبٌ، إذ هو الواحد الذي أبداه الأحد، إنّه نوره الذي يدخل الأعداد، والواحد أصل الأعداد وعادلها ومنه بدؤها، وجميع الأعداد فإليه عودتها وهو المكوّن لها.

قلت: يا مولاي: فقول الميم منه السّلام: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها.

فقال: يا مفضّل: إنّما عنى به سلسل، الّذي تسلسل منه نوره، لأنّه أعلى المراتب وبابٌ لهم، فمنه يدخلون إلى المدينة وعلم هدايته، فعلى يديه يخرج إليهم، وهو المترجم لهم بما يمدّه سيّده من علم الملكوت وجلالة اللاّهوت.

قلت: يا مولاي: قول السّيّد الميم: أنا وعليّ كهاتين ولا أقول يميناً ولا شمالاً وأقرن بين إصبعيه، قال: يا مفضّل: أليس أحداً من أهل المعرفة أن يفصل بين الإسم والمعنى، لأنّ الإسم اخترع من نور الذّات، فليس بينه وبين النّور فرقٌ ولا فاصلةٌ، فلأجل ذلك قال: أنا وعليّ كهاتين، إشارةٌ منه إلى العارفين أن ليس ثمّ فصلٌ، ولكن ليس بينه وبين باريه واسطةٌ ولا كان شخصٌ غيره.

أما سمعت قوله: «ويفرّقون بين الله ورسوله ويَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ [1]»، وإنّما نهى أن يكون بينه وبين باريه واسطة إلاّ إنّه بدء الأسماء، فلأجل ذلك قال: أنا وعليّ كهاتين، إشارةٌ منه إلى العارفين، فمن عرف الإشارة استغنى عن العبارة، ومن عرف مواقع الصّفة بلغ قرار المعرفة.

ألم تسمع إلى قول مولاك أمير المؤمنين: إنّ لمعرفتنا دلالة، فمن أصاب الإشارات وعرف الدّلالات اعتدل مزاجه وصحّ منهاجه وأبصر في الظّلم ونجا من التّهم وظفر بالنّور وحلاوة السّرور وعرف الظّهور ونوال ثوابها، فأولئك المقرّبين في جنّات النّعيم. يا مفضّل: حاضرٌ أنت أم غائب.

فقلت: يا مولاي بل حاضر.

قال: إعلم أنّ المعنى يجلّ عن الأسماء والصّفات ولا يترايا في الهياكل المحدثات، لئلاّ يقع عليه صفة محدودة أو كيفيّة منعوتة، وإنّما الأسماء والصّفات والنّعوت والإشارات واقعةٌ بالواحد القديم الإسم العظيم.

يا مفضّل: إنّ جابر بن عبد الله الأنصاريّ كان يحدّث عن مولاه بأحاديث، فمرّة يكشف فيها ومرّة يلوّح ومرّة يصرّح، فمن ذلك أنّه كان ذات يومٍ جالساً بين جماعة من المهاجرين والأنصار، إذ قالوا له: يا جابر، إن رأيت أنّك تحدّثنا بشيءٍ ممّا عاينته من قدرة مولاك يوم الأحزاب. فقال: حبّاً وكرامة.

إعلموا أنّي رأيت عمر بن ودّ العامريّ وعكرمة بن أبي جهل وغالب بن مالك وأربعة عشر رجل، لو أنّ جميع ما في الأرض قد بارزهم لما قاموا بهم، وقد عبروا الخندق على عظم ما كان من سعته حتّى لحقوا بعسكر رسول الله صلعم وعلى آله، فأشفقوا المسلمين من ذلك وظنّوا الظّنون وقد كان عمر بن الخطّاب وسعد بن أبي وقّاص في طرف العسكر يرشقان بالنّبل.

---

[1] وردت الآية في القرآن : «والَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ويَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِــهِ أَنْ يُوصَلَ».

فما لبثوا حتّى ولّوا منهزمين إلى عمر وأصحابه، فانضمّ المسلمون بعضهم إلى بعض حتّى نادى رسول الله: أين كاشف كربي ومفرج الهمّ عنّي، أين منجز وعدي، أين قاضي ديني، أين عليّ بن أبي طالب.

فعلمت أنّه دعا ربّه وطلب إلى من يجيبه عند كربته ليثبت على الخلق دلالته وحجّته ويوري للخلق حاجته إلى ربّه.

فأجابه مولاي: لبّيك لبّيك يا رسول الله، جاءك الغوث، ثمّ جرّد سيفه ذو الفقار وبرز نحو عمر والصّحابة، فلم أتمالك دون أن أتبعه ومعي حذيفة بن اليماني المخزومي لنرى ما يكون منه. فكأنّني أنظر إليه وقد قتل عمر وطرد أصحابه وهو واقفٌ يمسح جبينه بطرف بردته، حتّى سمعنا ضجيج المسلمين وقد دخل على الخندق فعاينوه المؤمنين، فكنت أنا وحذيفة إذ تأمّلناه بين أيدينا ورأيناه وشاهدناه.

وإذ نظرنا إلى إشارة المسلمين إليه في عسكر المشركين رأيناه يضرب ويقتل ويطرد، ثمّ نعيد أبصارنا فنراه قائماً يلوّح بسيفه تلويحاً ذات اليمين وذات الشّمال، فيقطع أيدٍ وأرجل وهم سبعة عشر فرقة حتّى ولّوا القوم وإنهزموا، وكلّ حزبٍ منهم يراه في أثره ويتأمّله في عقبه بصورته الّتي لم تزل ولم تزول ولم تتغيّر ولم تتحوّل.

فقلت لحذيفة: هل رأيت من قدرة مولاك في خلقه كما رأيت ونظرت كما نظرت. فقال يا أخي: أخفي ما رأيت فالأمر عظيمٌ والخطبٌ جسيمٌ.

ثمّ أعاد أمير المؤمنين إلى رسول الله والمسلمين على جهتين، فأكثرهم يُجمع على أنّه لم يزل على شفير الخندق ويهزّ سيفه بعد أن قتل عمرو وأصحابه وطرد أصحابه الباقون يقولون رأيناه وقد عبر إليهم وحصل في أوساطهم وقتل عمرو وغيره والفقفاق وجماعةً من الكفّار وأنا وحذيفة كنّا بإزائه، فقرأ «فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ولا يَتَساءَلُون».

قالت الجّماعة الحاضرين صدقت يا جابر هكذا يفعل الله بأعدائه، فجعل الصّادق منه الرّحمة يقول: يا مفضّل، هذه من إشارات العارفين ومناجاة الطّالبين ودلالات على ربّ العالمين.

قال المفضّل: قلت: يا مولاي: أبدأ بالبيّنات. قال: يا مفضّل: لا يسع الكشف.

فقلت: يا مولاي فقد أبان للعارفين إشارتك وغرب عليهم إدراك نهايتك؟ قال: يا مفضّل: العليّ الأحد إذا كان ظاهر لخلقه بدأ بثلاث حجب منها يحجب ذاته بنوره ويحجب نوره بضيائه ويحجب ضياءه بظلاله، وهم أنوار لا أجسام ولا بشر، والصّورة الأنزعيّة هي ذات الضيّا والظلّ وهي الّتي لم تتغيّر في قديم الدّهور ولا فيما يحدث من الدّهور والأزمان.

فظاهره الصّورة الأنزعيّة وباطنه المعنويّة، تلك الصّورة هيولا الهيولات ومأزلة الأزليّات ومظهرة المعجزات والقدر الباهرات، ظاهرها منعقد بباطنها كما قال: ظاهري إمامةٌ ووصيّةٌ وباطني غيبٌ لا يدرك، وقوله: يكفرون بما أوراهم من الحقّ مصدّقاً لما معهم، وذلك بأنّهم يقرّون بأنّه إمامٌ وأنّ علمه ربّانيّ، فإذا قيل لهم إنّه معنى المعاني والرّبّ الصّمداني تولّوا وكفروا.

وقوله: «يؤمنون به وهم به كافرون»[1] وذلك أنّهم يؤمنون بغيبٍ لا يرى، ومن عبد ما لا يرى يوشك أنّه لا يكون على شيءٍ، فلمّا دلّهم على ذاته وصرّح لهم بمعنويّته كفروا به وجعلوه مربوباً.

و قد نصّ على إسمه في سورة الحشر إذ يقول: «وظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» ولم يأتهم في ذلك الوقت، غير مولاك العين، يا مفضّل، فمن عرف مواقع الصّفة بلغ قرار المعرفة وقرار المعرفة هي حقيقة المعنى جلّت قدرته.

أما سمعت الإشارة في قوله تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ ولَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ ويَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

---

[1] ليست موجودة في ما بين أيدينا من القرآن.

وأنا مفسّرٌ لك هذه الآية يا مفضّل وهي في وجود مولاك وظهوره، إعلم أنّ المشكاة هي الصّورة المرئيّة الأنزعيّة والمصباح ما بطن وهو الضّياء والظّلّ الّذي ذكرته لك.

والزّجاجة الّتي كأنّها كوكبٌ درّيٌّ النّور الّذي بدا منه الذّات، والشّجرة هي الذّات لأنّها لا توصف ولا هي في المشرق فيخلو منها المغرب ولا في المغرب فيخلو منها المشرق، بل هي في الجّميع عامّة، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نارٌ. أعني الصّورة الّتي ظنّوا أنّها بشراً وهي نور الضّياء والظّلّ من ورائها وهي نور الذّات ولسان الإشارات، فتلك لسان الحقّ لا لسان لحم ولا عظم يهدي الله لنوره من يشاء.

يا مفضّل وقفت على سرّ الله الخفيّ وظاهره الجّليّ وباطنه المنيع وذاته الرّفيع. يا مفضّل اعلم أنّ الصّفة غير الموصوف والنّعت غير المنعوت والمكان غير المكوّن والنّور غير المنير والقدرة غير القدير لأنّه منه أبداها، وكذلك الإسم غير المعنى لأنّ المعنى متأحّداً بنوره متأنّساً إلى خلقه كخلقه، فإذا بطن ففي ذاته وغيبه الّذي ليس يشاكله إلاّ هو، فتعالى الله العليّ العظيم.

وقد سألتني يا مفضّل عن المشيئة، فاعلم أنّ الله شاء أن يبدي مشيئته ولم يزل بها عالماً، فكانت المشيئة إرادةً من غير همّة ولا حدوث ولا فكر ولا انتقال حركة إلى سكون ولا سكون إلى حركة، وكذلك إنّه لم يظهر المشيئة الّذي هي اسمه لحاجته منه إليه، ولكن بطبع الكتاب الحميد بدت الحكمة إظهار ما فيه للعيان، ولو لم يظهر من غامض علمه إلى وجود معاينته لكان الملك ناقصاً والحكمة غير تامّة، لأنّ تمام القوّة والفعل تمام العلم والمعلوم، وتمام الكون التّكوين، فافتح يا مفضّل مقلتي قلبك لأمر ربّك واعلم أنّ النّور لم يكن باطن الذّات، فظهر منه، ولا ظاهراً فيه فبطن فيه.

بل النّور من الذّات من غير تنقيص ولا غاية في غيبة بل إستتارٌ مشرقٌ منه بلا إنفصال، كالشّعاع من القرص أو كالفيء من الشّبح.

يا مفضّل: الصّورة الّتي يظهر بها الإسم من ضياء نوره أفضل من ضيائه الّذي تشخّص للخلق لينظروه ودلّهم على باريه ليعرفوه، فهي صفة النّفس، والنّفس

صفة الذّات، فلأجل ذلك سمّي بنفسه. لقوله تعالى: «ويُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» وإنّما حذّركم أن تجعلوه محدثاً ومصنوعاً كالمحدثات، لأنّ نور الذّات قديمٌ غير محدث ولا مصنوع، ولو كان ذلك النّور محدثاً لكان الذّات محدثاً، وهذا هو الكفر.

اعلم يا مفضّل أن ليس بين الأحد والواحد إلاّ كما بين الحركة والسّكون وبين الكاف والنّون، لأنّه متّصلٌ بنور الذّات الأحد الّذي لا يحدّ لأنّه غاية من قصده ونهاية من طلبه، والباب من دون الإسم ومن دونه سائر المراتب.

أتدري يا مفضّل لم سمّي أحمداً؟

قلت: لا يا مولاي؟ قال: من حَمْدِ الخَلائق وإتّباعِها له.

يا مفضّل: من قال يا الله وسائر الأسامي الرّبّانيّة فإنّما بالواحد التّوسّل والدّعاء.

يا مفضّل: أما سمعت في قوله «هذا صراطٌ مستقيمٌ فاتّبعوه»[1]، أمّا الصّراط الّذي ذكرته عامّة من لا يعرف أنّه أحدّ من السّيف وأدقّ من الشّعرة وعلمه وإستقامة الأمر له بتلك الصّورة، ومن علم أنّه ظاهر اللاّهوت فقد استقام على الصّراط الّذي لا اعوجاج فيه وعرف السّرّ الخفيّ والنّور المضي.

يا مفضّل، وكلّ إسم للإسم واقعٌ بباب وحدانيّة أمّ الحروف الياء، وكذلك إنّه لمّا خلق الله الواحد وظهر له عزّ وجلّ ودعاه فأجابه، ثمّ قام الثّماني وعشرون حرفاً حرف الميم وظهر لهم عزّ وجلّ ودعاهم فأجابوه وسجدوا لمولاهم فعظّموه وتأخّر الألف عن السّجود، فناداه مولاه: ما منعك وأخّرك عن السّجود أيّها الألف، لم لم تسجد كما سجدت سائر الحروف.

قال: مولاي إنّك الآمر وأنا المأمور وانتظرت أمرك، وكان آخرها، وقال له: كنت آخرها فجعلتك أوّلها، والياء آخرها وعطفها عليه.

فجعل مولاك يا مفضّل مادّة الحروف من الياء الّذي هي شخص الباب سلسل، وتجلّى ربّك للحروف فناداها، فأوّل من أجاب الباب لبّيك لبّيك يا من انتهت

---

[1] وردت في القرآن «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وربُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ».

صفاته وغايته كلّما وقعت الغاية عليه رأيت نفسي صغيرةً ومنزلتي حقيرةً، ملك الحمد بالّذي هو واحدٌ حسب جهد من سبق وغايةً لضمير من الحق.

فناداه مولاه: وعزّتي وجلالي لأجعلنّك بابٌ لوحدانيّة علمي ولأجعلنّ لك مرتبةً في الآخرين كما لك مرتبة في الأوّلين، ثمّ عطف من الأوّل إلى الآخر كما تعطف الياء الّذي هي شخص الباب الألف الّذي أوّلها، وأصله فناداه فأورد الدّاعي أن يدعو مثل قوله: يا رحمن يا رحيم، بالياء يبدأ وبالإسم ينثني وللمعنى يدعي ويناجي، فالياء منكشفة والألف أوّلها وهم مشتملان عليها، فالباب بكلّ شيءٍ عليمٌ بما يمدّه سيّده من علم الملكوت وجلالة الجّبروت.

فقلت: يا مولاي، قد اتّضح لي الحقّ بما قلته لي إيضاحاً ويقيناً، فمعرفتي ببقيّة الحروف الّذي خلقها الله الواحد وبابه بالوحدانيّة.

قال: يا مفضّل: أنصت لما به الله أيّدك وتوكّل عليه إنّه كان بالوليّين رحيماً.

إنّ الثّمانية وعشرون حروف المعجم منها الياء الّذي باشر منها الطّالب ومنه يبدأ إليه، منها الخمسة الأيتام أيتام بابه، ومنها الأحد عشر كوكباً الّذين رآهم يوسف في المنام والإثني عشرنقيب. فهؤلاء يا مفضّل بركات الله في أرضه وبهم يؤيّد من اصطفاه في بريّته، بهؤلاء يا مفضّل أبدأ الله الأوّلين والآخرين، فهم من بابه يستمدّون، ومن نوره يقتبسون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى به وهم من خشية ربّهم مشفقون.

ومن هؤلاء – يا مفضّل – يكون مداد المنبّأون والنّجبا والمختصّين والمخلصين والممتحنين والمقرّبين والكروبيّن والرّوحانيّين والمقدّسين والسّائحين والمستمعين واللاّحقين.

ومن هؤلاء يكون مداد الطّالبين، فأحمد الله على ما خوّلك من معرفته ومنحك من هدايته، والحمد لله حمد الشّاكرين، وصلواته على محمّد وآله الطّاهرين، والسّلام على من اتّبع الهدى وخشي عواقب الرّدى ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

كتاب الحجب والأنوار

لمحمد بن سنان رواية عن المفضل بن عمرو

يبتديء كتاب الحجب والأنوار بذكر الحجب فسمّي الكتاب بكتاب الحجب والأنوار لما لأهمية هذه الفكرة عند العلويين ولما دار ويدور من جدل حول ترجمتها إلى عقيدة إيمانية.

و قد استشهد بهذا الكتاب صاحب البدعة الشّهير باسم محمد الدرويش الّذي طرح من خلال هذا الكتاب فكرة أن يكون الله ظلمةً لا نوراً كما هو عند معظم العلويين.

مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله المتوحّد في بريّته القادر في مشيئته البالغ في إرادته وصلّى الله على محمّد وعلى مشاكي أنواره ومصابيح دينه ومن آل إليهم.

رواه الوليد بن العبّاس المقريّ قال: حدّثني الحسن بن الطّبريّ قال: حدّثني محمّد بن سنان عن المفضّل بن عمر عليه السّلام قال: **يا أخي إنّي سألت أبا الخطّاب محمّد بن أبي زينب الكاهليّ عليه السّلام عن الأصل والأصول فقال:**

يا أخي إنّي سألت سيّدي ومولاي أبا عبد الله الصّادق منه السّلام عن ذلك فقال: يا ابن أبي زينب إذا قلت أصولاً جعلتهم شتّى وما إلهكم إلاّ واحدٌ.

فقلت: يا سيّدي عن الأصل هل اخترع الإسم ويقال الحجاب إختراعاً. فقال: نعم. **فقلت: سيّدي أخبرني ممّا اخترعه.** قال: اخترعه من نور ذاته. **فقلت: اخترعه من نوره أم من نور ذاته؟** فقال: لا من نور ذاته، ألا تعلم أنّ الذّات لا يقع بها الوهم لا بزيادةٍ ولا نقصانٍ وما دونه يقع به الزّيادة والنّقصان.

فقلت: من أيّ جهةٍ؟ قال: من جهة العبوديّة، إنّ مولاكم أقام الحجاب (وقال في وجهٍ آخر) أثبت الحجاب من النّور فجعله في الملكوت، فلمّا تفكّر الحجاب في الملكوت وعلم أنّه منشئه ظهر العزيز جلّ ذكره عن الصّفات والنّعوت بذاته، فلمّا رآه الحجاب عزّ جلاله سجد له فكان معرفة الحجاب له الإقرار له بالرّبوبيّة والإخلاص له بالوحدانيّة والخضوع له بالعبوديّة، فخلق أربع أصولٍ أوّلهم النّار والنّور والهواء والطّين فمزجهم.

قال له إخلق من هذه الأصول الأربعة ما تشاء فبدأ الحجاب فخلق الإنسان ثمّ أمر الله أن يعرف ذلك فقال إلهي كيف أعرفه.

فقال: يا عبدي هذا خلق الإنسان.

قال إلهي فما مأكوله؟ فقال: أمّا مأكوله بالنّار ونظره بالنّور ومشيه بالهواء وبمزاج الطّين أصله ثمّ أمره أن يخلق غذاءً يتغذّى به فخلق ما أراد.

- وفي وجهٍ آخر - روي عن أبي الهيثم مالك بن التّيهان أنّه سئل عن معرفة النّداء الأوّل؟ فقال: نعم، إنّ الله خلق الخلق كلّهم.

فقلت: سيّدي كلّ الخلق أجابوا؟ قال: نعم أجابوا، فلمّا تجلّى لهم في الهياكل البشريّة المحمودة فدعاهم إلى معرفته والإقرار بربوبيّته، قالت فرقةٌ سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير. وقالت باقي الفرق: ما أنت الّذي رأيناك ساطعاً وأنت جسمٌ بشريٌّ.

فقال أبو الهيثم: سألت عنه جماعةً من كبراء النّاس مثل سلمان والمقداد وأبي ذرٍّ الغفّاريّ وعمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر وجابر بن عبد الله الأنصاريّ عن ظهور المعنى، فقال جميعهم: إنّ الصّورة البشريّة الّتي رأيناها كانت محنةً لنا أراد الله أن يمتحن المؤمنين بذلك المقام الّذي أقام فيه ودعانا إليه فأقررنا بلاهوتيّته

لمّا رأيناه بعظمة قدرته فعصمنا لمّا علم بما صبرنا على المحنة لما فيهم ولما فينا من العجز حتّى بلغنا آخر الصّفاء.

قلت: يا أبا الهيثم: أكنتم أجساماً؟ قال: حاشا لله – إنّ لله فينا إرادةً يدبّرنا بتدبيره. ويظهرنا للخلق أشباحاً معه في الظّهورات، وإذا بطن جعلَنَا أنوارَه.

فقلت: سيّدي أخبرني عن الخلق المنكوس؟ قال: نعم إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أراد الإبتداء في الخلق المنكوس ردّهم على أعقابهم وذلك قوله: لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون

قلت: سيّدي فكم مقامكم فيها؟ قال: من كشفٍ إلى كشفٍ

قلت: فما معنى الكشف؟ قال: من ظهورٍ إلى ظهورٍ

قلت: الظّهور له أم للحجاب؟ قال: إنّ الله لا يدعو الخلق في البدا الأوّل بنفسه إلاّ إلى نفسه كذا يدعو بنفسه إلى نفسه غير محتاجٍ إلى أحدٍ من خلقه فيظهر العجز من نفسه

قلت: أخبرني ما يفعل الله بهم؟ قال: يكشف الحجاب فلا حجاب ويدعو الخلق من المسوخيّة إلى البشريّة ثمّ يتجلّى لهم ويدعوهم إلى معرفته وطاعته فإن أجابوا أوصلهم إلى الولاية وإن تجنّبوا ردّهم إلى العذاب كذلك قوله «فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ولا هُمْ يُنْظَرُونَ».

القول في صفة المولى والدّرجات والمراتب

و قد سأل بعض الشّيعة مولانا فقال له: يا مولانا من أنت؟ فقال: أنا محمّد الأوّل وأنا محمّد الآخر وكلّ محمّدٍ فأنا هو أكفاكم جحدكم، أما سمعتم قول مولاكم أوّلنا محمّد وآخرنا محمّد وأوسطنا محمّد وكلّنا محمّد، ثمّ قال: أنا عليّ العسكريّ وعليّ وعليّ وكلّ عليٍّ فأنا هو.

و قد روي عنه خبراً آخر في هذا المعنى وقد سأله بعض أصحابه فقال له: يا مولانا من أنت؟ فقال: أنا محمّد بن محمّد حتّى عدّ إثني عشر محمّداً. ثمّ قال: أنا عليّ بن عليّ حتّى عدّ إثني عشر عليّاً. ثمّ قال: أنا من الحروف مبناها ومن الأسماء معناها، وقال: من عرف مواقع الصّفة بلغ قرار المعرفة، ومن عرف مقام الذّات عرف حقيقة اللاّهوت ولله الحمد دائماً في إرادته ومشيئته قد بلى خلقه ودعاهم إلى ظاهر الأمر، فمن أجاب هناك أجابه هنا.

فقلت: مَن أوّل من أجابه؟ قال: الحجاب وهو محمّدٌ ثمّ الباب وهو سلسل، ثمّ الأيتام وهم المقداد وأبو ذرّ وعبد الله وعثمان وقنبر بن كادان، ثمّ النّقباء ثمّ النّجباء، ثمّ المختصّين ثمّ المخلصين ثمّ المؤمنين.

ثمّ قلت: سيّدي أخبرني عن الدّرجات والمراتب؟ فقال: أوّل درجةٍ ومرتبةٍ مرتبة الحجاب وهو أقربهم إلى الله وسيلةً ودرجةً، ثمّ درجة الباب وهو سلسل لأنّه سلسل من درجة الحجاب وهو باب الحجاب، ثمّ خلق اليتيم الأكبر وهو المقداد وهو الّذي قدّ من الباب، ثمّ اليتيم الأصغر وهو أبو ذرّ وهو الّذي ذراهم وبراهم ثمّ عبد الله بن رواحة مروّح قلوب العارفين، ثمّ عثمان بن مظعون الّذي أظعن الشّكوك والشّبهات، ثمّ قنبر أقنى العارفين وبرّهم بمعرفة مولاه، ثمّ خلق النّقباء وهم إثنا عشر، وخلق النّجباء وهم ثمانية وعشرون، ثمّ المختصّين، ثمّ المخلصين، ثمّ الممتحنين.

قلت: سيّدي لأيِّ وجهٍ رتّب المراتب والدّرج؟ قال: ليكونوا أدلاّء على التّوحيد. فأوّل من أجاب الحجاب، ثمّ الباب، ثمّ الأيتام، ثمّ النّقباء، ثمّ النّجباء، ثمّ المختصّين، ثمّ المخلصين، ثمّ الممتحنين.

قلت: سيّدي ولم سمّي الحجاب حجاباً؟ قال: نعم إنّ الله مولاكم لمّا تجلّى من عظم شأنه ومن علوّ أمره ومكانه للخلق لما علم من ضعفهم فأظهر لهم الحجاب.

فقلت: سيّدي لم سمّي الباب باباً؟ قال لأنّه بوّب الأبواب وسبّب الأسباب من عند الحجاب.

فقلت: سيّدي لم سمّيت الأيتام أيتاماً؟ قال: لأنّهم إئتمّوا بما جاءهم من عند الباب.

فقلت: أخبرني ما معنى الحجاب في الباطن؟ قال: معناه هو العرش الّذي عرش في قلبك علم الملكوت.

قلت: من حملة العرش؟ قال: الخمسة الأيتام وثلاثةٌ إخوة أمير المؤمنين في الظّاهر.

قلت: سيّدي لم سمّيت الملائكة ملائكة؟ قال: نعم لأنّهم إئتمّوا على علم الملكوت فملكوا فسمّوا ملائكة.

قلت: فلم سمّي النّبيّ نبيّاً؟ قال: بما نبّأ من علم الملكوت.

قلت: فلم سمّوا النّقباء نقباءً؟ قال: لما نقّبوا من التّوحيد في قلوب المؤمنين.

قلت: ما أسماء المؤمنين في الباطن؟ قال: نعم هم أهل البلاد لقول الله عزّ وجلّ: " فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ".

قلت: فلم سمّي النّجباء نجباء؟ قال: أنجبهم الله من بريّته وجعلهم أركان دينه وخزّان علمه.

قلت: فلم ألقوا ضعفاء المؤمنين إلى الكشف؟ فقال: إسمع وعِ إنّ الله أمر الحجاب بطاعته فأطاع ولم يعصِ وأمر الأيتام بطاعة الباب فأطاعوا ولم يعصوا، ثمّ أمر النّقباء بطاعة الأيتام فأطاعوا ولم يعصوا، ثمّ أمر النّجباء بطاعة النّقباء فأطاعوا ولم يعصوا وأمر سائر الخلق بطاعة الملائكة فلم يطيعوا وقالوا: لا تفاضل بيننا وكلّنا عبيد الله، فأسقطوا عن درجاتهم فنزلوا إلى المحنة وهم الممتحنون يردّون في الطّفوليّة إلى أن تدركهم رحمة الله فيخرجون من المحنة إلى الصّفاء الّذي قال الله فيهم:«أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ورَحْمَةٌ وأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ».

وقلت: سيّدي أخبرني ما يفعل الله بالخلق المنكوس؟ قال: يردّهم على أعقابهم وذلك قوله: لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون.

قلت: سيّدي فكم مقامكم فيها؟ قال: من كشفٍ إلى كشفٍ.

قلت: فما معنى الكشف؟ قال: من ظهورٍ إلى ظهورٍ.

قلت: الظّهور له أم للحجاب؟ قال: إنّ الله لا يدعو الخلق في البدا الأوّل بنفسه إلاّ إلى نفسه كذا يدعو بنفسه إلى نفسه غير محتاجٍ إلى أحدٍ من خلقه فيظهر العجز من نفسه.

قلت: أخبرني ما يفعل الله بهم؟ قال: يكشف الحجاب فلا حجاب ويدعو الخلق من المسوخيّة إلى البشريّة ثمّ يتجلّى لهم ويدعوهم إلى معرفته وطاعته فإن أجابوا أوصلهم إلى الولاية، وإن تجنّبوا ردّهم إلى العذاب كذلك قوله: «فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ولا هُمْ يُنْظَرُونَ».

قال الأصبغ بن نباتة: **سألت أبا الهيثم مالك بن التّيهان الأشهليّ عن عبد الله بن سبأ** قال: هو الّذي كشف الحقّ وعرّف النّاس دين الله على جهته.

فقلت: ما محلّه؟ قال: محلّه من الله محلّ الشّعاع من القرص لا موصولٌ ولا مفصولٌ وهو الغائبُ عن أبصار النّاظرين، وقال أيضاً: مفقودٌ وهو الّذي حباه الله لهذا الإسم فقال: «إنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانيَ الْكِتابَ وجَعَلَني نَبيًّا، وجَعَلَني مُباركاً أَيْنَ ما كُنْتُ وأَوْصانِي..» وقال: حباني من لدنه علماً.

قلت: سيّدي تخبرني إلى ما يدعو الدّاعي؟ قال: إلى الأديان الأربعة.

فقلت: سيّدي أخبرني من أين يظهر الحقّ؟ قال: من بين الخلق.

قلت: من أين متى يظهر؟ قال: إنّ الحقّ بين الخلق ولكنّكم لا تعلمون.

قلت: أخبرني عن مرجع المؤمنين فيكم يودّون ويردّون إلى دار الدّنيا؟ فقال: وما الدّنيا. **فقلت: لا علم لي!** فقال: هي الهياكل الطّينيّة الزّاهرة المنيرة.

قلت: كم غيبة الرّوح عن الجّسد؟ قال: حمل بطن الإمرأة وقال في وجه آخر: بل هي كلمحٍ بالبصر ثمّ تثنّى وقال: «لا تُبْقِي ولا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ، عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ، وما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إلاَّ مَلائكَةً[1]».

---

[1] تتمّة الآية تأتي على الشّكل : «لا تُبْقِي ولا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ، عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ، وما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إلاَّ مَلائكَةً وما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ ويَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إيماناً»

فقلت: سيّدي فما معنى النّار؟ فقال: النّار الباب والملائكة أولياؤه، وقال في وجهٍ آخر النّار القائم والملائكة أصحابه.

فقلت: سيّدي أتخبرني عن قول الله نار موصدة تطلع على الأفئدة [1]؟ قال: النّار الحجاب تطلع على قلب الباب والأيتام وجميع الخلق.

قلت: تخبرني عن النّار في الباطن؟ فقال: النّار هي أمير المؤمنين، وفي وجهٍ آخر عصا موسى، وفي وجهٍ آخر أمير المؤمنين وفي وجهٍ آخر أبو شعيب.

فقلت: سيّدي من كان موسى؟ قال: هو السّيّد محمّد.

قلت: سيّدي أخبرني عن النّار الّتي ذكرها الله في كتابه محمودةٌ أم مذمومةٌ؟ قال: كلّ نارٍ نورٌ.

فقلت: نار جهنّم؟ قال: هي المسوخيّة وهي أيضاً حرّ الحديد والنّقلة من بيتٍ إلى بيتٍ من البعوضة إلى الفيل إلى أن تصير في الخنافس. ثمّ قال: إلى أن يلج الجّمل في سمّ الخياط. ثمّ قال: إن هي إلاّ زجرةٌ واحدةٌ فإذا هم بالسّاهرة وهي الدّودة الّتي لا تنام وهي تشتغل باللّيل والنّهار كالنّار تذري لهيباً كلهيب السّراج.

فقلت: أخبرني عن المؤمن هل يردّ في المسوخيّة؟ فقال: حاش لله أن يردّ إلاّ في الطّفوليّة.

قلت لأيّ ذنبٍ؟ قال: بما كسبت يداه وما ربّك بظلاّمٍ للعبيد.

قلت: فما معناه؟ قال: سمعت أمير المؤمنين منه السّلام وقد سئل عن هذا الحرف فأجاب عنه بقوله أمروا بالطّاعة لإخوانكم ومرضاتهم فأبوا وكلّ ذلك عقوبةٌ لهم لأنّه قال: " أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ " فلم يفعلوا فأعادهمٍ وردّهم على أعقابهم فإذا خرجوا عن مظالمهم لإخوانهم المؤمنين ولم يبق عندهم حق فلا تثريب عليهم لقول الله تعالى: «لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وهُو أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

قال: سألت العالم عن المؤمن هل يغفر الله لكم وهو أرحم الرّاحمين.

---

[1] وردت في القرآن : « نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ، إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ » .

قال: سألت العالم عن المؤمن هل يردّ من أوّل كونه إلى الصّفاء.

قال: لا.

قلت: لأيّ شيءٍ؟ قال: لا يخرج من المحنة حتّى لا يبقى عليه ذنبٌ فإذا سقطت ذنوبهم وكفّرت عنهم سيّآتهم صفوا.

قال وسألته عن الجنّة والنّار؟ قال: الجنّة هم المؤمنون وإجتماعهم على علم الملكوت وفي وجهٍ آخر الجنّة المؤمن أخو المؤمن ووجهٌ آخر الجنّة الصّفاء والنّار النّاسوت.

قال: وسألته عن القيامة؟ قال: قيام القائم. **قلت: والنّار؟** قال سيفه.

في الظّهورات.

و سألته عن معرفة المعنى بذاته فترغرغت عيناه بالدّموع. ثمّ قال: يا ضعفاء ما أنتم فيه مالكم سألتم عمّا لا تطيقون وهذا أمرٌ مستصعبٌ سرٌّ مستترٌ مقنّعٌ بالدّرّ لا يحمله ملك مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ ولا حملة عرشٍ ولا كرسيّ.

فقلت: يا مولاي من يحمله؟ فقال: إنّ المعنى لا يدركه أحدٌ من خلقه بكلّيّته.

فقلت: يُرى في الحقيقة، ويَظهر في الخليقة؟ قال: ألا تعلم أنّ ذات الله لا يحجبها شيءٌ.

فقلت له: كيف الوجه؟ قال: الله تبارك وتعالى مولانا ظاهراً بذاته بين خلقه، ولكنّ الخلق في شكٍّ منه مريب ولكنّ الله تبارك وتعالى جلّ عن الصّفات والنّعوت والهياكل الموصوفة، إنّ الله توحّد بذاته بين خلقه، وفي وجهٍ آخر ما رويناه عن إخواننا الثّقات العارفين. إنّ مَثَلَ القرص كذاته ومَثَل الشّعاع كحجابه، وفي وجهٍ آخر: مَثَلُ الهلال في الزّيادة والنّقصان الّذي فيه كمثلِ أميرِ المؤمنين.

وقد روينا عن العلّة الّتي كان قد أظهر الحبل والولادة والتّربية والكبر والصّغر والعلل والأسقام والغنى والفقر والعجز والنّصرة وكلّ قدرةٍ يتلو في الجزّء الثّاني.

قلت: سيّدي ! الدّليل على ذلك؟ قال: العجز من القادر قدرةٌ وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وسلّم.

قلت: سيّدي ! أخبرني عن الظّهورات؟ قال: إنّما نعتنا الحبل والولادة ولم يكن في المعنى في الحقيقة كما وصفنا بهذاالأمر ولكن لهذا إرادةٌ وتفهيمٌ أراد الله أن يفهمهم للخلق وأن يعرّفهم، وأمّا الهلال فلا يزيد ولا ينقص وإنّما تراه على مقدارك والشّكّ فيك لا فيه.

قلت: سيّدي أخبرني عن ظهور الشّمس بالحمرة؟ فقال: هي معنويّة ظهوره بالسّيف، وأما بياض الشّمس فنفسه، وأمّا الصّفرة ما رأيته عند غيبة الشّمس فهو ما أظهره من القتل، وأمّا كسوف الشّمس فهو ما أظهره من الغيبة،والشّمس والقمر فمعناهما واحدٌ.

قلت: أسألك عن قصّة إبراهيم «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي»؟ قال: فمعناه اليتيم الأكبر.

«فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّي»؟ قال فلمّا رأى الحجاب القمر وإليه علم الملكوت.

«فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّي هذا أَكْبَرُ» قال: نعم لمّا رأى الأول وهو الأزل قال هذا ربّي «فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحبُّ الآفِلِينَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ والأَرْضَ حَنِيفاً وما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

قلت أخبرني عن بروج الشّمس؟ قال: إثنا عشر برجاً وهم النّقباء ومنازل القمر ثمانية وعشرون وهم النّجباء في الباطن والرّعد والبرق فهم الأيتام وهم المقداد وأبو ذرّ. فأمّا اليتيم الأكبر قدّ من الباب وهو المقداد واليتيم الأصغر أبو ذرّ، وأمّا الأرياح الأربعة فهم عبد الله بن رواحة الأنصاريّ ومحمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر وجابر بن عبد الله الأنصاريّ.

قلت: سيّدي ! أخبرني عن النّجوم ما هي؟ قال: هي أرواح المؤمنين إذا صَفَتْ فهي معلّقةٌ في الملكوت في جوار الحيّ الّذي لا يموت.

فقلت: أخبرني عن القائم فيما يظهر؟ قال: إنّه يظهر في يومٍ واحدٍ في ساعةٍ واحدةٍ في ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً وأمّا الأشخاص فمعنى واحد ثمّ يُظهر حجبه وأبوابه وأيتامه ونقباءَه ونجباءَه والمؤمنين معه، ثمّ يكشف عن الخلق المسوخيّة فيكلّم النّاس بجميع اللّغات ويخاطبهم بكلّ المخاطبات، وكلٌّ يراه شخصاً ثمّ يقولون هذا ملكنا الّذي نعبده، وإذا جائت الحقيقة جحدوه إلاّ الفرقة النّورانيّة.

و قال لي: إسمع وعِ إنّ هذه محنةٌ إمتحن الله بها خلقه وليست العلّة به ولا فيه وإنّما العلّة فيكم.

فقلت: من أيّ جهةٍ؟ قال: من [حيث] أنّه أظهر النّكاح في الباطن وهو نكاح العلم والأنبياء في الباطن هو من يلقي التّوحيد إلى من لا يعرفه قطّ فقد أُثبتنا به.

قلت: والحبل؟ قال: هو إذا وقع التّوحيد ووقع ووافق المؤمنين ورسخ في قلبه فلم يخرج عنه.

مسائل وشروحات

قلت: أخبرني عن ضغطة القبر؟ قال: الرّحم.

قلت: أخبرني عن الولادة؟ قال: كان صامتاً ثمّ نطق.

قلت: أخبرني عن قطع السرّة؟ قال: قطعه عن أهل الظّاهر.

قلت سيّدي: فما قطعه؟ قال: حجابه عنهم وصمته وكتمانه والتّقيّة.

قلت: فتحريكه؟ قال: إنتباهه من رقدة الغفلة.

قلت: سيّدي ! أخبرني عن حلق الرّأس؟ قال: هو الكشف ووجهٌ آخر من الباطن إلى الظّاهر.

قلت: سيّدي تقصير الشّعر؟ قال: التّقيّة.

قلت: أخبرني عن وجود المواليد؟ فقال: ما إختصّهم الله، وهم الّذين يعرفون الله حقّ معرفته ولم يشكّوا فيه، وهم صفوته من خلقه وأولياءه من عباده، أطلعهم على أمره وائتمنهم على العلم الفاخر من البحر الزّاخر العذب الفرات إذا لم يشركوا بشيءٍ فإمتحنهم إرادةً منه ليعلم كيف صبرهم على المحنة. فلمّا صبروا على المحنة وجزاهم جنّته وأباحهم دار كرامته وجعلهم صفوته وأبراره، فهم حجّة الله في أرضه وسمائه - إفهم هديت - فإنّ التّوحيد إستنبطناه من العلم وأخرجناه إليكم، ثمّ تلا الآية:«وقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ».

قال: وسألته عن المؤمنين ما يفعل الله بهم؟ قال: من أيّ جهةٍ.

قلت: من أرواحهم؟ قال أتدرون كم روحٍ للمؤمن؟

قلت لا علم لنا! قال: خمس أرواح.

قلت: صفها لي لأعرفها؟ قال: روح المدرج وروح الحركة وروح الشّهوة وروح الحياة وروح الرّوحانيّة وهي الرّوح المثابة المعقّلة، وترجع إلى جوهرها، وترجع إلى الجّسم المحمود وجوهرها فتولّى منه على قدر علمه وفهمه ومعرفته وحال المزاجٍ الطّيّبة من العنبر والمسك والكافور والعود إلى ما دونه بذلك من الرّوائح، كلٌ يجري على قدر علمه.

قال: وسألته عن ترديد الهياكل والنّقلة من دارٍ إلى دارٍ ومن بيتٍ خرابٍ إلى بيتٍ عامرٍ؟ قال: وما البيوت.

قلت: لا علم لي؟ ثمّ قال: هي بيوت المؤمنين.

قلت: فلم سمّي البيت بيتاً؟ قال: بيت الرّوح ومَثَله مَثَل بيت فيه سراجٌ فما دام السّراج فيه مشتعلاً كان البيت مشرقاً منيراً، فإذا إنطفأ السّراج أظلَمَ البيت، وله مَثَلٌ آخر كبيتٍ فيه سكّانٌ، فما دام فيه السّكّان يبقى عامراً، وإذا رحلوا عنه عطب البيت.

قلت: أخبرني كم كرّة يكرّ المؤمن قبل الصّفاء؟ قال لي ذاك شيءٌ لا يعلمه إلاّ الله وحده، بل أخبرني السّيّد محمّد أنّه يكشف عن المؤمنين، في كلّ ظهورٍ فيصفوا فيه خلقٌ كثيرٌ من المؤمنين وهذا حرفٌ لم يطلع عليه أحدٌ إلاّ أنّ النّقلة لو تعلمون صعبةٌ لا يتهيّأ إلى أحدٍ معرفتها إلاّ الباب وقد سألنا الباب فأجابنا عمّا سألت بما سمعت، ولقد سألت اليتيم الأكبر، فقال: تعرف الكرّات في الأدوار والأكوار والأعصار أربعة آلاف عصرٍ والعصر خمسة آلاف سنة.

قال: وسألت عن الأحقاب؟ فقال مولانا تبارك إسمه وجلّ ذكره أنّ الحقّ المنعوت قريبٌ من العقل بعيدٌ من المشاهدة قريبٌ من المؤمنين بعيدٌ من الكافرين.

قال وسألته عن ملك الموت بقول الله تعالى:«اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حينَ مَوْتِها والَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها » ثمّ قال في فصلٍ آخر:«قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ».

فقلت: وما ملك الموت؟ فقال: مالك الأشتر.

فقال: هل يحلّ الموت في مؤمنٍ وهل يداخله صعوبةٌ؟ قال: مَثَلُه مثل رجلٍ عطشانٍ في يومٍ صيفٍ وشرب شربة من ماءٍ باردٍ يجد لها لذّةً وشهوةً وقال في وجهٍ آخر: الموت عند المؤمن كرجلٍ لعق لعقةً من عسلٍ وأحلى من ذلك.

قلت سيّدي: لقد هوّن الله هذا الأمر؟ فقال: أبشرك بشيءٍ تعرفه.

قلت: نعم يا سيّدي؟ فقال: إنّ المؤمن لا يموت ولكن يغيب عن الخلق.

و سألته عن المؤمن؟ فقال: ما نسب الله إلى نفسه واحداً ألا وهو محمودٌ وقد رفع الله حرّ الحديد والمسوخيّة عنه وكان عقوبته التّرديد في الطّفوليّة إلى أن يصفو البدن البشريّ، وإعلم يا أخي أنّي سمعت مولانا عليه السّلام يقول: المؤمن من آمن بالله أو من الله لا موصولٌ ولا مفصولٌ. وأقرب شيءٍ إذا أوصله ولم يفصله من كرامته على الله، لأنّ الله سمّاه باسمه وأيّده بروحه، وقال لنفسه واحتجّ به على خلقه وقال:«أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعقُوبَ الْمَوْتُ» وقال:«لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ».

وقال: أبو الهيثم مالك بن التّيهان: سألت مولانا (ع) عن قول الله عزّ وجلّ:«فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ »[1]، قلت: سيّدي ما معنى الأشهر الحرم؟ فقال: الأئمّة، ووجهٌ آخر أسماء الأشخاص كلٌّ يوفي باجتماعه له، ووجهٌ آخر: أسماء المعنى واحد، أما تعلم أنّ الأشهر الحرم مضافةٌ إلى السّنة، فإذا تمّت الأشهر سمّي باسم السّنة، فأفرد إسم السّنة واحدٌ، بمعنى قوله إذا إنسلخت الأشهر الحرم تمّت الأشخاص بمعنى ظهوره بها، وحصحص القول، وظهر الحقّ، وإنكشف الأمر، وجاء يومٌ لا ريب فيه، يوم لا يستحي الحقّ من الباطل، يوم يدعو الله المؤمنين فيه، فيجعل في يد كلّ واحد منهم سيفاً ويقول: خذ بحقّك من عدوّك، وذلك قوله:«فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ » ولا قتل ولا سلب ولا قذف ولا ظلم بين يدي القائم، وإعلم أنّ الله أبدا لكم أمراً، وعهد إليكم عهداً، في حقن دمائكم، وإئتمنكم على سرّه، وأمركم بحفظه إلى أن يصرخ صارخه، ويدعو داعيه إليه، وذلك قوله:«ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» فذلك بيانٌ منه، فمعنى الصّيام صوم التّقيّة، والإفطار المجازاة والتّذكير بين الإخوان، والفطر هو الخروج من التّقيّة.

قلت: سيّدي ! فأخبرني لمَ سُمّي السّبت سبتاً؟ قال: لأنّ الله تعالى عاهد بني إسرائيل: «يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وإِيَّايَ فَارْهَبُونِ».

قلت: فما معنى إسرائيل؟ قال: فيه ثلاثة وجوه، الوجه الأوّل إسرائيل هو الحجاب وهو الميم وبنيه المؤمنين، والوجه الثّاني الباب، والوجه الثّالث أنّه القديم الأزل تعالى ذكره. وهذا هو المحقّق المعروف والبيان الشّافي في الحقّ الحقيق. الأوّل هو الحجاب لأنّه أقرب في المشاهدة من خلقه، وأمّا بنوه المؤمنون العارفون وذلك قوله: «كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلاَّ ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ» الآية.

---

[1] وردت الآية كاملة : «فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وخُذُوهُمْ واحْصُرُوهُمْ واقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تابُوا وأَقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ».

قلت: سيّدي ما معنى الّذي حرّم إسرائيل على نفسه؟ قال: الّذي لا تقبله نفسه من المتشابه بالحقّ.

قلت: سيّدي فمن إسرائيل بالحقيقة؟ قال: في تلك القبّة وجدنا أبا الأسباط وهو يعقوب وهو الميم حجاب يوسف ووجهٌ آخر حجاب المعنى وهو يوسف منه السّلام.

قلت: سيّدي ما تقول في زليخا والعزيز؟ قال: كان العزيز مقامه الحجاب وهو الّذي قال الله فيه حكايةً عن إخوة يوسف في الظّاهر: «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ» فلبّس في الظّاهر على هذا الخلق المنكوس.

قلت: سيّدي ! فمن زليخا؟ فقال: مقامها مقام أسماء بنت عميس الخثعميّة أمّ محمّد بن أبي بكر زوجة أمير المؤمنين في الظّاهر.

قلت: ما معنى الحجب؟ قال: الحجب المحنة الّتي أظهرها للعالم لمّا أظهر العجز ثمّ أظهر القدرة بعد ذلك ليعلم الخلق أنّه العليّ الكبير.

قلت: فما مقام أولاد يعقوب؟ قال: مقام أولاد السّيّد محمّد وإخوة أمير المؤمنين في الظّاهر، ووجهٌ آخر: يقال: أنّهم النّقباء.

قلت: فما تقول في الحسن والحسين علينا من ذكرهما السّلام والإسم الواقع فيهما؟ قال: والله ما لله سرّ أسرّ منهما، لأنّهما فرقتان فرقةٌ لليهود وفرقةٌ للنّصارى.

قلت: سيّدي من أيّ وجهٍ وقعت بهم هذه الكرامة الرّفيعة والجّلالة السّامية؟ قال: إنّ المعنى أنزله في بطن من قريش وهو هاشم فخلعت بنو هاشم به لمّا نزل بهم في إستحقاقٍ منه لهم.

فقلت: سيّدي أخبرني عن الإستحقاقات؟ قال: لا يصل أحدٌ إلى شيءٍ ولا يعلو درجةً إلاّ بإستحقاقٍ لأنّه قد وقع الإبتداء من الأصل فهو الإقتضاء.

قلت: سيّدي وزنٌ بوزنٍ؟ قال: نعم حتّى تأخذ المرأة من الرّجل ما أخذه منها ويردّان حتّى يأخذ كلّ واحدٍ منهما حقّه من صاحبه.

قلت: فيردّ المؤمن والمؤمنة؟ قال: حاشا لله أن يردّ المؤمن بعد إيمانه إلى القهقرى: إنّ الله عزّ وجلّ جعلكم ناكحين ولم يجعلكم منكوحين.

قلت: فأخبرني عن قول الأصبغ بن نباتة الّذي أخبر عن أمير المؤمنين منه السّلام بأنّه قال: كلّ منكوحٍ ملعونٌ؟ قال: إنّ لكلام مولانا وجوهاً يحتاج من سمع منه حرفاً أن يثبت عليه حتّى يسأل عنه من يجيبه ليفيق من الحيرة فيفهم، إلاّ أنّي سألته عن النّاكح والمنكوح فقال: النّاكح المذيع والمنكوح الّذي يلقي التّوحيد إلى غير مستحقّه فإنّهما ملعونان.

قلت: فأخبرني عن الزّاني والزّانية؟ فقال: الزّاني من هتك سرّ الله وسرّ آل محمّد والزّانية المذيعة من الآيات وقد ذكرهم الله في كتابه فقال: «الزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلاَّ زانٍ أَو مُشْرِكٌ وحُرِّمَ ذلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» يعني الإذاعة والحسد فإذا وقفوا من ذلك أذيقوا حرّ الحديد.

فقلت: بيّن لي ذلك؟ قال: الأختان ومشرط الشّارط أهون ولا يداخل شيءٌ أن يعبده فيه.

فقلت: ما يقال في الخفايا؟ فقال: إذا علمت شيئاً فإعمله لله ولنفسك خالصاً وإيّاكم أن تقولوا في المؤمنين إلاّ خيراً. واذكروا الباقيات فلا يمرّ بكم إلاّ ظلمة القبر، والطّفوليّة وهي أشدّ من كلّ شيءٍ. عصمنا الله وإيّاكم من ذلك.

قلت: سيّدي ! زدني وأرشدني واعصمني؟ فقال: إنّي لك مجرى الأبدان يجد فيه أو يخلص.

قلت: سيّدي ! فكم المجازاة؟ فقال: الله أعلم بمقدار عمل الإنسان وعلمه.

فقال: أرى واحداً يسقط، وآخر يموت ببطن أمّه، وآخر يعيش مئة سنة؟ قال: نعم أمّا من سقط ووقع فإنّه عاش بغير هذا الهيكل مئة سنة ومن مات في بطن أمّه فإنّه عاش في هيكلٍ آخر تسعين سنة. والّذي عاش شهراً فإنّه عاش في هيكلٍ غيره ستّين سنة. وعلى هذا وقعت المجازاة على الثّواب والعقاب من كثرة الحياة وسرعة الموت.

قلت: سيّدي أخبرني عن الخلق هل كان لهم عند الله درجةً إستوجبوا النّجاة من هذه الهياكل؟ قال: أجل درجات عند الله قدر سرعة إجاباتهم في الدّعوات.

قلت: سيّدي أخبرني لم سمّي الأحد أحداً؟ قال: لوحدانيّة الواحد الفرد الصّمد الأزل.

قلت: الإثنين؟ قال: الحجاب والمحتجب. **قلت: الثّلاثاء؟** قال: شخص فاطر[1].

قلت: الأربعاء؟ قال: الحاء الأوّل. **قلت: الخميس؟** قال: الحاء الثّاني.

قلت: الجّمعة؟ قال: دعوة المعنى دعا نفسه إلى نفسه لمّا ظهر بينهم وجمعهم إليه فسمّيت الجّمعة.

قلت: فلم سمّيت الخطبة خطبة؟ قال: لأنّ الجّليل خاطبهم بذاته وإحتجّ عليهم بأوليائه.

فقلت: قوله يوم الجّمعة جهراً؟ قال: نعم لا يجوز يجهر إلاّ المعنى لأنّ الصّلاة له وهو غير مصلٍّ لأحدٍ لأنّه ناطقٌ والنّاطق لا يجوز له صلاةٌ بل الصّلاة لله.

قلت: فالأذان؟ قال: دعوة المعنى إلى وحدانيّته.

قلت: فالإقامة؟ قال: دعوة الحجاب إليه.

فقلت: صلاة الظّهر؟ قال: المعنى موجودٌ بين خلقه غير معدومٍ عزَّ من لا يغيب.

قلت: العصر؟ قال: شخص الحجاب.

قلت: المغرب؟ قال: شخص الفاء، وهي الصّلاة الوسطى.

قلت: العتمة؟ قال: الحاء الأوّل.

---

[1] **فاطر : أي فاطمة، وأما الحاء الأول فهو الحسن، والحاء الثاني هو الحسين، والمعنى هو علـيّ بن أبي طالب.**

قلت: صلاة اللّيل؟ قال: محسن الخفيّ بين الأشخاص.

قلت: الفجر؟ قال: الحسين منه تفجّرت علوم الملكوت فسمّي الفجر.

قلت: أخبرني عن الثّلاث صلوات الّتي يجهر فيهنّ؟ قال: ظهور المعنى بالسّيف جهراً فيهنّ وكذلك الحجاب جهرته للمعنى والحجاب هو محمّد منه السّلام.

قلت: فالصّلاتان الّتي لا يجهر فيهنّ؟ قال: صمت الفاء والحاء الأكبر.

قلت: شخصٌ واحدٌ أم عدّة؟ قال: في الحقيقة تريد أم غيرها.

قلت: الحقيقة. قال: لم يتّصل به ما لم يكن فيه، ولم يمتزج به شيءٌ، ولا يشاركه أحدٌ في ملكه. بل هو بذاته قائمٌ بين خلقه بالأسماء المعروفة المتفرّقة، ومعناها كلّها واحدٌ، وإنّما سمّي المعنى لعلّةٍ وهو المعنى رمزٌ.

قلت: أخبرني عن عيسى بن مريم؟ قال: هو الحجاب، وفي وجهٍ آخر هو الأصل، فوجدنا السّيّد محمّد أنّه لم يظهر في بيتٍ من بيوت الأنبياء وإنّما ظهر في بيوت الأوصياء.

قلت: فمَنْ على عهد عيسى الوصيّ؟ قال: شمعون الصّفا.

فقلت: فزمزم؟ قال: آمنة أمّ السّيّد محمّد منه السّلام.

قلت: أخبرني عن الله وظهوراته؟ قال: حيث ما رأيت القدرة فهناك القادر لا متّصلٌ به ولا منفصلٌ عنه، فإعرف ذلك.

فقلت: محض التّوحيد؟ قال: فأراد المعنى بمعنويّته وجعل الأربعة الأسماء لحجابه، وهم أركان البيت أعني معنى البيت وهم الميم والفاء والحاءين.

فقلت: تعالى أن يقال الله شخصٌ؟ قال: جلّ وعزّ عن ذلك وإنّما الأشخاص هي أشخاص الحجاب وأمّا الأزل هو قائمٌ بذاته.

قلت: أخبرني عن السّلسلة المادّة الممزوجة في طرق الإمامة؟ فقال: فيها كما قال في الأركان.

قلت: يعني أركان البيت والعرش؟ قال: هي أركان البيت، وأمّا أركان الحجاب فقد ذكرناهم في أوّل الكتاب.

قلت: هم معاني وأئمّة بذاتها؟ قال: سألت الصّادق عليه السّلام

قال: يُعرف المعنى في وحدانيّته لما دونه من حجبٍ أقامها وجعلها أركاناً لبيته وفوّض إليهم أمره ونفخ فيهم من روحه وجعلهم حججاً على بريّته فهناك صفا المعنى بنفسه.

قلت: فما معنى مِنَى؟ قال: ظهور الله بذاته فأقرّوا له ووحّدوه فسمّي منى.

قلت: فعرفات؟ قال: وجدوه فعرفوه فسمّي عرفات.

قلت: فالموقف؟ قال: وقف هنالك النّاس ودعاهم إلى الّذي أراد بعبده.

قلت: ولم سمّيت المزدلفة؟ قال: لأنّ الباري نطق هنالك فازدلف النّاس إليه لما رأوا من عجائبه وحكمته وكلّ يريد الإجابة.

قلت: العيد؟ قال: هو بابٌ من أبواب الكشف.

قلت: الخطبة؟ قال: دَعْوتُه إلى أصحابه فألزمنا إلى أنفسنا الإقرار بالعبوديّة.

قلت: النّفر؟ قال: دعاء العباد إلى نفسه ومخاطبتهم إيّاه.

قلت: الخطبة بالموقف إلى عرفات؟ قال: الله أظهر بينهم بمنى وظهر شخص الحجاب بعرفات.

قلت: فما معنى النّحر؟ قال: نعم إنّ مولانا دعا الخلق في البدو الأوّل إلى نفسه فأجابوا، ثمّ دعاهم إلى معرفة الحجاب فأبوا، ثمّ ردّهم على أعقابهم وآلى بنفسه أن يردّهم في الإنكار إلى مواضع الدّعوة والظّهور فيذيقهم حرّ الحديد وهو النّحر.

قلت: فرمي الجّمار؟ قال: نعم إنّ إبليس الأبالسة لعنه الله ظهر هنالك للحجاب وأراد أن يغوي المؤمنين فأمر الله برجمه فرمى ذلك الجّمار لأجل ذلك.

قلت أخبرني عن المطر الّذي يحيي بعد النّحر؟ قال: إنّ الله يطهّر الأرض بعد دنسها.

قلت: لم سمّيت تهامة؟ قال: نعم لمّا غاب عنهم الشّخص طلبوه طلباً شديداً، فسمّيت تهامة لمّا هاموا في طلبه.

قلت: فلم سمّي الحرام حراماً؟ قال: حقّ ما ألزم الله به من حقّ الحجاب على الخلق.

قلت: ما المسجد الحرام؟ قال: حرمة المولى والمسجد هو الّذي لا يتغيّر من الصّفاء أبداً.

قلت: فما معنى بيت الله الحرام؟ قال: ليس لله بيتٌ وإنّما هو بيت الحجاب محمّد ظهر فيه بالنّطق.

قلت: فأخبرني عن العشاء؟ قال: شخص الحائين.

قلت: والسّكنتان [النّكفتان]؟ قال: الميم.

قلت: ما الحلقة في الباب؟ قال: جعفر بن أبي طالب.

قلت: فما الباب؟ قال: شخص السّين.

قلت: الرّزّة الّتي تقع فيها الحلقة؟ قال: محمّد بن الحنفيّة.

قلت: فما القفل؟ قال: شخص الحسين المقتول بكربلاء.

قلت: فما الفراشة؟ قال: شخص الميم.

قلت: فما المفتاح؟ قال: شخص القائم.

قلت: فما الكسوة مرّة بالحمرة ومرّة بالبياض القباطيّ ومرّةً محلّلً ومرّةً محرّم؟ قال: أمّا الحمرة ظهوره بالسّيف وإهراق دم الأضداد وأمّا البياض ظهوره بالبهمنيّة الأنزعيّة.

قلت: المحلّل والمحرّم؟ قال: المحرّم الغيبة والمحلّل يوم يكشف الله أمره ويكشف عن المؤمنين وهو يظهر بالتّوحيد على رؤوس الأشهاد.

قلت: فأخبرني عن الميزاب؟ قال: هو سلمان.

قلت: الرّخامة؟ قال: أمّ سلمة.

قلت: الحجر؟ قال: أبو طالب.

قلت: فالحجر الأسود؟ قال: المقداد.

قلت: والحائط الممدود على الحجر؟ قال: جعفر.

قلت: الدّرجة الّتي يدخل عليها إلى البيت؟ قال: الباب.

قلت: أخبرني عن مقام إبراهيم؟ قال: محمّد بن أبي بكر.

قلت: الصّفا والمروة؟ قال: اليتيمان.

قلت: زمزم؟ قال: الإسم ويقال أمّ سلمة زمّت العالم زمّاً.

قلت: المشاعر؟ قال: النّقباء.

قلت: أخبرني عن القناديل الّتي تزهو في المشاعر؟ قال: علم الملكوت.

قلت: فأخبرني فما الطّواف في البيت؟ قال: إنّ الله تعالى ظهر هنالك للنّاس فلم يزالوا يطلبونه إلى يوم القيامة ويطوفون حوله ويوحّدونه.

قلت: فأخبرني عن الأذان بين يديّ البيت؟ قال: دعوة الحجاب.

قلت: فالإمام الّذي ينطق في النّاس؟ قال: والله لو عرف النّاس هذا الموضع ما كفر بالله واحدٌ والإمام أمير النّحل عزّت آلاؤه.

قلت: فأخبرني عن الحمام الّذي يطير في الحرم؟ قال: المؤمنون الّذين لا يخرجون عن حرم الله.

قلت: ما معنى حرم الله وميثاقه؟ قال: عهد الله وميثاقه.

قلت: فأخبرني عن الغزلان؟ قال: المفوّضة في الحرم.

قلت: فرائحة البعر منهم؟ قال: ذكروا التّوحيد ثمّ جحدوه فلذلك رائحة الإنكار منهم وفي بطونهم.

قلت: فما معنى العلمان؟ قال: هم الأبواب.

قلت: البريد؟ قال: الأيتام.

قلت: المشرق؟ قال: النّقباء.

قلت: الأميال؟ قال: المؤمنون يبلغون إلى الصّقاء من واحدٍ إلى واحدٍ حتّى يبلغوا الصّقاء.

قلت: الأعراب الّذين يقطعون الطّريق على المؤمنين ويذيعون عليهم سرّهم؟

قال: الأعراب هم المقزمنة والمفوّضة يقطعون على المؤمنين ويذيعون عليهم سرّهم.

قلت: أخبرني عن المساجد والجّوامع؟ قال: هي مقامات من أطاع الخلق فيها الباريء لأنّ الله أراد منهم العبوديّة.

ثمّ قال: يا معلّى، إنّ الله لم يكلّف الخلق ما لا يطيقون وإنّما أمرهم بطاعة من دونهم [دونه] وامتحنهم به ثمّ قال:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً» يا معلّى: أتحبّ أن أزيدك حرفاً.

قلت: نعم يا سيّدي قال: إقرأ الحمد لله ربّ العالمين، الحمد محمّد ربّ العالمين العليّ الأعلى. الرّحمن: الحاء الأكبر. الرّحيم: الحاء الثّاني الأصغر. مالك يوم الدّين: محمّد، إيّاك نعبد وإيّاك نستعين: الإسم، إهدنا الصّراط المستقيم: العين، صراط الّذين أنعمت عليهم (بمعرفتك). غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين: الأمم الحاضرة.

قال المعلّى: قد أردت أن أسألك عنه غير مرّةٍ. قلت: ما معنى الحجاب؟ قال: الميم، والمحتجب العين، والإسم الميم، والمسمّي العين، والدّليل في هذا أنّ الصّنعة هي صنعة الصّانع. فبالصّنعة إستدللنا على الصّانع، لمّا أظهر لنا الأفعال فعرفنا أنّ الصّنعة غير الصّانع.**قلت: سيّدي ! فرّجت عنّي.**

قال المعلّى: كان الأصل فرعاً ففرعت الفروع من الأصل لإيجاد البابيّة منه دلالةً على حدّ الإتّصال، ألا تعلم أنّه لا قوام للفرع إلاّ بالأصل والفرع فيه البركة من الأصل، وقد وجدنا أنّ الفرع شرب من ماء الأصل ثمّ يثمر، وكان ذلك دليلاً على التّوحيد.

قال: يا معلّى، النّاس على وجهين إثنين.

قالوا: إنّ السّماء ونجومها وشمسها وقمرها وأفلاكها ونورها وما يرى فيها فهم العالم الكبير. قال: هذا كلام العميان من العامّة الّذين إنقلبوا على أدبارهم فهم إلى النّار صائرون، وأمّا ما جاء عن الأصل أنّ العالم الصّغير هم بدو خلق العالم، يا معلّى. إنّ الله تبارك وتعالى لم يترك لأحدٍ عليه حجّةً وقد بيّن على لسان الحجاب الّذي أقامه سفيراً بينه وبين خلقه.

قلت: سيّدي أخبرني عن البحر ما مقامه والماء العذب؟ قال: مقامه مقام العلم للعالم وهو العلم الصّعب المستصعب.

قلت: ما معنى الحيتان ودوابّ البحر وسكّانه؟ قال: مثل الحجاب فيه علم الملكوت والعوالم يصدرون ويرعون من ينابيع الحكمة.

قلت: فما معنى الجّبل الّذي ينصبّ منه الماء ولا يعود إليه؟ قال: مثل العالم يخرج منه العلم ولا يعود إليه.

قلت: ما معنى باب حطّة؟ قال: سلسل، وهي حطّة الحجاب الميم والسّجود له، وفي وجهٍ آخر إنّ حطّة الأصل وهو العين، ومعنى قوله: «إدخلوا الباب سجّداً وقولوا للنّاس حطّة» أي عليّ الأعلى ربّ العالمين [١].

قلت: سيّدي ما معنى قوله: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وخَرَّ مُوسى صَعِقاً [٢]؟ قال: الحجاب واقعٌ سلسل في هذا الموضع، فلمّا تجلّى له العين بالمعنويّة خرّ له الحجاب صعقاً، وقيل: ساجداً.

قلت: أخبرني عن مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً؟ قال: من عرف العين من الميم والحائين وأقرّ بلاهوتيّة العين وناسوتيّة الميم والحائين أمن التّكرير وغيره.

---

[1] أي أنّ عدد الحروف فيهما واحدة فهما يشاكلان ويقابلان وينوبان عن بعضهما (الكلمتين) وفي مثل هذا سنجد الكثير وإن لم نصرّح عنه .

[2] وردت الآية كاملة : «و لَمَّا جاءَ مُوسى لِميقاتِنا وكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِي ولكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ».

قلت: وقوله: «ولله على النّاس حجّ البيت»؟ قال: على النّاس معرفة الحجاب من إستطاع إليه سبيلاً من المؤمنين إذا بلغوا إلى معرفة العين والميم والحائين.

قلت: فقوله: «إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّه»[1]؟ قال: الشّعائر: سلسل، والله: الإسم، فمن حجّ البيت أي مَن عرف أصل المعنى وعرف معرفة التّوحيد فلا جناح عليه أن يطوف بهما. قال: نعم يطوف باليتيمين.

قلت: سيّدي أخبرني عن المناسك؟ قال: هي فروع الحجّ من حجّ فعليه أن يعرف المناسك فهي أيضاً من أمر الله ومن آمن بالله فعليه أن يعرف الحقّ بشرائعه وفروعه وكلّما يحبّ من حلالٍ وحرامٍ.

قال: قلت: سيّدي إنّ الله خاطب الخلق وطالبهم بذلك؟ قال: نعم يا معلّى إنّما عليهم هذا الأمر لازمٌ لا يدفعونه وبهذا حقن دمائهم العهود والمواثيق الّتي أخذها عليهم بالأوّل وكذا قام القائم طالبهم بها فإن كانت عندهم جوزوا وإلاّ فردّهم إليه في العذاب.

قلت: سيّدي أخبرني عن جهنّم هي محمودةٌ أم مذمومةٌ؟ قال: محمودةٌ.

قلت: لأيّ علّةٍ؟ قال: النّار القائم والنّار سيفه.

فقلت: جهنّم؟ قال: الفيل: وهو أوّل بيت سكن فيه الخلق من الجّبابرة، ثمّ النّجاتي: وهو مسكن أهل خراسان، والثّالث الخيل العتاق: وهي مساكن بني الشّيصبان وبني أميّة، ثمّ يقعون في الدّردور، فمنهم الخيل العتاق، والبراذين: وهي مساكن العجم والبراذين مساكن أوساط النّاس، والخيل: الشّهر والدهم الشّقر والبلق والكميت: فهؤلاء الّذين دعوا الله ولداً ذلك الأولاد. فالدّهم مساكن ولد الحاء الأكبر، والشّهب: مساكن ولد العبّاس بن عليّ وكلٌّ في الرّفاهة ومحسن إليه لعلّة الإسم الواقع عليهم، والبغال: مساكن أشرار النّاس، والحمير المحسن إليها: مساكن المفوّضة، وأمّا المنسوب إليها فهم مساكن من إدّعى الإمامة من الزّيديّة وغيرهم،، وأمّا الكلاب: مساكن من خرج من عهد الله وميثاقه عن المسجد الحرام وهي الدّار

---

[1] وردت الآية كاملة «إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ومَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ».

إلى يوم الكشف كلّما عطل بيتٌ نقل إلى ما هو أرذل منه إلى أن تستقرّ الأرواح كلّها في برهوت تنقل إلى السّاهرة، ثمّ يقع الكشف ثمّ يظهر الشّخص فيدعو إلى باريه.

قال المعلّى: قلت: سيّدي ! أخبرني هل في الأرض من حجّةٍ؟ قال: نعم ما من بلدة إلاّ فيها نجيب أنجبه الله من أهلها فهو حجّة على من هو دونه لعلمه وفهمه وتعطّفه، وقد أمر الله الباقين بطاعته فإن أطاعوه فطاعته موصولةٌ بطاعة الله ومن لم يطعه فقد مرق من الدّين ورجع أعرابيّاً بعد هجرته.

قلت: سيّدي كيف يعرف الرّجل إذا كان بهذه الصّفة وهذه السّبيل؟ قال: إذا أحبّ الله أن ينبت شجرة في بلدٍ غذّاها حتّى تستكمل فكان أوّل نباتها حجّة وآخر نباتها دعوة إليه وشهادةٌ عليه وهو المطاع بينهم فإن أطاعوه فطاعته بطاعة الرّسول مقرونةٌ، وما من خمسةٍ إجتمعوا إلاّ وفيهم مطاع.

قلت: لأيّ جهةٍ؟ قال: الكلّ من العشرة في درجة الكمال ولا بدّ من فاضلٍ يكون فيهم فيعرفوا فضله ويصدّقوه.

ألا تعلم أنّ أهل الكوفة إجتمعوا إلى مولانا الصّادق منه الرّحمة فقالوا له: إنّا لنحتاج إلى من يعلّمنا معالم ديننا، فقال لهم: إذهبوا فإختاروا لكم رجلاً ترضوه لأنفسكم، قال: فإختاروا أبا الخطّاب[1]، فقال: لهم مولانا: إمضوا فإختاروا غيره، فمضوا ثمّ عادوا بعد ذلك لعامٍ آخر قالوا: قد إخترنا فلم نصب غير أبي الخطّاب، قال: إذهبوا فإختاروا عاماً آخر ثلاث حججٍ، فلم يجدوا غيره، فلمّا كان في السّنة الرّابعة وأمرهم بعد إختيارهم، ثمّ قال لهم بعدما علم أنّهم أقوم بهذا المقام: أرتضيتموه لأنفسكم، قالوا: نعم، قال: فإن رأيتموه قد حلق وسط رأسه وشدّ في وسطه كشتيزاً وسوّد ذيله[2] فإتّبعوه فإنّه لا يخرجكم عن هدى ولا يدخلكم في ضلالٍ.

---

[1] هو من نادى بمعنويّة جعفر الصّادق في جامع الكوفة وهو يؤذّن فأذّن به وبمعنويّته فلعنه الإمام جعفر الصّادق منه السّلام راجع رسالة الأندية للجلّيّ قد.

[2] راجع الرّسالة المسيحيّة للجلّي لتجد بيان شدّ الوسط والكشتيز .

فكان يا معلّى بيانٌ لهم وتثبيت حجّةٍ عليهم فلمّا أمرهم عصوا أمره وخالفوا قوله وقد بيّنهم في كتابه فقال:«اهبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والْمَسْكَنَةُ»[1] فهذا آيٌ فيهم فكيف فيكم.

فقال معلّى: قلت سيّدي تجلّى مقام لأمير النّحل أيّ مقامٍ؟ فقال: أهل الكوفة أجلّ مقام وشرّ الخلق جيرةً أنزل الله بهم جيره وظهر فيهم ولم يزدادوا إلاّ بعداً عنه فخسروا أنفسهم فمأواهم النّار كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تستكبرون وبما كنتم تكذبون.

قال المعلّى: قلت: سيّدي أخبرني عن جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل؟ قال: جبرائيل هو سلسل وميكائيل المقداد وإسرافيل أبو ذرّ وعزرائيل ملك الموت وهو مالك الأشتر ورضوان عمّار بن ياسر.

قلت: سيّدي قد هديتني وعرّفتني معالم ديني وبيّنت لي ما كان خفيّاً عنّي وأرشدتني إلى سبيل الحقّ.

ما رواه المفضّل بن عمرو

و رواه المفضّل بن عمر قال: سألت أبا الخطّاب عن الأبواب؟ فقال: لكلّ بابٍ بابان بابٌ ناطقٌ وبابٌ صامتٌ.

قلت: فما معنى النّاطق؟ قال: صاحب الصّورة.

قلت: والصّامت؟ قال: المنتظر الإشارة إليه.

---

[1] وردت الآية كاملة «وإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ على طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وقِثَّائِها وفُومِها وعَدَسِها وبَصَلِها قالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والْمَسْكَنَةُ وباؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ ويَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وكانُوا يَعْتَدُونَ».

قلت: متى يشار إليه؟ قال: إذا غاب أبو الطّيّبات وظهر المفضّل بن عمر يا معلّى ضلّ الخلق في هذه.

قلت: فبماذا؟ قال: بالإسم والمسمّى.

قلت: من أيّ جهة؟ قال: من جهة التّسمية فلو عرفوا القدرة لإهتدوا وسعدوا ولم يكفروا بالله ولكن لقيامٍ الحقّ فيه ولا سبيل إتّبعوا فلمّا جاءهم الحقّ كذّبوه. يابن عمر كأنّي بأبي الخطّاب أبي الطّيّبات يا معلّى.

قلت: لا. قال: أنا أبو المؤمنين فكلّ مؤمنٍ طيّبٌ أنا أبوه. يا معلّى من لا يعرف الأبوّة لم يقم النّبوّة.

باب معرفة الواجبات وشكل المجازاة

فمن عرف الخمس سقطت عنه الخمس. ومعرفة الحجّ وهي معرفة الأصل، فمن عرفها فلا جناح عليه في وجوده إلى أن يخرج من محنته وكان موجوداً به. وفي معرفة الحجّ وجةّ آخر: إنّ الحجّ الحجاب، فمن عرف الحجاب والباب والأيتام والنّقباء والنّجباء وأقرّ للمعنى بالرّبوبيّة فقد حجّ وانتهى بالمعرفة إلى الكمال.

قوله تعالى:«وقُولُوا للنَّاسِ حُسْناً» [1] وقال:«فَلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدالَ[2]» وقال: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» و قال: ما

---

[1] وردت الأية كلملة : «و إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وذِي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكِينِ وقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ »

[2] وردت الآية كاملة : «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدالَ فِي الْحَجِّ وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى واتَّقُونِ يا أُولِي الأَلْبابِ».

على المسكين من حرجٍ ولا سبيل[1] أي على الكامل مردٌّ في الهياكل لأنّه قد علم حقّ الحقّ فهو بالغٌ.

باب آخر: إنّ الله جلّ ذكره أمر الخلق بالطّاعة، وأمرهم بالمساواة والمواساة، فأنكروا ذلك فخلق لهم حجرين مسخّرين ليواسوا بهما، وإمتحنهم بذلك، وهي الدّنانير والدّراهم، فمن عزّ عليه درهمه، هان عليه أخوه ومن عزّ عليه أخوه هان عليه درهمه ويردّوا في الهياكل.

فقال: حاشى لله أن يقع إسم الإسم فيمن يعزّ عليه درهمه ومن صعب عليه درهمه بطيء عليه مخرجه من المحنة.

و سألت عن المجازاة في الذّكرانيّة والإناث؟ فقال: نعم ترد المرأة في هيكل الذّكرانيّة ويرد الرّجل في هيكل الأنثى حتّى تأخذ المرأة من الرّجل كما أخذ من الإمرأة وذلك من عدل الله عزّ شأنه.

فقلت: المؤمن والمؤمنة يردّان في الهياكل؟ فقال: حاش لله أن يقع إسم الإسم في أحدٍ إلاّ وقد نجا من ذلك، وإعلم يا أخي أنّه يذهب كورٌ ودورٌ وتقرّر الأعصار عندها يقع الإقتصاص فيأخذ كلّ واحدٍ من صاحبه، وإعلم ما من أحد إلاّ ويجاز به الله أوّل مجازاة إلى أن يصير إلى منتهاه فإنّا يعلو وإمّا يحطّ.

و سئل عن المجازاة في الحيوانات؟ فقال: نعم السّرّ على الخلق من جهة البشريّة وقد رفع الله السّرّ يا أخي عن المسوخيّة لأنّهم ملعونون منكوحون على رؤوس الملأ مثل فيل وحجل وبغل وحمار وفرس وجاموس وبقر وغنم ومعز وخنزير ودبّ وقرد وسنّور وكلب وفأر كلّ واحدٍ يأخذ الفحل بيده يسوقه إلى من ينكحه أو يحضره إليه ولا يخفى عليه، وكذلك سائر البهائم تسافر وتنكح في الأسواق وبين السّكك على رؤوس الأشهاد ولا ينكر عليهم أحدٌ شيئاً.

و قد روي في باب المجازاة: أنّ الخلق تراهم كالخلق الّذي هو مشبهٌ عليهم، أمّا القوم يقولون إنّ شياطيننا ينظرون للنّاس في صورهم، وهم أبعد إلى الله من هذا الخلق أوما يعلم أنّ الله لا يخفى عليه شيءٌ. وكلّ من قال: إنّ الله لم يحص الأشياء

---

[1] وردت كلمة حرج في القرآن خمس عشر مرّة ولم نجد هذه الآية

بعد أن عرفها فقد نسبه إلى العجز وذلك أنّ مولانا خلق الخلق فمنهم من يمشي على أربع كذلك حكمه في جميع الخلق، وأمّا الشّياطين الّذين تقول العامّة إنّهم يتصوّرون في صور الخلق فهم الملبّسة عليهم. قد كان في اللّيل كشف عنهم الحجاب فيريهم أنّهم شياطين لعظم خلقهم، ولمّا رأوا من سماجتهم وفعلهم القبيح فإذا أصبحوا عادوا كما كانوا فيه.

باب الكمال

إذا صفا المؤمن كثر علمه وقلّ شرّه وكثر خيره وكبر شأنه وعلا قدره وشاع ذكره وخفي على النّاس أمره فكان ممّا أعالته النّاس إلى أن اختارهم من بين خلقه لمّا صبروا على المحنة من علّة الخلق، فإذا أحبّ الله عبداً من عباده إمتحنه، فإذا وجده صابراً جازاه بالإحسان وكان ممّن كشفت عنه القمصان البشريّة ورفع إلى علّيّين وصار في جوار ربّ العالمين.

قلت: أخبرني هل كان النّاس في علوٍّ أم في سفلٍ. قال: إنّما يتكلّم النّاس على معاني الكلام إذا عرفوا، ألا تعلم أنّ الله مولاك لا يخلو من علوٍّ ولا من سفلٍ لأنّه متى خلا منه السّفليّ لأنّ هذين الإسمين سمّي بهما في خلقه وهو على حدّ معرفة التّوحيد.

و إعلم أنّ الله ظهر لخلقه كخلقه ودعاهم بنفسه لنفسه فثبت عليهم الحجّة في ذاته وهو غير محتجبٍ عنهم ولا محتاجٍ إليهم ولا مضطرٌّ وهو العليّ الأعلى الّذي تعالى ولا منتهى له إلاّ هو وكذلك الخلق نالوا العلويّ والسّفليّ ولا معنى للعلويّ والسّفليّ في الباطن.

قال محمّد بن سنان: سألت مولاي الباقر منه السّلام عن بيان هذه الحجب السّبعة الظّلميّة ما هي ومن نزل بها في اللاّهوت أتحلّ في البعض أم في الكلّ أم في الواحد دون الواحد؟ قال: الحجب الظّلمانيّة في الأشخاص البشريّة جعلت من ظلمة النّور لا من ظلمة الظّلام وظلمة الظّلام هي معصية أولاد الأبالسة والظّلام

دلام قريش وحزبه لعنه الله تعالى، وإنّ أمير المؤمنين حجابه الميم ما دام خالقه في البشريّة وحجب الظّلمة وبها يحتجب إذا نقل أولياؤه إلى النّورانيّة صاروا روحانيّين ونقل أشخاص الجّاحدين إلى المسوخيّة ويتجلّى لأوليائه بحجب النّور ولا يحجب أعداؤه فهم عن ربّهم يومئذٍ محجوبون.

قال الحكيم: سمعت الصّادق يقول: هذه الحجب البشريّة تحلّ فيها الرّوح اللاّهوتيّة فتأمر وتنهى وتظهر الموت والقتل والأمراض والعجز وكلّ عجزِ مخلوقٌ وذلك واقعٌ على الحجاب الّذي هو النّفس فهي الإسم والنّفس البشريّة.

ألا ترى لقوله تعالى في مقام الباقر حين قال لوليّه جابر: لا تصلح الرّوح الأزليّة العلويّة إلاّ أن تكون غلافاً علويّاً في غلافِ سفليٍّ وهو الحجاب الظّلميّ دون العلويّ وهو النّفس.

و لو ظهرت الرّوح لغيرها في النّورانيّة لأطفأت كلّ شيءٍ غيرها.

فقال: هذه الحجب الإثني عشر وغيرها من الحجب قد نزل فيها الجّليل وشاهد الحجب بنزول الرّبّ.

و عن محمّد بن سنان عن داوُد بن كثير الرّقّيّ قال: كنت مقيماً بمكّة فأخذ بيدي مولاي الباقر منه السّلام العشيّ فدخل الطّواف فطاف سبعة أشواطٍ وصلّى ركعتين بين كلّ شوطٍ ثمّ سجد سجدة الشّكر فسجدت معه فطال عليّ فرفعت رأسي وهو على حاله فسجدت مراراً وطفت وصلّيت وهو ساجدٌ، ثمّ قعدت مليّاً فبدت لي حاجةٌ فعُلّمت علامة وأتيت منزلي فقضيت حاجتي وذهبت وهو ساجدٌ على حاله فطفت سبعاً وصلّيت ركعتين وجلست أنتظره فلمّا بدا أوّل الفجر رفع رأسه ودعا وإبتهل، ثمّ قام وأخذ بيدي وإنصرف إلى منزله.

قلت: سيّدي مُنّ على عبدك؟ فقال: دعني فإنّي كالٌّ.

فقلت: سيّدي أنت لا تكلّ ولا تعيا؟ قال: كيف وقد أخذت علامتك.

فقلت: سيّدي ليزداد الّذين آمنوا إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون، فمنّ على عبدك في هذه اللّيلة؟ فقال: يا داوُد: إسمع وعِ آدم حجابي وإسم خليفتي فهو الدّائم فيهم غير ظاهر موجودٌ وهو نوح أوحى بأمري إلى أوليائي ودعاهم إلى الإقرار بي

ولوحدانيّتي فسارع إلى أوليائي بالإكرام وعرفت المكرمين وهو إدريس فنوّر نجومها [1] وأضاء شمسها وقمرها وعرف بأمري الخلائق سعدها ونحسها فالسّعداء أوليائي فصفّيتهم والنّجس أعدائي وهم الأبالسة والفراعنة. وهو إبراهيم به تبوّأت خلقي وإخترت أوليائي فصفّيتهم من الشّبهات والأبالسة. وهو الملقي بالنّار خلقاً من خلقي مشتقّةً من نوري وقدسي ونوّرت قلوب أوليائي بمعرفتي. وهو حجابي داؤود ألنت له الحديد وسبّحت الملائكة بأمري. وهو سليمان الّذي أعطيته ملكاً لا ينبغي لأحدٍ منه كان حيّاً لا يموت وحجابي وسم المتوسّمين من أوليائي بالمعرفة والرّجوع إلى العصا. وهو موسى بن عمران وأنا شمعون الصّفا. وهو عيسى المسيح مسح أرضي وسمائي وخلقي وهم قبضةٌ بأمري ومنّي بدوهم وإليّ معادهم.

و أنا عليّ علوت على خلقي ودبّرتهم بأمري ولطفي ورحمتي، وحجابي محمّد المحمود أقام أوليائي بأمري من نوره وهو فاطر فطرت به خلقي وأوليائي ومعرفتي وحجابي الحسن له الأسماء الحسنى وأنا الرّفيع الأعلى رفعت أوليائي إلى المنزلة.

و أنا الّذي ظهرت لأوليائي وعبادي والحسين إسمي الظّاهر المعبود وأنا الظّاهر بالوصيّة والإمامة وحجابي الميم الظّاهرة بالنّبوّة والرّسالة أنكر عبادي حجابي وكذلك الله وليّه لا متّصلٌ به ولا منفصلٌ عنه قال الله في كتابه:«وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فجميع المؤمنين واقعٌ بداهم من أصلٍ واحدٍ وإليه يعودون والشّدّة واقعةٌ عليهم في دار الدّنيا وهي دار المحنة ويرجعون إلى دار الصّفا [2] وله يصفون وبه يهتدون وإليه يرجعون وعلى طاعة الفرض يحثّون عليهم إلى معرفة القائم والأشخاص الأحد والموحّد والإسم المنفرد والمعنى واحدٌ،«فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» والطّاعة لوليّه المتّصل والتّسليم له بما يريد إليه من العلوم الظّاهرة والباطنة المنوّرة في قلوب أوليائه بأمر العليّ الكبير المنير

---

[1] النّبي أخنوخ أو إدريس وقد كان مسرى به إلى السّماء فجائه ملك الموت وهو في السّماء الرّابعة فقضى وهو في السّماء.

[2] دار الصّفا هي العلويّة الّتي منها كانت الهبطة وإليها تكون الرّجعة .

الثّالث القائم بحقّ أخيه بجميع ما يهدي إليه بنفسه والمال، فإذا عرف المنازل وقام بها على حقيقتها فقد تخلّص ونجا.

– ثمّ رجعنا إلى الحديث الأوّل –.

قال محمّد بن سنان: هيكل الميم مخلوقٌ من نورٍ وهو خارجٌ داخلٌ على روح القدس المحتجب بروح الإيمان والظّلمة محتجبةٌ بروح القدس الأوّل والغغيب محتجبٌ بالظّلمة كذلك الميم محتجبٌ بروح الحياة وفيه روح النّبوّة وأعلى روح الإيمان محتجبٌ بسلسل الّذي هو الباب ويظهر في الأبواب كما أنّه تحلّ روح اللاّهوت في الميم الّذي هو الحجاب في هيكل.

ثمّ ينتقل ويظهر الأئمّة ويظهر العين بمثل صورة الميم من غير زوالٍ.

كذلك روح شنبويه تحتجب بكلّ من إدّعى الإمامة ظاهراً فإذا غاب هيكله ودخل في المسوخيّة وتنتقل روح شنبويه وتصير في الّذي إدّعى الإمامة، فإذا ذبح إبليس الأبالسة بين الرّكن والمقام إضمحلّ.

كذلك روي أنّه قال الحكيم: سألت العالم أنّ الله خلق الخلق على طبقاتٍ وجعل أموراً ظاهرةً وجعل النّاس فيها على درجاتٍ فمنهم من يحتمل ذلك على قدر المعرفة إن صفّاه وخلّصه ومن لم يحمل هذه كان دونه في المرتبة، فهذا بيان ما تكلّم ونبّهت فيه عقولهم، فمن آمن بالعين القديم وأقرّ بالحجاب الميم وقف على تفسير كتابنا هذا الّذي سمّيناه كتاب الحجب والأنوار وبيّنّاه.

قال داؤود بن كثير الرّقّيّ قال: أتيت أنا وسدير بن حنان الصّيرفيّ إلى سيّدنا جعفر بن محمّد الصّادق منه السّلام نتوقّع خروجه إذا خرج إلينا موسى منه السّلام على حمارٍ أقمر، فغاب عنّا هنيهةً، ثمّ أقبل.

فقلت له: من أين أقبلت يا إبن رسول الله؟ فقال: وجّهني أبي إلى عين الشّمس في حاجةٍ فقضيتها فعجبنا منه ثمّ إستأذنّا على سيّدنا جعفر الصّادق فأذن لنا فقلنا: يا إبن رسول الله إلى أين وجّهت إبنك.

فقال: وجّهته إلى عين الشّمس إلى حاجةٍ فقضاها؟ فقلنا له: في هذه السّرعة.

فقال: أي والّذي نفس محمّدٍ بيده إنّه ليأمر من مضى من آبائه أنّ له غيبةً كغيبة المسيح ثمّ يظهر ويظهر الحقّ على يده.

و روي عن داؤود بن كثير الرّقّيّ قال: دخلت أنا وسماعة بن مهران على السّيّد العالم الصّادق وبين يديه رجلٌ من أهل خراسان وقد حمل إليه مالاً.

فقال له: يا خراسانيّ تتحلون علينا بأنفسكم وتجودون بأموالكم كأنّا محتاجون إليها إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ويرفع عنكم حرّ الحديد ويكفيكم ويكتبكم من أوليائه مع الصّفوة المختارين من خلقه.

يا خراسانيّ: أتريد أن أريك مالاً.

فقلت: وأين هو؟ فجذب رجله وبسطها فإذا هو بجابلقا وجابرصا.

فقال: تعرف هؤلاء النّاس؟

فقلت: لا يا سيّدي ألكم خلقٌ يعرفونكم بخلاف ما نعرفكم به؟ فقال: يا داؤود: خلف قبّتكم هذه سبعين قبّةً، يا داؤود إعلم أنّ الله شاهدها ولا يخلو منها.

ثمّ كشف لي الحجاب فإذا القباب كلّها بين يديه كالدّراهم الملقى على الدّيباجة. ثمّ قال: يا داؤود تريد عجباً أعجب من ذلك.

فقلت: يا سيّدي لا عجب. قال: يا داؤد إن صفا رجلٌ من المؤمنين من هذه الدّار لدارٍ غيرها فيكون هناك في روحٍ وريحانٍ وجنّةٍ ونعيمٍ.

يا داؤد هذه دار الفاسقين وتلك دار الموحّدين العارفين.

يا داؤد هذه دار العقاب وتلك دار الثّواب، كم من قومٍ يرجون ثواب الآخرة ويخشون الله وعقابه لا يخرجون منها إلى أن يلقوا الله، ومنهم من يرجو ثواب الدّنيا.

كم كرّةٍ قبلهم في الجّحيم وهم يستغيثون ولا يغاثون ويستجيرون ولا يجارون، يمرّ الإبن على أبيه والأب على إبنه فيعرفه ويرحمه والسّتر مسبلٌ عليه.

فقلت: من أيّ جهةٍ؟ قال: يمرّ ويدخل من جلدٍ إلى جلدٍ ويخرج من قالبٍ إلى قالبٍ من كثرة ما مرّت عليه قرونٌ وسنينٌ، فإذا أبصره حنّ كلّ واحدٍ إلى صاحبه

فيرجى به ويرحمه ويجيره ويعطف عليه جهده، ألا تعلم يا داؤد أنّ باب المجازاة لا يتهيّأ لأحدٍ أن يحسن أو يسيء.

قلت: سيّدي إنّما يفعل كما فعل به؟ قال: لا.

قلت: من أيّ جهة؟ قال: من الإبتداء في الأوّل وكلّ إنسانٍ يفعل من الإحسان والإساءة كما فعل به وزناً بوزنٍ لا يزيد عليه ولا ينقص منه.

قال داؤد: قلت: سيّدي المؤمنون يخرجون من المحنة إذا أدّوا ما عليهم إلى دارهم الّتي وصفت لهم بقوله: «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً، حَدائِقَ وأَعْناباً، وكَواعِبَ أَتْراباً، وكَأْساً دِهاقاً، لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً ولا كِذَّاباً» ثمّ قال، يا داؤد إنّ الله إستخصّكم وإصطفاكم وأنتم صفوة الله من خلقه أصحاب الدّرجات العاليات وإنّما مثل أهل الجنّة في الدّرجات كأصحاب المراتب كلّ واحدٍ قد رتّب له مرتبة إخواننا على سررٍ متقابلين كلّ واحدٍ منهم أعلا درجةً من صاحبه على مقدار إحسانه إلى أخيه، فمن ذلك قوله:« هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» يا داؤود.

فقلت: يا سيّدي أخبرني عن أهل الجنّة؟ فقال: عبدوا وخدموا وأقرّوا ووحّدوا حتّى إستكمل لهم الإيمان وصفوا حتّى إستحقّوا الجنّة.

يا داؤد ما العمل قال أوّله قول الحقّ ثانيه كتمانه فإنّه أجلّ ما يستعمل وثالثه المواساة والرّابع تعظيم الضّعفاء والخامس الحبّ في الله والبغض في الله وترك الحسد فإنّ فيه النّجاة والصّفاء تمام كمال النّورانيّة، يا داؤد لو عمل الرّجل بعمل أهل الجنّة حتّى يكون بينه وبين الجنّة عقد ثمّ كان في قلبه حسدٌ لأخيه لاقاه عن درجته ذلك قول الله:«يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ».

قال داؤد: إن عهد للخلق بذلك فتوانوا وإتّكلوا على الأمر القليل من هذا الكثير. قال: يا داؤد عرفنا الأصل فغنينا عن الفرع ولا يعلموا أنّ لا صاحب شريعة إلاّ شريعة الحجاب في شرائع ما ذكرناه. فبلّغ يا داؤد الممتحنين ما سمعت وقل لهم إيّاكم والتّقصير فيما وجب عليكم وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وإتّقوا الله لعلّكم تفلحون.

و عن يونس بن ظبيان قال: سألت المفضّل بن عمر بعد غيبة أبي الطّيّبات ما كان محلّه؟ فقال يونس: إنّ الله لا زال له تدبيرٌ في خلقه يظهر شخصاً ويظهر شخصه في البابيّة ليعلم الخلق تمكّنه في تمكّنه بالقدرة لأنّ الله مولاكم تعالى عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً أعلم من النّاس بما دبّرهم به فأنفذ حكمته فيهم بإقامة الدّلائل فقد قام بالحجب بتأييد الله لهم وفي الأبواب بنعمته عليهم فلمّا أن جلا عليهم شيئاً من المعاجز علم النّاس أنّ هنالك فضلاً كبيراً، فأهل الفضل تدبّروا وعرفوا وأهل الجّهل لم يكن لهم تدبيرٌ ولا فيهم شيءٌ من العقل يتّصلون به إلى ذلك الباب الدّقيق الخفيّ عن النّاس مشكله وهو باب التّوحيد.

قلت: سيّدي معنى الأبواب كلّها واحدٌ؟ قال: نعم كلّها واحدٌ ولو أنّها ألفٌ ومابة ألف باب كان سلسل أو مئة ألف حجاب كان الميم أو ماية ألف معنى، كان أمير المؤمنين إليه التّسليم فهذه معرفة التّوحيد لمن وحّد الله لأنّهم لا يمتزجون بأحدٍ ولا بان عنهم أحدٌ بل هم مع الخلق من غير ممازجةٍ، أما تعلم أنّ الخلق في الأنوار الثّلاثة لا يمزجون بل هم قيام الأنوار فإذا وقع عليهم النّاس خرجوا عن ذلك الحدّ الأوّل وإنّما وقع بهم ذلك بعدمهم للأنوار وذلك أنّ النّور قائمٌ بتلك الظّلمة الّتي ذكروا أو هي جهة الجّسم فإنّ ما فيهم إذا إستغنوا عن التّجسيم صاروا أنواراً واحدةً.

قال يونس بن ظبيان قلت: سيّدي فإنّ العجز في الخلق؟

قال يونس سبحان الله يجوز أن يكون إلاّ فيهم؟ قال: نعم وفي النّورانيّة عجزٌ.

قلت: على أيّ وجهٍ؟ قال: عجز ما جاء به المعنى فهنالك ثبت المعنويّة وبطلت الدّعوة إلاّ العجز من الباري فإنّ العجز من القادر قدرةٌ، فإفهم يا أخي أرشدك الله تعالى إلى طاعته، وفي وجهٍ آخر: إنّ الله لم يعط علمه لأحدٍ من خلقه فإنّ عنده كلّ العلم فوقع العجز بأمير المؤمنين من هذه الجّهة لتقصيرهم عن قدرة المعنى والله عزّ وجلّ قد ذكر في كتاب الأسوس وفي كتابه بقوله " واللَّهُ الْغَنِيُّ وأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ " فلو كانت القدرة بكمالها عند الخلق المحمود لما عرف الباري لكنّ الله متمٌّ نوره ولو كره المشركون.

يا يونس تفكّر بمن دونك فإنّ الله أمرك بذلك وإسمع لمن هو دونك وفوقك وأطعه فإنّ الله أمر بالإطاعة وأمر بطاعة من هو أكبر منك درجةً، لله عبيدٌ إصطفاهم على سائر النّاس وجميع الخلق. **فقلت: الحمد لله.**

قال الحسن بن محبوب الوارد: سألت مولاي عن النّساء في الباطن؟ فقال: هم الأبواب لأنّهم محتاجون إلى باريهم لم يقع الكمال لهم والذّكرانيّة الحجب، وأتبع بالله الكمال فالأنوثة واقعةٌ بالأبواب لحاجتهم إلى المعنى فمن ذلك قوله تعالى: وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ [1] إلى الله وهو يحيي الموتى وهو على كلّ شيءٍ قدير وإنّما أراد بذلك ليعلم بما فضّل به الوليّ وإستخصّه.

و قد روي الخبر عن رشيد الهجريّ عليه السّلام: أنّه دخل على مولانا زين العابدين منه السّلام وهو جالسٌ مجتبى ببردة مرتدي بأخرى، فسلّم عليه.

فقال: تعرفني؟ فقال: يا رشيد ما تريد.

فقلت: أريد أن أعرف المراقي والدّركات؟ فقال: يا رشيد، إنّ الدّركات سبعةٌ والمراقي مثلهم، فسبعةٌ علويّةٌ وسبعةٌ سفليّةٌ.

فقلت: يا مولاي ما تأويل تلك السّبعة؟ قال: هم الأشخاص الّذين معناهم واحدٌ على التّقدير والسّبعة السّفليّة هي أبواب جهنّم الّذين قال الله فيهم لكلّ بابٍ منهم جزءٌ مقسومٌ فإفهم. فقال: نعم.

فقلت: جهنّم يا مولاي؟ فقال: قوله تعالى:«هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» وهي قيام القائم وما توعدون الكشف.

و عنه خبرٌ آخر: أنّ أبا خالد -عليه السّلام- دخل على مولانا العالم منه السّلام. فقال له: السّلام عليك.

فقال: وعليك السّلام يا أبا خالد.

---

[1] الزّيادة عليها ليست من القرآن

فقلت: يا مولاي أين تكون أرواح المؤمنين إذا خرجت من هياكلها؟ فقال لي: تكون في علّيين وذلك قوله عزّ وجلّ: «إِنَّ كِتابَ الأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ إِنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ».

فتنفّست وقلت: سيّدي لهم منزلةٌ أعلى من هذه المنزلة؟ فقال: نعم ألم أنبّئك عنها.

فقلت: بلى. فقال: «وما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ، كِتابٌ مَرْقُومٌ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» ثمّ إستثنى بقوله:«وفِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ، ومِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ، عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ».

فقال: العين سلسل والأولياء المؤمنون المقرّبون لقوله تعالى:«ويُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلاً، عَيْناً فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً » والكأس والشّرب علم آل محمّد يشربونه من يد سلسل، ويُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وأَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا».

قال: حكى العزيز أنّها ظهوره بالبهمنيّة كالمحمّديّة ثمّ قال: «وإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ونَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا» ثمّ قال: معنى ظهور يوم القيامة في الباطن ظهوره بالقائم وما أحدٌ إلاّ ويريد ذلك اليوم، فمن عرفه نجا ومن لا يعرفه يردّه إلى العذاب يوم الحسرة والنّدامة.

قال أبو خالد الكابلّيّ: قلت: تكون نحن في ذلك اليوم؟ قال: أنتم تكونون بين يديّ الله عزّ وجلّ حيث كان.

فقلت: مولاي يجوز أن يخلو منه زمانٌ من الأزمنة؟ قال: كان ولا خلقٌ ثمّ يكون ولا بشرٌ.

قال الواحد والوحدانيّة تنسب إلى ذاته فأنتم ما تقولون وكذلك أشباهكم إذا إرتفعت المحنة عن الخلق رجعتم إلى أحوالكم الأولى.

قال ميثم التّمّار: دخلت على سيّدي العالم الصّادق منه السّلام: أريد أسأله عن أصول التّوحيد الّذي عرفنا؟ فقال: أصول التّوحيد الّتي عرفتموها من دون الخلق فهو التّوحيد المحض لأنّكم أردتم المعنى والخلق المذموم طلبوا الإسم دون حقيقة المعنى والإسم عبارةٌ عن لسان وجوده والمعنى محقّقه محض التّوحيد ولو

سأل رجلٌ الخلق فقال لهم عبيد من أنتم أو عبيداً أم أحراراً لقالوا عبيد الله، فيقال: رأيتموه، فيقولون: لا، فيقال لهم: كيف يعرف من لا يرى وإنّما وقعت للعيان بالخلق من جهة الوجود والكلّيّة لأنّ الله هو الموجود بين خلقه عزّ وجلّ عن الصّفات والأمثال والحدود والكلّيّة لأنّه تعالى خفي عن النّعوت فليس بمنعوتٍ ولا موصوفٍ ولا محدودٍ وإنّما مثله كرجلٍ وقف على ساحل بحرٍ وله مثلٌ آخر والله المثل الأعلى أن يمثل كالأشياء والأشباح والأشخاص بل هو أجلّ من ذلك.

قلت: سيّدي: ما رأيناه قدرة من الباري؟ قال: كلّ ما رأيت منه قدرة القادر لأنّ القادر له أن يقيم العجز وينسبه إلى فعله لأنّ القادر يظهر العجز والعاجز لا يتهيّأ له أن يظهر القدرة والغنيّ يظهر الفقر والفقير لا يتهيّأ له أن يظهر الغنى وكذلك وجدنا الموجود الّذي رأيناه بين الخلق باطنٌ في التّجسيم تدعيه العامّة أستغفر الله كان قدر بين الخلق ليثبت بذلك الحجّة عليهم، وإنّما ظهر الله لخلقه محنةً إمتحنهم بها لا يريد بالمحنة ما هو أجلّ وذلك يا أخي إستفهم فهّمك الله وسهّل لك الرّشاد إلى طاعته ومعرفته ومعرفة العلوم والخيرات وذلك أنّ الله ظهر بين خلقه كخلقه وعرّفنا وحدانيّته بنفسه وقد بسط الله لك معرفة التّوحيد وقوله: " وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ " وأنزل التّنزيل لئلاّ يكون على الله حجّة وقد كشف التّفاخر ورفع الحسد والتّسليم له وبرّ الإخوان والمواساة لهم وقلّة القال والتّحبّب في الله وإقتباس العلم والمسارعة في الخيرات وهو العليّ الكبير.

باب درجات التّوحيد

فمن رقي درجات التّوحيد فهو في أعلاها، لأنّ الله لم يطالب أحداً من النّاس إلاّ من يكون من أهل التّوحيد فإن أعطاه إستحقاقه، وأصحاب المراتب إنّما رتّبوا بإستحقاقٍ لهم.

إنّ الله خلق المراتب وخلق لها أهلاً ورتبتهم بسرعة إجابتهم لقوله تعالى:« والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ».

و قد روي عن مولانا أبي جعفر منه السّلام أنّه قال: ما يكون أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من عدلٍ في البشريّة للبشر وأمن فيه المؤمنين وأعطاهم حقّهم ولم يبخسهم شيئاً لقوله تعالى: «وأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ولا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ» وقال تعالى: «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى» فذلك وأشباهه كلّه موعظةٌ للمؤمنين ليعرفوا أصول التّوحيد.

وإعلم أنّ هذا الأمر الّذي نحن فيه ليس بصغيرٍ وهو أمرٌ صعبٌ على الخلق مدخله والله وليّكم.

و قال مولانا الباقر منه السّلام: «ما من إمريءٍ له معرفةٌ كاملةٌ إلاّ كان له رفقٌ بمن هو دونه».

وقد تعلمون أنّ العالم قد رفق بكم في وقت إستقامته لكم وكذلك أمركم أن ترفقوا في ضعفاء المؤمنين.

وقال زين العابدين إليه التّسليم:«إنّ الله أمركم أن ترفقوا في ضعفاء المؤمنين».

وقال زين العابدين إليه التّسليم: إنّ الله أمركم أن تؤدّوا الأمانات والأمانة هي أن لا تبخس أخاك المؤمن شيئاً من العلم وقد بيّنه الله في غير مكانٍ.

وقد قال عليه السّلام لمّا سئل عن معرفة الحقيقة وإحتجّ بالرّسالة والإمامة من الوصيّة وكان المعنيّين إثنين لا معنى واحد في الوصيّة وهما حجابان على المعنى الباطن لقوله تعالى: «بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ[1]».

فمن عرف ظاهر الإمامة ولم يطلب باطن الرّبوبيّة فقد خرج عن الله لأنّ الله يقول: هُو الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والْباطِنُ وهُو بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وقد علمتم أيّها المؤمنون أنّ الّتي رأيناها في الهياكل لم تكن أشخاصاً في حدّ التّجسيم، وإنّما هي أشخاص النّور وله إسم ذلك فالإسم غاب والمعنى يوجد كما قالت فيه أهل المعرفة

---

[1] وردت الأية كاملة : «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ والْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُـــورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِـــهِ الْعَذابُ».

والبصيرة من أهل التّوحيد أنّ الله جلّ ذكره خلق السّموات السّبع وما فيهنّ وما تحتهنّ وما فوقهنّ ثمّ دعا إلى مغرفته فقلنا، لنا أن نعرف ما لا نعرف لقوله تعالى: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها» وقد علمنا أنّ المجازاة تلحق بالكبير كما تلحق بالصّغير وذلك أنّ المؤمنين في دار الثّواب والعقاب ليسوا هم معافين بل هم ممتحنون قريبون إلى الفرج والعالم المنكوس في العقاب وحرّ الحديد وفي التّرديد لقوله تعالى:«خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ ولا هُمْ يُنْظَرُونَ» وممتحنٌ بمحنة صابرٌ محتسبٌ وممتحنٌ معاقبٌ وكلّ ذلك في أشدّ العذاب والمحن لأنّ العقاب واقعٌ بالمخالفين والمحنة أسأل الله أن يقيل أهلها منها.

فاجهد يا أخي أنّك تعمل وكلّما عملت حسنةً فأنت كما قال الله تعالى:«مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» وقال:«إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» والله مهّد لكم الأرض وجعلكم من أهلها وجعلها لكم فراشاً وأمركم فيها ونهاكم وجعلكم أهل الخيرات فإمتثلوا قوله وإستنصروه وإعرفوا ما عرفتم من توحيده وأطيعوا أولياء الله ولا تتكبّروا على إخوانكم وإيّاكم من التّكبّر فإنّه لباس الشّيطان وإعلموا أنّ الله لا يضيّع عمل أحدٍ وهو عادلٌ في الخلق فأحسنوا فإنّما يطلب منكم الإحسان فإعملوا فإنّ أنفسكم مرهونةٌ بثواب الله فمن فكّ نفسه فاز ومن بقي مرهوناً فهو في التّردّد لذلك قوله تعالى:«وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ [1]» الآية وإنّما جعل الدّار دار ثوابٍ وعقابٍ وطالبكم بثوابه وحذّركم من عذابه، وقد وصف نفسه بالعدل وحثّ خلقه إليه فمن ذلك العهد إلى عهد الله فهو من أصحاب الجّبت، وإعلموا أنّ الله عزّ وجلّ أخفى هذا الأمر حتّى كاد أن يعبد سرّاً وقد تعلمون أنّ الله نفى عن الخلق وأظهر المجازاة لنفسه بأوليائه ثمّ دعاكم إلى الصّبر على المحنة فمن صبر على المحنة كأنّه صبر على بلاءٍ إبتلي به.

و قد روي عن العالم منه السّلام أنّه قال: ما من إمريءٍ إبتلي ببلاءٍ فشكا بلاه إلى عدوّي إلاّ إبتلي بما هو أشدّ منه.

---

[1] وردت الآية كاملة : «وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ والْمُؤْمِنُونَ وسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

و قد روي عن يحيى بن محمّد الأرمني قال: سألت عن خلق الإنسان؟ فقال: نعم خلق الإنسان على أربع طبائعٍ وأربع أركانٍ وجعل فيه ثلاثمائةٍ وثلاثة عشر حرفاً ومثله الأعضاء والمفاصل وجمعها وأوصلها وأقامها لحميّةً دمويّةً جوهريّةً روحانيّةً، ثمّ أجرى فيها مخّاً فأمر المخّ – يعني الدّماغ – فجمد ثمّ أجرى فيه دماً وفصل بين المخّ والمفاصل، بين قضبانٍ وملفّاتٍ، ثمّ أنبت اللّحم نباتاً ثمّ شرّفه وزيّنه بالجِلد، ثمّ أقام فيه حدوداً أربعةً وآلاتٍ خمساً، وحصل فيه إظهاره وركّب فيه الحُسن والجّمال والإختلاف في العينين والسّمع في الأذنين والشّمّ في الأنف والذّوق في الفمّ والحركة في اليدين، ثمّ جعل قواهم غذاهم وجعلهم صوراً شتّى وجعل منهم الزّوجين الذّكر والأنثى، وألقى بينهم الفرح والسّرور، ورفع عنهم الحزن والتّعب وسمّاهم بأسماء شتّى.

فمنهم المؤمنون والأولياء والأنبياء والصّدّيقون والمطهّرون، ثمّ خلقهم للمحنة والتّأديب والتّعليم إلى أن يرفق في أديانهم وعلموا في مراتبهم وترتّلوا في منازلهم وخرجوا من الإنسانيّة إلى جواهر الرّوحانيّة.

و بقيت الأجساد مغيّبةً بالثّرى، فصنع منها الرّوائح الطّيّبة فصارت الأجرام آلة للهيولى العلويّة الّتي إستنارت بنور اليقين لصفاء معرفة ربّ العالمين تتغذّى بعد الصّفاء في روح البها في جوار العليّ الأعلى، فطوبى لمن فني وما عرفه ظللّ متعوباً في العبادة خارجاً عن الضّلالة تاركاً للجّهالة محتسباً نفسه عارفاً بربّه باذلاً مهجته معتكفاً على عبادة الأحد القديم من روح اليقين.

فطوبى له وحسن مآبٍ إنّ الله تبارك وتعالى إصطفاه وناجاه وأعلى له الدّرجات وبلّغه الخيرات فهو أعلى المؤمنين مرتبةً وأقربهم إلى الله درجةً، لقد إمتحن وصبر وكان عند الله محتسباً.

يا أيّها النّاس إعلموا إنّما جعلتكم للعمل والإنتقال من دار المحنة إلى دار الخلد والأبدان هذه القبّة هي قبّة المحنة فإنّ وراء قبّتكم هذه سبعين قبّةً مثل قبّتكم هذه سبعين مرّةً.

فإذا نقل إلى دار الثّواب ألا إنّ دار الثّواب دار مسكن الأنوار ويعرض فيها الأخيار كلّهم التّسبيح والتّقديس والتّهليل والتّمجيد ولباسهم النّورانيّة في منقلبهم إلى حين خير منقلبٍ، وقد لخّصت بهم المجازاة فطوبى لهم.

يا أيّها النّاس إتّقوا ربّكم فإنّ الآزفة الّذي يرجوه الظّهور الّذي يؤمّلوه والحجّة لمن يدعوه.

فالويل لمن إذا ظهر الحقّ كان في ريبٍ وكدرٍ، ولم يخالط الكروبيّين ولم يعرف منازل الصّافيين، ولم يرجع إلى معرفة المتّقين، وكذب بحمد ربّه، ولم يرجع إلى دارٍ معرفته، بل هو في شكٍّ من ربّه فيقول قد انتقل من دارٍ إلى دارٍ، والإسم معبوده، والجّسم غايته، والشّكّ زيّنه، واللّوم كلامه، والتّكذيب إعتماده، ولم يصدق ولا إنتهى بل كذب على الحقّ وتولّى وذهب إلى أهله ليتمطّى أولى لك فأولى وهو كما قال الله تعالى:«أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً».

قال العالم لمّا سئل عن وجود الرّبّ المعنى فقال: ألم تقرأ قوله تعالى:«لَمْ يَكُنِ الّذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ والْمُشْرِكينَ مُنْفَكّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ، رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً، فيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ، وما تَفَرَّقَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ، وما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ ويُقيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكاةَ وذلِكَ دينُ الْقَيِّمَةِ» وقد علموا أن دعاهم إلى مشاهدة العيان ثمّ يدعو إلى غيره «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ»[1] والظّلمات هي الشّكّ والنّور هو معرفة التّوحيد. إسمع هداية الله: إنّ الله جعل الإيمان كلّه للمؤمنين وحلّل حلالها وحرّم حرامها لأعدائه وجعل العقاب معه وجعل ثوابها فعلها.

[1] وردت الآية كاملة : «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ والَّذينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ».

وقد روي عن الأصبغ بن نباتة عن مولانا أمير المؤمنين منه السّلام عن قول الله:«لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ ومُقَصِّرِينَ»[1] يعني قيام القائم إليه التّسليم.

وقد روي عن جابر لمّا سئل عن قوله:«والتّين والزّيتون» فأطرق إلى الأرض ثمّ رفع رأسه إلى السّائل قال: أنبئك أنّ الله خاطب النّاس بالتّين المأكول والزّيتون المعصور بل ذلك إسمّ الحسن والحسين، وطور سينين هي فاطر المقدّسة الّتي ما كان فيها كدرٌ، وهذا البلد الأمين عنى به مكّة ويعلمون أنّه غير أمين بل يشرب به الخمر، ويلاط فيه، ويزنى، ويقطع السّبيل، وليس هو أمينٌ، ولكنّ الإيمان والأمن حبّ آل محمّد وعلمهم وقال تعالى:«والْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ والَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ» فهو صهاك ولد الشّيصبان وهم عبدة الجّبت والطّاغوت عويمر والأزلام عسير.

قال وسألته عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام؟ قال: الأنصاب زغلولٌ، والأزلام بنو أميّة. إجتنبوهم إجتناب التّقيّة، ووجهٌ آخر: كلّ مسكرٍ خمرٍ وكلّ خمرٍ حرامٌ، وقال: كلّ علومهم محرّمةٌ عليكم أن تأخذوا منها شيئاً وأسماؤهم أن تسمّوا بها.

وسألت عن قول الله وما الشّيطان في قديم الدّهر الآن؟ هو عويرٌ لعنه الله.

وسألته عن اللّحوم المحرّمة؟ فقال: إذكر كسير وعوير.

فقلت: بما استحقّوها؟ قال: أقرّوا بمحمّد يوم واحدٍ من الأيّام فإستحقّوا الولاية بذلك اليوم.

قال: وسألت مولاي جعفر بن محمّد منه السّلام عن قوله:«وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وهُمْ مُشْرِكُونَ»؟ قال: نعم آل تيّم وآل عديّ وأميّة الشّيصبان ولم يؤمنوا إلاّ قليلاً.

---

[1] وردت الآية كاملة : «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ ومُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ».

فقلت: سيّدي لو أحبّ الله ما خلق كافراً؟ فقال: أسكت يا جابر، فلولا أقوامٌ مؤمنون في أصلاب قومٍ كافرين لم يترك أحداً على وجه الأرض من الكفّار، فإذا خرجت الودائع هلك القوم، مثل محمّد بن أبي بكر شهد أنّه لمّا خرج من صلبه هلك ولقد كان آفةً عليه وهو الشّيطان ومع الّذي قال وعدهم وما يعدهم الشّيطان إلاّ غروراً في أعمالهم وهو سكد لعنه الله.

قال: أتيت إلى مولاي الباقر منه السّلام فقلت: ما فعل بالأوّل والثّاني؟ فقال: مزجهما في الخلق المنكوس فما كان من كفرٍ وشركٍ وكذبٍ ونفاقٍ ودعوى من جهة خيانةٍ فهو عندهم إلى أن مزجهم بالخلق حتّى إذا قام القائم صار إلى قبريهما ودعا إلى ما دعا السّيّد محمّد يجد فيها الأوّل والثّاني فيخرجهما إلى البقيع ثمّ يأتي بجذعٍ من النّخل ويأمر بشقّه فيصليهما عليه، فيورق الجّذع من تحتهما فتفتتن بهما النّاس في آخر أمرهما أشدّ افتتانٍ.

ثمّ ينادي القائم منه السّلام بأصحابه ويزجرهم زجرةً واحدةً بالغضب ويكشف عن البهمنيّة ويضمحلّ في المحمّديّة يعني الدّين العربيّ، وأمّا الشّرائع فلم تزل محمّديّة من قديم الدّهر وحدثه ثمّ يدعو النّاس كما قال الله تعالى:«يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلى شَيْءٍ نُكُرٍ»[1] ثمّ يظهر الله فيهم كمال الخلق وأشباحه وحجبه وأبوابه، ثمّ يدعو النّاس إلى معرفته بعد أن يكشف هذه المدّة، ثمّ يقول: إنّ ما كنتم توعدون لواقعٌ.

قال جابر: ثمّ رأيت مولاي على جملٍ أورقٍ وعليه برنسٌ من شعرٍ ومدرعةٌ من شعرٍ وفي وسطه كشتيزٌ وزنّارٌ عليه عسليّ خمريٌّ، فإذا رأته المجوس سجدت لعظمته وقالت: هذا هو إلهنا وإذا رأته اليهود بالعسليّ قرّت وقالت: هذا هو موسى، وإذا رأته النّصارى بالزّنّار اللاّهوتيّ قالت: هذا هو المسيح، وإذا رآه المسلمون بالبردة والغضب قالوا: هذا محمّدٌ، ثمّ ينادي: " أيّها النّاس أجيبوا الدّاعي إذا دعاكم.

قال جابر: فقلت: مولاي ما الدّاعي؟ فقال: هو الدّاعي بنفسه لنفسه وهو رسول نفسه إلى نفسه وهو القائم على كلّ نفسٍ بما كسبت.

---

[1] وردت الآية كاملة : «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ ».

قال جابر: فعندها يكشف الحقّ وتفتح أبواب الباطن وعرف الحقّ وعرفت حقائق الإيمان وإستدلّت على الله وإستقرّ عندهم ظاهراً أنّ المعنى هو الله ليس كمثله شيءٌ وهو السّميع البصير.

قال جابر: وسألته عن الأشخاص الخمسة؟ فقال: يا جابر: هي بمعنىً واحد لا يقال لها في حدّ القسمة إلاّ من جهة اللّغة وأمّا من جهة الحقيقة فمعناهم واحداً وليس لله ندٌّ ولا ضدٌّ ولا صاحبةٌ ولا ولدٌ بل يكوّنُ الأشياء بالتّكوين والتّدبير، ثمّ دعاهم إلى معرفته فأجابوه مطيعين سامعين فجعل لهم درجاتٍ في التّقديم فهنالك يعرف الفاضل والمفضول، ألم تعلم أنّ الدّرجات جعل الله أهلها على مقدار إجابتهم.

وقد تعلم يا جابر أنّ المراقي الّتي ترقّى فيها المؤمنون هي المراقي الّتي إستقرّوا فيها وعليها ولم يتغيّروا ولم يتبدّلوا ولا تغيّرت قلوبهم ولا شكّوا في الله ولا في أوليائه فأولئك الّذين أخرجوا من دار المحنة إلى دار النّورانيّة وإستحقّوا معرفة الله بالوحدانيّة.

يا جابر إفهم أنّ باب الله سلسل وكذا قال باطن الميم الحجاب، يا جابر الألف معاينة للّام والباء راجعةٌ إليها فالألف المعنى جلّ وعلا واللّام محمّد والحجاب والشّخصين الحسن والحسين فهم عليه وهما معنى واحد وهما الميم فاطرٌ جوهره الميم وكذا الياء ثلاثة أحرفٍ يرجع بعضها إلى بعضٍ، ألم تعلم يا جابر أنّ المعنى وهو الّذي سمّى هذه الأسماء والأحرف منه وإليه.

قال محمّد بن سنان: سألت السّيّد العالم علينا سلامه عن الظّهور وأهل التّوحيد؟ فقال: الرّبوبيّة للمعنى والإسم لمحمّد والتّوحيد والمعنى لعليّ وسلسل بابه ظهر بوحدانيّة الذّات فمن آمن به كان كافراً فهذا هو التّوحيد، وجعل الدّلالة عليه بيّنة وأبوابه رسله ونفسه إلى معرفته ليستدلّوا بحجابه إلى نفسه إلى معرفة الذّات ويؤمنوا ويقرّوا بوحدانيّته أنّه لا غيره في كلّ وقتٍ وزمانٍ وعصرٍ وأوانٍ، وإنّما أقام هذه الأشخاص تلبيساً، فأمّا الميم حجاب الذّات كلّما غاب شخصٌ قام شخصٌ لميقات، والمعنى أحدٌ أزلٌ لا يتكيّف ولا يتشخّص.

قال محمّد بن سنان: سألت العالم:«حتَّى إذا جاءَ أمْرُنا وفارَ التَّنُّورُ»[1]؟ قال: إذا قام قائمنا نطق بتوحيد المعنى ودعا إليه، ثمّ يكشف الغطاء فيومئذٍ لا يغيبه عنه شيءٌ.

و سألته عن الصّفات صفات الذّات فهل يقع عليها إسمٌ وصفةٌ، وما صفة تنتقل فإنّه يقع على روح القدس وهي الرّوح الّتي تقع وتحلّ في الأنبياء [2].

و سألته عن قوله تعالى: «أوْفُوا الْكَيْلَ ولا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ، وزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ، ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ ولا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ، واتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ والْجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ».

يعني إتّقوا الله في حقّ المؤمن خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين في الدّنيا والآخرة من المسوخيّة إن كنتم بالعين مقرّين.

و سألته عن الشّمس؟ فقال: هي حجاب الله الأكبر فيه يحتجب كلّ يومٍ ثلاثمائة وستّون حجاباً وهذه الحجب أصلها كلّها من الأحد لا نهاية له لم يزل أحداً في الذّات، كان قبل أن يخلق الخلق وكوّن الكون بلا تكوين.

قال: والحجاب منه السّبعة والحجب الثّلاثون وهي أيّام الشّهر من إثني عشر برجاً وأيّام السّنة هي أيّام الشّهر والأيّام السّبعة من الألف وهو أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد، ظهر بالوصيّة وبطن بالرّبوبيّة وأعلن بالهاشميّة العلويّة.

قال المفضّل بن عمر قال مولانا: لو عرف النّاس مقدار التّوحيد ودقائقه إذاً لغاصوا في البحار السّبع حتّى يخرجوا العلوم.

ثمّ قال: أتدري ما معنى البحار. **قلت: لا؟** قال: هي علوم آل محمّد وماؤها البحر السّابع وتدري من صاحب البحر السّابع. **قلت: لا؟** قال: سلمان.

---

[1] وردت الآية كاملة : «حَتَّى إذا جاءَ أَمْرُنا وفارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وأَهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ومَنْ آمَنَ وما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ».

[2] راجع الرّسالة الرّستباشيّة للخصيبي الصّفات الخالقات والصّفات المخلوقات

قلت: مَن غوّاص البحر؟ قال: يا مفضّل هم داؤود ومعلّى ورفاعة ويونس وسماعة ورفاعة بن مهران ومحمّد بن سنان وماهان الأبليّ ومحمّد بن يحيى الأرمني وحنان وسدير وصفوان بن مهران هؤلاء غوّاصون علوم آل محمّد.

و عن جعفر بن محمّد الصّادق وأصحابه الأئمّة الطّاهرين عليهم السّلام الّذين يعرفون جزاء ما هم فيه.

قال: أتدري متى يلحق المؤمن بالصّفاء؟ قلت: يا سيّدي متى.

قال: إذا رأى الأبيض من غير بياضٍ والأصفر والأحمر والأسود فعندها يكون مؤمناً.

قلت: من أيّ جهةٍ؟ قال: من جهة الكدر والشّكّ في أولياء، فإذا إرتفع الشّكّ نزل الصّفا فصارت الأشياء كلّها بين يديّ النّور وذلك قوله تعالى:«لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً»، يا مفضّل هذه صفة المؤمنين.

قال: قلت: سيّدي أخبرني عن الرّوحِ المثابة تصير إلى الملكوت فتقرّ بها الأرواح النّورانيّة فيرى ليله نهاراً ونهاره ليلاً.

قلت: مولاي من أيّ جهةٍ؟ قال: من جهة الصّفاء.

قال: ألا تعلم أنّ النّور لا يمتزج بالظّلمة والظّلمة لا تمتزج به.

قلت: لا؟ قال: هما جسمان مختلطان غير متضادّين، والمؤمنون أجسامهم وأرواحهم في الحمد والمعرفة والقبول والنّهاية واحدٌ وإنّما كان الفرق بينهما قبل التّوحيد فلمّا وحّدوا صاروا جوهراً واحداً محموداً.

قلت: قد مننت عليّ وهديتني إلى صراطٍ مستقيمٍ.

كتـــاب الأنـــوار والحجـــب

للحكيم محمد بن سنان رواية عن المفضل بن عمرو

يدور كتاب الأنوار والحجب كما باقي مرويات المفضل بن عمرو عن التماثل بين الوجود والعبادات ويركز على الحجّ والصلاة فيدلّ على أنّ الحجّ هو مثال للتكرار والتكرار يعني فيما يعنيه هذه الدورة اللامتناهية من الأدوار فيقول ابن سنان في كتابه:«اعلموا عبادي إنّي خلقت الشّياطين وذرّيتهم وخلقت بيوتاً من أفعالهم حجريّة طينيّة دلائل على بيوت خلقتها من طاعة الجّاهلين لأشخاصي المنكرين صورتي وأحبس فيها الجّاحدين مقامي...» فيدل على أن هذه البيوت الحجرية التي نراها ونكررها على الأرض هي أشبه بتكرارات كبيرة ستحدث فيما بعد وتكون هذه الدورات هي أمثلة عليها.

الحمد لله العلي العظيم والسيد الحكيم، وصلواته على اسمه وبابه وأهل مراتب قدسه وأكرم جنسه، جعلنا الله لهم شيعاً وتبعاً إنه علي عظيم.

ابتداء خلق الله

أيها الطالب المرتاد، إن العلي العلاّم أظهر ذاته وبيّن حجّته على خلقه وأظهر أبوابه للنّطق.

قال الحكيم محمد بن سنان عليه السلام: هذا رأس الدّين والفلسـفة ومعرفـة أصل التوحيد والفذلكة، وإنّما صنعت هذا الكتاب وجمعت فيه الأخبار ووضعت فيـه

الحكمة وهي معرفة مولانا أمير المؤمنين العلي العلاّم الواحد الأحد الّذي لا يحدّ وهي أدنى للطّالبين لهذا العالم الّذي خرج من الله عزّ وجلّ إلى أوليائه ليقتدوا به.

قال الحكيم: إنّ الله تفرّد بوحدانيّته فرد بلا كون يكون كائناً كذلك هو الله عز وجلّ قبل أن يصنع النورانية القائمة والصمديّة الدائمة والحقيقة الباقية وكان ربّنا العليّ العلاّم في هذه الصفات ولم يزل كائناً بها من الأزل وهو الأبديّ في وحدانيّته القيّوم في صمديّته، ثم قال عزّ وجلّ ووصف نفسه بنفي خلقه أن يكونوا معه في قدمه ولا هو بأين نفياً للمكان ولا بحيث نفياً للتّبعيض ولا بكيف نفياً للإحاطة أن يحيط به غيره إذ لم يكن غيره.

قال: فهذه صفته لنفسه بعد إثباته لها ونفيه عنها ما لم يكن منها.

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: إن الله جلّ ثناؤه خلق الأنوار والأبدان والأوقات والساعات والأيام والسنين والدهور والأعصار.

فأوّل شيء خلق الله أهل النور الأول من مشيئته وآدم الأوّل، ثم خلق أهل النّور الثاني، وهو الأبد، وآدم الثاني، ثم خلق النور الثالث وهو الدّهر، وآدم الثّالث، ثمّ خلق النور الرابع وهو المكان، وآدم الرابع، ثم خلق النور الخامس وهو الحركة، وآدم الخامس، ثم خلق النور السادس وهو المنتهي وآدم السّادس، ثم خلق النور السابع وآدم السابع.

قال: ثم إن الله خلق ذلك كلّه من غيره ومن لا شيء من قبل أن يكون شيء ولو خلق الأشياء لا من شيء كان خلقها من الجّهل، فكانت لا تعرفه أبداً ومحالٌ كون الشيء من لا شيء ولو خلقها من شيء كان الشّيء قديماً معه وبطلت وحدانيّة الأحد، ولو خلقها من نفسه بطلت وحدانية العليّ العلاّم.

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: محال أن يفعل نفسه ويوقع من نفسه شيئاً فيكون غيره فينتقل من هيئته ولا ذلك كذلك، بل إنّما خلق الله أهل النور الأول وآدم الأول من مشيئته، فلذلك يشاؤون إلى الله ولا يشاؤون أنّ يعبدوا غيره، لأنهم من مشيئته.

ثم خلق النور الثاني من إرادته، فلذلك لا يريدون إلا الله، ثم خلق النور الثالث من تقديره فلذلك لا يطلبون إلاّ القادر أينما كانوا، فأينما وجدتم قدرة فثمّ العلي العلاّم القادر.

ثم خلق النور الرابع من قضائه، فلذلك لا يطلبون إلاّ القاضي بالآيات والمعجزات والأمور القاطعات، فحيثما وجدتم القاضي فثمّ العليّ العلاّم الفارق بين الحقّ والباطل.

ثم خلق النور الخامس من رضاه، فلذلك لا يرضون إلاّ العليّ العلاّم الّذي ليس كمثله شيء وهوالسميع العليم، فحيثما وجدتم الرّضا فثمّ العليّ العلاّم فاتبعوه.

وخلق النور السابع من أمره، فلذلك لا يؤمنون إلا بالله العليّ العلاّم ولا يؤمرون إلاّ بعبادته، فحيثما وجدتم الآمر الناهي فثمّ العليّ العلاّم.

قال الحكيم محمد بن سنان: لو خلق ربنا تبارك وتعالى هذه الأنوار من غيره لعبدوا غيره، ولو خلق هذه الأنوار من نفسه لتغيّرت ذاته عن ذلك وكان في ذاته فاعلاً مفعولاً وقديماً ومحدثاً وخالقاً ومخلوقاً، تعالى ربّنا عن ذلك، علواً كبيراً ولو خلقهم من لا شيء لقصدوا إلى لا شيء، لكن الله خلقهم من رضاه وصفاته المحدثة القائمة بنور ذاته ووحدانيته وصمدانيّته وأبديّته وكلّ صفةٍ من صفاته التي أحدثها من صفات ذاته.

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: إنّ الله لمّا خلق النور الأول وآدم الأول ولا مكان ولا موضع ولا حيث ولا كيف كانوا متمسّكين بمشيئة الله وكانت المشيئة تمسكهم وتقيمهم كما كان هو يمسك المشيئة ويقيمها.

قال العالم: كان الله مكان مشيئته وكان أهل النور الأول مكان مشيئة الله، يراهم ويرونه بصفة الوحدانيّة، يقول فيقولون ويتكلم فيتكلمون، ويسكت فيسكتون، ويعلمهم ولا يعلمونه ويخبرهم ولا يخبرونه ولا يدرون منه ذلك إلاّ أنّهم رأوه بالبشريّة، قالوا وهو يعلمهم إنّما أراد العليّ العلاّم إذا أمرهم أن يسبّحوه دروا كيف يسبّحونه وإذا أمرهم أن يهللوه دروا كيف يهللونه، وإذا علّمهم دروا كيف يتعلمون.

وقال: إنّه لا علم إلاّ من معلّمهم وهو العالم الّذي يعلم وهم لا يعلمون.

قال: **فجعل الله جلّ ثناؤه مثل ذلك في الدّنيا حتى يتعلموا دليلاً على المعلّم الأكبر العليّ العلاّم الوحدانيّ في الدّنيا والآخرة.**

ظهور الله تعالى

قال: فلمّا مكثوا سبعة آلاف سنة وسبع وسبعين سنة وسبع ساعات قال لهم العليّ العلاّم: من أنا وهو يومئذ مصور بصورة ومتشخّص بشخص، فلم يعرفوا ذلك لأنهم رأوه نورانياً بلا شبح، فلما تراءى لهم شبحاً نورانياً أنكروه، فلمّا دعاهم إلى خشيه قالوا: إنّا لا ندري إلاّ أنّا متّبعوك.

قال العليّ العلاّم: إني أنا الله لا إله إلا أنا أظهر كيف شئت بصغير الخلق وكبيرهم.

فقالوا عند ذلك: أنت إلهنا هللناك يا علي يا عظيم.

وقالوا في أنفسهم: كيف لنا بالعلم.

فقال لهم الجّليل: خلق النور الثاني وإنّي أعلم منكم بخلقي.

قال الحكيم: فخلق الله من تسبيحهم وتهليلهم وتمجيدهم الحجب النورانية، فلما أن صارت لهم الأبدان علم الله أنّه لا بدّ لها من مكان وحيث يطوفون به، فخلق لهم السماء الأولى وهي السّابعة وهم أهل النور الأول وخلق من تسبيحهم وتهليلهم العرش وهو علم العليّ العلاّم المكنون المخزون الّذي أخرجه إلى أوليائه وهو السيد محمد منه السلام.

قال الحكيم: فالثمانية الحجب النوريّة تحمل العرش والأربعة الحجب أركانه وهو العليّ القادر وهو قوله تعالى: «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» قال: أي احتوى على العلم.

قال الحكيم: قال العالم: وعلم العليّ العلاّم في أهل النور الأوّل فلم يك بعضهم أفضل من بعض، ثم قال: وإنّ الله خلق أهل النور الثاني من إرادته في الهواء دون السماء الأولى، قال: إنّما سمي هواء لأنهم هووا في معرفة العليّ العلاّم ومما كان فيهم من أهل النور الأول من قبل أن يخلق لهم الأبدان النورانية ومن قبل أن يخلق أمير المؤمنين حجبه النوريّة والعرش، وكانوا في ذلك الوقت يسلمون في مكانهم دون الحركة، إلاّ أنّه لم يك مكان وإنّما سمّي دون الحركة لأن الله عزّ وجلّ كلّما تحرّك تحرّكوا، وإذا قال قولاً قالوا.

فلمّا خلق العليّ العلاّم النور الثاني وخلق لهم الهواء وهو معرفته نزل إليهم العليّ العلاّم في حجاب النور فرأوه بالحجاب الظلميّ وهو الحجاب البشريّ.

قال: فثبتهم بذلك وهي درجة الحجب، وإنّما سمّي الأبواب أبواباً لأنّهم بوّبوا لهم معرفة العليّ العلاّم قبل أن يحجب حجاب النوريّة والظلمة، فشاهدوا خلقها.

قال: وسمّيت الحجب حجباً لأنّ الأبواب وهم النور الأوّل لمّا نزل إليهم العليّ العلاّم في حجاب النور وكان المؤمنون ينزلون إلى الدّنيا في ذلك العصر كما تنزل الملائكة إلى الدّنيا في عصرنا هذا، وكان الله عزّ وجلّ يسبّح نفسه ويهلل نفسه ويمجّد نفسه، وكان المؤمنون وهم أهل النور الأوّل يقولون لأهل النور الثاني: إنّ الّذي ترونه هو حجاب الأوّل الأزل الّذي لا غاية غيره.

قال: فهموا لتكذيبهم وظنّوا أنّ الله عز وجلّ على غير تلك الصورة وقالوا لأهل النّور الأوّل جلّ الله وتقدّس، فكيف كان قبل ذلك؟ فقالوا: إنّ الله جلّ ثناؤه خلقنا قبلكم وأشهدنا خلقكم ونحن من مشيئته، وأنتم من إرادته، وكنّا بمقدار سبعة آلاف سنة، وسبع وسبعين سنة، وسبع ساعات، يقول الله فنقول ويتكلّم فنتكلّم، ثمّ قال لنا بعد هذه المدّة إنّني أنا باريكم الأزل ولم نعلم وذلك أنّنا رأيناه في حجاب الظّلمة شبحاً بشريّاً فلم نعرفه حتى خلقكم بإرادته.

قال الحكيم: *فلذلك جعلت الشّهداء في الأرض يشهد بعضهم على بعض.*

قال: فعندها قَبِلَ شهادتهم فصار أهل النور الأوّل أبواباً لهؤلاء، يعني أهل النور الثاني، لأنهم بوبوا لهم معرفة العليّ العلاّم وأقرّوها بصمدانيّة العليّ العلاّم.

قال العالم: مكث أهل النور الثاني لا يصدّقون ولا يكذّبون ولا ينكرون أنّه عزّ عزّه في الحجاب البشريّ الّذي يرونه بمقدار سبعة آلاف سنة وسبع وسبعين سنة وسبع ساعات.

ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق من تسبيحه وتهليله اثني عشر حجاباً، وخلق الكرسي وهو رحمة، وخلق لكل شيء منهم أبداناً نوريّة وهي النّفس، وظهر فيها بين خلقه في حجب الظّلمة وظهر بها، فلمّا رأوا ذلك استيقنوا إنّ الّذي حدّثهم به أهل السماء الأوّل علم العليّ العلاّم، فلذلك وجب التعليم والرئاسة للأبواب وهي أعلى درجة، وسمّي ذلك الهواء دون الحركة لأهل النور الثاني.

قال: إنّ العليّ العلاّم ظهر لهم في اثني عشر حجاباً كهيئتهم، يقول فيقولون، ثمّ إنّهم قالوا للعليّ العلاّم: علمنا توحيدك وعرّفنا أشخاصك المحكمات والمتشابهات، فقال لهم العليّ العلاّم: تعلمون توحيدي ممّن بوّب لكم أمري قبل أن تكونوا.

ثم خلق السماء الثالثة، فلذلك صار الهواء ما بين السماء إلى السّماء.

قال: فلذلك صار أهل النور الأول الأبواب وأهل النور الثاني صاروا حجباً للأبواب، وهو الأيتام وأهل النور الثالث نقباء وأهل النور الرابع نجباء وأهل النور الخامس مختصّين، وأهل النور السادس مخلصين، وأهل النور السابع ممتحنين، وهم الّذين وقع عليهم الأمر والنهي وامتحنوا بعم ما كان قبلهم ولكلّ منهم درجة دون الحركة، وكلّ واحد منهم هو سماء.

قال: فخلق الأهوية الّتي بين السّموات وهي معرفتهم بالعليّ العلاّم.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول: خلقت السموات من أعمالهم وكل أهل سماء مقدارهم سبعة آلاف سنة وسبع وسبعون سنة وسبع ساعات.

قال: خلق الله أهل النور الأول إلى الثاني بمقدار إحدى وخمسين ألف سنة، وهو الدّور الجامع وهو التّكرير لأنّه كلّما نزل الله إلى أهل النّور وحجب نفسه بالحجاب البشريّ رأوه شبحاً، ثمّ عرفوا ذلك وهو النّاسوت، وعرفوا أنّ الذّات محتجب بالنّور وهو النّفس، والنّور محتجب بالظّلمة وهي البشريّة، فرأوا منه البراهين والدلالات، وإنّه الأكبر، وقد ظهر لهم بالحجاب الظلمي لاضطرار الخلق إليه، وعند ذلك كبّروا الله عن الحجاب وسلّموا له بالربوبيّة وأقرّوا له بالعبودبّة.

قال الحكيم: *فلذلك جعل ربّنا تبارك وتعالى مجرى الصّلاة والتكبير وهي إحدى وخمسين تكبيرة من إحدى وخمسون ركعة، وهي الخمسون وابتدأ في صلاة الخمسين تكبيرة.*

قال: ولهذا قلّت الأنوار القديمة على المحدثة والمحكم على المتشابه.

وسمعنا العالم يقول: إنّ الله جلّ ثناؤه خلق كل أهل نور من تعليمه لأهل السّماء الّذين دونهم.

قال: فلذلك صار أهل السموات في النّعيم لا مرض ولا علّة ولا آفة وصاروا رسلاً يرسلون إلى من دونهم حتّى يلحقوا بهم.

قال: يعني بذلك أن المؤمنين أهل الإيمان صاروا سبع درجات واحدة فوق الأخرى بالعلم، وقد قال العليّ العلاّم على لسان نبيّه: «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ».

قال: فلمّا فرغ العليّ العلاّم من ذلك عرفه أهل الأنوار السّبعة بحجب النّــور والظلمة وخلق النّهار من قبل أن يخلق ظلمة الظلام وهو دلام، والليل كــدلام وهــم شيعة الدلام وكان العليّ العلاّم يظهر لكلّ نورٍ بالحجب الإثنيعشريّة الّتي قدَّر عليهــا الشهور والحساب، وظهر فيهم وأقام بينهم بالحجب السّبعة الّتي قدَّر عليهــا الأيــام والسّنين وهي أشخاص السّبعة حجب الّتي يظهر فيها في كلّ عصر وزمــان وكــلّ وقتٍ وأوان، فالمؤمن يعرفه بالنورانية والربوبيّة والكافر يعرفه بالبشريّة والمربوبيّة.

قال محمد بن سنان: قال ربّنا تبارك وتعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنــا عَشَرَ شَهْراً»، وهم الأئمّة الإثني عشر.

قال: فجعلها السّنة كاملة في كتاب الله يوم خلق الســموات والأرض، منهــا أربعة حرمٌ، يقول: الشّهور مشهورةٌ وهي الإثنا عشر حجاباً وهم الأئمّة ومقامــاتهم منها أربعةٌ حرمٌ.

قال: محرّم على من أقرّ بربوبيّة أمير المــؤمنين وأحديّتــه وصــمديّته أن لا يعرف الأشخاص الإثني عشر بعده وهم الحجب الإثني عشر شخصاً مقاماً بعد مقامٍ، فمن أقرّ بأمير المؤمنين ولم يقرّ بالحجب الإثنيعشريّة فقد كفر وأشرك بالله مــا لــم ينزل به سلطاناً.

قال محمد بن سنان الزاهري: سمعت العالم يقول: إنّ الله جــلّ ثنــاؤه خلــق الخلق فظهر بينهم ينتقل فيما ينتقلون جلّ الله عن الزوال والتغيير والانتقال، وخلــق لنفسه إثني عشر حجاباً وسبعة حجب يظهر بها في كلّ وقتٍ وزمانٍ وحــينٍ وأوانٍ وهو يظهرها ويعرف بأمير المؤمنين عزّ عزّه ظاهره الإمامة وباطنه الربوبيّة وآخر أشخاصه الشّخص القائم بالقسط لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم.

قال: فلمّا ظهر الله جلّ ثناؤه لأهل كلّ نورٍ صار يحدّثهم كيف بدأهم وكيــف صوّرهم وكيف بدأ خلق الشّيء من الشّيء من أعمالهم الطيّبة وكيف خلق الســموات لهم.

قال: فخلق ذلك بمقدار سبعة آلاف سنة وسبع وسبعين سنة وســبع ســاعات وكان الله فقيههم ومثبّتهم.

قال الحكيم محمد بن سنان: *فلذلك جعل الفقهاء في الدّنيا يجتمع إليهم النّــاس فيتعلمون منهم.*

قال: فجعل الله سبعة أنوار وسبع سموات وسبع أرضين حتى عرفوا وحدّثهم وبيّن لهم كيف خلق الّذين قبلهم.

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: خلق الله الخلق خلقةً واحدةً على أمرٍ واحد، أعني به المؤمنين وصاروا كلّهم إلى شيء وهم أنوارٌ معهم أبدان النّور ومكثوا على مقدار ذلك إحدى وخمسين ألف سنة، وهي تكبيرة الركوع على إحدى وخمسين ركعة.

قال الحكيم: قال العالم: إذا عرف الرّجل ذلك فقد عرف التّكبير الأول وعرف الرّكوع، وإنّما سمّي الرّكوع لأنّهم رأوا الله جلّ ثناؤه ظاهراً مع كلّ نبيّ ورسول بالإمامة والوصيّة والبشريّة.

قال: فبذلك خضعوا بالرّكوع لأنّهم قيامٌ نظام من السّجود لأنّه قد جلّ ربّنا تبارك وتعالى في قلوبهم وعظم فعاينوه بالحجب النّوريّة والظلميّة، وسمّي الركوع وذلك يقال دون الابتداء.

ثمّ قال الحكيم محمد بن سنان عليه السلام: سمعت العالم يقول: إنّ الله عزّ وجلّ رجع إلى أهل الأرضين السّبع يحدّثهم في كلّ سماء وفرغ من كلّ حديثٍ ما كان من الابتداء من خلقهم فحدّثهم بمقدار سبعة آلاف سنة وسبع وسبعين سنة وسبع ساعات.

قال: فأخبرهم الله عزّ وجلّ أنّهم يعصون ويخلق من معصيتهم الظلمة ويحجبهم عمّا خلق من حجب النّور في العدد، ويخلق من حجبهم ظلمة الظلام ويخلق منها الهوام والأبالسة والشياطين وأولادهم، فيكونون في الهوام وهي دون الحركة في الأبدان الظلميّة.

قال: فخلق الله لهم سبع أرضين وسبع أبالسة وأولادهم وأعلمهم أن يسكنه معهم ويحذّر أهل كلّ نورٍ بمعصيتهم، وأنّه سيظهر فيهم بحجب الظّلمة وإنّه سينسب فيهم ويتصوّر ويظهر من نفسه الإمامة والوصيّة وإتّباع الأنبياء ورسله الظاهرين معه بالرسالة، ويجعل حجبه ذات نسبٍ في كلّ علوّ من قوم ذلك الوقت.

قال: فقالت السّبعة وهي الأشخاص الأرضيّة: كيف نعرفك يا ربّنا؟

قال لهم جلّ اسمه: تعرفون أسماء حجبي النوريّة بأسماء حجبي الظّلميّة لأنّي أجعلها بالمواليد بالظّلمة، فاعرفوا أسماء حجبي وبيوتي، فإن ضللتم فكتبي.

قال: يعني بالأخبار الواردة عن الأئمة الصّادقين الّذين تركوا الدّنيا وأقبلوا على ربّهم وحملوا أمر دينهم فأولئك هم أهل الله وهم المقرّبون.

قال محمد بن سنان عليه السلام: سمعت العالم يقول: إنّ العليّ العلاّم قال للمؤمنين حين دعاهم فأجابوا أنا أميركم أعلّمكم وأبيّن لكم الظاهر والباطن وأبعث لكم أبواباً ورسلاً ظاهرين وأميّز لكم الخبيث من الطّيب والحقّ من الباطل وأعلم الأبدان والأرواح وأنا القاضي بينكم ولي نسبةٌ بالعلويّة والأكوان مشهورة بالدّعوة وأنا أكون بمواضع الإمامة والوصيّة لا بمواضع الرّسالة، وأظهر الإمامة لاحقاً وأظهر حجبي تابعاً لخلقي الّذي أرسلهم بالرسالة الظاهرة لأهل الظّاهر الجّاحدين شخصي المنكرين ظهوري بالأكوان متبوع على ذلك وأنا المقهورعند الأضداد، وأنا حكمت المحكمات وأجريت عليها السّنن فحكمي الإمامة ونسبتي الوصيّة، فاطلبوني عندها.

قال العالم: فسمّيت الدّنيا لتلك العلّة، فأخبرهم الله تعالى بقوله: «فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا ولا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ» وهم مع ذلك ألحّوا بالدّنوّ منها لهم فيؤمن المؤمن.

ثمّ قال جلّ ثناؤه: ولا يغرنّكم ذلك، فإنّ الأنوار ترجع من هذه البشريّة اللّحمية الدموية إلى النورانية الملكوتية.

قال: وكذلك الظلمة يعني أرواح الكافرين فلا تغترّ في الصحّة، فإنّها ليست كذلك وإنّما يكون في الصحّة يعني الأبدان النورانيّة يعرجون إلى السّماء ويعرجون إلى النّور الأزليّ الّذي منه خرجوا ومنه بدؤوا وإليه يرجعون ويعودون، فأصل الظّلمة هي ظلمة الدّلام، وهي إبليس الأبالسة وفرعون الفراعنة دلام قريش الّذي يظهر مع كلّ إمامٍ من الأبواب ويسلّط جنده على أتباع الأبواب من الأيتام والنّقباء والنّجباء والمؤمنين حتّى يزلّهم ويرتكب معهم السّيئات وهي المحنة من الله لأوليائه وأهل طاعته.

ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ يمكن المؤمنين بعد ذلك من الأضداد والأبالسة حتى يخرجوا من الدّنيا بالقتل والذّبح والسّلخ والصّلب فيردّهم ربّنا في أنواع المسوخيّة والرسوخيّة وهم فيها إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين، وإلى ما شاء ربّك يا محمد بن سنان إنه تعالى فعّال لما يريد.

التكبير للسجود والركوع

قال العالم: ثم إن المؤمنين كبروا على ذلك وهو التكبير بعد الركوع.

قال: ثمّ سجدوا وهي تكبيرة السّجود حين وعدهم العليّ العلاّم إنّه يردّهم إلى حجب النور ويرجع عز وجلّ إلى الإمامة البشريّة وهي حجاب الظلمة إلى الربوبيّة العظمى واللاّهوتيّة الكبرى والكشف وهو حجاب النور.

قال: فقال المؤمنون حين سمعوا ذلك منه: سبحان ربّنا العليّ العلاّم في السّجود.

قال: فسبّحوه على ذلك وعلى ما ضمن لهم أن يردّهم إلى النّور، فأراهم من نفسه القدرة النافذة من النورانية والبشريّة.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول: إنّ السّجود تفسيره السّيد الموجود العليّ العلاّم في حجاب النور والظلمة.

قال: فلمّا قال لهم العليّ العلاّم أنا أمير المؤمنين وإنّي منسلخٌ من حجب البشريّة وهي الإمامة والوصيّة إلى اللاّهوتيّة العظمى فسجدوا للعليّ العلاّم شكراً.

قال الّذين شكّوا في حجب البشريّة وهي الإمامة والوصيّة، قد رأوه بقدرته وهو بالربوبيّة الكبرى والوحدانيّة العظمى.

قال: تفسير شكراً يعني شكروني حين رأوني.

قال:فقال المؤمنون، سبحان ربّنا الأعلى، فلم يشكّوا في قدرته أنه العليّ الأعلى دون الخلق أجمعين من الأنبياء والرّسل وأبواب الباطن وغيرهم.

قال العالم: فلذلك صارت إحدى وخمسين تكبيرة وسجدتين وثلاث تكبيرات مع السّجود وأمّا التكبيرة الرابعة فإنّ العليّ العلاّم لمّا تجلّى لهم في الحجب النوريّة وأوقفهم على الحجاب الّذي هو فيه، وذلك إنّه اشتكل عليهم حين رأوه بحجابين كبّروا، والتكبيرة التي هي بعد التّشهّد لأنّهم شهدوا له بالأحديّة وأقرّوا له بالحجب النوريّة.

قال: الحجاب الأوّل أقرب إلى العليّ العلاّم من الحجاب الثاني، والثاني أقرب من الثالث، والثالث أقرب من الرابع والرابع أقرب من الخامس، والخامس أقرب من السادس، والسادس أقرب من السابع.

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: هذه الحجب حجب بشريّة، تحلّ فيها الروح اللاّهوتيّة، فتأمر وتنهى وتُظهر الموت والقتل والمرض والعجز كالعاجز المخلوق، وذلك واقعٌ على حجب البشريّة، والله تعالى لا يقع عليه شيءٌ من ذلك ولا هو واقعٌ على حجابه النورانيّ الّذي هو النّفس، وفيه المعنى يظهر والنّفس حالّةٌ في البشريّة، ألا ترى إلى قوله في مقام الباقر لوليّه جابر: يا جابر، لا تصلح الرّوح الأزل العلويّة إلاّ أن تكون غلافاً في جوف غلاف، غلاف علويّ في جوف غلاف سفليّ، وهو حجاب الظلمة وهو دون العلويّ ولو ظهرت الروح في النورانيّة بغير حجاب لأطفأ كلّ نورٍ غيره، وهذه الحجب الإثني عشر وغيرها من الحجب يظهر الرب تبارك وتعالى فيها ويظهر بها من غير حلول ولا إزالة عن جوهريته وحقيقته.

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: إن الله عز وجلّ خلق السموات السّبع وهي الأبواب السّبع، وهم سبعة أنوار وجعل الحجاب الّذي ينتقل فيه المعنى عزّ وجلّ في السّبع مقامات وجعل لكلّ نورٍ تقدّم أفضل من صاحبه، كما إنّ الشّخص فيها أجلّ لسابقته، وأشخاص الأئمة كلّها من أمير المؤمنين ما تقدّم منها وما تأخّر في قديم الزمان والدهور وحديثه، وأمّا المعنى فلا يقع عليه التغيير ولا التبعيض ولا التجزيء وإن تغيّرت الصفات والنّعوت، فأمير المؤمنين قائمٌ بذاته وشخصه في كلّ عصرٍ وزمانٍ وحينٍ، وأوانٍ.

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم منه السلام يقول: حيث إنّ ملك الموت وطن القاهر علاّم الغيوب عالم بخائنة الأعين وما تخفي الصّدور.

قال: ثمّ أخذ الله ميثاق من أهل النّور السّبعة وهو قوله: «وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» أي: ألست أنا الّذي تقدّمت إليكم وعرفتكم وأعلمتكم إنّي أحتجب بحجب الظّلام لئلاّ تقولوا يوم قيام القائم وكشف الغطاء إنّا كنّا عن هذا غافلين، وإنّما جهلتموني ورأيتم قدرتي الذّاتيّة فأحجب القدرة الذّاتيّة بالعجز وأنا قبلة كلّ مصلٍّ وأنا الإمام الّذي ائتمّ بي كلّ

من عرفني وأنا باعث الأنبياء وناصر الرّسل وأنا الباطن بالربوبيّة وأنا الظّاهر بالإمامة والوصيّة وأنا التّابع لأنبيائي ورسلي.

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: قال الله عزّ وجلّ لهم: اعلموا عبادي إنّي خلقت الشّياطين وذرّيتهم وخلقت بيوتاً من أفعالهم حجريّة طينيّة دلائل على بيوت خلقتها من طاعة الجّاهلين لأشخاصي المنكرين صورتي وأحبس فيها الجّاحدين مقامي يعبدونني ويريدونني بها وهي غيري وهي بيوت النّور والحجب وأسمّيها باسمي وأنحلها شيئاً ممّا لي وأعرض عليهم في إنشائها في كلّ يومٍ خمس مرّات وهي المساجد وأنا السّيّد الموجود بين خلقي باطنٌ بالرّبوبيّة ظاهرٌ بالإمامة والوصيّة وأنا العليّ العلاّم.

قال الحكيم محمد بن سنان: وأخذا العليّ العلاّم ميثاقهم على ذلك أن يصدّقوا أبوابه في الباطن ولا يكذّبوهم، فمن كذّب واحداً منهم فقد حلّت عليه اللّعنة من الله ومأواه جهنّم وهي المسوخيّة والنار هي المسوخيّة.

حمد الله

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: مكث العليّ العلاّم تبارك وتعالى يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة محتجباً عنهم.

قال: فركب المؤمنين حزنٌ مقدار ذلك، ثمّ قالوا: الحمد لله، فقال لهم العليّ العلاّم مجيباً: سمع الله لمن حمده[1]، يقول: سمعهم إذا حمدوه على الحجب النّوريّة والظّلمية.

قال الحكيم محمد بن سنان: هذا خبر ظهوره بالإمامة والوصيّة، وسمّى نفسه علي بن أبي طالب وتزوّج فاطمة وأظهر من نفسه العجز والخوف والإتباع لسيّدنا محمد صاحب الشّريعة إليه التّسليم ولمن بعد من أئمة الكفر والضّلال.

قال: فلذلك إحدى وخمسون مرّة.

---

[1] تقال هذه العبارة عند القيام من السجود

قال: فحمد المؤمنون أمير المؤمنين على ما أظهر من القدرة والدّعوة والبراهين والمعجز والخوف والعجز واليأس حين رأوه بالحجب الظّلمية وهي البشريّة النّاسوتيّة.

قال: ولذلك صار إحدى وخمسين مرّة، فلذلك علمت التّكبير والسّجود وعلّة سمع الله لمن حمده.

قال الحكيم محمد بن سنان: قال العالم: لمّا فرغ العليّ العلاّم من حديث ما يكون من خلقة الظّلام والشّياطين وأولادهم وما هم فيه وكيف يصنعون حتى أخبرهم باجتماعهم في الدّنيا.

إجتماعهم في الدّنيا والتشهد والتسليم

قال: وإنّما سمّيت الدّنيا لدنوّ أمير المؤمنين فيها من الكافرين، ودنوّ الحقّ من الباطل، ودنوّ الله والحجاب الظّلمي.

قال: شهدوا له بالقدرة الذّاتيّة والإمامة والوصيّة على أنّه العليّ العلاّم والحجاب الميم، لا شيء غيره دون الخلق أجمعه.

قال الحكيم محمد بن سنان: فلذلك جعل التّشهّد بعد الرّكوع والسّجود والتّكبير وشهدوا أنّه العليّ العلاّم وعرفوه بحجب النّوريّة والظّلمية والسّجود للنّور وهي الرّبوبيّة الظّاهرة، فتسليم اليمين معرفته بالحجب النّوريّة اللاّهوتيّة والتّسليم بالشّمال معرفته بالحجب الظلميّة قوله تعالى: «عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ، ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ».

قال الحكيم: سمعت العالم يقول: فالرّقيب هو الموجود إن عرفوه أو جهلوه.

وأمّا القول في الصّلاة ظاهراً وباطناً هو أن تقيمها ظاهراً وتقرّ بها باطناً، ولا تقصّر في إقامتها ظاهراً ولا تشكّ بالإقرار بها باطناً، فالمقرّ بها الّذي لا يشكّ بالله العليّ العلاّم الّذي ليس كمثله شيء وهو السّميع العليم، وحقيقة التّسليم هو التّسليم لله عزّ وجلّ ظاهراً على أنّه العليّ العلاّم نورانيّاً كان أو حجاباً ناسوتيّاً، فالمؤمنون كلّهم مقرّون بظهوره وبطونه وإنّه هو الأزل الّذي ظهر في الأولّين وبطن في

الآخرين، أشخاصه مختلفة وأسماؤه متفرّقة، والمعنى واحد لا يتغيّر ولا يتبعّض، ولا يتجزّأ سبحانه وتعالى عمّا يشركون وهو الصّلاة ظاهراً وباطناً.

قال الحكيم محمد بن سنان: من عرف الصّلاة باطناً وظاهراً فقد عرف العليّ العلاّم حقّ معرفته وهو من المؤمنين الفائزين الّذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، فهذا تفسير الصّلاة في الباطن، ولا يستغني المؤمن عن معرفة ذلك، ولا ينفعه إيمانه بالله تعالى شيئاً إلاّ بمعرفتها.

الحجاب

قال الحكيم: يقول العليّ العلاّم لأهل النّور: تعلمون من يعلمكم بقدرته حين أحتجب لكم في البشريّة، وإنّي أخلق مثلكم وتعجزون أن تخلقوا مثلي، تعاليت عن العجز واحتجبت كيف شئت بالظّلمة (وهي البشريّة).

قال: سمع أهل النّور من ربّهم فأيقنوا بتوحيد العليّ العلاّم، وأزليّته حين ظهر لهم بالإمامة والوصيّة، قالوا: نعم أنت ربّنا لك القدرة والمشيئة بطنت بالرّبوبيّة، سبحانك تعاليت علوّاً كبيراً، ثم ابتدأ الله عزّ وجلّ فخلق وجعل الخلق الأول أفضل من الخلق الثّاني، والخلق الثاني أفضل من الخلق الثالث، والثالث أفضل من الرابع، والرابع أفضل من الخامس والخامس أفضل من السّادس، والسادس أفضل من السّابع، وخلق الأنوار كلّها من أصل واحد إلاّ من سبق إلى معرفة العليّ العلاّم كان أفضل وكان أعلى درجةً وأسمى رتبةً، وقد قال تعالى: «والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ».

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: الحجب الّتي تظهر هي إثنا عشر لا تزيد ولا تنقص، وهي القضاء والقدر المبرم والمحكم.

قال الحكيم محمد بن سنان: سألت العالم منه السلام عن الحجاب؟

قال: نعم يا محمد بن سنان، إن العليّ العلاّم احتجب عن الأنوار حين عصوا فطاف المؤمنون بذلك الحجاب وهو حجابي وشخصي الّذي خلقته من معاصي أوليائي سبعة آلاف سنة ندماً على ما قالوا وأسفاً على ما فاتهم من النّظر إليّ وإلى

رؤيتي وما احترموا من لذّة كلامي وحلاوته ما لا انتهاء له ولا غاية له، ولا يقدر أحدٌ أن يصفه، فلمّا فقدوا الاسترواح استوحشوا وبلغ ذلك إليهم فبقوا حيارى لا يهتدون إلى أمرهم ولا يدرون ما يفعلون وأدركتهم الحسرة والنّدامة فرحمتهم بعد ذلك.

قال الحكيم محمد بن سنان: سألت العالم عن قوله تعالى: «وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلاّ وَحْياً أَو مِنْ وَراءِ حِجابٍ»؟

قال: إنّما يعني الأشباح الّتي خلقها لنفسه ونفسه هي المعنى الأكبر، تعالى الله عمّا يقول الظّالمون، فجعلها الأظلّة وهي هذه الأجسام البشريّة الّتي يظهر بها لخلقه، فكلّمهم منها وهي الحجاب الظلّي الّذي يحتجب به ويكلّم الخلق منه والّي من وراء حجاب فهو النّفس النورانية التي هي حجابه الأكبر وهي الحجاب الّذي يكلّم منه الملائكة شفاهاً من غير حجاب.

قال الحكيم: سألت العالم منه السّلام عن الجنّة والنار؟

قال: خلق الله الجنة السابعة في السماء السابعة وهي قوله تعالى: «عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى» وهي أعلى الجّنان، ثمّ خلق الله آدم الأول وأخذ عليه الميثاق وعلى ذريته، ثمّ قال لهم: من ربّكم، وهو ظاهرٌ لهم بالإمامة والبشريّة، قالوا جميعاً: سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم.

قال: ثمّ لم يزل العليّ في هذه الأنوار السّبعة بمقدار إحدى وخمسين ألف سنة حتى لحق أوّلهم آخرهم وصاروا ملائكة ونسوا أحاديث ما يكون وأخذوا في حديث ما كان، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ قال لأهل النور الأوّل والثّاني والثّالث والرابع والخامس والسادس والسابع: إنّي خلقت الأبالسة والشّياطين، وقيل إنّه الوقت الّذي احتجب به بحجب الظّلمة، فقالت الأنوار: تعالوا نجتمع إلى ربّنا ونسأله أن نعبده في الظّلام كما عبدناه في الأنوار، قال فاجتمعوا إلى ربّهم وطلبوا منه ذلك، وكان ذلك خطيئة منهم، فخلق العليّ العلاّم من خطيئتهم الحجب الظلميّة لنفسه، وهي سبع حجب.

بيان الحجب الظلمية السّبعة

قال أبو العبّاس: سألت محمد بن سنان عن بيان هذه الحجب السّبعة الظّلمية ما هي ومن أي شيء هي ومتى ينزل فيها العليّ العلاّم؟

فقال: الحجب الظلمية هي أشخاص البشريّة، خلقت من ظلمة النور لا من ظلمة الظّلام، وهي معصية المؤمنين الّذين هم أولياؤه، لا من ظلمة الظّلام، لأنّ ظلمة الظّلام هي معصية الأبالسة، والظلام هو دلام قريش لعنه الله، وإنّ العليّ العلاّم ما دام الخلق في البشريّة لا يظهر لهم إلاّ في البشريّة الّتي هم فيها ليخاطبهم منها، فإن انتقل إلى النورانية ونقل أولياءه إلى الروحانيّة ونقل أشخاص الجّاحدين إلى المسوخيّة تجلّى لأوليائه في الحجب النوريّة الخالصة الصّافية، فيخاطب أولياءه بالحجب النّورية لا بالحجب الظّلمية، فهم الّذين أنعم الله عليهم ويحجب أعداءه عن رؤيته فلا يرونه، فهم الّذين عن ربّهم يومئذٍ لمحجوبون.

قال: وأمّا المعنى الأكبر الجليل الأعلى لا يظهر إلاّ بحجابٍ واحد وصفةٍ واحدةٍ في وقت ظهوره، ولا يظهر بحجب كثيرةٍ مختلفة الصّور ولا ينزل في حجبٍ كثيرة، ويستحيل ذلك، لأنّه إذا كان ذلك كذلك يضلّ الطّالب ولا يدري إلى أيّ حجابٍ يقصد، وإن قصد إلى واحدٍ دون الآخر يكون قد كفر، وإن قصد على الكلّ فلا يجوز، ويكون قد أشرك، لأنّ أمير المؤمنين جلّ اسمه أحدٌ فردٌ صمدٌ، وصف نفسه بالأحديّة الفرديّة الصمدانيّة وفي الثّلاثة والجماعة فسادٌ على أهل التوحيد وهلاك الموحّد تعالى الله عن ذلك.

ثمّ قال الحكيم: إنّ الله خلق لكلّ رجلٍ من المؤمنين سبعة أبدانٍ، لكلّ بدن سبعة أنوارٍ، وهو التكرير بصعوده في الملكوتيّة وهبوطه منها ونزوله في البشريّة الظلمانيّة.

قال: فلمّا أخبرهم العليّ العلاّم أنّه خلق لنفسه سبعة حجب ظلميّة قال المؤمنون: إلهنا العليّ العلاّم، أين تكون من هذه الحجب السّبعة، فقال مجيباً لهم: أكون في واحدٍ دون السّتّة، فإذا دعوت أهل خاصّتي إلى حجابٍ واحد فاسجدوا له، فإنّي في ذلك الحجاب ولا أدعو أهل طاعتي بشخصين فيضلّوا عن معرفتي

ويهلكون، فأنا السيّد الموجود في هذه الحجب السّبعة وفي الإثني عشر رحمةً منّي لأوليائي.

قال الحكيم محمد بن سنان: غلطت الواقفية وأصحاب إسماعيل. ثمّ قال الحكيم: سمعت العالم يقول: إنّ هذه الحجب النّوريّة هي النّهار والحجب الظّلميّة هي اللّيل من الاثني عشر شهراً.

وهو قوله تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ» فالسموات حجب النّور والأرض حجب الظّلمة وفي موضع آخر السموات هي الأنوار والأرض هي المؤمنون. ثمّ قال: خلق الله أرواح الشياطين والأبالسة وأولادهم من الحجب الظلمية الأرضيّة، فظنّوا الشّياطين أنّه منه خلقهم، فلذلك قالت الشّنبويّة إنّ الظّلمة قديمة والأبدان منها لمّا رأت ذلك. وخلق الله الآدم السّبعة على صورته، وخلق مع كلّ آدم إبليس من الأبالسة، قال: فمكث كلّ آدم مع ذرّيته وكل إبليس مع ذريته سبعة آلاف سنة وسبع ة وسبعين سنة وسبع ساعات.

قال: ثمّ يقضي أمرهم ويخلق العليّ العلاّم آدم آخر وإبليس آخر، فإذا فرغ من كلّ آدم ومن كلّ إبليس على هذا المثال فيكون المؤمن ملكاً مع الملائكة الّذين سبقوا إلى معرفة العليّ العلاّم، حيث أراد، فأينما كانوا فهم في رحمة الله، ومعه لا يفارقونه يتلذّذون ويتمتعون بالنّظر إليه، والله مؤنس لهم وساقيهم ومرتّبهم وكاليهم وقائدهم في جنّتهم الّتي يسكنوها، فهذا الحتم الواجب والقضاء المبرم لا مردّ لقضائه ولا معقب لحكمه وهو العليّ العظيم.

قال الحكيم محمد بن سنان: قال العالم: ثمّ إنّ العليّ العلاّم خلق حجب أولاد الآدميين من الأديم وخلق حجب أولاد الأبالسة من الأبالسة، فقالت الأبالسة وأولاده نحن خير من الآدميين وأولادهم.

قال الحكيم: هذا حين وُلِيَ الأوّل والثاني الخلافة، واعتزّوا بها، وعرفوا أصحابهم فقالوا عند ذلك: نحن أفضل من شيعة عليّ، وهم الآدميّون وأولادهم الشّيعة، وقالوا: إن اختلفنا من أميرنا وأميرهم وزعيمهم فهو دلام قريش وهو غالب العليّ العلاّم في الظّاهر وأولئك خلقوا من بعضنا، فقالوا: نحن خير من الشّيعة لأنّهم ذليلون مهانون لا يقادون إلى ولاية دلام ولا ينالون من الدّنيا خيراً.

فقال سبحانه وتعالى: لأعذّبنّ إبليس وأولاده – يعني دلام قريش وشيعته– إلاّ عن حجّة بيضاء، وهو إذا ظهرت بذاتي بعليٍّ أمير المؤمنين وأدعوهم إلى ولايتي

وربوبيّتي، فلا يجيبون ويكذبون أبوابي وحجبي ولا يؤمنون بي، بل يؤمنون بدلام وشيعته الّذين هم من ذاته خلوقا، فآمنوا به، فآمنوا أنتم بي وأقرّوا بربوبيّتي وولايتي إذا ناديتكم من شخص عليّ، فأجيبوني لأخلّصكم بإجابتكم وأقرّبكم إلى الملكوت الأعلى، فأجاب الأولياء المؤمنون العليّ العلاّم عزّ عزّه حين ناداهم بذاته أمير المؤمنين تعالى ذكره وآمنوا به وأقرّوا له بالولاية والربوبيّة وأنكر دلام وذرّيّته ولم يجيبوا.

عن الظهور

قال الحكيم: سمعت العالم يقول وقد سئل عن الظّهور فقال: الظّهور في هذه القبّة بأمير المؤمنين تعالى عن قول الجّاحدين والمفترين وفيه يظهر وفيه يبطن وأظهر الإمامة والوصية والخلافة والعجز والقتل وبعث محمد صلعم بالنبوّة دليلاً عليه في الظّاهر، ثمّ غاب عن الجّاحدين وظهر بمثل شخص الحسن، فلم يزل فيه ما شاء أن يكون، ثمّ ظهر بمثل حجاب آخر وسمّاه الحسين، وهي السّماء الثالثة، ثمّ غاب من ذلك وظهر بحجابٍ آخر وسمّاه عليّاً، وهي السّماء الرابعة، ثمّ غاب من ذلك الحجاب وظهر بمثل حجاب آخر وسمّاه محمّد الباقر وهي السّماء الخامسة، وكان فيها ما شاء، ثمّ غاب وظهر بمثل حجاب آخر وسمّاه جعفر الصّادق، وهي السماء السادسة، فكان بها ما شاء، وظهر بحجابٍ آخر وسمّاه موسى وإنّما سمّي موسى لأنّه ناموس النبيّين وهي السّماء السابعة، ثمّ غاب من ذلك الحجاب وظهر بالحجاب الثّامن وسمّاه الرّضا، فكان فيها ما شاء أن يكون وكذا جرت ظهوراته بالحجب الإثنيعشريّة إلى آخرها، والباري سبحانه وتعالى ليس هو جسماً ولا صورةً، وإنّما ذلك تغيير اسم وتبديل جسمٍ، وإنّه لمّا خلق خلقه وأراد منه الظّهور خلق لنفسه حجاب النّور وحجاب الظّلمة، فأمّا حجاب النور هي النّفس، وحجاب الظّلمة هي الحجب البشريّة النّاسوتيّة، وأوّل ظهوره تعالى بهذه القبّة بأمير المؤمنين وآخرها الحسن العسكري منه الرّحمة.

قال الحكيم: قال العالم منه السّلام: والحجب الإثناعشر هي من السّبعة، وإنّما خلقت هذه الأشخاص من الحجب الإثني عشر ليعلموا عدد السّنين والحساب وهي ظهورات أمير المؤمنين العليّ العلاّم، ثمّ لم يزل يأخذ ميثاق المؤمنين بالرّبوبيّة لنفسه وللسيّد محمد بالإسميّة والحجابيّة ولسلمان بالبابيّة، وذلك لمّا نزل المعنى عزّ وجلّ من حجب النورانية إلى حجب الظلميّة أمر جبريل أن ينزل ويظهر بسلمان وأن يحتجب به، وأمر ميكائيل أن ينزل ويظهر بالمقداد، فنزل واحتجب به ميكائيل وأمر إسرافيل أن ينزل ويظهر في أبي الذّر الغفاري، فنزل إسرافيل واحتجب به وأمر أولياءه المؤمنين وأصفياءه الطّاهرين أن يحتجبوا في هذه الأبدان البشريّة.

قال: فلمّا احتجبوا بها واستقرّوا وقع عليهم الأمر والنّهي وعلى نفسه تبارك وتعالى حين احتجب بحجاب الظلمة وأظهر من نفسه ما أظهر من خلقه وأقام هذه الفرائض والشّرائع والسّنن التي أمر الخلق أن يقيموها، ثم أظهر من نفسه عزّ وجلّ الموت والقتل والعجز والمرض والخضوع والخشوع والتقيّة والعبادة.

قال الحكيم: سمعت العالم تبارك وتعالى يقول: من صفة العقل أن يظهر ما قد وصفته وكان مثالاً وصورةً في البشريّة على مثال خلقه تبارك وتعالى، ليس هو بجسمٍ ولا بصورةٍ ولا مثالٍ ولا بشرٍ ولكنه أراهم نفسه في المثال والصورة ونظر الخلق إلى وجوده، فلمّا كان الخلق مضطرّين إلى وجوده ورؤيته بالعيان ليفهموا عنه والأمر والنهي، ظهر لهم في البشريّة إمام لهم مثال كمثالهم، لأنّ الخلق لا يقدرون أن يروا صانعهم وهم في الأجسام البشريّة إلاّ غلاف في جوف غلاف، فكان كأمثالهم المحدودة، ولمّا صعد العليّ العلاّم إلى حجبه النوريّة صعد معه أولياؤه الظاهرون معه إلى النورانيّة وإبليس وجنوده ينتقلون من الناسوتية إلى المسوخيّة.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول: إنّ العليّ العلاّم تفرّد بالوحدانيّة، وخلق لكلّ إبليس ولداً، وخلق من هواهم سبع أهوية وسبع أرضين، لكلّ إبليس ولد وهواء وأرض، فلذلك صارت سبع أرضين وسبع أهوية.

قال: لو كانت الآدم وأولادها والأبالسة وأولادها واحدة لكانت تكفي الأبالسة وأولادها أرضٌ واحدةٌ، وكفت آدم وولده سماءٌ واحدةٌ، لكنها سبعة، فلذلك صارت لهم سبع أرضين وسبع أهوية، ولو كان أهل الأنوار نوراً واحداً وذريّة واحدة، لكان يكفيهم سماء واحدة، لكنّهم سبعة أنوار وسبعة أوادم ولذلك كانت سبع سموات.

قال الحكيم محمد بن سنان: فجعل الله الدّليل على ذلك سبعة أيّام، وجعل لكلّ يوم ليلة ولم يجعلها ثمانية ولا ستّة وجعل كلّ يوم خلاف صاحبه وكلّ ليلةٍ خلاف صاحبتها دليل على الأنوار السّبعة.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول: الشياطين سبعة أجناس مجنّسة والأرضون سبعة للشّياطين وأولادها والسّماء للآدميّين وأولادهم الّذين آمنوا وأقرّوا له باللاّهوتيّة والرّبوبيّة حين ظهر لهم بالإمامة والبشرية، وهؤلاء الأبالسة بالنّار يكررون في المسوخيّة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون.

قال: قال الله تبارك وتعالى: «أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وهُو فِي الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ» وهي نشأتهم في المسوخيّة. قال العالم: إنّما أبت الأبالسة وأولادهم عن ولايةِ العليّ العلاّم لأنّها رأت الحجب الإثني عشر خلقت من الأبدان الظلمية، ورأت نفسها قد خلقت من الحجب السّبعة السّفليّة وأبت أن تسجد لآدم.

قال: فلمّا خلق الله أبدان المسوخيّة من أبدان أرواح الأبالسة نظرت أرواح الأبالسة وأولادها إلى حجاب الظّلمة وإلى أبدان المسوخيّة، فعجبوا من ذلك ومشى بعضهم إلى بعضٍ فقال وما هذا؟ قالوا: لا علم لنا.

قال العالم: فهم في ذلك مقيمون لما رأوه من العبرة والأبدان المنكسة إذ لقوا المؤمنين في أبدان مثل أبدانهم وصورٍ مثل صورهم، فظنّت الأبالسة وأولادها إنّ المؤمنين منهم ومن جنسهم.

قال العالم: فخلق الله من اغتمامهم الغيظ، فلذلك سمّي الغيظ غيظاً.

فقالت الأبالسة للمؤمنين، ما هذه الأبدان المسوخيّة إن كنتم تعلمون؟

فقال المؤمنون للأبالسة وأولادهم: إنّ هذه أبدان المسوخيّة وهي من معصيتكم لأنّه دعاكم العليّ العلاّم إلى ولايته والإقرار بربوبيّته ووحدانيته والإيمان بأشخاصه ومقاماته الإثنيعشريّة، فأبيتم عليه وقلتم بردّكم له إنّ ربّنا ليس بمثال ولا صورة، فكفرتم بربّكم، فأرداكم، نعم والله ليس له مثال ولا صورة ولكنه ظهر فيما يشاء في صغير الخلق وكبيرهم.

قال الحكيم محمد بن سنان: كبير الخلق هو النورانية وصغير الخلق هو البشريّة. قال الحكيم: ثمّ إنّ الأبالسة وأولادها قالوا للمؤمنين أين كان ربّنا؟

فقال لهم المؤمنون: كان تعالى ظاهراً بالعليّ العلاّم، متصوّر متشخّص وهو لا غيره ولا بائنٌ عن الرّوح ولاساكنٌ في الأبدان ولكنهما إسمان واقعان على معنى

واحد، فالله هو عليّ وعليّ هو الله والحجب الإثنيعشر هي أمير المؤمنين وإنّما هي تغير اسم وتبديل جسم، سبحانه الله وتعالى ليس بجسمٍ ولا بصورةٍ. فقالت الأبالسة وأولادهم: أوليس الّذي رأيناه هي صورته ولا هو غيرها؟ قالوا: لا.

فكذّبهم قوم وصدّقهم قومٌ، فأمّا الّذين صدّقوهم، فهم الّذين يقولون إنّ الله يظهر على صورة الإنسان في حجاب الظّلمة كيف يشاء، وأقرّوا بظهوره وبطونه وأمّا الّذين كذبوا قالوا: كيف كان ربّكم؟ قالوا: كان في حجاب الظّلمة. قالوا: كيف حجاب الظّلمة؟ قالوا لهم: هو حجاب البشريّة الظّلميّة والإماميّة والمثاليّة وهو تعالى لا بجسمٍ ولا بصورةٍ تعالى الله عن ذلك، بل هو نورٌ كلّه قدرة كلّه.

فقالوا ردّاً عليهم: لا يقبل ذلك، ولا يقبل اللّطيف الكثيف، ولا يفعل ذلك، وإنّما هو نورٌ لا تدركه الأبصار، وهم المقصّرة في حجبها لأنّهم أقرّوا بحجاب النّور وجحدوا حجاب الظّلمة، فلذلك اختلفوا في صورته واختلفوا كيف هو.

ضلال الأبالسة في عبادة الله رجاءً للمثوبة

قال الحكيم: سمعت العالم يقول: كانت الأبالسة والشّياطين يسترقون السّمع من المؤمنين إذا جلسوا يتحدّثون فيسمعونهم يقولون إن كنّا بغير هذه الصّورة وبخطيئتنا لبسنا هذه الصّورة البشريّة، ومن خطيئتنا خلقت الأبالسة والشّياطين وأولادهم وخلقت من معاصيهم أبدان المسوخيّة، فنحن تركّبنا في أبداننا في البشريّة بخطيئتنا وكذا الأبالسة وأولادهم ركّبوا بخطيئتهم في الأبدان المسوخيّة. ثم اجتمعت الأبالسة وأولادهم فقالوا: تعالوا نطلب الله فنعبده. فقال بعضهم لبعض: نطلبه في سائر الأشياء فلا بدّ أن يكون محتجباً في واحدٍ منها.

قال الحكيم: فعبدوه في الشّمس وعبدوه في القمر، وعبدوه في السّماء وعبدوه في النّور، وعبدوه في كل شيء حتى لم يبقى شيءٌ إلاّ وعبدوه فيه، فكانوا كلّما أتوا إلى حجاب يسجدون له ويقولون: عسى أن يكون محتجباً به، فلم يدركوا تلك السّجدة، فعبدت الأبالسة والشّياطين بعضها بعضاً، وقالوا: عسى أن يكون محتجباً بنا حتى عبدوا أبدان المسوخيّة والنار والغنم والبقر والإبل، والحجارة والشّجر، وما

أشبه ذلك، دون العليّ العلاّم حتّى عبدوه في صورة الذّهب والفضّة والخيل المسومة، والأنعام والعجل تبارك العليّ العلاّم الّذي دنى فتدلّى جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول وقد سئل عن الظهور فقال: الظّهور في هذه القبّة بأمير المؤمنين تعالى عن قول الجّاحدين والمفترين وفيه يظهر وفيه يبطن، وأظهر الإمامة والوصيّة والخلافة والعجز والقتل، وبعث محمّداً صلعم بالنّبوّة دليلاً عليه في الظّاهر، ثمّ غاب عن الجّاحدين وظهر بمثل شخص الحسن، ولم يزل فيه ما شاء، وكذا جرت ظهوراته في الإزالة والمثالة إلى آخر السّطر.

قال الحكيم: السّموات سبعٌ، فالسّماء الأولى مسكن الممتحنين، والسماء الثانية مسكن المخلصين، والسماء الثالثة مسكن المختصّين، والسماء الرابعة مسكن النّجباء، والسماء الخامسة مسكن النّقباء، والسماء السّادسة مسكن الأيتام، والسماء السّابعة مسكن الأبواب وكلّ ملك مقرّب.

قال العالم: وإنّما سمّيت الملائكة ملائكة لأنّهم ملكوا علم الملكوت المخزون المكنون، وملكوا أمرهم وعرفوا ربّهم بحقيقته حق المعرفة، ولم يشكّوا حين ظهر لهم في الأرض بالإمامة والوصيّة مع الرّسل الظّاهرة بالنّبوّة.

قال الحكيم: إن العليّ العلاّم جلّ ذكره لمّا ظهر واحتجب وسمّي بعليّ تبارك وتعالى وبطن بالرّبوبيّة وظهر بالإمامة والوصيّة. دعا الخلق جميعاً إلى معرفته وربوبيّته، فآمن بها المؤمنون المسلمون وجحدها الكافرون الشّاكّون باله عزّ وجلّ حين رأوه بالحجب الظّلميّة، فأركسهم الباري في المسوخيّة حين جحدوا ولايته، فهم معذّبون بأنواع المسوخيّة مكرروت يعذّبون في كلّ يومٍ بألف نوعٍ من العذاب، ولا يخفف عنهم العذاب وهم فيه لابثون أحقاباً.

قال العالم: وأمّا من آمن بعليّ العلاّم وصدق به وعمل صالحاً في ظاهر الأمر وباطنه فأولئك في حجب النّور يمرحون وهم مستبشرون بقرب الله وجواره، متلذّذون بالنّظر إلى رؤيته الكريمة مسكنهم حظيرة القدس، وطعامهم الذّكر، وشرابهم الصّدق، ولباسهم الحرير، وهي حلل النّور، لا يغتمّون ولا يحزنون، ولا يفزعون، وهم فيها آمنون يعني من المسوخيّة، قد استراحوا من الطّبائع الأربعة وصاروا روحانيّين يسيرون في الملكوت ويسبّحون بأمر عظيم، لا يخافون من الأبالسة وأولادهم كما كانوا يخافونهم في الدّنيا.

قال الحكيم: فهذه صفات المؤمن إذا صعد إلى الملكوت بأعماله الصّالحة في الظّاهر والباطن فيأمن من البشريّة والحجب الظّلميّة بعد السّبع تكريرات، فعندها لا يرجع إلى البشريّة أبداً.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول: الأرضون السّبع هي الممتحنون في الكفر، ومنهم مخلص بالكفر ومختصّ بالكفر ونجيب بالكفر، ونقيب بالكفر، ويتيم بالكفر وباب بالكفر، فإذا فرغ من ذلك كلّه ركب في المسوخيّة. قال العالم: والمؤمن إذا فرغ من سبع درجات صار من الملائكة، وأمّا من كان في المسوخيّة التي تؤكل فهم من أهل إبليس وجب عليهم القصاص لولد آدم، فهم الّذين ولوا التّكذيب معهم، فجرى عذابهم على أيديهم، والمسوخ الّتي نُهِيَ عن أكلها فهي من إبليس المتقدّم الّذي كان قبل آدم الثاني، وأمّا الّذين حلّ أكلهم فهم الّذين كانوا أولي التّكذيب معهم، فعذابهم جرى على أيديهم، فلمّا جاء غير آدمهم لم تحلّ مسوخيّتهم في المأكول والمشروب ووقع التّحريم لأنّه لم يؤذِك ومن لم يؤذك لم يجز أن تؤذيه ومن يحرم عليك كيف لا تحرم عليه، ومن يكفر بربّك فأنت تعلم كيف تعاقبه.

قال العالم: ما وقعت العقوبات إلاّ على من اغتممت به واغتمّ بك، وصدقت وكذب، وآمنت وكفر، وأمّا العقوبات لمن أوجب عليه ذلك فلذلك وقع التّحليل والتحريم في المسوخيّة المؤذية، وأمّا ما كان قبلهم من المؤمنين في زمان كلّ آدم وولده وإبليس وولده فكان حلالاً لهم ما ولد معهم ومحرّم عليهم ما كان قبلهم لنصفة الله تبارك وتعالى وعدله في خلقه، لأنّه لا يعذّب قوماً إلاّ من ولي عذابهم لقوله تعالى: ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى. قال العالم: فلذلك وقع التحليل والتحريم في المسوخيّة وهذه علّته.

في تفسير الأدوار السبعة وهي الحج

قال الحكيم: سمعت العالم يقول وقد سألته عن الطّواف سبعاً فقال: دليل ذلك على الظّهورات السّبعة التي يظهر بها أمير المؤمنين في كلّ وقتٍ وأوان وكلّ دهرٍ وزمانٍ، والحجب الإثنا عشر التي ذكرها الله في كتابه لموسى عليه السّلام فقال

تعالى: «اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً» فهذا كلّه دليلٌ على الحجب الإثنيعشريّة وهي مقامات العليّ العلاّم وهي مخلوقةٌ من نوره، وهو الظّاهر بمثلها وهو عزّ وجلّ مدبّرهم وصانعهم، فمن عرف العليّ العلاّم في هذه الأشخاص الأحديّة والوجوديّة إنّه صمدٌ فردٌ لا صاحبة له ولا ولداً، فهو من المؤمنين الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال العالم: وأمّا الأنوار السّبعة فهم الّذين يدورون حول بيت الله الّذي ظهر فيه بالإمامة وبطن بالرّبوبيّة.

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: الأشواط السّبعة الّتي بين الصّفا والمروة يذهب الرّجل ويرجع إلى مكانه، فهو دليلٌ على سبعة أدوارٍ يكرّ فيها المؤمن ويرتقي إلى النّورانيّة ويرجع إلى البشريّة، وأمّا المروة فهي دليلٌ على أنّه يردّ في السّبعة أدوار الظّلميّة الّتي يرجع فيها إلى دار الدّنيا، ويكرّ في كلّ رجعةٍ عشرة أبدانٍ، يبقى فيها المؤمن.

ثمّ قال: والصّفا دليلٌ على أنّهم يصفون في كلّ رجعةٍ وسيصفون في الدّور السّابع من الشكّ والشّرك حتى يصير أحدهم باباً لمن هو دونه، فحينئذٍ لا يرجع إلى البشريّة أبداً، ولا بدّ للمؤمن أن يرتقي إلى النّورانيّة سبعة ثمّ يرجع إلى البشريّة بعد النورانية، ألا ترى إلى قول إبراهيم حيث يقول:«رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى ولكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي»، فطلب إبراهيم عليه السّلام الزّيادة، لأنّه أورى أنّه كان شاكّاً وليس هو إبراهيم الميم منه السّلام، وإنّما هو في هذا الموضع محمد بن أبي بكر، وليس هو شاكّاً، ولكنّه على طريق التّلبيس وإنّما طلب الزّيادة.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول: لا بدّ للمؤمن أن يرتقي إلى النورانية سبع مرّاتٍ ولا يصفو من الكدر والشكّ إلاّ في السّابع، ثمّ يصير بعد السّابع ملكوتيّاً روحانيّاً نورانيّاً، فإذا صار نورانيّاً رجع إلى جوهريّته الكبرى الّتي ليس دونها حجاب.

قال الحكيم: قال العالم منه الرّحمة: هذا دليلٌ على السّبعة أشواط والسّعي بين الصّفا والمروة سبع مرات، دليل على الصّفاء والردّة في درجة المؤمن الامتحان، فلذلك الكافرون يردّون في المسوخيّة سبعاً ويرجعون إلى البشريّة سبعاً حذو النّعل بالنّعل والقذة بالقذة.

قال: وأمّا البيت الحجريّ فهو دليلٌ على الحجاب المحمّدي وهو عبد المطّلب الأكبر، وأمّا الحجر فدليلٌ على أبي طالب الأزهر، الّذي طلبته القرون بعد القرون،

وأمّا زمزم فدليلٌ على العين، لأنّه زمزم كلّ شيء في علمه، وإنّه الأحد الفرد الصّمد الّذي ليس كمثله شيء وهو السّميع العليم. قال الحكيم: فهذا بيان ما قد تحيّر فيه النّاس وتاهوا فيه، فمن آمن بالعليّ العلاّم الأزل ووقف على ما فسّرناه في كتابنا هذا الّذي سمّيناه الأنوار والحجب، وبيّنّاه وجمعنا فيه من الأخبار عن العالم منه السّلام وعمل بما فيه وبحث عن بيانه فقد فز فوزاً عظيماً.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول: أمّا الشّمس فهي تظهر بثلاثمائة وستين حجاباً، يحتجب بها المعنى جلّ ذكره في كلّ يومٍ، وأمّا القمر فهو حجاب القدرة وحجبه خمسة، إذا مضى حجابٌ ظهر في حجاب آخر، والنجوم والنّقباء الإثنيعشر الزّواهر، وغايتهم السّمع والطاعة والرّضا والقبول للباب والقناعة بما يخرج من علم العليّ العلاّم إليهم، والرعاية والمراقبة والنّجيب هو المدبّر لها والمقرب إليها.

قال الحكيم: وأمّا الحجب الإثني عشر أصلها من السّبعة، والسّبعة معناها واحد وهو العليّ العلاّم، لا يحول ولا يزول ولا يتجزأ ولا يتبعّض، وأمّا الحجب الّتي يظهرها في الحجب الظّلميّة البشريّة فهي الأب والأم والإبنة والزوجة والولد والأخ والأخت، هذه سبعة بها يظهر وستة أيضاً يظهر بها في كلّ دهرٍ وزمانٍ، وهي الجدّ والجدّة والعمّ والعمّة والخال والخالة، فتلك ثلاث عشر كاملة لقوله تعالى: «يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ والْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ» فالثلاثة عشرة تمام الحجب الكاملة، والمحتجب بهذه الحجب هو العين الأحد الفرد الصّمد الّذي لم يتّخذ صاحبةً ولا ولد وهو روح الحجب وغاية الأبواب وأبواب الأيتام ونورالنقباء، وهادي النّجباء وغاية المؤمنين، وظهر العليّ العلاّم تبارك وتعالى لخلقه بحجب النّور والظّلمة والإمامة والبشريّة، لم يزل ظاهراً ولم يزل فيها وبها إلى انقضاء هذه الدّولة، ثمّ عرّفهم نفسه وحجابه الميم، ودلّهم به على وحدانيّته، فلذلك كلّفهم بمعرفته وأوجب طاعته عليهم، ودعاهم إليها ولم يفرض عليهم غير ذلك.

قال الحكيم: فعلى المؤمنين أن يعرفوا العين بذاته وحقيقة ظهوراته ويعرفون أنفسهم من أيّ شيءٍ خلقوا وإلى ماذا يصيرون وليس عليهم معرفة بعضهم بعضاً في الحقيقة إلاّ ما دلّهم عليه وعرّفهم إيّاه في هذا الكتاب الّذي سمّيناه كتاب الأنوار والحجب، وهو معروفٌ عند من هو بالحكمة موصوفٌ وقرب اللحوق وبلغ كمال الأصلية والتّصفية من الحدود والخروج من بين الأبالسة إلى النّورانيّة والقرب من العليّ العلاّم الأزل الّذي ليس كمثله شيء وهو السّميع العليم.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول: ليس على المؤمنين إلاّ ما دعوا إليه وظهر لهم يعني أمير المؤمنين وما غاب عنهم علمه فليس عليهم علم ذلك ولا يستبعدهم إلاّ بما عرفهم وحذّرهم.

قال: يعني المقامات الّتي كانت قبل أمير المؤمنين إنّكم لم تستبعدوا فيها وإنّما عليكم معرفة ما ظهر بينكم وليس عليكم إلاّ مقام العليّ العلاّم، وليس عليكم ما وراء ذلك يعني المقامات السّتة من هابيل إلى شمعون، وإنّ العليّ العلاّم جلّ ثناؤه أخرج أهل النّور السّابع إلى الأرض السّابعة يعني الأوّل مع إبليس وولده، فما زالوا فيها سبعة آلاف سنة، وسبعة وسبعون سنة وسبع ساعات، حتّى توافدوا درجاتهم وصاروا مؤمنين في غاية الإيمان وصار الكافر في غاية درج الكفر، وكانوا مسوخاً للمؤمنين يأكلونهم ويذبحونهم ويركبونهم، ويتمتّعون بهم، وهو العصر سبعة آلاف سنة، وسبع وسبعون سنة، وسبع ساعات، فقال الله تعالى في كتابه: «والْعَصْرِ، إِنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ»، قال: خسر معرفة العين عزّ وجلّ بالرّبوبيّة ومعرفة الإسم بالحجابيّة المحمّديّة، ومعرفة السّين بالسّليمانيّة البابيّة، وخسر معرفة العين عزّ وجلّ بالرّبوبيّة، ومعرفة الإسم بالحجابيّة المحمّديّة ومعرفة السّين بالسّلمانيّة البابيّة، وخسر معرفة ظهور الأحد الفرد الصّمد الّذي ليس معه ثاني، وأنكر الأبواب البواطن الّتي ذكرها الله في كتابه فقال تعالى: «وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها» وقال تعالى: «باب حطة وربّ كريم[1]» وقال تعالى: «بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِه الْعَذابُ» وقال تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِه، فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً، ويَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِه مَسْرُوراً، وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِه، فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً، ويَصْلى سَعِيراً» يعني به الظّاهر والمؤمنون مستبعدون في الظّاهر والباطن حتماً، فمن أقامه كان معنا في أعلى علّيّين ومن أسقط عن نفسه شيئاً من الظاهر عن غير أمر الله ودليل منه فقد أشرك بالله ما لم ينزل به سلطان.

قال: وأمّا الكافر فالباطن عنه ساقط فجزاؤه جهنّم خالداً فيها، فالباطن الرّحمة والظاهر العذاب.

---

[1] لا توجد هذه الآية في القرآن ولكن الموجود هو آيتين: «وقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ» «وقُولُوا حِطَّةٌ وادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ».

قال الحكيم محمد بن سنان عليه السّلام: قال: لمّا أنكر الثّاني وذرّيته ولاية العين مُسِخَ هو وذرّيته وكان العين قد قال: من أقرّ بولايتي وفردانيّتي فقد أمن من المسوخيّة وهو في أعلى علّيين ومن أنكر ولايتي وجحد فردانيّتي ركّبت روحه في أبدان المسوخيّة يبقى فيها إلى آخر الدّهر إحدى وخمسين ألف سنة، ثم يخرجون من الوعيد إلى الوعد فيصيرون في مشيئة الله وله فيهم المشيئة.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول وقد سألته عن أهل النور الأوّل حين وفوا الإيمان بمعرفة العليّ العلاّم قال: نعم وفوا بالإيمان ومعرفة الله بالميثاق، ورؤيته في الأبدان وآمنوا في الظّاهر والباطن واستعملوا الإيمان وأقرّوا بالإقرار وعرفوه بالحقيقة، خلصوا من مقاطن الشّياطين ورفعوا إلى مساكنهم من السّماء، فصاروا ملائكة روحانيّين، ثم أنزل الله عزّ وجلّ أهل النّور السّادس إلى الأرض السّادسة، وفيها إبليس السّادس، وولده، فحرم عليهم ما مسخ قبلهم، وأحلّ لهم ما مسخ في زمانهم. قال: فمكثوا بذلك سبعة آلاف سنة، وسبع وسبعين سنة، وسبع ساعات، حتى وافوا درجتهم وبلغوا غاية درجة الإيمان بعد درجة السّابع الّتي صعدوا بها إلى النّورانيّة وهبطوا منها إلى البشريّة، وصار أولاد إبليس الأوّل إلى غاية درجة الكفر، وكانوا لهم مسوخاً يذبحونهم ويأكلونهم وينتفعون بهم على المثال الأوّل.

قال: فرفع العليّ العلاّم المؤمنين إلى السّماء وجعل أهل إبليس الأوّل وقد أعتقوا من الخدمة والذّبح والأكل والقتل والسّلخ، فصار منهم الوحوش الّتي يستوحش النّاس منها والطّير الّتي في جوّ السّماء لا تؤكل ومحرّم أكلها، ثم أنزل الله أهل النّور الخامس إلى الأرض الخامسة، وفيها إبليس الخامس، وولده، فمن كان من المسوخ من قبل أن يحرّم ذلك عليهم وحلّ لهم ما كان في الدّار معهم ممّن والوه ووالاهم.

قال: فمكثوا في ذلك سبعة آلاف سنة وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات، ثم ردّوا بعد تلك المدّة إلى مكانهم من السّماء، وفعل بهم ذلك سبع مرّات بأهل كلّ نورٍ وكلّ إبليسٍ وولده مسخهم سبع مرات وردّهم إلى البشريّة، وفعل ذلك بكلّ إبليس وولده حتى يبلغ إلى آدم الأوّل، فأنزلوا من السّماء السّابعة الّتي فوق السّموات إلى الأرض السّابعة الّتي فوق الأرضين، ثم جمعوا كلّهم فطاف عليهم بكثرتهم وجمع أجناس المسوخ من الهوام والخشاش وغيرهم فيها، وسمّيت دار المحنة ويقال محنة الدار، وهي درجة المؤمن الممتحن وهي آخر الأدوار والأعصار.

قال: فكلّ شيءٍ ارتفع عن الجلّة ولطف في الخلقة من الأحياء وعجائب الليل والنّهار مما يدركه النّظر وممّا لا يدركه، فهو من المسوخ الأولى الّتي حالت أبدانها فجعلت في الخيال ونسخت أرواحها، فجعلت في المعاقل الضيّقة من الحشرات وغيرها، تسكن في القفار وغيرها، أما ترى أيّها الطّالب من عجائب ربّك ربّما قعدت على جبلٍ أو في السّهل أو في الوعر أو في البرّ أو في البحر، فترى من الهوام ما لا عدد له ممّا يضرّ وينفع، فترى الكبير منه أصغر من الذرّة.

قال: فتلك من أهل المسوخيّة الثّانية، وأجلّ من ذلك السّادس، وأجلّ من ذلك السّابع، وأجلّ من ذلك ما لا تقع عليه.

قال الحكيم محمد بن سنان: تفكّر أيّها الطالب رحمك الله احتياطاً لنفسك وإحكاماً لأمر دينك، فإنّي سمعت العالم يقول: حرامٌ على من بلغ ولاية أمير المؤمنين ولم يبلغ فيها الغاية القصوى، فعليك بملازمة أهل العلم ممّن يدين بدين الله، وترك المماراة في الدّين، وترك الوقيعة في النّاس، واخضع لمن عنده علم تحتاج إليه، فإنّ ذلك فريضةٌ عليك، وزينةٌ لك، وفخرٌ عليك في الزّهد في معصية الله تعالى والورع عن محارمه، وعليك بالعبادة فيما يقرب إلى الله زلفى والاجتهاد والزّهد والعبادة في ظاهر الأمر وباطنه، فمن ترك الظّاهر بعد أن عرف الباطن سُلِبَ منه الظّاهر والباطن.

قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: حرامٌ على من أسقط عن نفسه شيئاً من الظّاهر بعد أن عرف الباطن، آليت على نفسي أن أعذّب من يفعل ذلك العذاب الأليم.

قال الحكيم: سمعت العالم يقول لأصحابه من أهل التّوحيد: يا شيعة عليّ عليكم في الصّدق بالحديث وغيره وعليكم بأداء الأمانة إلى كلّ برٍّ وفاجرٍ وأدّوها إلى قاتل الأنبياء، ثمّ أدّوها إلى قاتل الحسين عليه السّلام، فمن لم يفعل ذلك فإنّه في النّار في أشدّ عذاب، نعم وأدّوها إلى من بارزني بالمحاربة، فإنّي قد افترضت عليكم الصّدق بالحديث وأداء الأمانة، فإن قبلتم وصيّتي كنتم معي وإن أبيتم فقد أوجبت عليكم وعيدي في النّار مثواكم وبئس المصير.

قال الحكيم محمد بن سنان: سألت العالم منه السلام عن الغيم والمطر؟

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق المطر من أعمال المؤمنين فالغيم من غمّ المؤمنين، والمطر من أعمالهم، وذلك أنّ العليّ العلاّم احتجب بالبشريّة عن المؤمنين

والكافرين، فاغتمّ لذلك المؤمنون حيث لم يعاينوه بالنّورانيّة الّتي هم عليها، فخلق الغيم من ذلك الغمّ، ثم أقبلوا يطلبوه ليعبدوه، فخلق من ذلك العمل المطر، فجعل في الغيم لأن الغيم كان قبل المطر، ثم خلق المطر في الغيم من أعمال المؤمنين، ألا ترى إلى المطر إذا جاء لا يبقى شيئاً إلاّ بلّه من الإنس والجنّ وكلّ ذي روحٍ وبدنٍ وهوام الأرض، وكل مغارةٍ وسهلٍ وجبلٍ، وذلك أنّه إنّما ينزل عليه علمه، فينبت به كلّ شيء، وينتفع به كلّ شيءٍ، وكلّ جنسٍ بجنسه، وكلّ نوعٍ من المسوخيّة، لأنّ العليّ العلاّم عدلاً لا يجور وحاكمٌ لا يظلم أبداً. قال: وأمّا المطر الّذي يكون في بلدٍ دون بلد، فإنّما يعطي كلّ قومٍ بما اكتسبوا وذلك إنّه لم يساوي بينهم في وقتٍ واحدٍ، لأنّهم عملوا في أوقاتٍ مختلفةٍ فجاءهم المطر مختلفاً.

قال الحكيم: سألت العالم منه الرّحمة عن صفة الظّهور وأصل التّوحيد؟

فقال: أمّا أصل التّوحيد فهو أمير المؤمنين، ومحمد فرعه، وسلمان دليله، لأنّه تعالى ظهر للوجود ودعاهم إلى فردانيّته، فمن أقرّ به كان مؤمناً، ومن ساوى به كان مشاركاً، ومن جحده كان كافراً، فهذا أصل التوحيد، وجعل الدّليل عليه حجبه وأبوابه ورسله، ونفسه الّتي عرف بها وهو قبلة لكلّ مصلٍّ، والقبلة محمّد منه السّلام، والله دعا الخلق إلى معرفته ومعرفة أسمائه وحجبه، وإنّ المعنى العليّ العلاّم كلّما غيّب شخصاً أقام شخصاً لميقاته، والمعنى في ذلك واحد أحد.

قال الحكيم محمد بن سنان: سألت العالم علينا سلامه عن قوله تعالى: «إِذا جاءَ أَمْرُنا وفارَ التَّنُّورُ»؟ قال: إذا قام قائمنا ونطق بتوحيد ذات الله عزّ وجلّ ودعا إليهم، ثمّ يكشف الغطاء فيومئذ لا تقيّة.

قال الحكيم: وسألته عن الصّفات على ماذا تقع؟ فقال: إنّما تقع الصّفات على النّفس الّتي هي حجاب الذّات وهو الميم وأمّا المعنى فلا يقع عليه اسمٌ ولا صفة.

قال: وأمّا صفة الفعل فإنّها تقع على الرّوح يقال لها روح القدس، وهي الرّوح الّتي تحلّ في الأنبياء وهي روح الميم إليه التّسليم.

قال: وسألته عن صفة الذّات؟ قال: الذّات في النّفس والنّفس في البدن والبدن صفة فعلا لا صفة الذّات. **قال الحكيم: وسألته عن المؤمنين؟** فقال: هم الأنوار مختلطون بالظّلام إلاّ من عصمه الله وخلّصه وصفّاه من الظّلام، والأنوار كلّها متضادّة بالظّلام مضروبة بالآفات، إلاّ النّور الأوّل القديم الإلهيّ، فإنّه أحد كلّه نورٌ كلّه، لا ظلام فيه، والأنوار كلّها محتجبةٌ بالظّلام إلاّ الأنوار المضيئة الصّافية، فإنّها

غير معلولة. قال العالم منه السّلام: إنّ النّور المحدث الظّلمانيّ هو من النّور الأول، لا يخرج منه إلاّ إليه.

قال الحكيم: سألت العالم منه الرّحمة عن النّفس والإنسان والرّوح؟

قال: أمّا الإنسان فهو إسمٌ لمعنى البدن، والبدن بدن الرّوح، والبدن ميّت والروح حيّ إلى ما شاء الله، والرّوح هي الفاعلّة الحسّاسة الدّرّاكة، وهي نور من أربعة آلاف جزء من عظمة الله، وهي روح من روح الله، ليست بمخلوقة ولا خالقة، وهي من الله وإلى الله، منه خرجت وإليه تعود. قال: وأمّا النّفس فغلاف الرّوح، والرّوح مدبّرة البدن، والنّفس والبدن حجاب الرّوح.

قال الحكيم محمد بن سنان: سألت العالم منه الرحمة عن قوله تعالى: «فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ ولا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها»؟ قال العالم: معناه أنظروا إلى من فوقكم بالعلم، فالتمسوا التّعظيم له والاستماع منه والانقياد إليه، والانتهاء عمّا نهاكم عنه من صغير أو كبير، وأدّوا الحقّ إليه، ولا تعثوا في الأرض مفسدين يعني لا تقربوا الفساد في المؤمنين، وتقوى الله خيرٌ لكم، فإنّ بها الصّفا من البشريّة، والأمن من المسوخيّة إن كنتم تؤمنون بالعليّ العلاّم.

قال الحكيم محمد بن سنان الزاهري: سألت العالم منه السلام عن الشّمس؟

قال: هي حجاب الله الأكبر، ففيه يحتجب المعنى في كلّ يومٍ وليلة، وهي الثلاثمائة وستون حجاب، وهذه الحجب أصلها كلّها واحد والواحد لا نهاية له والأحد الأزل مولاه، الّذي لم يزل أحديّ الذّات كان قبل الخلق بلا تكوين.

قال: والحجاب الواحد منه الحجب السّبعة، والحجب الإثني عشر من الحجب السّبعة، والحجب الثّلاثين وهي أيّام الشّهور من الإثني عشر وأيّام السّنة من أيّام الشّهور والأنوار السّبعة أصلها من الواحد والواحد أصله أحدٌ فردٌ صمدٌ لم يتّخذ صاحبةً ولا ولد، ظهر بالإمامة وبطن بالرّبوبيّة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

قال الحكيم: السموات سبعة، والأرضون سبعة، والبحار سبعة والنجوم سبعة، والأيام سبعة، والأنوار سبعة، وحجب النّور سبعة، وحجب الظّلمة سبعة.

قال الحكيم: وهذا كلّه دليلٌ على الأنوار السّبعة، وفوق كلّ ذي علمٍ عليم، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

كتاب الصّراط

للمفضل بن عمرو

لما كانت عقِدة العلويين لا تؤمن بالقيامة والآخرة فقد كان لا بد من شرح يقود إلى تفسير الصراط الّذي يسلكه السالك حتى يصل إلى الآخرة وما هي العقبات التي تعترضه وإلى أين يصل في النهاية ويدل الكتاب على درجات العالم الكبير النوراني والدرجات التي من المفترض على المؤمن أن يقطعها ويصل بها إلى نهاية ما يمكنه بلوغه وكيفية الإمتحان للتنقية والوصول إلى الصفاء .

مقدّمة الكتاب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

رواه الشّيخ أبو الحسين محمّد هدري رحمه الله قال: روى الشّيخ الفاضل الثّقة أبو الحسين محمّد بن عليّ الجلّي قدّس الله روحه يرويه عن سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدّس الله روحه وشرّف مقامه وأعلى درجته قال:

حدّثني محمّد بن منصور البغدادي قال: حدّثني أحمد بن إسحق البزّاز قال: حدّثني الحسين بن محمّد القمّيّ عن ماهان الأبلّيّ عن يونس بن ظبيان عن المفضّل بن عمر عليه السّلام أنّه قال: سألت مولاي جعفر منه السّلام وقد حضر جماعةٌ من

أهل التّوحيد والإقرار عن معرفة الصّراط وشرح باطنه وبيان نعته فقال مولاي منه السّلام.

يا مفضّل عَمِيَ الخلقُ عن معرفة الباريء فكيف لا يعمون عن الأوصاف والنّعوت، وذلك أنّ الإنسان يجب أن يكون أشدّ تبصّراً، وأشدّ تفرّساً، وأجدّ إختباراً بظنّ نفسه وذلك أنّه تعالى ظهر لخلقه بالنّورانيّة [1] وأظهر بها وأوجدهم نفسه ودلّهم على ذاته فناجاهم خطاباً واضحاً ونطقاً بيّناً وعياناً وإيجاداً وعرّفهم أنّه الخالق لهم فقال وقوله الحقّ: ألست بربّكم قالوا بلى وكان ذلك السّؤال إعترافاً وإختباراً إختبرهم هل يعرفونه وإنّما قال: ألست بربّكم كما أوضح لكم فقالوا بلى إجابةً بالمعرفة والإقرار له قبل السّؤال وذلك أنّ الله تبارك وتعالى لم يك يسأل من لم يعرفه ولا عاينه ولا أقرّ به فيقول: ألست بربّكم وإنّما كان ذلك السّؤال عن معرفة متقدّمة وكانوا عن ذلك من العماية والشّكّ فيه مع الإجابة والإقرار وهم في دور النّور أشدّ تيهاً وحيرة منهم فيه عند ظهوره بالبشريّة لهم فإنّه لمّا أظهر لهم الأفعال وأوجدهم أنّه كهم ودعاهم إلى الإقرار به كما أقرّوا في ذلك الوقت وقد ظهر لهم باللاّهوتيّة العظمى والنّورانيّة الباهرة فلمّا إشتكل عليهم الحالان صدّوا عنه العالم ونسبوا الأفعال الّتي بدت منه إلى السّحر والكهانة لأنّهم عرفوا السّحر والكهانة وما هما وباطنهما وما نعتهما وأيّ حجّةٍ تلزم العالم في معرفة السّحر والكهانة وممّا أضلّت وعلى ما فرّعت وإلى ما تؤول.

واعلم يا مفضّل أنّه ما قام الله مقاماً مذ أظهر آدم وهو السّيّد محمّد منه السّلام إلاّ وقد خاطبه العالم بأنّه ساحرٌ وأنّه كاهنٌ وكان من ذلك قول الملائكة حين قالوا بزعمهم والملائكة لم تقل ذلك لأنّ هذا تبديلٌ في الكتاب وهو قوله أتجعل من يفسد فيها ويسفك الدّماء والفساد أراد به السّحر والكهانة وكذلك كان من قابيل مع هابيل ولم يتقبّل من قابيل قال لهابيل إنّك ساحرٌ سحرت النّار حتّى أحرقت قربانك وسحرتها حتّى لا تمرّ بقرباني فحسده ونسبه إلى السّحر فقتله وكذلك كان في شيث ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وكلّ ما بيّنهم من الظّهورات الّتي ظهرت فيهم بالنّبوّة والرّسالة ما رموهم فيها بغير السّحر والكهانة وأخبر الله عزّ وجلّ بذلك عنهم

---

[1] راجع رسالة الأندية للشّيخ الثّقة النّداء الأوّل

وبيّنه في كتابه فمن قوله: «إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ» وقوله: «إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما ويَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى»، وقوله: «قالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ»، وقوله: «فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسى بِآياتِنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرىً وما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الأَوَّلِينَ»[1] وقوله: «إِنْ هَذاَ إِلاَّ إِفْكٌ افْتَراهُ وأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ» [2] وقوله: «لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وقالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ»[3].

هذا يا مفضّل من صحّة عزمهم وإثباتهم على الجّحود والكفر بكلّ ما ظهر في البشريّة من الظّهورات والمقامات لأنّهم قد أصرّوا على جحودها والكفر بها ولا يرجعون عن إعتقادهم وجحودهم.

وآيٌ في القرآن كثيرٌ في السّحر يطول عليكم ما هي وما وصفها وإن كان يسيرها في أيديكم من الكتاب وهو جزءٌ من ستّين جزءاً ثمّ السّتّين جزءاً من ستّمائة جزءٍ وإنّ السّتّمائة جزءاً هي جزءٌ من ستّة آلاف جزءٍ وإنّ السّتّة آلاف جزءٍ هي جزءٌ من ستّمائة ألف جزءٍ وإنّ السّتّمائة ألف جزءٍ هي من أجزاء لا نهاية لها ولا لعددها ولا آخر لها كما قال تبارك إسمه قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي ولَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً فإذا كان هذا وصفه فما يكون آخره وأين نهايته وهل يدرك كنهه وذلك أنّ الكلام بدوه من المتكلّم فإن وجدت للمبتديء إبتداءً فإنّك تجد للكلام أوّلاً ونهاية فإعقل هذا يا مفضّل وليعقله أهل التّوحيد والمعرفة لله تعالى وأن ليس فيه ولا وكيف وما فإنّ من قول ولا وكيف وما هلك الظّالمون وتاه الشّاكّون.

واعلم يا مفضّل أنّه ما قام مقاماً في البشريّة بين هذا الخلق في سالف الأكوار والأدوار والأحقاب والأعصار إلاّ وقد وصف العالم أفعالهم بالسّحر والكهانة وجاهدوهم بها إلى ظهور السّيّد الأكبر محمّد منه السّلام أبهرهم بالأفعال الباهرات والآيات البيّنات والدّلائل الواضحات وأوجدهم إيّاها سماويّة وأرضيّة فأوجدها عياناً

---

[1] وقد وردت في المخطوطة فلمّا جاءتهم آياتنا بيّنات قالوا إن هذا إلاّ سحرٌ مفترى ما سمعنا...

[2] وردت في المخطوطة بدل إفك كلمة سحر.

[3] وردت في المخطوطة ولولا بدل لولا وبحذف أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل.

من معانيها فأحيا الموتى وأمات الأحياء وكان ممّا وصف به نفسه فقال تعالى ذكره بل الله يحيي ويميت فأراهم في السّموات آياتٍ وفي الأرض آياتٍ فأبهرهم بعد رميهم له بالسّحر.

ثمّ إنّه أوجدهم في أشخاص أقامها مقام الإمامة عدل بها عن النّبوّة وكان العالم ينسبون الأنبياء في مقاماتهم إلى السّحر إذا أظهروا الدّعوة والشّريعة فكانوا يقولون إنّ هؤلاء يدعوننا إلى القبول والتّصديق لهم بسحرهم فلمّا أظهر مثل ذلك في مقامات الإمامة بغير شريعة ولا دعوةٍ رموا من قبل وسلّم إليه بالكفر وقالوا فيهم إنّهم يقولون إنّ الإمام الّذي أتى بهذه الدّلائل الواضحات والمعجزات الباهرات ربّاً فزادت رتبة الإمام على رتبة النّبيّ الّذي رموه بالسّحر والكهانة ورموا من أجابه أنّه قد قبل سحره وآمن وصدّق به ورموا الإمام أنّه إدّعى الإلهيّة وأنّ من أجابه قد عبده وكفر بالله فإنظر يا مفضّل إلى هاتين المنزلتين في العالم وذلك أنّ مولاك لم يظهر فيهم ذلك ويقيم مقامات الإمامة إلاّ بعد الإعذار والإنذار والرّسل في مقامات النّبوّة وإثبات الحجّة عليهم.

فلمّا قرب كشف الغطاء وظهوره لهم بالمخاطبة الأولى والمشاهدة القائمة أظهر لهم مقام الإمامة بعد النّبوّة وكذلك جرت قدرته في الأكوار والأدوار والأحقاب والأعصار على سنّةٍ واحدةٍ لا يزيد زمان على زمان ولا أوان على أوان تلك هي الحكمة القائمة الحقيقيّة إذ لا نهاية لها ولا غاية وذلك وجود الباري الموجود من حيث عدم الموجود وبأنّ العدم من حيث وجود العدم وذلك لمّا بطن بظهوره ظهر في بطونه وإحتجب في كشف ذاته فكانت القدرة جارية وخفيّة بادية عند إعادته لها وكان الخلق المنكوس عند ذلك على منهاجٍ واحدٍ سواءٌ عليهم جحودهم وجوده مع عدمهم في بطونه لا يسلّمون ولا يعرفون شريعةً ولا حدّاً ولا حقّاً.

فاختبرهم بذلك مدّةَ إرادته فيهم ثمّ أشرع شرائع وأخبر أنّ لكلّ شريعةٍ منهاجاً ومقصداً جزاءً وعطاءً ثمّ إنّه أبان فضل الشّرائع وأوضح لهم تلك المقاصد وشرح الجّزاء وأوضح العطاء وجعلهما على حالين في العالم تجري دائماً لا غيرها وهما الأمر والنّهي وهما اللّذان تجري بهما كلّ طاعةٍ ومعصيةٍ وإيمانٍ وكفرٍ وعدلٍ وجورٍ وحقٍّ وباطلٍ وصدقٍ وكذبٍ وأمنٍ وخوفٍ وغمٍّ وفرحٍ وعسرٍ ويسرٍ وبؤسٍ ورخاءٍ وبعدٍ وقربٍ وسلمٍ وحربٍ وحمدٍ وذمٍّ وشكرٍ وجحدٍ وغفرانٍ وإنتقامٍ وعذابٍ وراحةٍ

وسعادةٍ وشقاءٍ وحياةٍ وموتٍ وشرٍّ وخيرٍ وكلّ شيءٍ يقع مواقع ما نعته لك فهو يجري ويكون كونه بقول هذين الوصفين وهما الأمر والنّهي فما كان من أمرٍ أمر الله به واستنّه العالم وصاروا عنده وإئتمروا له وكان لهم عليه العطاء وكانت لهم المنازل المحمودة في هذه النّعوت وما كان من نهيٍ نهى الله عنه وأتوه عناداً ولم يقبلوه وكان لهم جزاءً وقد جعل الله لها حدوداً وشروطاً ونهى أن يتّخذ هؤلاء الّذين هم بهذين الحالين بعضهم لبعض أولياء فقال عزّ وجلّ: لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وقال: الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ.

فأهل الإقرار هم الّذين عملوا بالأمر وتجنّبوا النّهي وأهل الكفر هم الّذين تمسّكوا بالنّهي وخالفوا الأمر قال تبارك وتعالى: قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّه تَفْتَرُونَ وقال: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسانِ» وقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهْلِها» وقال: «إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذه الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَها ولَهُ كُلُّ شَيْءٍ وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» وقال: «وكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» وقال: «أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وفارَ التَّنُّورُ».

فهذا يا مفضّل دليلٌ أنّ كلّ أمر الله في خطابه على ما قدّمت إليك وبذلك عرفت الطّاعة والمعصية لأنّ أمره حقٌّ مقصودٌ.

و أمّا ما كان من نهيٍ نهى الله عنه مثل قوله سبحانه: «ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذه الشَّجَرَةِ، يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغْيِ» وقوله: «وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» – وما يقع مواقع النّهي – وقوله تعالى «ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّه إِلاَّ الْحَقَّ» وقوله: «لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» وقوله: «لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ» وقوله: «ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ» وقوله «أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ» وقوله: «ولا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ» وقوله: «ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ» وقوله: «ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى» وقوله: «لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ، مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمِهادُ» وقوله: «ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّه إِلاَّ الْحَقَّ» وقوله: «ولا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وساءَ سَبِيلاً» وقوله: «ولا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» وكلّ الأمر في كتاب الله هو نهيٌ فالأمر والنّهي يجمعان الطّاعة والمعصية فترك الأمر وإتّباع النهي هو الكفر وإجتناب النّهي وإتّباع الأمر هو الإيمان.

فأمّا النّعوت الّتي نعتُّ لك والأوصاف الّتي وصفت لهذين الحالين وهما الأمر والنّهي فلهما مصادر وموارد منها:

الميزان: وهو قوله تعالى ونَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وقوله: فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ وأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ وما أَدْراكَ ما هِيَهْ نارٌ حامِيَةٌ وقوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُو مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ وقوله: وإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وكَفى بِنا حاسِبِينَ ومن الموازين آياتٌ كثيرةٌ يطول شرحها ثمّ إنّه جعل لها حفاظاً يحفظونها فقال تبارك وتعالى: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.

وقوله: «وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ»، وقوله:«وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ» وهما هؤلاء المتلقّيان، وشرح الحفاظ طويلٌ ثمّ وصف الكتب فقال: «وكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً، اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً » وقوله: «يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ » وقوله: «ولَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ » وقوله: «وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ» وقوله: يخبرونهم بإعترافهم بالكتاب «ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها ووَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً».

وهذا يا مفضّل إخبارٌ عمّن كان وقد قيل مراراً ويقال إستئنافاً بعد هذا فقوله: لكلّ أجلٍ كتاب فالأجل الكون كما قيل أنّ أجل الشّيء مدّته وكونه له ونعت وأوصاف فيما كان قبلها ويكون وهي كذلك بدوام الملك كون الملكوت لا نفاذ له ولا إنقطاع ولا يغرّنّك من هلك فإنّه لن يعود، ولا من يعود فإنّه يهلك ولا من هلك إلاّ كمن كوّن ولا من كوّن إلاّ كمن هلك ولا فرق بينهم ولا تباين إلاّ ما أدارتهم الدّهور وأعادتهم الكرّات ثمّ إنّه يا مفضّل جعل الله الغاية من تناهي ذلك ثمّ بيّن الكيل والميزان.

وقال في التّوراة: بالدّين الّذي تدين به تدان وبالكيل الّذي تكيل به يكال لك، ثمّ بيّن الكتب وجعلها إعتباراً ثمّ قال بعد ذلك صراطٌ ممدودٌ ووصف الصّراط وذكره

في القرآن ثمّ قال بعد ذلك صراطٌ ممدودٌ ووصف الصّراط وذكره في القرآن كثيراً وذكر أنّ له سبع عقابٍ وأنّه ذو حدّةٍ أحدّ من السّيف وذو دقّةٍ أدقّ من الشّعرة وأنّ فيه صعوداً وهبوطاً ونعته بنعوت أذهلت العقول ووجلت لها القلوب وتحيّرت الألباب وهذا بدء مسألتك يا مفضّل وإنّما قدّمت لك من الجّواب ما سلف لك من الخطاب ليصحّ لك الحقّ ويشرح لك معنى الصّدق ولتعلم بذلك أنّ المسؤول أعلم من السّائل والمفهّم أعلم من المستفهم وأنّ المسمع أبلغ من المستمع.

فكن لجوابك واعياً وعليه مواظباً وحثّ عليه وواظب إليه فإنّي أشرح لك من باطن مسألتك ما بيّنت لك هداك وتعرف عند ذلك ربّك ممّا لك ممّا لكلّ أجيرٍ أجره ولا على المعترف غير وزره.

فاعلم يا مفضّل أنّ الله جعل الأبواب مفاتيح الخير وجعلك أحدها إذ خصّك بالسّؤال عن الحكمة بإستنباطك لتناهي العظمة.

و قد قال السّيّد الأكبر محمّد منه السّلام: إنّ الله خلق خلقاً جعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشّرّ والخير هو الباطن والشّرّ هو الظّاهر وأنت أحد ذلك الخلق وعليك بيان ما ألقيته إليك وأكشفه لك لتكشفه وتلقيه لأهل عقاب الصّراط الّذي لا يرتقي المرتقي إليها إلاّ بمقدار علمه وإجتهاده فإنّه إن كان له علمٌ وعملٌ يجوز به عقبة جازها وإن زاد علمه وعمله بمقدار ما يلحق به عقبة ثانية لحق بها وإن رقّاه عمله وعلمه إلى ثالثة رقا إليها إستوجب أن يرفعه مولاه إلى العقبة الرّابعة وهي عقبة النّجيب فيكون عند ذلك قد جاوز ثلاث عقاب وإن زاد إلى خامسة إرتفع إليها وإن رقّته إلى سادسة رقى إليها فهو كذلك إلى تناهيه إلى سبع عقابٍ.

وأنا أشرح لك معنى ما ابتدأتك فثق بمولاك وسلّم لأمره وإذا شرحت لك فإحفظ وإذا أخبرتك به فإحفظ وكن للمستمع ناصحاً كنصح مولاك لك ومشفقاً كإشفاق مولاك عليك فإنّك سبب هذه العقاب ومقصدها وإليك تناهي بلوغها فبلّغ إلى العالم مسلك الصّراط وتجاوز العقاب وإزدلافها وما دام الخلق يعجزون عن البلوغ إلى نهاية العقاب السّبع فإنّهم في تعبٍ ونصبٍ وشقاءٍ وطلبٍ.

في العقبات الّتي تعترض المؤمن

واعلم يا مفضّل أنّ أوّل عقبة يسلكها العارف الطّالب فهي عقبة الممتحن وأنّه إذا سمعها الطّالب المريد من الممتحن علماً باطناً فحمله وأقرّ به وسلّم إليه وواظب عليه وطلب الزّيادة منه فقد إستوجب أن يبلغه مولاه ويزلفه إلى العقبة الثّانية.

وهي عقبة المخلّص فإنّه إذا بلغ إلى سماع علم المخلّص فقد جاز العقبة الأولى ووصل إلى العقبة الثّانية فهو عندها واقفٌ وإن كبر عليه ما ألقي عليه من علو الممتحن وما سمعه منه ولم يحمله وشكّ فيه أوقف دون تلك العقبة ولا يزال موقفاً عندها وعليها حتّى يزول عنه ذلك الشّكّ والضّعف المعارض له فيمرّ به ما يمرّ من شدّةٍ على ما يصف أهل الظّاهر من هول العقاب والسّقوط عنها والتّثبّت بها وإنّ ذلك السّقوط عنها هو الشّكّ فيما يرد عليه من علم العقاب وصاحب العقبة والرّجوع عنه.

والتّثبّت هو الوقوف والقبول من العقبة فإنّه إذا شكّ بما يقال له من العلم سقط وإن عاد إليه ولوى إليه وقبله وتمسّك به وأجهد نفسه ومعاناته في طلب الزّيادة من علم صاحب العقبة تثبّت به ولا شيء أشدّ من هذا العلم وحمله والجّزاء على إنكاره ومعاناته والشّكّ فيه والتّقصير بمعرفته فإذا حمل علم المخلّص وقبله ولم يشكّ فيه فقد أسعده مولاه وبلغه أن يسمع من المختصّ العلم ويكون قد جاز عقبتين من مسلك الصّراط وعلا إلى الثّالثة وفي كلّ عقبةٍ من هذه العقاب السّبع إذا علا إليها ورد عليه علم ما هو أعلى وأنفع وأرفع ممّا سمعه من العقبة الّتي دونها وكلّ ما حمل من ذلك العلم إستوجب أن يسمع ما هو أعلى وأرفع وأنفع من ذلك وكلّما قصّر من علم عقبةٍ كان جزاؤه على عجزه الدّرجة العالية العظيمة أعظم من جزائه في العقبة الّتي كانَ عليها ورقي منها.

وإذا حمل علم المختصّ وما يلقيه إليه ويظهر عليه إستوجب أن يرفعه مولاه إلى العقبة الرّابعة وهي عقبة النّجيب ويكون عند ذلك قد جاوز ثلاث عقابٍ من مسلك الصّراط ووصل إلى الرّابعة منها وإذا سمع علم النّجيب وحمله فصبر عليه

ولم يجحده ولم يشكّ فيه إستوجب أن يجوز تلك العقبة ويعلو إلى ما فوقها من العقاب ويصير من أهل الصّفاء والتّخلّص.

و يعلو إلى سماع علم النّقيب ودلائله وبراهينه ويكون عند ذلك ويكون عند ذلك قد جاز أربع عقاب من مسلك الصّراط وعلا إلى الخامسة منها وصار في منزلة من يحلّ الملكوت وإذا حمل علم النّقيب ولم يشكّ في جميع ما يرد عليه وما يظهر له وكان مسلماً ويعلم أنّه لا يدعوه إلى باطلٍ ولا يردّه إلى ضلالٍ إستوجب أن يعلو درجة إلى سماع اليتيم ويكون قد جاز إلى خمس عقابٍ من مسلك الصّراط وعلا إلى السّادسة منها صار بمنزلة الشّاهدين والطّائفين.

فإذا سمع علم اليتيم وقبله وسارع إليه وعلم أنّ سمعه من قبل صغيراً إنّما يسمعه ممّا يسمعه من علم اليتيم وأنّ مولاه يزيده معرفة وتقيّة ويقيناً وخبرة لأنّه يختبر فيها الإختبار العظيم ويظهر له من اليتيم الإختبار وكثيرٌ يتلوه.

فإذا ثبت عنده ذلك ولم يزل ولم يشكّ إستوجب أن يبلغ بفضل مولاه وإحسانه إليه أن يسمع من الباب علم مولاه صراحاً وكشفاً وعياناً فيكون بعد المشاهدة معاينة بالنّظر ويجمع له الأحوال الّتي سلفت في جميع العقاب فيكون إن شاء غائباً وإن شاء حاضراً وشاهداً وثابتاً ومعايناً ومستمعاً لا يغرب عليه شيءٌ من طلبته وإرادته وبغيته ويكون عند ذلك سبباً من أسباب الله وحجّةً على أوليائه ونقمةً على أعدائه وسراجاً يستضاء به ومكاناً يشار إليه وقد جاز من مسلك الصّراط ستّ عقابٍ وبلغ العقبة السّابعة وعليه عند بلوغها الإجتهاد والطّلب والمواظبة وجمع العزيمة والزّيادة بالتّعبّد.

فإنّه إذا تكاملت به السّبع العقاب فإنّما ورائها ظهور مولاه وعيانه إيّاه وسماعه لخطابه وبلوغه إرادته وهي العقبة الّتي نعتها الله ووصفها في كتابه فقال: «فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَة» فإنّه إذا صار إلى تلك العقبة السّابعة وحصل فيها فقد خرج عن التّعبّد وصار حرّاً محرّراً علم فإستغنى عن معلّمٍ وبصر فإستبصر فغني عن الإستماع ووجد ما طلب فغني عن البحث.

واعلم يا مفضّل أنّي مبيّنٌ لك باطنه باطناً ثابتاً وشرحاً واضحاً.

معرفة العقاب ومنازلها

يا مفضّل إنّ عقبة الممتحن الّتي يصير إليها الطّالب ويسمع منها فهيٍ ظهور الممتحن لذلك الطّالب وليس يظهر لكلّ طالبٍ وإنّما يظهر لطالبٍ محق صادقٍ مستوجبٍ له فإذا ظهر له الممتحن وسمع منه وحمل عنه وأقبل عليه وليس يظهر له غيره من أهل المراتب العلويّة أهل العقاب حتّى يستوجب بظهوره له وقبوله منه ظهور صاحب العقبة الثّانية له وعند ظهورالممتحن لهذا الطّالب يكون محلّه في السّماء الأولى لا يجاوزها إلى الثّانية.

فإذا وصل إلى العقبة وهي المخلّص فليس يظهر له سواه ولا يشاهد غيره وغير الممتحن ويرقى إلى السّماء الثّانية فيكون له فيها محلٌّ يحلّه كما كان في السّماء الأولى لا يجاوز هاتين السّمائين إلى الثّالثة.

حتّى يستوفي من المخلّص العلوّ إلى العقبة الثّالثة فعند ذلك يظهر له المختصّ ويرقى بظهوره له وسماعه منه وإقباله عليه فيصير له محلٌّ في السّماء الثّالثة كمحلّه في هاتين السّمائين ومنزلةٌ مثل منزلته فيها فيحلّها وكذلك عند كمال قبوله من المختصّ يظهر له النّجيب فيعاينه ويشاهده ويعلم منه ما يطلعه عليه ويلقيه إليه.

ويكون عند ذلك مشاهداً ممتحناً ومخلّصاً ومختصّاً ونجيباً ويكون محلّه في السّماء الرّابعة مثل محلّه فيما قبلهما من السّموات ويرقى إليها ويهبط منها ويحلّ في أيّها شاء إن شاء الأرض فإنّها له لأنّه قد ملكه كلّما أراد أن يأتيه منها أتاه وذلك أنّه لا يرقى إلى المحلّ العالي حتّى تزول عنه المراتب الأرضيّة البشريّة وإذا تكامل ذلك فيه رقي إلى المحلّ العالي العلويّ وصار من عالمه وهي رتبة العالم النّورانيّ.

و إذا استوجب بقبوله وإجابته للنّجيب ظهر له النّقيب ويكون فيذلك الظّهور مشاهداً من ظهر له لا يجد أحداً ممّن لم يظهر له حتّى إستوجب بقبوله وصفائه الآخر ممّن يظهر له مع ظهوره محلاً في السّماء الّتي هي أعلى من الّتي دونها وكذلك بقبوله من النّقيب وطاعته وتسليمه إليه يظهر له اليتيم.

ويكون بذلك قد جاز خمس عقابٍ من مسلك الصّراط وصار إلى السّماء السّادسة.

فيحلّها ويصير له إرتفاعٌ ويعرف جميع ما يحلّ السّتّ سماوات من أهل المراتب والدّرج ويصير له إسماً مثل أسمائهم ومحلاً كمحلّهم ونعتاً كنعوتهم يصير في الأرض ذلك الإسم البشريّ عند العالم وينزلونه منازل الضّرّ والسّعد والنّحس.

فإذا ثبت على معرفة اليتيم وأقرّ به ولم ينكره ولم يشكّ فيه ولم يكبر عليه ما يورد عليه وعلم أنّ الّذي سمعه قبل ذلك صغيراً فيما يسمعه من علم اليتيم إستوجب بقبوله من اليتيم وطاعته له وتسليمه إليه ورضاه أن يعليه مولاه فيظهر له ويزلفه إلى العقبة السّابعة فيحلّ فيها فينظر له الباب ويسمع منه علم مولاه وتوحيده صراحاً وكشفاً ويرقى إلى السّماء السّابعة فيحلّ فيها فعند ذلك يكون قد تناهى إلى المنزلة العالية ويحلّ المحلّ الأعلى من السّموات كلّها ويملك في سائر السّماوات رتباً وجميع إرادته من السّموات السّبع والأرضين السّبع في العالمين لا يغرب عليه علم شيءٍ ولا يفوته شيءٌ ولا يبعد عليه شيءٌ من طلبته وإرادته ويصير محكّماً مخيّراً في نفسه لأنّه قد تخلّص وصفا فليس عليه خوفٌ إذا بلغ إلى هذه المنزلة العالية في السّماء السّابعة وإنّما الخوف عليه من الزّلل ما دام في درج التّعب والطّلب في هذه العقاب السّتّ فإذا صار إلى العقبة السّابعة وحصل فيها ودخل إلى المحلّ الأعلى الّذي قد ذكرته لك وصفا وتخلّص وعاد إلى جوهره فعند ذلك يظهر له الإسم وهو الحجاب فيعاينه ويشاهده ويشهد أفعاله ويطلعه على علم تكوينه وبدوه ويعرفه بتقلّبهم من حالٍ إلى حالٍ وما عاناه من إمتحان مولاه له في تقصيره على ما فرض عليه وأمره به.

فعند ذلك يتخلّص من جميع ما كان ويكون له ما يشاء إن شاء يحلّ شرقاً وغرباً أو سماءً أو أرضاً ويعلم حيث يحلّ مولاه وحجابه فإذا أراد حضوره حضر وإن أحبّ مقامه بمكانٍ من الأماكن أقام وإن أنس إلى البشريّة يؤنسهم بنفسه ويعرفهم ويشهد لهم ويعرفوه حتّى يكون له أن يجلس بين أقوامٍ فيحادثهم ويكلّمهم بلسانٍ من الألسن الجّارية فيما بينهم وينصرف عنهم فلا يروه ولا يعلمون كيف مضى ويشهدون على أنفسهم أنّه قد كان يكلّمهم وهذا يا مفضّل هو القول الّذي يقوله هذا العالم إذا جرى لهم خطابٌ مع بشرٍ مثلهم فحضّهم وظهر عليهم بالحجّة وأتى بما لا

تحمله قلوبهم وما لا يسمعون بمثله قطُّ وذلك المتكلّم عندهم بدون تلك المنزلة وحال الذّكاء وقلّة الفهم والدّراية ولا يعهدون له في الخطاب قولاً صواباً بلا حجّةٍ وافيةٍ.

فإذا أتى ذلك الّذي هو عاجزٌ عندهم حضر لديهم في مقالته لديهم بذلك القول الّذي لا تحمله قلوبهم يقولون له تعجّباً: من أين لك هذا القول ما هذا من كلامك ولا جئت قطُّ بمثله فمن أين لك هذا ومن علّمك إيّاه ويقولون أيضاً: إذا جرى لهم مثل ما شرحت لك وهم صادقون فيذلك لأنّ الإنسان هو المتكلّم على ذلك اللّسان النّاطق وليس يرونه ثمّ يقولون يا مفضّل كلامٌ آخر إذا جرى لهم مثل ما شرحت لك وذلك أنّهم يحلفون ويقولون: والله إنّنا لنحلف أنّ هذا الكلام الّذي تكلّمت به ليس هو منك ولا كلامك ولا هو إلاّ من كلام غيرك، وهم صادقون في ذلك، وهذه يا مفضّل منزلة من جاز عقاب الصّراط وغيره كما ذكر وفي ظاهرهم أنّه إذا جاز العبد الصّراط دخل الجنّة.

في وصف حال المؤمنين بالجنّة

و الجنّة هي المعرفة الحقيقيّة بغاية المعرفة والمنتهى في الشّيء إلى غايته يصير فأقرّ بحقيقته حتّى يكون في صفائه يحبّ لكلِّ طالبٍ أن يصل إلى ما أوصله مولاه إليه وبذلك يكمل له قول مولاه: (لا يكون المؤمن مؤمناً حقّاً حتّى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه) وإنّما عنى بذلك أهل هذه المنزلة الّذين قد عبروا عقاب الصّراط وبلغوا إلى ما شرحته لك من تفضيل الله عليهم.

و منهم من يكون بأوّل درجةٍ من الإيمان والّذين في أوّل درجةٍ من البشر يكونون بهذا الوصف يرضون لإخوانهم من حال دينٍ ودنيا لأنّهم يكرهون لهم ما يكرهون لأنفسهم كلّما رقوا إلى منزلةٍ وأنعم الله عليهم نعمةً أحبّوا أن يكون من هو دونهم معهم فيها ممّن كان على منزلتهم ومن هو مثلهم ودونهم.

فإذا رأيت المسلم الدّاخل في هذا الأمر المقرّ بالمعرفة بهذه الصّفة وعلى هذه المواظبة فإشهد له بسرعة الصّفا وسرعة التّخلّص من البشريّة غير قميصٍ واحدٍ فكم بين من يرد مرّة واحدة وبين من يرد مائة مرّةٍ.

هذا يا مفضّل لم يرد صاحب المائة كرّةٍ في كرّاتٍ وينقص صاحب الكرّة الواحدة ويرفع إلى الصّفا.

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي إنّ المسلم المقرّ الدّاخل في هذا الأمر ليصفو في كرّةٍ واحدةٍ حتّى يخرج عن البشريّة ويصير نورانيّاً ويرقى في هذه المنازل بغير هذه العقاب.

فقال: نعم يا مفضّل: إنّ مولاك ليوجب للعبد المقرّ المؤمن هذا في قالبٍ واحدٍ وذلك إذا خرج منه وليس عليه مطلبٌ لأحدٍ من المؤمنين في حقٍّ يستوجبه منه ولا قصّر عن أمر مولاه وقام به حقّ القيام فإنّه يستوجب أن لا يكرّ في قميصٍ آخر غير مرّةٍ واحدةٍ فقل: لهم يا مفضّل يجهدون أنفسهم في أن يكونوا كما ذكرت لك وشرحت ويسألوني التّوفيق.

قال المفضّل: يا مولاي ما كنت لأعلم بأنّ أحداً يبلغ رضاك بهذه الحالة وهذه السّرعة.

فقال: يا مفضّل أما علمت أنّ السّيّد الأكبر قال مسمعاً من حضر أنّ الكفر أخفى من دبيب النّمل والإيمان أخفى وأخفى وقال مثله فتفكّر يا مفضّل في هذا فمتى تجد من يكون سالماً من مثل ذلك وطوبى لمن وفّق وكان فيه من دلائل الإيمان بعض ما وصفت لك وشرحته.

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي أعوذ بك من الزّلل والزّيغ فلا طاقة لي بحمل ما تحمّلنيه.

فقال: يا مفضّل إذا خلص هذا العبد العارف العابد لعقب الصّراط ووصل إلى تلك الجنّة فعليه هناك حقوقٌ وواجباتٌ وأمورٌ لازماتٌ لا يسع التّخلّف عنها.

قال المفضّل: فقلت: وأيّ شيءٍ هي يا مولاي؟ فقال له: إذا بلغ إلى تلك المنزلة وعرف ما صار منه إليها وما تفضّل الله عليه ومنّ به من أنعامه إليه يسأل

مولاه أن يعرّفه جميع من في مشرق الأرض ومغربها ومن في سمائها وأرضها ممّن أقرّ للمعنى بالوحدانيّة ولحجابه بالإسميّة ولوليّه بالبابيّة فيعرّفه ذلك فإذا عرفه فعليه أن يزور أهل النّورانيّة بالمشاهدة وأهل البشريّة بالمجانسة فيزورهم ويسأل مولاه لكلّ واحدٍ منهم على قدر منزلته في المعرفة بالتّوفيق والقبول لهم.

قال المفضّل: فقلت: فُهم عنك يا مولاي أنّه نورانيٌّ فيزور أهل النّورانيّة بجوهره الّذي هو من جوهرهم فكيف تكون زيارته لأهل البشريّة؟ قال يا مفضّل: يكون لذلك البشريّ أخٌ أو صديقٌ أو محبٌّ يحبّ قربه منه ويأنس إليه فيأتي ذلك الشّخص النّورانيّ إليه في صورة ذلك الأخ والصّديق حتّى يجلس مع ذلك البشريّ فيحادثه ويؤانسه وربّما أكل معه وشرب وينصرف إلى غيره حتّى لا يدع في كلّ يومٍ وأن يأتي إلى بعض من عرّفه مولاه وأطلعه عليه فإذا زار أحدهم وخرج من عنده يقول ذلك الرّجل البشريّ: ما رأيت أسرّ من يومي هذا لقد سررت بهذا الصّديق ما لم أسرّ بمثله قطُّ فيقول له القائل: بالله إن عدت هذا ولا ذكرته لئلاّ يصيبوه بالعين فيمسك عن ذلك ويتناساه فلا يزال ذلك الشّخص كذلك يزور جميع من عرفه مولاه.

فقلت: يا مولاي ويطعم الطّعام؟ فقال: نعم إن هو أحبّ ذلك وأراده وإن لم يحبّ فإنّه يُرى أنّه يأكل ولا يأكل ولا يشرب.

في وصف الصّراط

ثمّ قال مولاي منه السّلام: يا مفضّل ودقّة الصّراط هل علمت ما هي؟.

قلت: لا يا مولاي إلاّ بفضلك.

فقال: إنّ دقّته عظيمةٌ وصعوبته أعظم وكلّما عظمت دقّته صعبت معرفته وذلك أنّه إذا وصف لك شخصٌ بشريٌّ وقال لك قائلٌ بل ملكٌ نورانيٌّ هل تدقّ معرفة ذلك ويعظم عندك ويصعب.

قلت: كذلك يا مولاي؟ قال: وإذا قيل لك ربٌّ خالقٌ رازقٌ محيي مميت له القدرة والمنّة والتّكوين شخصاً بشريّاً عاجزاً مقهوراً مضطهداً مقتولاً أين تكون هذه المنزلة من المنزلتين.

فقلت: يا مولاي هذه تكون أعظم وأصعب وأدقّ على حاملها؟ فقال: من دقّته إظهاره فيهم بالأزواج والأولاد وهو ينفي ذلك عن نفسه في كتابه وهو قوله: وقالَت الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّه وقالَت النَّصارى الْمَسيحُ ابْنُ اللَّه وقال في سورة التّوحيد: «قُلْ هُو اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» وقد أوجد وأرى أنّ له والداً وولداً وأزواجاً وإشترك في الملك فأيّما أدقّ من الوجوه هذه الإظهار أم الّذي تقدّم وكلّ ذلك ليصحّ لأهل التّوحيد أنّ هذا كلّه إختبارٌ لكم ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ويميّز بين الخبيث والطّيّب وأن يثبت الحجّة من جميع وجوه الحقّ بالإعذار والإنذار.

فقلت: ما أدقّ هذا الصّراط؟ فقال: يا مفضّل وقيل أنّه أحدٌ من السّيف وأدقّ من الشّعرة أمّا شرح دقّته فقد عرفته فأخبرني أنت بحدّته أو قد عرفت دقّته؟.

فقلت: يا مولاي: من أين لعبدك سبيل إلى الكلام على هذا الوصف وأنت غاية كلّ غاية ومعدن كلّ فضيلة وإحسان.

فقال مولاي منه السّلام: يا مفضّل حدّته إطلاق اللّفظ به فإنّه عند مالكه ذو دقّةٍ وكتمان وصيانةٍ وحفظ وحذرٍ وخوفٍ عليه من أن يقع إلى غير مستحقّه فيأخذه شبه الزّنا والخداع ويرى أنّه مشفقٌ عليه وإن إضطهد وطولب بإقامة الواجب فيه هتف به إلى العالم وشنّع على أهله وأضاف إليهم ما ليس فيهم وسعى بهم إلى طغاة الوقت فيؤول إلى حال التّلف ويكون الملقي اللّفظ إلى من تصير هذه حالته وقد بذر وأعطى وكشف ما أُمِرَ بستره وصيانته فيستوجب من مولاه بذلك أليم العذاب من الذّلّ والفقر والجّهد والعطف وينحطّ عن درجته الّتي كان قد قرب فيها التّخلّص فلحدّة إطلاق اللّفظ إلى الملقى إليه المعرفة فإنّه إذا أطلقه بلسانه فليس يمكنه ردّه إلى معدنه الّذي خرج منه.

و إعلم يا مفضّل أنّ في أوصافهم للرّجل إذا كان دريّاً عارفاً محجاجاً جدلاً فيقولون لفلان لسانٌ أحدُّ من السّيف ويخرج فلان من لسانه كلاماً أشدّ من الصّخر

والصّواعق إذا تناهى العالم في وصف السّيف ونعته وجدّته وشدّةِ ضرابته فيقولون: سيفٌ صاعقة وذلك فحدّة فعله وقال الله تبارك وتعالى إسمه: وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ويقال أيضاً كلامٌ أشدُّ من الصّخر وكلّما نعت إلى شدّةٍ فهو من نوع الحديد وقال الله عزّ وجلّ: وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ويقول القائل إذا خرج السّيف من غمده ليضرب به فإذا وصلت الضّربة وربّما إنقلب وربّما تأثّر أثراً خفيّاً وربّما أثّر السّيف ونبا ولم يعمل شيئاً وكذلك إذا ألقى المؤمن إلى رجل كلمة الإخلاص فقتله بالمعرفة لها وقد قال الله عزّ وجلّ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ لأنّ قتل المؤمن بالمعرفة لبارئه هي الحياة الأبديّة وقد قال السّيّد الأكبر منه السّلام " الموت راحة " وربّ ميّتٍ إستراح والموت من أسماء الرّبّ لقوله عزّ وجلّ: «وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» وكانت هذه يا مفضّل إشارةٌ إلى مولاك أمير المؤمنين جلّ جلاله لأنّ كلّ منظورٍ معاين مشاهد هو بهذه الصّفة فأمّا موت الفناء وموت الفاني بعد أن تخرج روحه منه لا يرى شيئاً ولا يعقل على شيء وإنّما يبقى جيفة لا تعقل ولا تنطق ولا تسمع ولا تبصر ولا تحسّ وإنّما الّذي يوضح بضرب السّيف فربّما أطلق إلى الرّجل كلمة الإخلاص فيقدح له معاني يحتاج إليها ويتّضح له فيها صحّة ما ألقي إليه وأمّا الّذي يكون عنده ضرب السّيف يؤثّر أثراً خفيّاً فإنّه إذا ألقي إلى الرّجل معرفة الحقّ لم يكن له في قلبه إلاّ شيءٌ بشرٌ فإن زهق من حلل جزع عن الكلمة لأنّها غير ممكنة منه وأمّا الّذي يكون من السّيف ينبو فإنّه إذا أطلق اللّفظ إلى رجلٍ لا يكون فيه غرضٌ ولا يتحقّقه ولا يعبأ فيمرّ النّطق على أذنه صفحاً كما يمرّ السّيف من الضّارب صفحاً ولا حدّة أشدّ حدّ ممّا شرحت لك فكم طالب حجّةٍ عند إيضاح المنهج عمّا قصد إليه ورغب عن مسألته ورجع عن رشده وكم من عاقلٍ فطنٍ عرف لمّا ألقي إليه رشده وإستنبط به سرائر دينه وقصد نحوه وصغا إليه وعدل عن جميع همّته وجدّ في طلبه وجعله معوّلاً يعول عليه ويقصد نحوه فذلك بحيث شرحت لك من إستحقاقه وإنّما مثل العالم في ذلك مثل بذار بذرت بذرته يدٌ واحدةٌ لوقتٍ واحدٍ وغذي بغذاءٍ واحدٍ وتناهى به زمانٌ واحدٌ فلمّا كان في وقت نضجه سبق بعضه بعضاً فعذُبَ وطابَ وتخلّف بعضه فخبث وكدر.

و كذلك العالم يا مفضّل كون لوقتٍ واحدٍ بقدرةٍ واحدة فلمّا ظهر لهم مكوّنهم ودعاهم إلى ذاته أجاب بعضٌ وتخلّف بعضٌ فمن أجاب فعذُبَ وطاب ومن تخلّف خبث ونتن فكان من طاب من المؤمنين وكان من خبث من الكافرين المنكرين الجّاحدين وإذا كان ذلك النّطق أوّل الحدّة، حدّة الصّراط، ثمّ كان ذلك النّطق الأوّل على أيّ لسانٍ كان من العالم وهو حدّة الصّراط لأنّه إلى تلك الدّعوة يشير وبها يلوّح ويصرّح فإعرف هذا يا مفضّل ولا حدّة أشدّ وأعلى وأعظم من مقام دعوتك إلى مولاك وإظهارك فيهم هذا الخطاب وذلك أنّهم ينقلون عنك في كلّ مقامٍ عند ظهور شخصك فيهم وبثّك العلم إليهم عند إيجادك لهم بما تدعوهم إليه وتمسّكهم به إلى أن يأذن لك مولاك بالظّهور عند ظهوره لهم فإنّه إذا كان بدو دعوة مولاك وإظهار القادر القديم قدرته وظهور الغاية.

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي لقد أنعمت عليّ وعلى أوليائك المؤمنين بمعرفة الصّراط وشرحه فإذا كان أوان غيبة بابك بإرادتك ما يكون لهذا العالم، لأهل المعرفة والإجتهاد من الصّراط فيهم؟ فقال منه السّلام: يا مفضّل يكون ما قد سمعته أنت منّي تخرجه إليهم فيتلقّونه منك وعنك ويستودعونه في صحفهم وصدورهم فهو صراطهم ويكونون لذلك خزّاناً قد جعلهم الله سبباً لنجاة بعضهم بعضاً ببعض حتّى يظهر لهم الدّعوة في الرّجعة البيضاء.

واعلم يا مفضّل أنّ كلّ علمٍ باطنٍ من علم الحقيقة ويظهر بعد ذلك الغيبة فهو صراط الطّالب يسلكه ويطلب قصده وقد أبان عند ذلك فقال: «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأَصِيلاً» وذلك أنّها أساطير المقامات والمراتب وما جرى فيها من الدّلائل وقت ظهور العالم إكتتب وإحتفظ بهما فلمّا أن كان في المقام " الغيبة " قام ذلك مقام الشّاهد لأنّ الأخبار توجد العيان فصار ذلك عند أهل الحقيقة لهم صراطاً ومنهجاً ومقصداً ومسلكاً ومطلباً يسلّمون إليه ويقيمون عنده إلى وقت ظهور مولاك فيكون ذلك بموضع المشاهدة للمملي بما كتب عنه ممّا ألقي إليهم فصار بذلك منهجاً لغيرهم ومقصداً فقوله: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» هو ما حفظوه ونقلوه وألقي إلى الطّالبين المقرّبين العارفين فقصدوا إلى الهداية به فأولئك هم الّذين يقولون إهدنا الصّراط المستقيم أي الّذي ألقي إلينا من أهل المراتب والمقامات ألا ترى إلى من إستثناهم في ذلك بقوله: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ ولاَ الضَّالِّينَ» والّذين أنعم الله عليهم مولاك ومثل قوله: «وهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وهُدُوا إِلَى صِراطِ الْحَمِيدِ» فالطّيّب من القول هو التّوحيد بشرح الباطن صراحاً وكشفاً وصراط الحميد هو غاية الحمد لمن دونه من أصحاب المراتب والدّرج لأنّ الحمد هو الإسم الّذي هو محمّد منه السّلام والغاية صراطه وهو صراط العالم في كلّ زمانٍ وأوانٍ ودهرٍ وحينٍ معرفة ذلك وذلك أنّ الباب صراط لكلّ طالبٍ مريدٍ وكلّ هدي في نطق الكتاب مثل قوله: إهدنا فهو إشارة الصّراط وكذلك كلّ سبيلٍ فهو صراطٌ مثل قوله: «قُلْ هذهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي وسُبْحانَ اللَّهِ وما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» وقوله: «عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ» فأمّا قوله: «وما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي» فهذا خطاب إبليس لمن أجاب دعوته بلا دليلٍ ولا حجّة فأحال المجيبين له في الكشف عليه أنّه الدّاعي لهم إلى تلك الضّلالة بقولهم «وقالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ» وقال هو عين حاله عليه بذلك «وقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ووَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي ولُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» إذ أجبتم من دعاكم إلى ما دعوتكم إليه من الجّحود والإنكار والكفر ومخالفة الحقّ بلا دليلٍ ولا سبيلٍ وذلك أنّي لو دعوتكم إلى معرفة الحقّ لقلتم إنّا لا نجيب إلى ذلك إلاّ بدليلٍ وسبيلٍ وشرطٍ وبرهانٍ وإقامة حجّةٍ وإيضاح النّهج بظهور العجز بوجود معاينٍ مشاهدٍ.

ومثله فقد دعاهم إلى أن يعبدوه ويتّخذوه ربّاً حين قال أنا ربّكم الأعلى فأجابوه إلى ذلك بلا دليلٍ ولا سبيلٍ بل دعاهم فإستجابوا له وقد دعاهم أيضاً حين قال إبراهيم وهو المقام: إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ قال فأجابوه بلا دليلٍ ولا سبيلٍ وله مثل ذلك دعواتٌ كثيرة ومنها قوله: «وقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبابَ، أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلهِ مُوسى وإِنِّي لأَظُنُّهُ كاذِباً» فأجابوه إلى ذلك بلا دليلٍ ولا سبيلٍ فعبدوا الأصنام ظاهراً وباطناً وألزمهم الحجّة بقوله: إنّي دعوتكم هذه الدّعوات كلّها بلا دليلٍ ولا سبيلٍ كان لي.

و هذا يا مفضّل بيان وإحتجاج إبليس عليهم وعلى الخلق المنكوس من يوم الكشف وقد إحتجّ بهذا عليهم مراراً كثيرةً وعقلوا خطابه لأنّه كشف لهم أوّلاً عن نفسه ثمّ ظهر فيهم المولى بنورانيّته وخاطبهم بنطقه وأبان سبيله بدلائله ثمّ كشف لهم بعد ذلك عن إبليس فعاينوه وأشاروا إليه أنّه هو الّذي أضلّهم بقوله عند معاينتهم له: «وقالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ» وقول إبليس ما كان لي عليكم من سلطان وهو من سبيلٍ فالجّميع معترفون أنّ الهداية لا تكون إلاّ بسبيلٍ وكذلك الضّلالة لو طلبوا عليها سبيلاً لبطلت ولم يصحّ لها منهجٌ وقد دعاهم بعد هذا الخصام والخطاب إلى ما دعاهم إليه أولاً كرّاتٍ كثيرةٍ وكانوا إلى الإجابة والقبول منه أسرع من جري النّفس في الجّنين.

فقلت: يا مولاي دعوة إبليس مستقرّةٌ في النّفس الأمّارة بالسّوء وقوله: بل سوّلت له نفسه قتل أخيه فقتله وقوله: سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميلٌ، وما أشبه هذا من الخطاب مذمومٌ فأمّا نفس المؤمن فإنّ لها زاجراً وواعظاً يأمرها وينهاها وهو الّذي يعارض ويكشف لها قبح معاني الأشياء القبيحة وحسن معاني الأشياء الصّادقة الصّحيحة بين لها تأويل العقبة في ذلك ويعارضها فذلك العارض من جوهر السّبيل وهو حالٌ في النّفس مساوٍ لها فإذا إستقرّت دعوة الضدّ في النّفس المؤمنة زجرها وعارضها ذلك الجّوهر وألقى إليها ظلمته وكشف لها قبحه فإرتدعت النّفس وقبلت وبعدت عنها دعوة الضدّ ولا يجعل لها في تلك النّفس مستقرّاً وإن خالفت النّفس الجّوهر وعاندته ولم تصغِ إليه وإلى ما أوضحه لها ذلك الجّوهر عن المعدن وصارت تلك النّفس مستقرّةً للدّعوة الضّدّيّة فأيّ شيءٍ أوردته الدّعوة الضديّة قبلته وأجابت إليه من سائر وجوه الباطل فيكون خلافاً للجّوهر الّذي هو السّبيل.

القول في الجّوارح

و إعلم يا مفضّل أنّ لكلّ جارحةٍ معبّرٌ وأنّ للجّوارح المعبّرات معبّراً واحداً لولاه ما عرف فعل تلك الجّوارح ولا تعبيرها ولا تعبير معرفة الجّوارح المعبّرات.

فأوّلها العينان: وهما جارحتان وتعبيرهما النّظر. **و الأذنان**: وهما جارحتان وتعبيرهما السّمع. **و الأنفُ**: وهو جارحةٌ واحدةٌ وتعبيره الذّوق. **و اليدان**: وهما جارحتان وتعبيرهما اللّمس. **والرّجلان**: وهما جارحتان وتعبيرهما السّعي.

ودليل هذا كلّه من الجّوارح وسبيله وصراطه العقل وهو الجّوهر المدبّر لجميع هذه الجّوارح وبه ومنه تقع معرفة هذه الصّفات وله دليلٌ وواسطةٌ مترجماً عن الجّميع معبّراً عنهم وهو اللّسان وهو يشرح وينبيء وينعت ويصوّر ويترجم من العقل بما يلقيه إليه فإذا عرف الخلق حقيقة ذلك وصحّته وصدقه فالعقل الّذي يعرفه ذلك فهو بمعنى الباطن واللّسان بمعنى الظّاهر الّذي يبدي كلّ شيءٍ ويظهره عند ذلك الجّوهر ويعرف معانيه.

فإذا ألقي الجّوهر إلى اللّسان شيئاً وألقاه وأمر بإظهاره وشرحه فإذا نطق اللّسان بما قد وعاه من العقل قال حقّاً وباطلاً وهو جميع ما عرفه العقل وأمر أن يبديه ولولا مادّة العقل إلى اللّسان لما يأتي به فعند نطق اللّسان يبيّن تصريف الأشياء وكذا إن شمّ أو طعم أو سمع أو عزم أو أراد بذلك والإرادة والسّماع والشّمّ والنّطق فهو لذلك العقل واللّسان معبّرٌ ومترجمٌ عن ذلك الجّوهر ومقامه ومثله مثل رسولٍ أرسله مرسل بأمر أمره بتبليغه فبلّغ ما أمره به فهو يؤدّي عن حقيقة العقل فاللّسان الرّسول والعقل المرسل يأمر الجّوارح وينهاها.

فما خالف من الجّوارح فهو بمعنى من خالف دعوة الحقّ ومن أطاع من قبل الجّوارح فهو بمعنى الشّخص الظّاهر أعني اللّسان.

و كذلك العقل بمعنى الباطن وأهل الجّحود والإنكار يجحدون ذلك لخلفهم وكفرهم أفلا يعقلون أنّ مولاهم جعل ذلك فيهم دليلاً وحجّةً وسبيلاً وصراطاً مستقيماً.

و أمّا أهل الإنكار فإنّهم إذا حلّ العالم المنكوس المسوخيّة منعوا النّطق وتبقى فيهم جميع آلات الجّوارح بحالها من الشّمّ والطّعم والسّمع والبصر والسّعي والبطش وذلك تفهم ما تأتيه وتقصد ما تطعمه وتعي ما تسمعه وتحقّق ما تعاينه وتفعل ما تهتمّ به وتعزم عليه فكلّ ذلك بالباطن القائم لها المكوّن بجوهرها أعني قلوبها لأنّها غير معدمة له فإنّما يقع بها العدم عندما تعدمه من نطقها ما داموا في البشريّة تقع بهم

النّقلة بالأمراض والعلل والقتل وغيره ممّا يجري كلّ ذلك بقدرٍ مقدورٍ وأجلٍ معلومٍ وهو جاري بهذه الصّفات والنّعوت على البشريّة والمسوخيّة من الموت والغرق والحرق وأكل السّبع والهدم والموت والإنسان فحياته وموته شرعٌ وإقتصاصٌ وبوكزةٍ وبلطمةٍ وبرفسةٍ وبدفعةٍ وبضربةٍ وبصيحةٍ وربّما مات بعلّةٍ يومٌ أو إثنين أو ثلاثة أو أربعة حتّى إلى سنة وسنتين وأقلّ وأكثر من ذلك وربّما تداومت به العلّة من وقت ظهوره إلى وقت نقلته على حالٍ واحدٍ وهذا جارٍ على العالم في البشريّة وفي المسوخيّة أيضاً إذا رجع إليها المنكرون الجّاحدون وهذا أدلُّ دليلٍ وأبهر برهانٍ على إقامة عدل الله في خلقه كافّة.

قال المفضّل: قلت: يا مولاي ترى السّراج كيف يضيء ويخمد وإنّه يضيء على أشدّ ما يكون من الضّياء حتّى يخمد ويطفأ لوقته حتّى كأنّه لم يكن للنّار فيه أثرٌ؟ فقلت: بلى يا مولاي.

فقال: أليس يكون منها على ما وصفت لك من الضّياء حتّى يداخله ضعف ذلك الضّياء ويخمد ويضيء حتّى أنّه لا يرى به شيءٌ من شيءٍ أعنيه أسود وأبيض وإن لمحه بعد أوانه غير معدوم حتّى إنّه يضعف على نهاية الضّعف والحمل ثمّ يكون له بعد ذلك لمحةٌ من الضّياء. **فقلت: بلى يا مولاي**

قال: أوليس منه ما تشير إليه عند إرائتك لطيفه فيطفأ؟ **فقلت: بلى يا مولاي.**

فقال: وكذلك يا مفضّل إذا إستحقّ البشر النّقلة فمنهم من يكون له عند مولاه منزلةٌ ومنهم من لا يكون له منزلةٌ فمن ثمّ نقلتهم وموتهم يوجدك ويريك من المنقول مثل النّار الّتي وصفتها لك في الشّرح.

ومنهم من يهلك لوقته أما رأيت كيف يغشى على البشر فيبقى يومٌ أو إثنين أو أقلّ.

ومنهم من يخمد لوقته فمنازلهم على قدر ما وصفت لك وإنّما ذلك على قدر إستحقاقهم في المنازل يجري عليهم ذلك الحال بقدرٍ مقدورٍ وعدلٍ من الباري وإنصافٍ وصراطٍ مستقيمٍ.

واعلم يا مفضّل أنّه الموجود في سائر المكوّنات ولولا ذلك ما كان كونٌ ولا مكانٌ و إنّ مولاك لا يعدمه شيءٌ من إرادته في خلقه من طائعٍ ومخالفٍ إنّه ليعقبه فيهم ولهم بكونٍ واحدٍ وإنّما يزيد في أهل المعرفة بالإقرار والقبول وينقص في أهل الجّحود والإنكار والجّهل بخلفهم وكفرهم فكلّ من أقرّ صفا وإرتفع وزاد في موجوده بمعرفته وكلّ من أنكر وجحد ونقص في وجوده وهو في موجوده بجهله وكفره.

فمن ثمّ وجب أن يحلّ بكلّ شيءٍ ما إستحقّه في وقت النّقلة وبعدها على قدر نقصانه وزيادته في الحالة الّتي هو بها من الكفر والإيمان.

ذكر النّقلة من الموافق والمخالف ومن يعاين من أشخاص الحقيقة عند نقلته

فمن كان منقول الحال متزايداً في معرفته تجده ضاحكاً مستبشراً مسروراً وإن كان من المنكرين ورُتَب الشّياطين تجده متغيّر اللّون بالضّعف حزيناً مستعبراً باكياً ويكثر تنفّسه وتشاهقه ويتأسّف على ما خرج منه.

و إن كان ممّن ينقل من المكروهات في المسوخيّات فإنّه يحذّر من ورود ذلك وتراه يجذب كفّه ويبسطه ويهمّ أن يقوم على قدميه ويهمّ بأعيانه وتنظره كذلك تجده على ما وصفت لك فإنّك توافيها في الحال.

فقلت: يا مولاي عظمت قدرتك على عبدٍ فإنّي لأرى ممّا وصفت لي الشّيخ الكبير وإنّه يعاني عند النّقلة عظيماً فأقول ذلك ممّا ذكرته لي من خلفه وإنكاره وجحوده وإنّي لأرى الطّفل الصّغير يعاني مثل ما عاناه الشّيخ الكبير وأعظم.

فقال مولاي منه السّلام: يا مفضّل: كأنّك تقول إنّه لا ينتقل إلى المسوخيّة إلاّ رجلاً كهلاً أو شيخاً لأنّه معترفٌ بذنبه وإنّه إستوجب به ذلك لجحوده وكفره ذلك الجّزاء وتلك العقوبة وإنّ الطّفل لم يفعل شيئاً من ذلك ولم يُوعَظ ولا أتاه زاجرٌ ولا كان عنده حقٌّ ولا باطلٌ ولا معرفةٌ فيجب عليه مثل ما وجب على المنكر الجّاحد بإنكاره وجحوده فيكونا في الحال سواءً.

فقلت: يا مولاي: أنت أعلم بما في نفسي من سرّي وإعلاني.

فقال يا مفضّل إنّ ذلك الجّنين والطّفل النّاشيء والرّجل والكهل والشّيخ لم ينقل أحدهم إلى ما نقل إليه إلاّ عند تكامل البلاغ إليهم والإنذار لهم وإنّما الدّعوة واحدةٌ [1]ما تزيد أحدها على الأخرى ذرّةً ولا تقدّمه طرفة عين وكذلك يا مفضّل يستحقّ من ينقل وهو شيخٌ في كرّةٍ أخرى ينقل إلى غلامٍ ناشيءٍ ثمّ رجلٍ وكهلٍ وشيخٍ مرّةً أبيض ومرّة أسود وكذلك تجري عليهم في المسوخيّات سواءٌ بسواءٍ وحالٌ بحالٍ لا زيادة فيه ولا نقصان منه حتّى يوفي في المسوخيّة جميع ما إستوفاه من البشريّة شخصاً شخصاً وحالاً بحالٍ وأجلاً بأجلٍ ومدّةً بمدّةٍ.

ثمّ إنّي أزيد فيعلمك بذلك يا مفضّل علماً باطناً وشرحاً غامضاً عدلاً من مولاك وإنصافاً للعالمين فإعلم به العالم وعلّمهم إيّاه.

و إعلم يا مفضّل أنّه ما من بشرٍ ينقل إلى المسوخيّة ومات إلاّ وفات في المسوخيّة مثلها ولا مرضَ مرضةً إلاّ ومرض في المسوخيّة مثلها ولا مرّ به حالٌ إلاّ ومرّ به في المسوخيّة مثله ولا كان بحالٍ من الأحوال إلاّ وكان به من العزّ والرّفعة والكرامة ومن الشّدّة والرّخاء والرّفاهية والتّعب والنَّصب حتّى يوفّاه في المسوخيّة وجميع ما جرى له في البشر فيكون له بتلك الطّوارق في الحالين معتبراً.

و ذلك أنّه يعاد عليهم في المسوخيّة جميع ذلك ليعرفوه كما كانوا يعرفونه وهم في البشريّة وهذا هو الصّراط المستقيم الّذي ما فيه عوجٌ ولا فيه خلفٌ ولا عنه عدولٌ.

قال المفضّل: فقلت: النّعمة منك يا مولاي جليلةٌ والمنّة عظيمةٌ يقصر شكر الشّاكرين ويعجز عقل اللّبيب عنها.

فقال: يا مفضّل: إنّ المسوخيّات أجناسٌ وقبائل وشعوب وأسماء ونعوت وصفات ينعتون بها وإليها ويدعون بها في جميع نعوتها كما كانوا في البشريّة لهم من الأجناس والأحساب والأنساب والأسماء والصّفات والنّعوت مثل عاقل وحسن وحركة وشديد وفهم وما أشبه ذلك مثل أسود وأبيض وعجمي وعربي وروميّ

---

[1] المقصود هنا هو نداء الذّرّ النّداء الأوّل راجع رسالة الأندية للجلّي .

ونبطي وجميع الأجناس وكذلك في اللّغات مفصحاً ومطرباً وصامتاً وأخرساً وذا مقدارٍ وما أشبه ذلك حتّى لو شاء يا مفضّل لقلت لك أنّه في أوصافه وشعره ولونه وأظفاره وجميع ما إحتوى عليه هيكله من نفسٍ وبطنٍ وفرجٍ وجارحةٍ وتحريرٍ وعبوديّةٍ تجري عليه مثلاً بمثلٍ.

فقلت: يا مولاي يجري على الشّخص هذا في البشريّة وهو بشريٌّ ويجري عليه وهو في المسوخيّة مثل تلك الصّفات في كلّ شخصٍ منها يكون مملوكاً ومالكاً وحرّاً وعبداً وعزيزاً وذليلاً.

فقال: نعم يا مفضّل يجري عليه ذلك من الفيل إلى دودة الخلّ وممّا هو أدقّ منها وذلك أنّه يكون في أوّل نقلته فيلاً فإن كان في البشريّةِ حرّاً كان حرّاً وإن كان مملوكاً ونقل إلى ذلك ملك ذلك الفيل.

و كذلك يا مفضّل إذا مسخ في جنسه غيره من الدّوابّ والبغال والحمير والبقر والغنم والمعز والوحوش والكلاب والطّيور وحيوان البرّ والبحر وجميع ما دبّ ودرج من الأفاعي والحيّات.

و ذلك أنّه ما دام في البشريّة حرّاً فهو في المسوخيّة حرٌّ في البرّ والبحر الّتي تسرح لأنفسها في أمنها في البراري والقفار تأوي إلى مساكنها في الغياض والآكام والمحافر والمغاير وما تتّخذه الضّباع والثّعاب والأرانب والمجاثم في البقاع الّتي كانت عامرة وخربت ذلك لألفها العمّار وإنّك تأتي وتمرّ يا مفضّل بالعراص الخربة القديمة فتجد فيها ما ذكرته لك من هذه الأوصاف فكثيرٌ قد أوى إليها وإنسرّ به موضعه الّذي كان وهو بشريٌّ.

و إنّك تجد في جميع هذه المسوخيّات الّتي تتكلّم مالك ومملوك شبهاً ووصفاً ونعتاً في البرّ والبحر والجّبل.

فمن ذلك أنّك لتجد في الجّبال بقراً وكباشاً ومعزاً محرّراتٍ لا يملكها أحدٌ وتعقب وتنسل وتهلك كما يجري عليها وهي في البشريّة وكذلك الحمير تجدها في وحش البرّيّة وبينكم أيضاً على حالٍ واحدٍ يجري عليها ما ذكرت لك من الحال بها فإن كانت محرّرةً كانت كذلك في معادنها وإن ملكت في البشريّة ملكت كذلك وإنّها تقع بأحوالٍ شتّى والحيلة عليها وصيدها فهو إزاء أسرها في البشريّة وهي كذلك في

البشريّة والمسوخيّة وفي البرّ والبحر والطّير يجري عليها مجرىً واحداً في جميعها لأنّ في الطّير مايكون حرّاً ثمّ يملك ويقع عليه إسم العبوديّة وكذلك الجّوارح وغيرها من جميع الحيوان والحيّات والأفاعي وغيرها فصيدها بإزاء أسرها في البشريّة وإنّ منها لما يذلّل ويأنس بالبشر ويكون يحبّ طاعة مالكه وهو في رقّ العبوديّة له وكذلك جميع الأجناس والوحش وسائر أجناس المسوخيّات فهو كما كان ذلك بحسب ما يكون من مالكه فهو في رقّ العبوديّة في البشريّة مثلاً بمثلٍ حذو النّعل بالنّعل والقذّة بالقذّة لأنّ له من الجّزاء في المسوخيّة مثل ما كان له في البشريّة على إنكاره وجحوده وخلفه بل يزداد له العذاب ويتضاعف له العقاب لأنّه في المسوخيّة أعتى وأشدّ كفراً وجحوداً وإنكاراً ذلك أنّه كلّما ذاق عذاباً وخرج ردّ إلى ما هو أشدّ من الأوّل كما قال الله عزّ وجلّ: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ» في مختلف الكرّات.

نعم يا مفضّل وإنّه لا يعدل كلّ جنسٍ عن جنسه وشكلٍ عن شكله لا يأنسون إلى شيءٍ غير جنسهم ويأتي الذّكران إلى إناثهم والأنثى إلى ذكرها ولا يشتكل على أحدهما ذلك حتّى لو أنّ ذلك الجّنس مائة ألف في مثلها مكرّاً من سائر الأجناس الوحش والطّير والمسوخيّة لما يأتي الذّكر إلاّ أنثاه والأنثى إلاّ ذكرها لا يشتبه عليه ذلك بحسب كونهم في البشريّة وترتيب الحال فيهم الّذي خرجوا منه وإنّ منها لما يكون له من سعى إليه وفي طلبه غير زوجه وألفه من الذّكور والإناث فكلّ شيءٍ بحسب ما كان فيهم ومن فعلهم وهم في البشريّة ما كانوا يمدّون أعينهم وهمّتهم إليه فذلك كلّه من حكمة الصّانع وعدل مكوّنهم فيهم خيراً بخير وشرّاً بشرٍّ يقلبوا ويغيّروا وكلّ ذلك تدبير الصّانع الحكيم بإرادته لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون ولا يعارض في أمره كما قال: «وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وكَفى بِنا حاسِبِينَ».

فقلت: يا مولاي إنّي لأرى فيهم وهم في المسوخيّة أحوالاً شتّى أرى فيهم من يمشي على أربع ومن يمشي على رجلين ومن يطير بجناحيه ومن يحبو على بطنه وألواناً شتّى كثيراً ما أعجب منها وأعجز عن وصفها وألوانها ونعوتها.

فقال مولاي منه السّلام: يا مفضّل لا يغرب عليك علم ذلك لأنّ لمولاك في عالمه حكمةً وتدبيراً تجد الخلق من حيث ينكروه ويجحدوه ويحجب الخلق المنكوس عن معرفته ويهدي المقرّ الطّائع بإقراره ومعرفته.

يا مفضّل إنّ البشريّة مرّة يمشون على أربع ما داموا في البشريّة وذلك أنّ الطّفل في أوّل بدوه في السّعي يحبو مدّة رضاعه بمقدار ما حبا في طول عمره في البشريّة في كلّ هيكلٍ ينقل إليه يكون مشيه في المسوخيّة على أربع وإنّ في البشريّة والمسوخيّة أما ترى من يمشي في البشريّة على يديه و رجليه ويسعى عليها سعياً طويلاً إطلب ذلك في البشريّة تجده كثيراً وكذلك أيضاً في البشريّة من يسعى على بطنه تجده يسعى في المسوخيّة كذلك كذلك إطلبه في البشريّة كثيرٌ فهم في تراكيب الحيّات وإنّ فيهم من يكون يزحف على عجزه ورجلاه مبسوطتان بين يديه فلا يطيق حراكهما ولا يستعين بهما بل يسعى حيث يشاء بزحفه على عجزه فذلك من تراكيب العقاب ويؤول إلى الطّيران بعد ذلك وما تراه من صنوف التّراكيب في المسوخيّات فهو موجودٌ في البشريّة من صغيرها وكبيرها وكذلك يجريه مولاك وهو في البشريّة.

و إعلم يا مفضّل أنّ كلّ شيءٍ من كون المسوخيّات فهو بحسب ما كان عليه من الشّدّة والبطش والصّولة والظّلم والبأس والقتل فكلّما حرّمت هنالك وقتلت كذلك ينالها ها هنا وكلّ مقتولٍ قتله الوحش وهو بشريٌّ أو وحشٌ قتله بشريٌّ يسلّط المقتول على قاتله فيقتله في مثل تلك الحال الّتي كان بها عدلاً من الباري وإنصافاً جارياً أما ترى في كلّ حينٍ يقتل البشر سباعاً وكثيراً من البشرِ تقتلهم السّباع فذلك القتل الّذي وقع على السّبع من البشر مثل القتل الّذي وقع من ذلك السّبع وهو في البشريّة على قاتله وهو سبعٌ في المسوخيّة فكذلك يقول العالم إذا جرى مثل ذلك لا يقتل السّبع إلاّ سبعاً مثله وذلك أنّ في كورٍ ودورٍ وحقبٍ ورجعةٍ ينقل ذلك البشريّ إلى سبعٍ وينقل السّبع إلى بشريٍّ فيستوفي المفعول به من الفاعل عدلاً من الله في الخلق كافّة.

و كذلك يجري حكمه في جميع أصناف البشريّة والمسوخيّة وزناً بوزنٍ من عضّةٍ ولطمةٍ وخدشةٍ ورفسةٍ ودفعةٍ وإنّ منهم من تعمّر به تلك العلّة والعاهة فإن كان ملك شيئاً ملكه ذلك مثل ما ملكه وإن أعتقه أعتقه وإن بلغ حالاً بلغ به حالاً مثله.

قال المفضّل: قلت: يا مولاي قد وصّيتني بشرحٍ واحد غناني وأجزاني عن شرحٍ كثيرٍ لأنّي قد عرفته وفهمته بفضلك على عبدك فأسألك أن تعرّفني جميع أجناسها ونعوتها في كلّ محلٍّ تحلّه في البشريّة والمسوخيّة.

فقال مولاي منه السّلام: يا مفضّل إعلم أنّه يكون منها ذو جنسٍ وصفةٍ ونعتٍ في البشريّة فإن كان أسود كان كذلك وإن كان أبرش كان كذلك وإن كان أصفر كان كذلك وإن كان أبلق كان كذلك حتّى في لونه وشعره وصفته ونعته في جميع ما ينقل إليه في البشريّة والمسوخيّة حتّى إن كفّ في البشريّة كفّ في المسوخيّة وإن حدث به شيءٌ من العلل والعاهات في البشريّة حدث بعينه في المسوخيّة لا زيادة به ولا نقصان منه حتّى إذا حدث به حادثةٌ حدث به في مثل ذلك اليوم وتلك السّاعة وإن كانت زالت عنه زالت عنه في المسوخيّة في مثل ذلك الوقت وإن تطاولت به تطاولت بهو إن هلك بها في البشريّة هلك بها في المسوخيّة في مثل ذلك الوقت وذلك اليوم وتلك السّاعة حتّى لو شئت لقلت لك إنّه في حال نفسه وعددها في البشريّة والمسوخيّة سواءٌ بسواءٍ حذو النّعل بالنّعل والقذّة بالقذّة وسائر أحوالها ونعوتها حتّى التّعب والنّصب والشّقاء والكدر وفي النّعمة والرّفاهة والرّاحة.

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي ما أجلّ عدلك وأمضى قضائك.

قال: نعم يا مفضّل وإنّ ذلك جارٍ منّي في جميع المخلوقات والمكوّنات من السّماء والأرض والبرّ والبحر والجبل والسّهل والأجاج والعذب والعامر والقفر والأمن والخوف ويكون كلٌّ منهما يكون ثمّ يصير ما كان محبوباً مهجوراً وما كان مهجوراً محبوباً وما كان آمناً مخيفاً وما كان مخيفاً آمناً وما كان مجدباً منبتاً وما كان منبتاً مجدباً وما كان مقفراً عامراً وما كان عامراً مقفراً فتبيّن ذلك تجده وتعاينه.

يا مفضّل إنّك لتأتي إلى الموضع الواحد وقد بذر فيه بذارٌ واحدٌ وغذي بغذاءٍ واحدٍ فنبت منه موضعٌ وعدم ذلك البذار مكاناً آخر وإنّك لتأتي إلى موضعٍ واحدٍ من الأرض والبقاع والجبال فتحفر فيها معيناً فيخرج ماؤه مالحاً أجاجاً يمنع الورود منهو يكرهه النّاس وتعدل عنه إلى موضعٍ آخر فتحفر فيخرج ماؤه عذباً شروباً سائغاً بارداً وإنّ البقعة واحدةٌ متقاربتان لا تباعد بينهما وكذلك في البحار المالحة يخرج الماء معيناً عذباً سائغاً في جزائره وسواحله من القرب منه والبعد وكذلك في البحار العذبة الجارية مثل الفرات وغيره من الأنهار والأودية يحفر فيه وعلى سواحله فيخرج معيناً ومالحاً أجاجاً ومثل ذلك في قلل الجبال وبطون الأودية وإنّه لينبع الماء منها وفيها عذباً ومالحاً وإنّهما يكونان في معدنٍ واحدٍ وذلك دليلٌ آخر أوضحه الله عزّ وجلّ لبيان ما أنا أشرحه لك إنّه ربّما كان محتفر المعين ماءً عذباً

شراباً ينزل عليه على ممرّ السّنين والأيّام حتّى تحوّل ذلك العذب فيصير مالحاً يمنع شاربه الورود عليه فيتحاماه النّاس ويصير عجيباً ويكثر تعجّب عارفه منه وإنّه كان عذباً شروباً صار مالحاً أجاجاً ويصير مثلاً ومنزلاً فيتغيّر الحال على عارفه في الحالين وإنّه ليكون جارياً ومعيناً يجري العرق بجريان الماء ممتنعٌ من العبور فيه إلاّ عند سكونه من هوله فإذا سكن الرّيح عنه جرت المراكب حتّى يعبر السّالك فيه ويصير بعد ذلك في وقتٍ آخر وعصرٍ آخر يابساً ويزول كلّ ذلك منه حتّى يحول إلى غياضٍ وآكامٍ ثمّ يحولَ إلى برٍّ وقفرٍ وفلواتٍ ومغاير حتّى إنّه ليمرّ المارُّ فيقول قائلهم إنّه قد قيل إنّ هذا الموضع قد كان يعهد في بعض الزّمان بحراً تجري فيه المراكب والسّفن لعظمه وعظم وسعه ووصفه وكان من حال كذا وكذا والآن قد صار إلى ماترون وربّما قال لقد خبّرت أنّ هذا الموضع من حاله كذا وكذا وماهو على ما وصفوه اليوم وربّما كان قفراً موحشاً لا يأنس إليه أحدٌ يمنع ساكنه مخالفة الظّماً فصار بعد ذلك أوديةً وأنهاراً وأبحاراً حتّى لا يسلك فيه إلاّ المراكب العظيمةً لهول مائه فيقول القائل العارف به وهو في الحال الأوّل من البرّ والقفر وعهدي بهذا الموضع يصف كذا وكذا وهو اليوم على خلاف ما قالوا وما وصفوا وهذا يتحدّث به العالم دائماً ويتناقلوه ويعرفوه وممّا أختبره مرّةً بعد مرّةٍ ونسوه وبقي فمنهم إلاّ قد أرى به لأنّهم دائماً يقولون فهو جاري فيه الماء لا بدّ أن يعود حتّى يهلك حيتانه وجميع ما عليه من النّبات وهم صادقون في ذلك إلاّ أن يصير قولهم أيضاً عوداً جرى فيه الماء لا بدّ أنّه يعود فيه وهم صادقون في ذلك أكبر دليلٍ أنّه إذا عاود ذلك الماء إلى حاله وجرى على سنتّه القديمة أنبت جميع ما كان على النّهر والوادي والبحر من الأشجار الخضر والنّبات طيّباً فطيّباً وخبيثاً فخبيثاً حتّى أنّ الشّجرة لتنبت في موضعها الّتي كانت بعينه ويملكها الّذي كانت له وهلك عنها ثمّ يملكها بعده قرناً بعد قرنٍ وجيلاً بعد جيلٍ لا يكون شيئاً نبت وهلك بعد ذلك الماء إلاّ وكان بكونه الأوّل حتّى لا يكون شيءٌ سكن في الماء من الحيتان أو في البرّ على الماء من الوحش والدّبب وكان بكونه الأوّل طيّباً فطيّباً وخبيثاً فخبيثاً لا زيادة فيه ولا نقصان منه توجد الّذي عهد فيه الأوّل بالحال الأوّل عدلاً من الباري سبحانه وصراط مستقيم دائم بدوامه لا يفنى ولا يزول ولا يحول بل يتردّد كما قدّره صانعها الحكيم.

إنّه يا مفضّل يأوي كلّ جنسٍ من أجناس المسوخيّات بحيث كانت وكذا الطّير تعرف أوكارها والوحش تعرف مجاثمها بحيث لا يذهب على أحدٍ شيءٌ من الحال الّذي عهده في الكرّة الأولى إلاّ وأتاه وعرفه وذكره فيجدّد بذلك عليه أحزانه.

فهذا يا مفضّل المراد بقوله سبحانه يوم تبدّل الأرض غير الأرض فهذا أراد تبديل الأرض غير الأرض أراد تبديلها في الظّاهر وأمّا الباطن فإنّه أراد تبديل الأرض غير الأرض فإنّ عالم المزاج للّذين هم في الأرض وصفوا وتخلّصوا ورفعوا إلى العلوّ وتزول عنهم رتبة المزاج فيحلّوا غير المحلّ السّفليّ لأنّهم يحلّون العالم العلويّ النّورانيّ ويعودون إلى جوهرهم الّذي بدوهم منه لأنّ جوهر الشّيء هو الشّيء.

و أمّا قوله سبحانه تعالى: «مِنْها خَلَقْناكُمْ وفِيها نُعيدُكُمْ ومِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى» فهو نصٌّ على أهل الجّحود والإنكار لأنّهم من الأرض خلقوا وفيها يعادون وفي المسوخيّة ومنها يخرجون إلى الرّسوخيّة بدوام الحال الجّاري قد لزموا بجحودهم وإنكارهم وخلفهم وكفرهم يكرّون في الأرض في البشريّة ثمّ يصيرون إلى المسوخيّة بما إكتسبوا من أعمالهم وإصرارهم على ذلك الجّحود والكفر لأنّهم كلّما ذاقوا عذاباً أخرجوا إلى ما هو أشدّ منه وعند ذلك يكون أشدّ كفراً وعناداً لأنّه لو ردّ عليهم مثل تلك الدّعوة مائة ألفِ مثلها مكرّراً لما أجابوا ولا صدّقوا فهم في أليم العذاب لا يفتر عنهم عدلاً من الباري جارياً فيهم ينتقم منهم في البشريّة والنّسوخيّة والمسوخيّة والوسوخيّة والرّسوخيّة في الكشف والرّجعة بعد الرّجعة وهم على سنن ما جرى لهم من الجّحود والإنكار والكفر بجميع ما يظهر لهم من الحقائق.

و أمّا قوله يا مفضّل: والسّموات فقد علمت ما نعتها به السّيّد محمّد منه السّلام إذ قال الله عزّ وجلّ: «ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها ولِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَو كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائعِينَ» وهذا نصٌّ على إثنتين سماءٍ وأرضٍ وإجابتهما إلى ذلك فإعرف ذلك من قول مولاك حتّى يرد عليك شرحه عند إشكاله من الشّرح.

وقد قال السّيّد محمّد منه السّلام في ظاهر الأمر: إنّ لله سماءَ من دخانٍ وسماء من ضبابٍ وسماء منفضّةٍ وسماء من ذهبٍ وسماء من ياقوتٍ وسماءَ من

زمرّدٌ وسماء من نور وكلّ سماءٍ في الباطن فهي سلسل وهو الباب وهو واحدٌ لا يتغيّر إلاّ بالظّهور عند العالم السّفليّ كما نظروه بأسماء مختلفةٍ: جبرائيل ويائيل وحام ودان وعبد الله وروزبة وسلمان وهو في الحقيقة سلمان وهو جبرائيل نورانيّاً فتبدّل السّماوات يؤول إلى كون الآخر فإن دخل شخصٌ من أشخاص أصحاب المراتب والدّرج أو من جاوزهم ممّن صفا ورقا حالاً مثل قوله: كنت في منزلةٍ دنيئةٍ فأجهدت نفسي حتّى تخلّصت منها ورفعت إلى هذه المنزلة وقد وردت إليها فيداخله من ذلك شكٌّ فيستحقّ على ذلك عقوبةً على إعتراضه وإن علم أنّ الرّفعة والعلوّ أن يحلّ بحيث مولاه وإسمه وبابه وشكر مولاه على ذلك إزداد رفعةً وعلوّاً وإن داخله إعتراضٌ عند تغيير الباب بالظّهور كذلك ظهور إسمه أيضاً بين يديه بمثل ذلك وإذا داخل الشخص شكٌّ عمّا في ظهوره في تلك السّماء إستوجب بذلك عقوبةً فمن ذلك الكسوف والخسوف للشّمس والقمر والتّغيير الّذي يلحقها وكذلك إحتراق النّجوم وهبوطها.

و منه ما يلحقه بتبصّره في ذلك ما يهبط به إلى الأرض فيقيم فيها في قميصٍ واحدٍ وإثنين وثلاثة وأقلّ وأكثر وهو مع ذلك يخفي نفسه عن البشر فإن أحبّ أن يظهر نفسه لأحدٍ ممّن قد عرفه أظهر نفسه له فيقف إلى جانب الرّجل البشريّ ويحادثه في أشياءٍ يكون تأديباً لذلك البشريّ فيكون كلامه له على سبيل النّصح والأمر بالخير والنّهي عن المنكر والمكروه.

فمن ذلك يا مفضّل أنّك لتلقى الرّجل وهو يمشي ويتحدّث فيقول: إنّ هذا الرّجل ليحدّث نفسه يأمرها وينهاها، نعم يا مفضّل وإنّه ليعلي كلامه فيقول: لا أفعل شبه المجيب للمخاطب له وربّما كان الرّجل في بلدٍ قفرٍ وحده لا تابع ولا رفيق وإنّه ليحدّث نفسه وهو مع ذلك يخفي صوته عن من يخشى إستماعه ومثل ذلك كثيرٌ فالمحدّث للرّجل المؤمن في مثل هذه الأشياء الّتي ظهرت له فيها الحضّ من العلم والّذي هو تلك الأشخاص الّتي قد وصفت لك حالها أنّها مهبوطةٌ من العلوّ فإن أحبّ أن يظهر نفسه لذلك الشّخص البشريّ ظهر له وآنسه وإن لم يختر فهو يخفي نفسه ويجري أمره مع البشريّ كما أخبرتك به في الشّرح لأنّه يوجده معاً في الأشياء ولا يقع طرفه على أحدٍ يراه، من ذلك أنّك لتكون على حاله في الوحدة فتشرف على الهلاك ولا يكون قربك من تستعين به فأنت على يأسٍ من أمرك حتّى يشرف عليك

من يخلّصك ويكشف عنك مخافتك وما أنت فيه من الشّدّة ويكون عونك عليها فإذا تخلّصت قلت: بعث الله لي هذا الرّجل رحمةً منه ونعمةً عليّ فأنقذني ممّا كنت فيه فما أدري من الأرض صعد أم من السّماء نزل وربّما إتّبعته لتطلبه فتعدمه ولا تقدر عليه ويكون كأنّه ما كان فتقول: لست أدري أمن السّماء نزل أم من الأرض صعد.

فتبيّن هذا يا مفضّل تعرفه وإعلم يا مفضّل أنّ المولى يحلّ معكم في السّموات عند حلولكم بها ونزولهم إليها في كلّ منزلةٍ ينزلونها منها لتثبيت الحجّة عليهم ولهم من حيث وجودهم ذاته في كلّ محلٍّ يحلّوه.

فإذا آثروا فضل المنزلة الّتي هم بها حلولٌ أوجب عليهم ذلك الجّزاء الجّاري بهم ويكون لإيثارهم المكان على المكوّن أعلى الأمكنة كلّها.

و إعلم أنّ حيث حلّ المكوّن هو المكان العالي الرّفيع فهو على منزلة الثّبات وله يجري ذلك على أهل المراتب إلاّ بعد ظهورهم في هذه المنزلة الّتي هي المنزلة الأولى فمن ثمّ يجري على العالم العلويّ الإختيار بعد الصّفا كون ذلك على حدّ العذاب كذلك الشّخص عند العالم.

و هذا يا مفضّل أصل الحكمة الأبديّة ودوام الملك السّرمديّ وإنفاذ القدرة لأنّه لا يبطل وهو قوام العدل ودعائمه لأنّه مختبرٌ خبيرٌ.

و إعلم يا مفضّل أنّ الإختيار واقعٌ بالعالم أجمع وهم في عالمٍ واحدٍ لمّا ظهر لهم وأوجدهم نفسه ودلّهم على ذاته ودعاهم إلى توحيده وأظهر فيهم ظهوره لا يفضّل أحداً على أحدٍ ولولا ذلك كانوا يقولون لولا ظهر لنا ما ظهر لغيرنا لصدّقنا وآمنّا وعرفنا الحقيقةً وكان العدل والقدرة أنّه أبداهم بدواً واحداً وكوّنهم كوناً واحداً ودعاهم دعوةً واحدةً وظهر لهم ظهوراً واحداً وإختبرهم إختباراً واحداً فعرف من عرف وأنكر من أنكر وأجاب من أجاب وجحد من جحد فميّزهم بعلمه فيهم فلهم في كلّ منزلةٍ ما إستحقّوه من ذلك الإختبار من العلوّ أصله وبدوه وكيف يمهله مولاك.

و إنّما الفرع بالأصل.

القول في الإختبار ومعرفة ذلك

يا مفضّل العالم العلويّ والبشريّ يختبرهم مولاك في المنازل والرّتب والرّفعة والإنحطاط في البشريّة لا غيرها فإن عرفوا مولاك بحقيقة المعرفة رفعوا وسهل عليهم الصّفا وألهموا وإن هم أهملوا المعرفة عند تكامل أعمالهم.

و قال: كما كنّا في حال دينٍ ودنيا واليوم لا دين ولا دنيا هلكوا وإستحقّوا التّرديد في البشريّة في القمصان الصّعبة حتّى يخرجوا من ذلك ثمّ يردّون عند تناهي ذلك إلى الحالة الأولى الّتي كانوا عليها من الرّتبة والعلوّ في الدّنيا والعلم والمعرفة يسهل لهم فمنهم من يرتقي ويرقى في الغنى في الحالين الدّنيا والدّين ومنهم من يرتقي من الفقر.

فقد إختار العالم السّفليّ البشريّ و ذلك أنّ مولاك يظهر فيهم ويقيم مقامات حكمته وأسباب الإرتقاء هو الصّراط المستقيم السّويّ في العالمين وكذلك يجري حكم ربّك ومولاك يا مفضّل في العالم المنكوس أهل الخلف والجّحود والإنكار والكفي يظهر لهم بالبشريّة ويظهرهم بها ويظهر لهم الدّعوة وينقلهم إلى التّناهي في أعلى البشريّة في الدّنيا والدّين الظّاهر والفقه وطلب العلم والحديث والنّطق والجّدال والقراءات والمذاهب ليقع ذلك على أفهامهم جميع علوم الظّاهر والباطن ويعرفهم بمقامات المذاهب ويسمعهم معانيهم حتّى إذا لم يبق لهم شيءٌ إلاّ يعوه ويعرفوه ويروه ويتكلّمون عليه ردّهم الخمول في الدّنيا ونقص الفهم والعمى كما كانوا بها ما كانوا يعرفوه وجميع ما يطرق أسماعهم حتّى يكونوا كمن لا يعرف فرقاً بين حقٍّ وباطلٍ وخطأٍ وصوابٍ فيسمعون وكانوا أعرف به فيجهلونه ويتلوهم ذلك أخوه، ردّهم إلى الكفر والجّحود وعكسهم بعد ذلك إلى المسوخيّة ثمّ يوجدهم جميع ما كانوا يجدونه ويعرفونه في البشريّة ويتبيّن لهم أطغاهم ومن كان سبب تلك الضّلالة فيودّون أن يردّوا إلى البشريّة ليؤمنوا.

والدّليل على ذلك قوله: «وهُمْ يَصطَرِخُونَ فيها ربَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» وقوله: «فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَو نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي

كُنَّا نَعْمَلُ» فثبتت عليهم الحجّة بقوله عزّ وجلّ أولم نعمّركم إنّما نعمّر فيه من تذكّر وجاءكم النّذير وهو الّذي إختبرهم في البشريّة بالرّدّ والكدّ وإتّخذ كلّ علم الظّاهر والباطن بالكشف والدّعوة عند ظهوره ثمّ إنّه خبّر عنهم ولو أنّهم ردّوا لعادوا إلى ما نهوا عنه فلا يزالون في المسوخيّة إلى ما ينقلون إليه في طغيانهم على سنن ما جرى لهم في البشريّة من الإمهال في حالٍ واحدٍ وصراطٍ واحدٍ يسلكه العالم المنكوس يجري فيهم القدرة بلا إنقطاع ولا يفتر عنهم العذاب ولا يزالون إلى الرّجعة الأخرى.

فطوبى يا مفضّل لمن عرف شرح هذا الباطن ووقف عنده وعمل به وسلّم إليه وعرف مراد مولاه فيه وويلٌ لمن شكّ فيه وجحد وقصّر عنه وندّ وخالف عليه وعاند فيه.

فقلت: يا مولاي لا يثبت على ذلك ولا يهتدي إلاّ من هديته.

فقال: يا مفضّل أكثرهم يقرّون أنّ مولاك خاطب السّيّد محمّد منه السّلام فقال: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» وقال في موضعٍ آخر «أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ» وقال أيضاً مخبراً عنهم: «قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ»(من دوام هذا الموت وهذه الحياة) وذلك أنّ قولهم أمتّنا إثنتين وأحييتنا فهو مثنّى مرّتين وكلّ مثنّى كان حتماً جرماً،و أمّا قوله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» أي ترجعون وتبعثون فإنّما أراد إختبارهم.

فإذا كان السّيّد الأكبر والإسم الأجلّ والحجاب الأعظم والنّفس المحذّرة قد عنيت بهذا الخطاب فكيف يكون أهل المراتب والدّرج وجميع العالم الّذين هم بعض حسنات السّيّد الأجلّ الأعظم محمّد منه السّلام وأراد بالقيامة والبعث والكشف والظّهور ورجوع كلّ شخصٍ من بشريٍّ ونورانيٍّ وظلمانيٍّ إلى حاله الأوّل والدّعوة الأولى بالحجّة القائمة متقدّمةً فلا يهلك إلاّ من إغترّ بقوله إنّي عارفٌ ومصفّى ومخلّص وناجٍ فإذن الإختبار به هنالك أشدّ وقيعةً وأعظم محنةً وقد قيل: إحذروا زلّة العالم فإنّها لا تقال، يقال: أعوذ بالله من الذّلّ بعد العزّ ويقال: إستعيذوا بالله من الشّيطان الغويّ والهوى المردي، ويقال: إنّ زلّة العالم لا تقال وزلّة الجّاهل تقال كما

أنّك إذا عتبت على شخصين أحدهما عالمٌ والآخر جاهلٌ تقول: إنّي لا آخذ على هذا الجّاهل بجهله وإنّما آخذ على هذا العالم بعلمه.

فإذا كان يا مفضّل أهل المراتب والدّرج على هذه المنزلة والحالة والإختبار فكيف يكون من دونهم ممّن إذا ألقي إليه المعرفة وأُمر بعملٍ وكشف له شيءٌ من الباطن العظيم لم يحمله وقعد عنه وقنط فيه وربّما داخله شكٌّ.

و إنّما هذا من مراتب البشريّة ومقامات الإمتحان والتّرديد في قمصان البشر فإن تبصّر فيما يلقى إليه وقبله وحافظ عليه عدل به عن التّردّد والنّزول في الهياكل الصّعبة.

و أمّا أهل الخلف والجّحود والإنكار والكفر فهم كلّما جحدوا وأنكروا ردّوا من البشريّة إلى الهياكل الرّجسة في المسوخيّة على قدر جرمهم.

و أمّا أهل المعرفة والإقرار فإنّ منهم من يكون في منزلةٍ عاليةٍ سنيّةٍ رفيعةٍ فيسقط عنها بشُبَهٍ تعرض له أو شكٌّ يداخله أو مماراةٍ يماري بها أو بكلمةٍ تكون منه أو بظنٍّ يظنّه في أخيه أو وقيعةٍ تقع فيه أو سموٌّ يسمو عليه أو يتصوّر دونه إذا كان ذا دنيا أو يستأثر عليه بشيءٍ من حطامها أو شيءٍ من الدّنيا يسأله عنها فيبخل عليه بعلمه.

فالشّكّ في المعرفة ودخول العوارض والعلل على المقرّ يردّ إلى الإنحطاط ومعاناة البشريّة وكذلك أيضاً التّقصير في حقوق المؤمنين والقيام بأمورهم وإختيار مكارههم ومساوئهم والوقيعة فيهم والإستئثار دونهم بدينٍ أو بدنيا من فرحٍ وسرورٍ يردّ إلى الإنحطاط ومعاناة البشريّة وهو في ذلك في أعظم محنةٍ وأشدّ مطالبةٍ لأنّ الله سبحانه قد آلى على نفسه أن يهب ما بينه وبين عباده المؤمنين لهم وأن يمحّص عنهم ذلك ولا يعبأ به وما كان بين عباده فقد آلى على نفسه أنّه لا يدع منه شيئاً إلاّ إستوفاه كذلك المعين عليه فيجازيه على فعله به ويأخذ له بحقّه فهذه الأفعال يستوجب الجّزاء والعطاء والمكافأة.

وإذا كان مولاك يوفي الحقّ من نفسه كيف لا يستوفي للمؤمن من غيره وهو جعلهم سواءً في الأحوال جمعاً بقوله لهم: كونوا كنفسٍ واحدةٍ كما نعتهم لأنفسهم فقال: ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفسٍ واحدةٍ، فأوجدهم أنّه جعلهم بكونٍ واحدٍ ونعتٍ

واحدٍ ومعنىً واحدٍ، وأنّهم إذا صاروا كذلك صاروا مؤمنين حقّاً خالصين شاهدين ونعتهم وعيانهم ومشاهدتهم وقبولهم فأمّا من فضّل أخاه المؤمن على نفسه وتعبّد للمؤمنين فإنّما ذلك من تعبّد الله وطاعته وممّا يستوجب به من الله الزّيادة والفوز والرّفعة من حظّ الإيمان والمعرفة فيكون بذلك الفعل دليلاً وسبيلاً وسبباً يستوجِبُ من الله أن يجعل له منزلةً يُخلّص به من عباده من أحبّ الله على قدر إجتهاده في تلك الطّاعة للمؤمنين فطلب رضاه الله مولاه فيهم.

فمنهم من يجعله الله بفضله عليه وسبباً لخلقٍ كثيرٍ يزيده رفعةً وعلوّاً في الإيمان والعلم والعمل به فيزيده الله رتبةً من العلم الواضح ويجعله مقصداً للمؤمنين ويودعه غوامض علومه وبواطنها فيكون في ذلك حياته ونجاته وحياة من قصده.

وقيل منهم من يكون سبباً لهدايةِ عشرةٍ أو أقلّ أو أكثر إلى واحدٍ من العالم يهديه الله على يديه ويجعله سبباً لخلاصه ونجاته.

فكلّ ذلك يجري منهم وفيهم على قدر إمتثالهم لطاعة مولاهم في حقوق إخوانهم المؤمنين.

فبهذا لهم من عطاء مولاهم وقد أشرك الله صاحب المائة بصاحب الواحدة وجعلهم في المنزلة والفعل سواء إذ جعلهم واحداً بقوله: كونوا كنفسٍ واحدةٍ وقوله: ومن أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعاً، وصاحب النّفس الواحدة كالّذي أحيا الكثير من الأنفس وأوجب له على الملجأ الشّكر والإجلال والإكرام.

وقال العالم منه السّلام: إنّ الله يقول: ما شكرني حقّ شكري من لم يشكر السّبب الّذي بيني وبينه، ثمّ نطق الكتاب بذلك فقال: «أَنِ اشْكُرْ لِي ولِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ» وقال: «فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَو أَشَدَّ ذِكْراً» وقال: «واخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً».

و إعلم يا مفضّل أنّ التّربية بالكلمة الطّيّبة العذبة ثمّ الأخرى الّتي هي أقوى منها طيباً وأحسن منها رونقاً حتّى يقوى لحملها ومداراته على قبولها والإجابة إليها ثمّ ما بعدها حتّى يعطيه المعرفة بذاتها فذلك هو الّذي كان صغيراً.

فلم يزل يربّيه بالمعرفة والعلم قليلاً قليلاً يرفعه من رتبةٍ إلى رتبةٍ أخرى حتّى ربّاه من الصّغر إلى الكبر وربّما ألقى إليه معرفته وأقرّ به وإرتفع من الضّعف إلى القوّة بهذا أوصى مولاك لأهل الإقرار سبباً فهل هم متمسّكون بهذا أم تاركون له.

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي أنت أعلم بهم.

قال مولانا علينا رحمته فلعلمي بهم وبتقصيرهم وعدولهم عن أمري تطاولت بهم المدّة وتضاعفت عليهم الكرّات وتناقلتهم الرّجعات والأدوار والأكوار والأحقاب والعصور والدّهور والأزمنة.

ثمّ قال: يا مفضّل إنّه ليعاني المؤمن بشخصٍ واحدٍ ممّن قد أحبّ الله خلاصه أعظم ما يعاني المؤمن الآخر لألفٍ أو مئةٍ أو أقلٍّ أو أكثر وربّما كانوا من درجة القبول بالإجابة فإذا المؤمن البالغ ألقى إلى الرّجل المؤمن الطّالب الكلمة وافقت القبول فيها فيسهل ذلك على الآخذ والمأخوذ عنه فيصير نعتاً ويقصد معاني السّؤال فيحسن بذلك صورته في العالم فيكون فقهه بكلمةٍ واحدةٍ كفقه غيره بكلماتٍ كثيرةٍ إستماعاً وبحثاً وطلباً للعلم ومواظبةً ويشغل سرّه وفكره فيه فيجعله معولاً يعوّل عليه ويقصده ويطلبه ويطلب الزّيادة منه وفيه حتّى لا يكون له همٌّ سواه ولا مرادٌ غيره ويحلو ذلك بقلبه ويجانس جوهره.

فهو بذلك يقرب من الدّرجة العالية ويبعد من الشّكّ والجّحد ويتخلّص فتنجلي عنه تلك الظّلمة فمأخذه قريبٌ فذلك كلّه لبعد مكانه وحول ما عاناه من البشريّة والمزاج لأنّه قد إرتقى في العلوم الطّالبيّة في درج النّظر والإحتجاج في المذاهب وأقرّ بمعانيها ودخلت في قلبه فهو شديد الجّدال والتّجارب إلى قبول الحقيقة كلّما إتّضح له حالٌ لاح له لذلك شيءٌ من تلك الأحوال المتقدّمة.

فلا يزال يوضح الحجّة له حتّى يزول عنه ذلك العارض الّذي عرض له وينشرح ما إشتكل عليه فتزول عنه تلك الآراء والظّنون بما سمعه ويتبيّن له فيتمكّن عقده به ويكون فيه مقيساً سائلاً عمّا يحتاج إليه وما جاهد خوفاً من الرّجوع إلى ما كان عليه أوّلاً من الأتعاب والتّردّد فهو ذو حظٍّ من الثّواب والعطاء.

فيكون عند ذلك المجاهد لهذه النّفس الواحدة مثل الّذي قد أُلقي إلى ذلك الكبير من العالمين المستحقّين للمعرفة ويكونا سواءً لأنّه لزمهم إقامة الحقّ في ذلك ليدفعوا إلى كلٍّ حقّه ولا يبخسُ أحدٌ أحداً شيئاً إذا آنس منه رشداً وإلاّ فإن منعه فإنّه يجعله يتيما قد حجر ماله عنه، فإذا أعطى العارف للطّالب شيئاً من علوم الله الباطنة فقد حاجّه بها فإن أقرّ للملقي إليه الخطاب وسلّم وصبر وحمل.

وإن منعه الملقي إليه فقد ما أعطاه وإنتظر إليه حيناً آخر وأدركته النّقلة لذلك السّبب وخلف ذلك التّسمية الّتي ألقي إليها التّوحيد على بعض البصيرة ولم يغذّه ويفقّهه ويربِّهِ بعلمه وتركه حائراً في رشده وتائهاً في أمره متحيّراً في خلاصه لا يدري إلى أين يلجأ ويأنس آخر رشده ويميل إليه ويقصده ويطلب منه فيمنعه ويبعده ولا يثق به ويقول له: إطلب حيث وجدت فيصير بذلك يتيماً ليس له مالٌ وقد حجر عليه ومُنِعَ منه.

فلا يزال في تعبٍ ونصبٍ حتّى يجد له من يأنس إليه فيعطيه طلبته ويبلغه إرادته ويكشف الحقّ بما يلقيه إليه فإن لم يجد من يخلّصه ممّا هو فيه ونقل إلى تلك الحالة الّتي قد خلّفه عليها فقد هلك ذلك السّبَبُ لأنّه يطلب بفعله به فلا يزال ينقل في الهياكل الصّعبة في البشريّة حتّى يخرج عن جنايته ولا يكون له عند مولاه حجّةً بل يكون الحجّة لذلك النّسمة على والده عند مولاهما.

فإذا أخذ في ذلك بأمر مولاه وطلب نجاة ذلك الشّخص وإبتغى رضا مولاه فيعطيه الكلمة فيخلّصه بها وينصحه ويعرّفه مع ذلك ما يحتاج إليه وما يخرجه من الشّبهات ويوضح له منهج رشده وقصده ويفقّهه في دينه ويُرضعه علوم الدّين حتّى لا يدع لله عليه حجّةً بل تكون الحجّة على ذلك رجع أم قصّر أم زاغ أم قال فيقول ذلك الشّيخ: أنت أمرتني أن أدفع إليه فدفعت له كما أمرت وما تركت له حجّةً عليّ وقد نصحته كما أمرتني ولم أعدل به عن طريق الحقّ وكشفت له جميع ما قدرت عليه وكنت أعلم به منّي فيكون شيخه عند ذلك مقال العثرة مقبول العذر ويكون المخالف للأمر بحيث يستوجب ويستحقّ الجزاء والعقوبة.

لأنّ الحجّة لا تثبت إلاّ بعد إيضاح الأعذار والإنذار وإيجاد الحقائق وإزالة العلل بالبراهين والدّلائل وذلك أنّه إنّما رجع عنه بالشّكّ والإرتياب.

معرفة قوله: يدخل إبن ثلاثين ويخرج منه إبن ثمانين

وإعلم أنّه يا مفضّل يدخل في المعرفة إبن ثلاثين ويخرج إبن ثمانين هذا باطنٌ أظهرك عليه لتعرفه.

فأمّا الدّاخل وهو إبن ثلاثين أو ثمانين فهي قمصان من قمصان البشريّة شكّ في جميعها وما خرج من واحدٍ منها إلى المعرفة والإقرار بل سها وشكّ فيها وكرّ فيها فإذا كان بعد ذلك دخل إلى المعرفة بغير تنقّلٍ إلى رُتَبٍ أو درجٍ فيكون أوثق بمعرفته وأثبت على توحيد مولاه ممّن قد دخل برتبٍ ودرجٍ ومنازل ينقل منها إلى المعرفة.

فيكون ذلك عجباً بين هذا الخلق تضرب به الأمثال فيقال: إنّ فلاناً كان من سبيله كذا وكذا ما عرف شيئاً من هذا الّذي هو فيه، وقد دخل عليه، وإنّما وقع عليه أدنى شيء منه، فقد خرج بارعاً، لقد حظي بشيءٍ عظيمٍ منه والله يعطي فضله لمن يشاء من عباده.

و أمّا الخارج في هذا الأمر وهو إمّا إبن ثلاثين أو ثمانين قميصاً فإنّه يكون شخصٌ قد أقرّ في ثلاثين أو ثمانين قميصاً كرّ فيها ونقل إليها وكان في جميعها على منزلة الإقرار بالمعرفة حتّى يداخله في تناهي ذلك ضعفٌ أو شكٌّ بذنبٍ قد فعله أو جنايةٍ قد جناها إلى بعض المؤمنين أو خطيئةٍ قد فعلها ببعض إخوانه أو سببٍ مثل ذلك فيستوجب من الله أن ينقله في ثلاثين أو ثمانين قميصاً لا يعرف فيها رشده بل يكون في جميعها منكراً مخالفاً معانداً جاحداً فيخشاه من كان واثقاً به ويستوحش منه من كان يأنس إليه ممّا عليه من التّبذير والخلف والمعاندة ويكشف تلك السّرائر الّتي قد عرفها ويصير بذلك مثلاً وعجباً فيقال: إنّ فلاناً كان من حاله كذا وكذا على نهاية البلاغ والرّفعة وإنّه قد رجع عن جميع ما كان عليه من المعرفة حتّى كأنّه لم يسمع منه قطُّ ولا عرفه ولقد كان له عند الله سريرةٌ وله سالفةٌ فعلم الله منه ذلك فسلبه معرفته وتوحيده بفساد نيّته فيخرج من المعرفة حتّى كأنّه لم يحلّها قطُّ.

فهذا حديث الدّاخل في المعرفة والخارج منها إبن ثلاثين أو ثمانين قميصاً لا كما يقولون إنّه يدخل في المعرفة إبن ثلاثين سنة فيستعظمون ذلك أنّ شخصاً أقام على معرفته وإيمانه ثلاثين سنة فلمّا حان أوان نقلته لحقه الشّقاء ورجع عمّا كان عليه.

وأنّ شخصاً عاند الله وجحده وكفر به ثلاثين أو ثمانين فلمّا حان أوان هلاكه صدّق بالحقّ وأقرّ بالمعرفة وسارع إلى توحيد مولاه ورجع عن كفره وجحده فعرّفه الله رشده فنجا وخلص من حيرته.

فأيّما أعظم يا مفضّل من رجع عن هذا الأمر بعد ثلاثين أو ثمانين قميصاً أقام فيها عارفاً مقرّاً مسلّماً متفقّهاً ومن رجع بعد الثّلاثين سنة. وإنّما العجب من الدّاخل إلى هذا الأمر بعد ثلاثين أو ثمانين قميصاً أقام فيها معانداً شاكّاً جاحداً. وقال الله تبارك إسمه: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ» فالحسنات هي المعرفة والإقرار والإيمان بالله مولاك الحقّ فإذا عرف الشّخص ذلك وأقرّ به وسلّم إليه أذهب الإقرار السّيّئات.

والسّيّئات هي المسوخيّة وذلك أنّ هذا الّذي قد دخل إلى هذه المعرفة بعد الثّلاثين والثّمانين قميصاً هي قمصان البشريّة ينتقل فيها حتّى يصل إلى المعرفة فيبتلى فيها بغنىً بعد فقرٍ وبفقرٍ بعد غنىً وعزٍّ بعد ذلٍّ وذلٍّ بعد عزٍّ ومالكاً ومملوكاً وعالماً وجاهلاً وحرّاً وعبداً وأسود وأبيض يبتلى منها بهذا كلّه فإذا تناهى به ذلك وصل إلى المعرفة فيناله فيها من هذه الصّفات مثل ما ناله من القمص المتقدّمة لا يخرج من البشريّة إلى غيرها وذلك أنّ المعرفة ثابتةٌ له وإنّما يجازى بمقدار جرمه ويرجع إلى إقراره ومعرفته والشّاهد بذلك قوله سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ» [1] فمعناه عن المسوخيّة لأنّ المعرفة والإقرار ثابتتان له وفيه وإنّما عليه ردٌّ وكدرٌ وتصفيةٌ.

---

[1] جائت الآية كما يلي«إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ، لَو كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وكُلٌّ فِيها خالِدُونَ، لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ، إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ، لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ، لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» صدق الله العليّ العظيم

وقد قال الله عزّ وجلّ: «ولَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ والْجُوعِ ونَقْصٍ مِنَ الأمْوالِ والأنْفُسِ والثَّمَراتِ وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» والنقصان في الأموال هو علم الباطن والأنفس هي المنازل الّتي ينزلونها في العلوّ والرّفعة والثّمرات الزّيادة منها لأنّه كلّما زاد علمه علت منازله، وقوله: وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ يعنى به أهل الثّبات على الدّين الّذين لم يحلّوا حيث حلّوا هؤلاء.

فقلت: صدقت يا مولاي فكيف يكون تزايدهم في المعرفة ونقصانهم منها.

فقال مولانا علينا سلامه:

يا مفضّل: التّزايد في المعرفة أن يكون أهل التّوحيد مقرّين مسلّمين بكلّ ما ورد إليهم وظهر لهم من المعنى الّذي أقرّوا بوحدانيّته وبإسمه وبابه الّذين أجابوا دعوته حتّى لو ظهر إليهم أعجميّاً قبلوه وعرفوا قوله أو نبطيّاً قبلوه مع جميع الأجناس حتّى اللّون من الأبيض والأسود وكما ظهر في مقاماتٍ كثيرةٍ مثل ذلك وأقرّوا بها، نعم يا مفضّل.

و يكون في المقام الثّالث بعد هذا المقام يظهر مولاك فيهم ذلك الإرتياب والخلف من أهل الشّكّ والجّحود وأهل الحقيقة واليقين حتّى يظهر نطقه في الطّفوليّة كما أظهر النّطق في القبّة المسيحيّة وهو طفلٌ صغيرٌ ويخبر بنفسه ويوضح البيان في ذلك يكون إليهم في ذلك البيان معبّراً ويرجع إليه المختبر وسيقع ذلك ويسير فيكون على أفواه الرّجال والنّاس جميعاً من المؤالفين مشروحاً فيختصّهم عند أهل المعرفة وأهل الشّبهة فتزيد معرفة أهل الإقرار يقيناً وبصيرةً عند تسليمهم إلى ذلك المقام الظّاهر بالقدرة والعجز بعد القدرة [1] هو قدرةٌ وأنّه لا فرق بين الفعلين وأنّ الإرادتين واحدةٌ وهي المعنى الأحد القديم الأزل.

فيكون لهم بذلك تزايدٌ في المعرفة ورفعةٌ في المنزلة ولو أتاهم ذلك الشّخص الّذي قد أقرّوا بمعنويّته فيحرّم ما أحلّ لهم ويحلّل ما حرّم عليهم ودعاهم إلى كلّ ملّةٍ وشريعةٍ وأظهر لهم مثل الزّنّار وحلق وسط الرّاس [2] ويظهر لهم مثل ذلك قبلوه

---

[1] أي المقصود هو العقيدة التي تقول بتجسد الإله بصورة «طفل شب شيخ» .

[2] راجع الرّسالة المسيحيّة للشّيخ الثّقة الجلّيّ قدّسه الله

وآمنوا به وصدّقوا وسلّموا إليه ووحّدوه وعلموا أنّ ذلك كلّه منه وله وفيه وإنّما هي قدرةٌ نافذةٌ وإختبارٌ.

فكلّما سلّموا وصدّقوا بشيءٍ ممّا يورده ذلك المقام إزدادوا رفعةً وعلوّاً ومعرفةً وصفاءً فهذا لازمٌ لأهل التّوحيد والإقرار عليه وجرت الأكوار والأدوار والأحقاب والأعصار والدّهور والأزمان وبهذا إختبر العالم النّورانيّ والعالم السّفليّ.

و أمّا التّناقض فهو أن يكون العارف المقرّ المسلم إلى هذا الأمر العظيم إذا ورد عليه ما يبهره من القدرة العظيمة ممّا شرحناه وذكرناه ويداخله شكٌّ وإرتيابٌ فيقول: إنّ هذا شيءٌ ما ثبت في عقلي فيحكم الجّهل على المعرفة.

و ذلك أنّ الجّهل هو العارض في قبول الوحدانيّة والمعرفة والإقرار هو ثابتٌ على الإقرار فلو أنّه إذ ورد عليه ذلك المبهر العظيم في نفسه أضاف إلى تلك المعرفة والإقرار ووجدها شكله ومجانسه ومثله ومنه وإليه.

فبذلك الشّكّ يتناقض المؤمنون وتنحطّ منازلهم وتنقص أنوارهم وتنزل درجاتهم ويحطّون عن الرّتبة العالية.

وقد قال تبارك إسمه: «أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ والأَرْضِ».

وإعلم يا مفضّل أنّ ظهور الوجود مشاهدة العيان بمعنىً واحدٍ لأنّه ظهر للفئتين عالم الإقرار وعالم الإنكار بالسّويّة لا شيء دون شيء ولا معنى دون معنى إلاّ كشف واحدٌ وظهوره بالقدرة ظهورٌ واحدٌ والتّصريح بالخطاب والدّعوة بمعنىً واحدٍ فكان إختلاف العالم في ذلك بآرائهم الفاسدة بما إستحقّوه فأجرى حكمته فيهم بالعدل والسّويّة والصّراط المستقيم فقبله أهل الإجابة والسّعادة وأنكره وخالفه أهل الكفر والشّقاوة فعند ذلك سبحانه فاطر السّموات والأرض عالم الغيب والشّهادة العالم العلويّ والعالم السّفليّ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون عنى بالغيب والشّهادة الإجابة والإنكار [1].

---

[1] المفهوم تفسيران الأوّل الغيب والشّهادة هما العالم العلويّ والسّفليّ وهو الأساس لأنّ العلــويّ غير المشاهد (النّوراني) والسّفلي هو البشري المشاهد ولكن التّفسير هنا كان أنّ الغيب هو الإنكار والشّهادة هي الإجابة والله أعلم .

باب التّجلّي

قال الله عزّ وجلّ: «سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ ومَنْ جَهَرَ بِهِ ومَنْ هُو مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وسارِبٌ بِالنَّهارِ» وساربٌ بالنّهار هو المقرُّ بالشّخص الموجود بالقدرة البيّنة الثّابتة والمستخفي باللّيل هو المسرُّ للجّحود والإنكار كذلك الشّخص المظهر للقدرة الباهرة.

و قال سبحانه في مثل ذلك: فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً[1] وذلك عند قول أهل الجّحود والإنكار في إظهار الغيبة أنّ ذلك الشّخص المفقود كان المعنى الّذي نصصتم عليه أنّه بارئكم وخالقكم وإلهكم وأنّه قد عاينّاه مفقوداً بالحوادث الّتي ظهرت فيه.

فقال في شكّهم وإرتيابهم وكفرهم: «واللَّيْلِ إِذا يَغْشى، والنَّهارِ إِذا تَجَلَّى» عنى بذلك إذا ظهر بالذّات فهو بالتّجلّي واللّيل إذا يغشى هي الغيبة والإستتار لوقوع المحنة فجعل النّهار دليلاً على الظّهور بالشّخص الموجود واللّيل دليلاً على الغيبة، ثمّ إنّه أبان ظهوره لأهل الإقرار به وهم أهل النّور.

و قد قال في التّجلّي: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا فقد أوجد وأورى كان الدّليل على تلك النّار وهو الّذي ظهر ولاح لأصحاب المخاطبة فلمّا خاطبوه وقصدوه طلبت مع وجوده وكلامه أن يوجد نفسه حتّى يراه فلمّا خاطبهم طلبوا العيان فقال: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ فكان منه المراجعة في قوله إنّك لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل أي لا تدركني وأنت في البشريّة وإن كنت نورانيّاً وكان ذلك أنّه قال له أنظر إلى الجبل الّذي قد أظهرتك به بالبشريّة هل يحمل شيئاً من اللاّهوتيّة النّورانيّة وعدل عن كونه الّذي هو من جوهريّته النّورانيّة لأنّه يعلم أنّ الجّوهر النّورانيّ إذا ظهر له ما يجانسه ثبت له وما دون ذلك يهلك.

---

[1] الآية كاملة هي : «وجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً»

فأبان عن صدق الخطاب بقوله: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وخَرَّ مُوسى صَعِقاً وهو الإسم الواقع على الجّسم الّذي هو الجّبل لأنّ الإسم إنّما هو إسم الجّسم وهو موسى و الصّورة لها إسمٌ غيره وكذلك الجّوارح والنّفس كلٌّ واحدٍ من هؤلاء منفردٌ بإسمه فّذا هلك ذلك هلكت تلك الأسماء معه بهلاكه وما كان من غير الجّسم فهو راجعٌ إلى حالته الّتي كان بدوه منها.

و المحدث يزول والمحدث له هو الّذي يزيله وذلك أنّ الجّسم عند الهلكة مثله مثل الرّاقد الّذي هو موجودٌ بالجّسم فيخاطب فلا يعي ويسأل فلا يجيب ويشار إليه فلا ينطق ويطعم فلا يأكل ويبخّر فلا يُشمّ وذلك منه أنّ جميع آلات الجّسم باقيةٌ بحالها فيه من نفسه وروحه وعقله ودمه وسمعه وبصره لا يعدم منه شيئاً من ذلك وكذلك هو عند هلاكه تؤخذ منه ذلك هو الأولى [1] ويبقى الجّسم الّذي له الإسم وذلك قوله تبارك إسمه: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها والَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ويُرْسِلُ الأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» فإرساله الشّيء هو توقيفه بحاله في معدنه ورجوع كلّ ذي حقٍّ إلى حقّه،و قوله: «فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ» وقوله: «تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ» وقوله: «فَوَفَّاهُ حِسابَهُ» ومثل هذا آياتٌ كثيرةٌ.

و إعلم يا مفضّل أنّ الشّخص الّذي يظهر به مثل هابيل فهو إسم الشّخص الّذي ظهر المعنى ربّ العالمين وأوّل البشريّة به فإذا أظهر الشّخص الغيبة على ظنون العالم بقي إسمه على ألسن العالم ويذكروه به ثمّ يظهر شخصٌ آخر مثل ما قيل شيث ويوسف ويوشع وآصف وشمعون وأمير النّحل فهذه أسماء الصّورة الّتي ظهر بها المعنى في العالم البشريّ وسمّى بها هذه الأشخاص في كلّ مقامٍ.

و إعلم يا مفضّل أنّ النّهار هو إظهار الظّهور وفيه إثبات النّاس وسعيهم وإرتجافهم وهرجهم ومرجهم وأخذهم وعطاؤهم وبطشهم وسعيهم في التّجارة والسّفر في البرّ والبحر والسّهل والجّبل وفيه يجد النّاس الأنس ولو كانوا في برٍّ وقفرٍ وفلواتٍ مطروحاً بالنّهار فهو يركن إلى نفسه ويأمن عليها وفي النّهار يصطنع النّاس المعروف والخير والشّرّ والطّاعة والمعصية والصّدق والكذب والصّنائع والتّجارات وجميع أعمال البشريّة ويكون العالم كما قال الله تبارك إسمه: وجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ

---

[1] المقصود هو : «الهيولى».

مُبْصِرَةً وقال سبحانه: «وجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً»، وقال: «إنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً» وآيٌ في الكتاب مثل هذا كثيرٌ تدلّ على أنّ النّهار هو دليلٌ على الظّهور والتّجلّي. و إعلم يا مفضّل أنّ العالم عند الكون الكلّيّ قبل التّجلّي كانوا بدو المبدي لهم كما أراد وكانت الإرادة السّارية بهم إرادةً واحدةً.

معرفة الكون والتّكرير والتّجزيء

لأنّه أبداهم في البدا الأوّل النّوراني حين ظهر لهم بكونهم ثمّ دعاهم عند إيجادهم لأنفسهم وأعلمهم أنّه المكوّن والخالق لهم وأنّهم من كونه كانوا وإرادته.

ثمّ أظهر المعاينة فلمّا عاينوه وقفوا عن الإجابة وقفةً واحدةً الجّميع وكان أوّل خطابه من ظهوره لهم: أنا ربّكم وربّ آبائكم الأوّلين، أي أنا ربّ كونكم الّذي كوّنتم منه وهي الإرادة منه لكونهم وكان الوقوف عند ذلك السّكوت بغير إضمارٍ ولا إجابةٍ ولا إنكارٍ.

ثمّ القول الثّاني من خطابة إيّاهم بقوله مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى أقررنا ومعنى قوله: من ظهورهم في وقت ظهورهم، فلّما ثنّى عليهم القول أجاب حزبٌ وأنكر حزبٌ فكان المجيبون أن خبّر عنهم حين أجابوا فقالوا بلى أقررنا وكانوا في ذلك أطواراً على رتب ومنازل أنزلوها في العالم النّورانيّ والبشريّ فسبقت الإجابة لمن قال الله فيهم: «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وسَعِيدٌ» فكان أهل السّعادة هم المجيبون وأهل الشّقاوة هم المنكرون فأبان منازل أهل السّعادة وكشف منازل أهل الشّقاوة وقال تبارك إسمه: «وأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا» [1] فمدح الموضع وحمد أتباعه فأهل السّعادة هم أهل القبول وأهل الإجابة على رتبٍ شتّى عظيمةٍ من

[1] تتمة الآية : «وأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» صدق الله العليّ العظيم

رتب الإجابة والإقرار وأهل الشّقاوة هم أهل الجّحود والإنكار وهم في النّار خالدون والنّار هي المسوخيّة لا يخرجون منها إلى المعرفة.

باب الظّهورات والدّعوة الأولى في الإجابة والإقرار

و إعلم يا مفضّل: أنّ مولاك أكثر الظّهور عند الإجابة والمقرّين مقرّين والمنكرين منكرين جاحدين لكلّ ما ظهر لهم ثمّ إنّه جعل في النّهار الإضطراب والمجيء والضّوضاء والتّخاصم والتّشاجر والمناكر والتّشاهد والبيع والشّراء والسّعي في التّجارة والسّفر في البرّ والبحر والسّهل والجّبل فكان النّهار بهذا الكون.

و إعلم يا مفضّل: أنّه لمّا ثبت مولاك لأهل الإقرار إقرارهم وألزم أهل الإنكار والجّحود جحودهم بإختيارهم غاب عنهم لوقتهم فطلبه الحزبان وجعل من أنكر يسخر ممّن أجاب.

و يقول المنكرون لأهل الإجابة ألم نقل لكم إنّ هذا الكون الّذي ظهر لنا هو منّا وإنّه مثلنا وبحالنا وأنتم تقولون لا نقول ذلك ولا نقبل منكم بل هو ربّنا وخالقنا فأين هو السّاعة ها قد هلك كما نهلك وزال كما نزول.

فأخبر الله عنهم بما جرى في بدو أمرهم بقوله عزّ وجلّ: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ، وإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ، وإِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ».

و ذلك يا مفضّل أنّه لمّا أوقع الغيبة وحجب العالم السّفليّ عن النّظر إلى حقيقة ذاته ظهر للعالم العلويّ النّورانيّ وكان حالاً فيهم ويشاهدونه والدّليل على ذلك قول المقصّرة: إنّ الإمام غائبٌ عن قومٍ ظاهرٌ لقومٍ موجودٌ معاينٌ وهم في هذا القول صادقين لأنّهم في هذا على طريق البصيرة إلاّ أنّهم عموا عن معرفة ذلك.

والنّهار هو الشّخص الظّاهر بالقدرة الباهرة والخلق يرون أنّه بشرٌ مثلهم فإذا غاب المعنى عن أهل الجّحود كان ظاهراً لأهل الوجود والحقيقة يرونه ويأتونه من

بابه وإسمه ثمّ يكون معهم أتباعٌ وهم الّذين قد رقوا وصفوا وجاوروا أصحاب المراتب ويكون لكلّ شخصٍ منهم حظٌ من النّور يعرف به فيحدّقوا بالقمر.

فإنظر يا مفضّل اللّيل إذا جنّ عليك هل تسمع فيه لأحدٍ من العالم كافّةً نطقاً أو حركةً أو إعتراضاً وكذلك جميع البهائم والحيوان المحرّرة والمملوكة يأتي كلّ منها ويأوي برسم رسمٍ.

وإعلم يا مفضّل أنّ في اللّيل تكون مواقع اللّصوص والسّرقة والإحتيال والأحوال الرّديئة الّتي أنزّه هذا الكتاب أن يشرح فيه وقد عرضت فيه تلويح ذلك.

يا مفضّل: إنّ أهل الجّحود والإنكار في وقت الغيبة وهو اللّيل يسعون في أذيّة من يعرفون من المؤمنين ويقولون فيهم إنّ هؤلاء يقولون قولاً منكراً وكفراً وهم في ذلك القول أكفر وألعن لأنّهم يكذبون على أولياء الله المقرّين بتوحيده لأنّ المخالفين يشنّعون عليهم ويكذبون على أولياء الله ويقولون لأهل الجّهل فتمتدّ إليهم الأيدي وذلك بما إكتسبوه بذنوبهم يجازون بذلك حتّى يخلصوا ممّا عليهم.

و إعلم يا مفضّل أنّ النّجوم تسير بمسير القمر وتضيء دونه إذا أفل فإذا غاب القمر أضاءت الضّوء الّذي يبهر من رآه فذلك ضوؤها في ذاتها.

فإذا ظهر القمر معها تضيء دونه لأنّ له منزلةً في خدمته لا يحلّها سواه.

فظهوره أوّل الشّهر هلالٌ ثمّ يزيد إلى أن يتكامل في ليلة أربعة عشر ثمّ ينقص ويضعف إلى أن يغيب في آخر الشّهر وإنّما هو ذلك إشارةً إلى أنّ المعنى عزّ عزّه أظهر في البشريّة الصّغر والطّفوليّة والزّيادة إلى الكمال والقوّة والنّقصان إلى الكبر والضّعف وهذا كلّه إمتحانٌ للعالم أجمع في سائر الأوقات.

وإعلم يا مفضّل أنّ اللّيل والنّهار اللّذان هما الظّهور والغيبة جعلهما الله مؤبّدان يحصى بهما الدّهور والأزمان والسّنين والشّهور والأيّام وهي تجري به عليه لا تحول ولا تزول دائمٌ بدوام الأزل.

وذلك دليلٌ وبرهانٌ موجودٌ عند أهل الخبرة واليقين والتّحقيق وذلك أنّ السّنة والشّهور والجّمعة واليوم يحصى في النّهار فيقال: يوم كذا وكذا لأنّه يقال اليوم يوم الجّمعة وأوّل يومٍ من الشّهر وأوّل يومٍ من السّنة.

فالأيّام لها أسماء وليس للّيل إسمٌ فإذا سمّيت اللّيل فإنّما تقول: ليلة كذا وكذا فتنسب إلى اليوم وهو النّهار فعلى اليوم تنسب اللّيلة وهذا كلّه دليلٌ على النّهار الظّهور واللّيل غيبة ذلك الضّوء.

فإذا ظهر ظهر بإسمٍ غير الإسم الأوّل كما يقال: يوم الأحد ويوم الإثنين ويوم الثّلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجّمعة ويوم السّبت فالأيّام كلّها أسامي النّهار الّذي هو دليلٌ على الظّهور واللّيالي فما لها إسمٌ وإنّما إذا مضى عليها قيل ليلةُ كذا وكذا فتنسب إلى يوم الّذي إسم النّهار.

كما أنّ المعنى سبحانه إذا ظهر بشخص تسمّى بإسم اليوم الماضي والمقبل ثمّ يظهر بإسمٍ ثانٍ وتنعت اللّيلة بذلك الإسم الّذي للنّهار والدّالُ على الظّهور وهذا جاري كما أجرى المعنى القادر على الأشياء بقدرته الإنقطاع لها فإن أراد المعنى أن يظهر بها ويظهر غيبتها فالإرادة له في سائر أفعاله لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون.

ثمّ قال مولاي: يا مفضّل إنّي أزيدك في إزالة اللّيل للنّهار وإزالة النّهار للّيل في بعض السّنة ثمّ يعود اللّيل فيأخذ من النّهار ما أخذ منه وذلك أنّ بين الغيبة والظّهور رتباً من حلولها وذلك أنّ الغيبة مثل الظّهور وإن تطاولت بالعالم المدّة لأنّه في الغيبة يكون ظهوره في العالم النّورانيّ بالسّويّة والقسط والصّراط المستقيم كان ظهوره في العالم السّفليّ سواءٌ بسواء لا زيادة مقام منها ولا نقصان عدلاً منه وإنصافاً وذلك قسطٌ بالحقّ فإعرفه يا مفضّل وتبيّنه وإعلم أنّ صراط ربّك عظيمٌ لا يوصل إليه بالوهم وإنّما يوصل إليه بالتّسليم واليقين إذا صحّ للعبد وذلك عند مولاك.

و إعلم يا مفضّل: أنّ الشّخص الظّاهر بالمعنى هو ربّ كونكم الّذي كوّنكم منه وأنّ ذلك الوقوف الّذي وقفه العالم عند دعوة مولاهم لهم كان سكوتاً بغير إضمارٍ ولا جحودٍ ولا إنكارٍ بل وقوفٌ متحيّرين لا يدرون ما يقولون فلمّا أعادوا القول ثانيةً.

فقال: وقوله الحقّ وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ أي في وقت ظهورهم ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى شَهِدْنا أقررنا.

ومعنى من ظهورهم أي وقت ظهورهم أي من أظهارهم فلمّا ثنّى عليهم القول أجاب حزبٌ وأنكر حزبٌ وكانوا في ذلك أطواراً على رتبٍ شتّى ومنازل أنزلوها

في العالمين النّوراني والبشري فسبقت الإجابة لمن تبارك إسمه فيهم فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ فأهل السّعادة هم أهل التّوفيق والقبول والإجابة وأهل الشّقاوة هم أهل الشّكّ والجّحود والإنكار فمنهم في النّار خالدون والنّار هي المسوخيّة فإذا خرجوا منها ردّوا إلى الرّسوخيّة كما قال الله عزّ وجلّ: «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً» وقال: «قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَو حَدِيداً، أَو خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ» يريد بذلك الذّهب والفضّة والجّوهر وأنواع الرّسوخ فلمّا أعاد فيهم الظّهور والكشف بإعلان الدّعوة وإشارته إلى ذاته بالمعنويّة وإسمه وبابه بين يديه يشيرون إليه ويدلّون عليه ثبت لأهل الإقرار إقرارهم فأجابوا في سائر الدّعوات عند الظّهور والكشف فإزدادوا يقيناً وإيماناً فقال الله عزّ وجلّ فيهم: «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ، عَلَى الأَرائِكِ يَنْظُرُونَ، هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ» ثمّ إنّه جعل الغيبة الّتي يظهرها اللّيل وجعلها لباساً يلبس الحال على أهل الجّحود والإنكار فلا يقوم منهم أحدٌ على الحقّ بوجهٍ ولا سببٍ.

ثمّ إنّه أظهر ظهوراته لأهل القبول والإجابة وحجب معناه عن أهل الجّحود والإنكار.

و إعلم يا مفضّل أنّه إذا كان المقام ظاهراً ناطقاً فليس يجوز لمقامٍ ثانٍ يظهر وينطق إلاّ عند إرادة المقام الأوّل لإظهار الغيب فيظهر للعالم أنّه قد ظهر بشخصٍ غير الأوّل محنةً على الأوّل بما إستحقّوا وإكتسبوا وإلاّ فهو تبارك وتعالى لا يحول ولا يزول ولا ينتقل من حالٍ إلى حالٍ بل هو أحدٌ أبداً سرمداً لا يتغيّر عن كيانه وإن ظهر لعيانه وإنّما يغيّر أبصار النّاظرين إليه ويقلّب قلوبهم لما بهم وعليهم إلى ذلك[1] و قد حبست عليك من الشّرح خطاباً وبياناً أكشفه لك وأسألك كتمانه إلاّ عن أهله ومستحقّيه.

وهو أنّ الله عزّ وجلّ عند ظهوره بالبشريّة نطق بلسان العرب وكلّمهم من حيث هم فلمّا وجلوا فتداخلهم الهيبة فرجعوا على أنفسهم فقال: «وما ظَلَمْناهُمْ ولكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

---

[1] راجع المعرفة قدّاس السّجوديّة والتّوجّه

وإعلم يا مفضّل أنّ الشّخص النّاطق في وقته لا بدّ له أن يكون بإزائه شخصٌ صامتٌ [1] يشير ذلك النّاطق إلى الصّامت دليلٌ على ظهوره فكلّ إشارةٍ من ظهورٍ مثليٍّ للمعنى ينطق إلى الصّامت فهو دليل المعنويّة عليه لأنّ العالم أثبتوا في المعنى البشريّة عند إظهاره لهم بها وظهوره لهم بمثلهم وهو بذاته ثابتٌ لا يحول ولا يزول ولا يتغيّر فإذا أظهرت القدرة من ذلك الموجود عندهم بذلك الشّخص كان العالم فيها على منازل ورتب ودرج لا يقدر أحدهم أن يتجاوز ما قد وقف عنده كان من العالم من يراه بالرّبوبيّة ومنهم من يراه بالنّورانيّة الحقيقيّة ومنهم من يراه بالعبوديّة ومنهم من يراه مستضاماً غير منصورٍ وأنّه يحتاج إلى أعوانٍ وأنصارٍ وأنّه ذو فاقةٍ ومنهم من يراه أنّ له مكانٌ من بارئه وأنّه يقدر على بطشٍ وعزٍّ ومنعٍ.

و هذا يا مفضّل أصل صراطك فإعرفه وتبيّنه فقد كشفته لك وشرحته وأن أوصيك أن تشرحه لجميع أتباعك المقرّين بالمعرفة والتّوحيد فبمعرفة هذا الصّراط يصحّ عقدهم ويتّضح لهم رشدهم ويصلون إلى هدايتهم وهو الصّراط الّذي يسلكه أهل المراتب والدّرج والمنازل العالية.

فأمّا أهل الخلف والعناد فإنّهم خارجون منكرون لما رأوه ظاهراً بمثل صور العالم وأنّه يجري عليهم من الأمراض والعلل والموت والشّدّة والرّخاء وقام في نفوسهم أنّ ذلك ثابتٌ فيهم وفيه وهو أجلّ من أن يكون فيه شيءٌ من هذا.

قالوا إنّ هذه الحوادث والعوارض جاريةٌ علينا وعليه فكيف يكون كوننا لأنّه لو كان مكوّناً لأزال عن ذاته هذه العوارض الّتي تحلّ بنا وبه ولم بالقدرة الظّاهرة منه الموجودة القاهرة أن ليس فيهم منها شيءٌ بل هي له خاصّة ولو كان إذ نصّوا عليه بتلك الأحوال عليهم وعلموا أنّهم يعجزون عن أن يأتوا بشيءٍ من تلك الأحوال والأفعال من خلق الطّير من الطّين والنّفخ فيه حتّى صار طيراً بإذنه وقد قال: وأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ وأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللّه وقال سبحانه: هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللّه وقال عزّ وجلّ: اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وقال: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ» وقال: «فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ».

---

[1] المقصود هو : «بئر معطّلة وقصرٌ مشيد»

فلو عقلوا يا مفضّل هذا الخطاب وما يشاكله لعلموا أنّ الأفعال لا تكون إلاّ ممّن نصّ على نفسه أنّه القادر عليها وأنّه يظهر كما يشاء بما يشاء في كبيرٍ شخصه أو صغيره.

فلو سلّموا إليه وعلموا أنّ إظهار العجز هو نفس المعجز والقدر لسعدوا ولكنّهم محجوبون عن فهم ذلك لأنّه تبارك إسمه وما قدروا الله حقّ قدره لأنّ في ظهوره في العالم بالبشريّة قدرةً وقد رأوها منه وهم يرونه أنّه كهم وذلك أنّه أبهرهم بالقدرة وإظهارها وأظهر العجز بعقب ذلك وأظهر الغاية من الفعل أوجدهم ذلك من بشريّةٍ ناسوتيّةٍ للظّهور فما حقّقوه ولا سلّموا له ولا أقرّوا بالمعنويّة.

وكذلك لمّا ظهر لهم بالنّورانيّة الذّاتيّة الكلّيّة ذهلوا عن إدراكه ولم يحيطوا به خبراً ولا صحّ لهم العيان وكانوا على الحالين غير مدركين له ولا محيطين به فهذا وصف أهل الجّحود والكفر وإبليس وقبيله وذرّيّته.

وإعلم يا مفضّل أنّ إبليس وقبيله وذرّيّته يعرفون المؤمنين المقرّين في يوم الأظلّة والنّداء في الذّرّ والكشف والتّصريح لأنّهم عرفوا من أجاب في وقت الدّعوة.

والمؤمنون عالم الإقرار والإجابة لا يعرفون إبليس وقبيله لموضع المزاج الّذي هم به حتّى يردّون إلى المسوخيّة لأنّهم كانوا وقت الدّعوة هم وعالم الإقرار بكونٍ واحدٍ فظهر المعنى للجّميع وأخذ ما أخذ وأعرض من أعرض وأجاب من أجاب وأنكر من أنكر وكان إبليس وقبيله المنكرين.

فعرفوا من ذلك الوقت من ندّ عنه ومن أجاب فعارض إبليس بقوله أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طينٍ.

فمعرفته بهم ثمّ من ثمّ كذلك يا مفضّل إذا حلّوا المسوخيّة يكشف لهم على المؤمنين حتّى يجدوهم كوجودهم لهم في يوم الأظلّة والدّعوة ولو كانوا مطلقين لقالوا: هذا كذا وكذا ويعرف أحدهم أباه وأمّه وأخاه وإبنه وبنته وأهله وقومه حتّى لا يغرب عليه واحدٌ منهم ويرى المسخ منهم أنّه يأتي على الّذي يعرفه ويضمر له الإساءة والهلاك بالسّعاية والبطش.

فإذا أصبحوا ضرب الله على قلوبهم فنسوا ذلك وغاب حتّى لا يدركوه ولكنّهم أضمروه فلا يزال ذلك منسيّاً ولو بقي ألف عامٍ حتّى يتجدّد له نفرٌ تأتي يتّخذونه مثل ذلك ويضمرونه له ويعزمون عليه.

و إذا باتوا عليه وأصبحوا أنسوا ذلك ولو رأوه في كلّ يومٍ ألف مرّةٍ لأضمروا له ذلك ويبيتون له على ما أضمروه.

فإذا غدا عليهم همّوا به فيضرب الله على قلوبهم فلا يذكرون شيئاً ممّا يبيّتون عليه ويألفونه بالبشر وإن وجدوا له من عاتبٍ عتبوا عليه وهم على ذلك ولو نظرتهم في النّهار ألف كرّةٍ لوجدتهم على ما شرحته لك من أن يظهروا له الإساءة والتّعقّب له فإذا ألقوه بثوبه ونسوا وكذبوا عنه فهذه منزلة الوليّ من العدوّ والشّيطان وقبيله.

و قد قال الله سبحانه: «وإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

و إعلم يا مفضّل أنّ أهل الإقرار و التّوحيد على رتبٍ في إقرارهم وتوحيدهم لا يستوي إثنان في منزلةٍ واحدةٍ وذلك جارٍ من الإسم الأزليّ القديم والباب المقيم له والأيتام والنّقباء والنّجباء والمختصّين والمخلصين والممتحنين وسائر أهل المراتب السّفليّة أيضاً مع عالم المزاج والإقرار وأنّه قال في كتابه: ورَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ.

و إعلم يا مفضّل أنّ الدّرجات صراطٌ مستقيمٌ ومسلكٌ ومطلبٌ للعارفين فإذا طلب الرّاغب الزّيادة من تلك المعرفة وتيقّن الحقيقة وقصد إلى من يعلم أنّه فوقه في العلم وأرفع في المنزلة وسمع منه وأخذ عنه صار في منزلة الملقي إليه وفي الدّرجة معه وكان لذلك الملقي العلم والمعطي المعرفة العظيمة شخصٌ ما يكون له على فعله ذلك نصحه للطّالب عند مولاه جزاء كبيراً وعطاءً عظيماً من فضل مولاه ما بلغه به من ذلك الطّالب إلى محلّه وساواه في عمله فيرفعه مولاه بذلك إلى المنازل الرّفيعة السّنيّة.

وكذلك تجري النّعمة من الله على أوليائه ما داموا كذلك لا يبخلون ممّا عندهم من علوم الله تبارك وتعالى على إخوانهم الطّالبين المقرّين بالتّوحيد فكلّما كشف إلى

ذلك الطّالب الرّاغب وألقى إليه شيئاً من علوم الله سبحانه قوي بها عزمه وزادت رتبة الآخذ والمأخوذ عنه.

فإن إقتنع ذلك الطّالب بما سمعه أوّلاً فلم يطلب الزّيادة منه ولم يسأل عن باطنه فهو موقوفٌ أبداً عند تلك المنزلة الأولى لا يزول عنها ولا يرقى إلى غيرها بل هو بحاله فإن وقف له بندائه فينعم عليه بالزّيادة له من النّعمة الّتي أنعم الله بها عليه لم يكن له حظّ الطّالب المريد وإن كان من الدّرجة على نقصٍ وعلت درجة المتفضّل على ذلك المتثاقل عن الطّلب فضل على درجة المطلوب إليه وفقاً للإجتهاد في مثل ذلك وكن ساعياً قال الله «فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ ومِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ومِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُو الْفَضْلُ الْكَبِيرُ».

باب معرفة القمصان النّيرة والمظلمة

فطوبى يا مفضّل لمن أنزله مولاه هذه المنزلة وأهّله لهذه الحالة.

و إعلم يا مفضّل أنّه إذا كانت منازل ودرجات لا تستوي درجتان إثنتان في العلم وإنّه إنّما كلّ واحدٍ في درجةٍ ومنزلةٍ في العلم وكذلك هياكلهم الّتي ينقلون إليها والقمصان الّتي ينزعونها وذلك يا مفضّل أن لا يزال ذلك الشّخص على تلك الدّرجة وهو في قميصه ذلك وهيكله فلو رقي إلى منزلةٍ هي أعلى من الّتي هو عليها لبس قميصاً هو أشفّ وأصفى وأحسن من القميص الّذي نزع عنه يكون ذلك بحسب الدّرجة الّتي قد رقي إليها وإن كان ممّن قد جنى ذنباً وأذنب وشكّ وإرتاب وزاغ وإلتبس عليه وإستوجب بذلك أن يحطّ عنه ونزع ذلك القميص ولبس قميصاً أكدر وأظلم وأدنى من القميص الّذي نزع عنه.

و إعلم يا مفضّل أنّ هذه القمصان الّتي يودعها العارفون والجّاحدون والهياكل الّتي توجد لهم في النّشوء منزلةً في الهياكل البشريّة هي تعاني الشّقاء والتّعب وتوارى في الثّرى تأتي عليها الدّهور والأزمان ويكون لها هوانٌ وتعبٌ ونشرٌ

ومحاسبةٌ ومجازاةٌ هم في ذلك صادقين في ظنّهم ودعواهم إلاّ أنّهم عموا عن معرفة ذلك فلا يعرفها منهم إلاّ القليل من أهل الصّفاء.

باب معرفة الهياكل

إعلم يا مفضّل أنّه إذا أودعت هذه الهياكل هياكل العارفين والمخالفين أيضاً نعم يا مفضّل وهياكل أصحاب المراتب والدّرج ويريهم المولى أنّه ينضاف إليها هياكل المقامات الّتي ظهر بها المعنى والإسم والباب يريهم أنّها تحلّ محلاً واحداً هياكل الشّياطين والأبالسة من ذكرٍ وأنثى وحرٍّ وعبدٍ وأبيض وأسود وعربيّ وأعجميّ ورومّيّ ونبطيّ وهاشميّ النّسب وطالبيّ الحسب تحلّ هذه الهياكل كلّها محلاً واحداً ويجري عليها جميعها ما يجري في صغيرها وكبيرها من عدل مولاك وإنصاف وإقامة قسطٍ وصراطٍ.

و إعلم يا مفضّل أنّ هذه الهياكل إذا أودعت الثّرى وصنع بها ما صنع وصحّ عند العالم أنّها قد هلكت فإنّها غير هالكةٍ لأنّ مثلها كمثل بذارٍ يزكو وزرعٍ يزيد وينقص وإنّه إذا مضت عليها المدّة الّتي قد لزمت إستحكم فيستوجب أن يطلع على وجه الأرض ويكون فيه منافع للبشر من الأغذية وغيرها والأدوية والأعناب وسائر الثّمرات فيكون في هياكل أهل المراتب ومن بارئهم صفا الأنجوجات والعبير والطّيب والرّياحين والعباهر بأجناسٍ وصنوفٍ شتّى وكذلك يكون من هياكل الأضداد الملاعين المخالفين الرّجسين السّموم القاتلة والأنواع المكروهة من الدّفلى والعلقم والصّبر والمرّ والحنظل والسّبلى والحسك والعوسج وكلّ نبتٍ يكون منظره حسنٌ ومذاقه مكروهٌ ورائحته خبيثةٌ وذلك من جنس ما تعقبه هياكل الأضداد في المنظر وإن كان له روعةٌ وجمالٌ فهو بمعنى ما يظهرونه ظاهراً من المكر والخداع والعفاف والرّياء والشّفقة واللّين والسّكزن والتّواضع والتّعبّد والزّهد والورع فإذا إستخبر ذلك كلّه منهم وكشف عنه وجده مكراً ورياءً وإحتيالاً وخداعاً كما تعاف النّفس من يكون بهذه الحالة تعافه إذا هو صار بمعنى تلك النّباتات المكروهة.

وذلك أنّ الإنسان ليرى الثّمرة تدعوه النّفس إلى أن يجنيها ويشتهيها وما يرى ما بها فإذا قطعها وإختبرها بالذّوق والرّائحة فيجدها بخلاف ذلك من الكراهة المنتنة فيرمي بها من يده ويبصق عليها ويلعنها ويلعن أشباهها.

وكذلك يا مفضّل يجري أمره وهو في البشريّة بين هذا العالم يُري تلك الظّواهر الجّميلة فإذا إختُبرت وُجدت بخلاف ذلك من المكر والخداع والرّياء فيبغضون ويشتمون ويلعنون بها وما أعقبه فيه لا يعقب هذه المكروهات وهي ملعونةٌ في الظّاهر والباطن وهي السّموم وقد شرحت لك في خطابٍ سلف حال السّموم القاتلة الّتي سلف بها وعليها الوليّ والأعداء وما أعقبته هياكل الأضداد والجّبابرة الّذين قاموا مقام مولاي أمير المؤمنين وتسمّوا بإسمه وأشركوا به فأضلّوا عن العالم وكانوا لهم أدلاّء إلى الكفر والجّحود فأجابوا دعوتهم وكانوا فيهم وإليهم سبباً لتلافيهم وهم في البشريّة لما يفضل بعضه على بعضٍ في الشّدّة والقوّة والعتوّ والهيبة فلهم فيها مراتب ودرجات والإقرار أيضاً.

وإعلم يا مفضّل أنّ لكلّ هيكلٍ تراه من المسوخيّة في الأجناس شرخاً لأنّها تحلّ محلّ الهياكل البشريّة ويجري عليها ما يجري على البشر من الموت والقتل والحرق والغرق وغير ذلك.

وأنا أفسّر لك وأبيّن شرح ما يسكن في المياه والبحر والبراري والجّبال وعن معاني صورها فكن لذلك واعياً وإفهمه تقرّ بمعرفته عيناك.

وعليك بلاغ ما ألقيه إليك – تبلغه أنت – إلى أهل الإقرار بالتّوحيد فاحمد مولاك على معرفته بتوفيقه لك وإسأله أن يوفّق أهل القبول والإجابة بالثّبات عليه.

وإعلم يا مفضّل أنّ مولاك أكمل كلّ شيءٍ خلقاً وأتقنه صنعاً وحكم فيهم حكماً واحداً يجري في العالم النّورانيّ والعالم الظّلميّ لتكون الحجّة فيه مؤكّدةً والقدرة نافذةً بإرادته فمن ذلك ما قدّمت إليك شرحه وأسألك كتمانه إلاّ عن أهله.

وإعلم يا مفضّل أنّ البشر المنسوب إلى هذا المعنى أنّهم من ولده الّذين قد تقمّصوا بهذا القميص ورضوا بأن يقال فيهم ذلك ويدعون به إذا نسبوا هذه النّسبة فخروا وسَمُوا بها على العالم وذلك أنّه كان مولاهم قد أنحلهم ذلك نحلةً لما ظهر

فيهم وأظهرهم منه وكان ذلك لفعلٍ سبق لهم وعملٍ إستوجبوا به ذلك فأعطاهم هذه المنزلة الرّفيعة العالية في العالم وأحلّهم المحلّ.

إلاّ عند العارفين الموحّدين فإنّهم يعرفونهم ويعلمون أنّهم على ضلالةٍ في إدّعائهم تلك النّسبة وهم مع ذلك في ظاهر الأمر إذا رأوهم لزمهم إجلالهم وتعظيمهم وإن كانوا عارفين بباطنهم ودعواهم فهم إذا عاينوهم ونظروا إلى مواقع الإسم والنّسبة عظّموا المعنى ونزّهوه عن إدّعائهم.

وقد قال الله تبارك وتعالى مخبراً عن شرح ذلك: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ فقوله بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ أكّد أن يلزمهم ويجري عليهم ما يجري على البشريّة في النّقل والكرّ لأنّه بيّن لهم أنّهم ينزلون الطّبقات.

وإعلم يا مفضّل أنّ الّذين إدّعوا نسبة الميم إذا أردت أن تعرف محلّه أو ترى منزلته في نقلته الّتي قد خصّه المولى بها فإنظر إلى الشّهاري الّذي لها الفخر والخيل العتاق الّتي لها الخطر والذّكر الرّفيع عند مالكها الهاشميّون الّذين فخروا بمحمّدٍ منه السّلام وهذا موجودٌ في العالم معروفٌ معاينٌ عند أهل المعرفة والتّوحيد وهم في ذلك على منازل ومراتب بعضها يفضّل على بعضٍ في النّظر والمخبر والتّنافس فيها وصنوف وضروب وأجناس.

كما أنّ أهل النّسبة المحمّديّة يفخر بعضهم على بعضٍ ويرتفع بعضها على بعضٍ كذلك يكونون في محلٍّ يحلّوه.

وإعلم يا مفضّل: أنّ طائفةً منهم تحلّ في مياه البحر وقد ذكروا ورووا عن ثقاتهم ونقل إليهم أنّ الخيل بدوها من البحر ومنه خرجت على وجه الأرض وأنّ في البحر منها أجناسها مثل الدّلفين والسّلحف والتّمساح والكوسج والفرنس والدّقّ وما شاكل ذلك وأجناسه وهي صنوفٌ كثيرةٌ.

فهذه كلّها رتب المدّعين الهاشميّة الّتي فخروا فيها بمحمّد منه السّلام وصفاتهم بها شتّى ينزلونها ويحلّون فيها في دقيقٍ وجليلٍ وقويٍّ وضعيفٍ.

وأمّا ما كان من أجناس ورتب المدّعين للنّسبة العلويّة فهم الحمام الزّاغي المحبوب وما كان من الحمام وصنوفه ومثل الورشان والفصيح من الطّير الّذي يتّخذ ويحبّ ما كان منها محلّه في المياه فهو معروف الشّخص وهو يقرب في الفعل والحركة إلى الطّير وهو يجري عليه وبه يجري الطّير مثلاً بمثلٍ أنّها في البحور والأنهار السّمك الشّبّوطي والزّجر والبنّي وكلّ حسن المنظر شهيّ في لذّة الذّوق والطّعم.

وذلك أنّها تملك أنفسها في المياه وتسرح حيث تشاء ولا يقدر أحدٌ على مسكها إلاّ بالحيلة عليها وصيدها وكذلك الحمام وغيره من أصناف الطّيور وتملك بأجنحتها حيث تشاء ولا يقدر عليها إلاّ في الحالين مجرى واحد وفيها ماله رتبٌ ومنازل وصنوف وضروب ونصوص ينصّ عليها وتختار بعضها على بعضٍ كما يفضّل أهل الظّاهر ولد الحسين على ولد الحسن وولد الحسن على ولد محمّد بن الحنفيّة وولد محمّد بن الحنفيّة على ولد العبّاس وولد العبّاس بن عليّ على ولد عمر بن عليّ ومحمّد وولد جعفر على ولد عقيل فهو كذلك.

فإنظر إلى ما شرحته وكشفته ولا تفصح به على أحدٍ من أهل الظّاهر فيبلغهم ذلك عنك فيستحلّون دمك وإن كنت تظهر لهم أنّك مولاهم فإنّك إن فعلت ذلك ونمّ عنك فإنّهم إنّما يقولون فيك أنّك أبطلت نسبهم ودحضت شرفهم وأخملت ذكرهم ونزعت عنهم تاجهم وجعلتهم أولاد دعيٍّ فإحفظ ما أوصيتك به.

فأمّا ما كان يا مفضّل في المياه من الأنواع الأخرى مثل الجرّي والمرماهي والزّمّار والسّلبي والشّراطين وغيرها ممّا يجانس ما ذكرته فهو من أجناس العالم المنكوس وهي مذمومةٌ في المسوخيّة في الباطن والظّاهر مكروهةٌ تعافها الأنفس ولا يأنس أحدٌ إليها وأنا أنهاك عنها وأتقدّم إليك أن تقدّم إلى سائر أهل المعرفة والإقرار بذلك وتنهاهم عنه وأن تشرح لهم ما قد شرحته لك وتوصيهم بالّذي وصّيتك به وعرّفهم إستعمال التّقيّة والكتمان والسّرّ فهذا أصل الدّين وقطبه وفرعه.

و إعلم يا مفضّل أنّ الله سرٌّ فأحبّ أن يعبد سرّاً ومعنى ذلك أنّ السّرّ لا يطلع عليه أحدٌ ولا يعرفه البشر وكذلك نفس الإنسان هي سرٌّ لأنّ المعنى أسرّ ذاته عن العالم المنكوس وأوجب أن يعبد سرّاً وتعرفه سرّاً بكيفيّته فظهر بالبشريّة وأوجد

القدرة ليعرف بها فكان ذلك هو العبادة سرّاً فعرفه قومٌ بالبشريّة وعرفه قومٌ بالإختصاص وعرفه قومٌ بالحقيقة والشّخص بينهم ولديهم واحدٌ لا يتغيّر ولا يزول بل معرفة أفعال القدرة أوجدت أهل الإقرار المعرفة والتّوحيد وإثبات الموجود بالمعنويّة إذ علموا أنّ القدرة لا تكون إلاّ من القادر.

وإعلم يا مفضّل أنّ القدرة لا تكون مستعارة ولا موهوبةً فإن قال لك قائلٌ إنّا قد وجدنا من أشخاص الأضداد من قد أتى بقدرةٍ وإحتجّوا عليك بأنّ فرعون سار بمسير نيل مصر ووقف بوقوفه فكانت تلك قدرةً وإن إحتجّوا عليك بأنّ عمر بن الخطّاب كتب إلى نيل مصر على خزفة من الحجارة بأن يجري فجرى وأن يسكن فسكن وكانت تلك قدرةٌ وأنّ عمر بن الخطّاب نادى بسارية وهو بخراسان وقد دهمته خيول خراسان: يا سارية الجبل الجبل فلمّا لجأ سارية ومن معه إلى جبل نهاوند نجا هو ومن معه وقد روي عن سارية أنّه قال: كنت قد أشرفت أنا وأصحابي على الهلاك حتّى ناداني عمر وهو بالحجاز وأنا بنهاوند: يا سارية الجبل، فوقع صوته في مسامعي فلجأت أنا وأصحابي إلى الجّبل فنجونا وكانت تلك قدرة.

وهذا يا مفضّل في مثل ذلك كثيرٌ لكنّهم عموا (أي هذا الخلق المنكوس) عن معرفة ذلك وحقيقته فلو تيقّنوا أنّ القدرة لا تتجزّأ ولا تتبعّض ولا يأتي بها إلاّ من يأتي بأمرٍ من صاحب الأمر يأمر شخصاً من الأشخاص وليّاً أو ضدّاً أن يفعل فعلاً أو يأتي بحالٍ ويظهر ذلك الفعل بأمرِ القادر فيقع به العيان والمشاهدة فينزله أهل المعرفة أنّه المعنى القادر بذلك يرونه.

وأمّا أهل الجّحود فإنّهم بجهلهم وكفرهم يجعلونه أنّه فعل ذلك الشّخص ويمضي المعنى القادر الفعل والقدرة فلا يسمع من الضدّ إلاّ القول فيكون كذا وكذا ويمضي الفعل والقدرة والقادر عليها هو المعنى وما يجري هذا من الأضداد إلاّ عند إظهار القادر القدرة وأمر القادر للشّخص وليّاً كان أم ضدّاً يظهر القول فقط فيكون القول من ذلك الشّخص بأمر القادر ويمضي القادر الفعل بقدرته وفيها إحتجّ على من يدّعي أنّ للضدّ قدرةً وأنّه يقدر يأتي بشيءٍ من ذلك من نفسه بغير أمرٍ من القادر وكلّ ما يجري مجرى ذلك في كلّ عصرٍ وزمانٍ ودهرٍ وما شاكل ذلك من الأفعال العظيمة الخطر هي بأمرٍ من القادر فمن نظر أنّ القدرة الجّارية للضدّ فقد عبده وجعل القادر هو الّذي سلّم إلى الضدّ القدرة وقد أبان ذلك في قوله سبحانه: «وإذا

أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً» والقرية هم الرّجال والقوم المجتمعون كما قال: «وسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها» وإنّما عنى بذلك القوم والرّجال والجّماعة الّذين كانوا معهم مثل قوله سبحانه: «ولَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ» والقرية الممطورة هي القوم الّذين أمطروا بالحجارة والسّجّيل ذلك أنّ الهلاك الّذي وقع بتلك القرية و هو بالأمر الّذي يأتي به المسرف وهو الضدّ وذلك الأمر الّذي يظهره الشّخص وليّاً كان أم ضدّاً يأتي قدرة فهو بأمرٍ من صاحب الأمر لأنّه لا يأتي بالقدرة غير القادر عليها وهو المعنى وأنّ جميع ما يظهر من الأفعال القدرة من محمّد وسلمان وجميع أصحاب المراتب والدّرج يحيون ويميتون ويخلقون ويرزقون وينشئون فالفعل هو للمعنى وحده يأمر الشّخص بأن يفعل فعلاً فيفعله عن أمر المعنى ويبيّن ذلك للأشخاص أنّها مأمورة في ذلك.

فمن ذلك قول القائل: ما فعلته عن أمري وقوله: إذا جاءَ أَمْرُنا وقوله: «وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» وقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها» وقوله: «أَتى أَمْرُ اللَّهِ» وذكر الأمر في القرآن كثير وشرحه واضحٌ موجودٌ وإنّما إستحقّ الضدّ العذاب الأليم لأنّه لمّا أمر بالقول فقال وجرى الفعل من القادر أن يفعله وأنّ القادر معناه وإستوجب بذلك العذاب الأليم والخلود في الجّحيم.

وأهل التّوحيد والمحقّين تيقّنوا أنّ الفعل والقدرة للقادر ليتفهّموا بعلمه ويعملوا لأنفسهم في الخلاص فيستحقّوا بذلك القبول والغنم.

وإعلم يا مفضّل أنّ مولاك ظهر بما ظهر به من التّوالد والمصاهرة والأولاد وما نظروا إليه في حال الطّفوليّة في البشريّة كلّ ذلك تأنيسٌ تأنّس به إلى الخلق وذلك كلّه ما جرى ذلك وفوقه ثمّ دونه حتّى المرض والعوارض والموت والقتل والضّيم والضرّ الّذي أظهر أنّه به واقعٌ فهو بالضدّ واقعٌ فيظنّه العالم المنكوس أنّه بالمعنى واقعٌ وهو بخلاف ذلك بل واقعٌ بالضدّ مكافأةً على جحوده لمن أولاه تلك الأشياء ولم يسلّم إليه بل إتّخذها أنّها من نفسه وظنّ أهل الجّحود أنّها كذلك فوقع بهم الجّزاء عليها بذلك العذاب وإستحقّوا التّرديد في القوالب الخبيثة النّجسة الرّجسة الملعونة الكرهة والتّنقّل إليها في الأجناس وصنوف الصّور المذمومة والتّراكيب

الصّعبة فيبغضه العالم في سائرها وتقسو عليه القلوب ويسأل الله الزّيادة فيما هو فيه ويلعنه سائر الخلق من المؤالف والمخالف.

وأجرى لهم حال ما يقولون لعن الله إبليس وذلك من زيادته في طغيانه وكفره وجحوده وإنكاره وزيادة بلائه وشتمه إلى الدّاني والمغتاظ عليه.

ألا ترى يا مفضّل أنّك ترى شخصاً لا بذي رحمٍ ولا قريبٍ ولا نسبٍ ولا بذي معرفةٍ ولا صداقةٍ ولا مؤانسةٍ ولا إجتماع وأنّه قد نزل به شيءٌ من المحن والشّدائد فترقّ له وترحمه وتعطف عليه ولو قدرت لفديته ممّا هو فيه بجميع ما يمكنك من مالٍ وأهلٍ وولدٍ وإنّك لترى ذا رحمٍ وقرابةٍ ومحبّةٍ وصداقةٍ وولدٍ في أليم العذاب وقد نزلت به محنةٌ عظيمةٌ فلا ترقّ له ولا تعطف عليه ولا تأسى ويسأل الله أن يعطف عليه وإنّه ليفزع إليك ويستصرخك وتعلم أنّه مظلومٌ ومضطهدٌ فإن هو إستصرخك ودعاك إلى حالةٍ يستعين بك عليها كنت عليه لا معه حتّى يقول إستعنت بك لتنصرني فإذا أنت عليّ فيكون منك أشدّ إستغاثةً بظلمٍ فما ذلك إلاّ لحالٍ سلف من بعضٍ إلى بعضٍ وإستيفائه منه.

نعم يا مفضّل إنّك لترى جائزاً عليهم وأنّ القوم ليستغيثون عليه بالعالم وليس بينك وبينه معرفةٌ ولا تقدّم مشاهدةٍ فإذا رأيته وقد إضطهده النّاس وألمّوا به ضربت عنه وقمت بنصرته وبذلت المهجة دونه وكذبت من يقول إنّه ظالمٌ وغاشمٌ حتّى يقال لك: ما نعرف بينك وبينه حالاً ولا تقدمة صداقة فتقوم بنصرته وإنّك لأعرف النّاس بما جرى من ظلمه وتعدّيه فليس ذلك إلاّ جزاءً ومكافأةً على ما سلف من فعله في وقتٍ ما وعهدٍ ما وإن كان على درجة المخالفة فإنّه يستوفي ماله ويوفي ما عليه فتبيّن هل تعرفه وتجده في العالم عياناً موجوداً لأنّه قد سبق منه القول حيث يقول: «لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ويَزِيدَهُمْ منْ فَضْله إنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» وقال: «ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ» وقال: «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها» وقال: «ذلكَ بما قَدَّمَتْ أَيْديكُمْ» فهذا الخطاب وأمثاله يا مفضّل ما يعقله النّاس ولا يعرفونه بتأويله وممّا أبيّنه لك في سويّة صراط ربّك في خلقه وإقامة عدله فيهم أنّه أبان وشرح وفسّر أنّه جعل ملكاً وكتباً وشرائع ورسلاً ونسخ بعضها بعضاً ثمّ أبان الدّاعي للقول فيه عنه أن قال: «إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» فإذا كانت أمّة واحدة وأنا ربّكم فمن أين تفرّقت على الأوقات والأزمنة يقال أمّة موسى وأمّة عيسى وأمّة محمّد وما

بعده من المقامات الواضحة بالدّعوة وقد قال: وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلا فِيها نَذيرٌ والحال فيها ظهور الشّخص الدّاعي بغير الصّورة وبغير الدّعوة والشّريعة والكتاب والسّنّة فمن ذلك يحلّ مرّة ويحرّم مرّة أخرى.

و قال تبارك وتعالى: «وقالَتْ أُولاهُمْ لأُخْراهُمْ»[1] فإنظر إلى غامض هذا من الخطاب إذ قالت أخراهم لأولاهم ذلك أنّ أخراهم من أولاهم وأولاهم من أخراهم ولا يكون أوّل إلاّ بآخر ولا آخر إلاّ بأوّل وكلّ ظهورٍ يظهر القادر فيه فهو تجديد الحال وإن ظهر بإسمٍ من الأسماء ونعتٍ من النّعوت وأوجد إسماً من ذلك الإسم ونعتاً غير ذلك النّعت وإنّما ذلك الظّهور وهو واحدٌ عند أهل الإقرار والمعرفة لأنّهم لا يجدون إلاّ ما أوجدهم أوّلاً والعالم المنكوس لا يثبتون له المعنويّة والرّبوبيّة ولو أثبتوا ظاهر الدّعوة ودحضها.

إلاّ أنّه يظهر بعد ذلك الوقت والزّمان أغلالاً وآصار وتكليفٌ وجهادٌ شديدٌ والظّهور كلّه سواءٌ والعالم في ذلك كلّه ساهون وعنه معرضون ولا معرفة لهم بالإختبار ولا يوافيهم مع العقول إعتبارٌ وكذلك يا مفضّل تجري القدرة في العالمين العلويّ والسّفليّ وتجري على الأشخاص الظّاهرة مثل السّموات والأرض والبحار وذلك أنّ السّماء لها حين تحجب عن الأرض وتحجب الأرض بينهما من السّحاب الّذي يحجب الباطن من العالم السّفليّ أن يرى أو يشاهد ما كان يعاينه من السّماء.

وكذلك تحجب ما كان يعاين من الأرض وما كان يعاينه من العلوّ مثل في وقتٍ وزمانٍ ولا يكون لها على العالم السّفليّ بل يتمنّى ويشتهي ويرغب إليها فإذا ظهرت الشّمس إستبشر بها وإن حجبت تألّم منها العالم السّفليّ ويحجبوا أنفسهم ويتّخذون منها عوضاً ذلك الرّغبة فيها والميل إليها يكون منهم التّوفّي لها والتّأدّي لها ومنها والنّهي عن التّقرّب منها وذلك صراطٌ مستقيمٌ في العالم من ربّك يجري عليه تدبير العالم والقدرة بالسّويّة.

و كذلك الرّعود والبروق والأمطار والأندية والظّلّ والحرّ والبرد واليسر والثّلج وغير ذلك من الأفلاك والنّجوم والسّماء والأرض الّتي وقع عليها أسماء

---

[1] تكملة الآية: «وقالَتْ أُولاهُمْ لأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ».

ظاهرة وباطنة ولها أشخاصٌ بشريّةٌ ونوريّةٌ وهي رتب العالم العلويّ النّورانيّ ومنازلهم في العالم الظّلّيّ البشريّ التّرابيّ بمنزلةٍ واحدةٍ تجري في الحالين اللّذين شرحتهما لك ويكون فيها من الأدلّة والإنصاف مثل الّذي كشفته وشرحته وإنّك لو تثبّتّ قليلاً لقرب عليك وفهمته وقوي ذهنك على إدراكه والإحاطة به ومن الحقّ في التّفسير والشّروح والكشف كفايةٌ لمن عقل وذكرى لمن تذكّر كما قال ذكرى للذّاكرين وإنّما قال لمن كان له قلبٌ.

معرفة السّماء وهي دخانٌ

وقد قدّمت إليك أن أشرح وأبيّن لك ما خاطبتك به من قوله إلى السّماء وهي دخانٌ فقال لها «ثُمَّ استَوى إِلَى السَّماءِ وهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها ولِلأَرْضِ ائتِيا طَوْعاً أَو كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ» وذلك عند ظهوره لهما ونظرهما إليه وتصديقهما به في وقتٍ واحدٍ فأجاب الشّخصان جميعاً لمّا ظهر لهما بالبشريّة وعلموا أنّه هو وكانت الإجابة قولهم أتينا طائعين إجابة الباب واليتيم أي إقرارهما للمعنى بالأحديّة ولإسمه بالوحدانيّة. وقد ثبت لك يا مفضّل أنّ كلّ سماءٍ سلسل في النّورانيّة وكلّ أرضٍ مقداد في التّرابيّة ومن كان بعدهما من أهل المراتب والدّرج فهو دونهما في المنزلة وذلك أنّ الباب حجّة على أهل المراتب والدّرج لأنّهم من جوهريّته ظهروا وهو جوهرهم وكذلك كلّ رتبةٍ هي حجّةٌ على من هي دونها لأنّهم بعضٌ من جوهريّة بعضٍ وأصلهم من جوهريّة الباب والباب من نور نور الإسم والإسم من نور ذات المعنى فليعقل العالم لهذا الشّرح.

وهذا يا مفضّل جارٍ في العالمين العلويّ والسّفليّ لأنّ كلّ ظهورٍ يظهره هو حجّةٌ على من دونه في المنزلة والرّتبة إفهمه يا مفضّل فإنّه الّذي وعدتك به وقد كشفته وشرحته.

باب إرادة المولى وإبتدائه

وإعلم يا مفضّل أنّ لمولاك إرادات وبداءات أبداها في خلقه يظهرها حيناً ويخفيها حيناً فإذا أظهرها كان جزاءاً عمّا أخفاها وإذا أخفاها كان جزاءً عمّا أبداها.

فمن ذلك أنّ العالم النّوراني إذا أظهرهم بظهوره معهم بالبشريّة كان جزاءً لهم بأفعالٍ سبقت منهم في النّورانيّة إستوجبوا بها أهل الجّحود والكفر إذا أظهرهم ظهر لهم فأوجدهم ذاته ودلّهم على نفسه ودعاهم إلى الإقرار له والتّسليم إلى حجابه وبابه فيكون منهم مثل ما قد كان أوّلاً من الجّحود له والإمتناع من طاعة حجابه والإنكار والكفر به وببابه فينقلهم إلى المسوخيّة فيصير كلّ من كان في وقتٍ وزمانٍ قبل ذلك محمولاً صار حاملاً لمن حمله ومن كان مقتولاً يصير قاتلاً لمن قتله ومن كان مملوكاً صار مالكاً لمن ملكه حتّى يركب المركوب للرّاكب يجري ذلك فيهم من الفيل إلى الأسد والجّمل إلى الحيّة والعقرب إلى الدّود الّذي يأكل بعضه بعضاً ويركب بعضه بعضاً ويعنف بعضه بعضاً مثلاً بمثلٍ وشيئاً بشيءٍ.

فلو عقل العالم المنكوس لما أنف بسمعه أو عرفوه لأشفقوا على أنفسهم وعلموا ولكان الإحتياط الّذي يحتاط البشريّ على البهيمة والطّير والهوام من سائر المسوخيّة على نفسه يحتاط والإحسان الّذي يحسن إلى المسخ الّذي يحسنه والإسائة الّتي يسيئها إلى بعض المسوخيّة إلى نفسه يرديها وإنّه ليملك المالك للمملوك والمملوك للمالك والحرّ للعبد والعبد للحرّ وإنّ كلّ ذلك جزاءً ومكافأةً من بعضٍ لبعضٍ.

وإعلم يا مفضّل أنّ المسوخيّات تأخذها بأوتارها وحقوقها عند كونها وأنّها لو ردّها إلى البشريّة وأرجعها ونقلها إلى المسوخيّة لردّ كلّ نوعٍ إلى شكله من نوعه ممّا يستوجب الحلول فيه من النّسخ والفسخ والمسخ والوسخ والرّسخ فإن كان حديداً وقطع به حديداً في عهدٍ آخر حتّى يقطع الّذي قطعه ويردّ كلّ فاعلٍ فيصير مفعولاً به ويردّ كلٌ منهم إلى ما كان هو الصّانع به فيصير مصنوعاً به مثلاً بمثلٍ.

وكذلك ما كان من رصاصٍ أو نحاسٍ وفضّةٍ وذهبٍ يردّ إلى الحالة الّتي جرى عليها منه ما جرى حتّى يستوفي كلّ ما كان.

وأزيدك يا مفضّل في ذلك شرحاً واضحاً ليس هو معك يا مفضّل: إنّه ما من شيءٍ من هذه الأجناس على أحدٍ من العالم الظّلميّ وهو في البشريّة شيءٌ إلاّ ومرّ عليه في المسوخيّة والرّسوخيّة مثلها لأنّ له زماناً ودهراً يردّ كلّ ذلك البشر إلى المسوخيّة والمسخ والرّسوخيّة والرّسخ إلى البشريّة فيستوفي المفعول به حالاً من الفاعل به مثلاً بمثلٍ ممّا كان بشريّ وقطع حديداً وحجارةً والحجارةً بشرٌ فيقطع المقطوع للقاطع ويصير الحديد حجارةً فيقطع قاطعه وكذلك الحلي يصير بشراً ويتجلّى بالبشر الّذي تحلّى به لأنّه يردّ البشريّ إلى الرّسخ ومن الرّسخ إلى البشريّة مثلاً بمثلٍ حتّى يستوفي كلّ واحدٍ من الآخر ما أخذه منه.

فإنظر إلى طبقات العالم الظّلميّ في تراكيبهم في البشر ممّن قد مكّن له الأمكنة العظيمة ليس يكاد أحدهم يتحلّى الكثير من الحليّ وإنّه لو أراد يكون عليه منهما لكان ومنهم من يتّخذها آنية يستعملها في مأكولاته ومشروباته وذلك يجري عليه حسبما أجرى منه.

وإنّك يا مفضّل لتجد في العالم الظّلميّ من لا يملك إلاّ درهماً واحداً وإنّه محتاجٌ إلى القوت فيمنع نفسه ذلك ليستوفي ماله على ذلك الخاتم وإنّ منهم من لا يدع أن يتحلّى بالفضّة والذّهب والنّحاس والرّصاص والحديد والزّجاج وإنّ منهم لمن يعلق في رقبته أو في عضده أو في وسطه الخرز والحجارة وغير ذلك من أنواع الرّسخ فكلّ ذلك ليستوفي ما كان له على ذلك ويتزيّن به أوّلاً وهو في كون البشريّة وكذلك الخيل والجّمال والحمير والدّواب والكلاب وأنواع البهائم والطّير حتّى الحيّات والدّبيب.

أما رأيت سمكاً مقرّطقاً قد إصطيد وجعل آذانه أقراطاً وخرزاً وذلك موجودٌ كثيرٌ فكلّ ذلك يجري عليها حسبما أخذت على تلك الحليّ في تراكيبها مثلاً بمثلٍ عدلاً من مولاك وقسطاً بالحقّ.

قال المفضّل: فوجل قلبي عند ذلك فعلم مولاي ما في نفسي فقال لي: يا مفضّل إنّه قد إشتكل في نفسك شيءٌ تريد تسألني عنه وهو أنّ في المؤمنين من هذه

الأشياء الّتي قد شرحت لك فيها هذا الشّرح العظيم وكيف يكون حال المؤمنين في ذلك وكيف يخلصون منه.

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي أنت العالم بما في نفسي من سرّي وإعلاني لأنّك أعلم به منّي كما وصفت نفسك فقلت: «وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ».

فقال مولانا علينا سلامه: يا مفضّل إنّ المؤمنين لا يدخلون في ذلك ولا يجري عليهم شيءٌ من ذلك وكلّ ذلك للمؤمنين حلالٌ مطلقاً في العالمين العلويّ والسّفليّ. أما سمعت قوله سبحانه: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ» الآية.

وذلك يا مفضّل أنّ الله تبارك وتعالى قد ملّك المؤمن مال الكافر ونفسه وأهله وولده وروحه فيه يعيش ولولا المؤمن ما عاش الكافر ولا شمّ طعم الدّنيا والحياة ولا تنسّم الهواء ولا تنعّم بحالةٍ من الأحوال.

وإنّما بالمؤمنين ينال الجّاحدون ما ينالون بأفعالهم الجّميلة بالمؤمنين وإصطناع الخير إليهم فداخل المؤمنين من السّرور في البشريّة الرّفعة والغنى والعزّ والجّاه والأحوال السّنيّة في البشريّة والمسوخيّة أيضاً إذا ردّوا إليها.

نعم يا مفضّل وبالمؤمنين وفعلهم بهم القبائح يهلكون ويحلّ بهم ما يحلّ في البشريّة والمسوخيّة ويكشف للمسوخ أنّ بأعمالهم بالمؤمنين نالهم ذلك فيودّون أنّهم يردّون إلى البشريّة حتّى يزيدوا بفعل الجّميل مع المؤمنين فإذا ردّوا إلى البشريّة إزدادوا في عمل القبيح بالمؤمنين فيردّهم ذلك الفعل إلى المسوخيّة وغيرها من الوسخ والرّسخ لأنّهم كلّما ردّوا إلى البشريّة تناسوا توحيد مولاهم وبهذا للمؤمن أن يملك الكافر بشريّاً ومسوخيّاً ورسخاً لا يطالب فيه بعطاء ولا عليه جزاء على أوليائه فيعكسه إلى النّسخ والفسخ والمسخ والوسخ والرّسخ يعذّبون فيها بأيديهم ويشفي صدور قومٍ مؤمنين.

فإعرف هذا الشّرح يا مفضّل وتبيّنه وإفقهه فقد سلكت بك صراط ربّك وأوجبت عليك فيه إلزام نفسك ومن آل إليك وإستعمال كلّ ما شرحته لك وعرّفتك

به تشرحه لمن كان من أهله وتأمرهم بإستعمال فقهه فلا يتمّ لك ولا لأهله توحيد مولاك إلاّ بإقامة ذلك وقبوله وعمله وشروطه و تصديقه.

وإعلم يا مفضّل أنّ مولاك أجرى أموراً في البشريّة وأوجدها وأمضاها وقدّرها فهي تجري على سننها ورتبتها وذلك أنّك ترى في العالم الظّلميّ من يستنكح وينكح البنات والأخوات والأمّهات وكذلك أنّك ترى الرّجل يزوّج أمّه من رجلٍ وأخته من رجلٍ ويزوّج أمّه وأخته وإبنته من آخر.

وكذلك تراهم يملك الرّجل في المسوخيّات النّعم وغيرها من البهائم والطّير وسائر أجناس المسوخيّات من الدّواب والحمير والجّمال والبقر والغنم والمعز وغيرها ويثب بعضها على بعضٍ فيتناهى فعلها ويكون منها ما يكون في البشريّة من التّوالد والتّربيّة وذلك أنّه يتوالد العربيّات في الأكراد والعجم والرّوم والأرمن والنّبط وأجناس السّود أيضاً كما يتزوّج ويقع النّكاح بينهما ويتزوّج العبد بالحرّ والعجميّ بالعربيّة واليهوديّ والنّصرانيّ بإمرأةٍ تدّعي الشّرف وينكح الإمرأة غير كفئها في النّسب والأصل وكذلك يتزوّج الرّجل الإمرأة ممّن ليست كفوءه في النّسب والأصل وكما جرى في البشريّة يجري عليهم في المسوخيّة ويستردّ كلّ ذي حقٍّ حقّه ويخرج من عليه ما عليه.

وكذلك يا مفضّل يتزوّج الإمرأة الرّميّة الرّجل كذلك يعلو الفرس العربيّة البرذون الدّنيّ ويعلو الحصان العربيّ الرّمكة ويعلو الحمار الفرس وذلك أنّ الفرس كانت حمارة وكان الحمار فرساً وكذلك يجري عليهم في البشريّة.

ينكح المسلم النّصرانيّة في ظهورٍ ثمّ تعود النّصرانيّة في ظهورٍ ثانٍ في كورٍ ويكون في شريعة الحقيقة ويعود الرّجل في التّأنيث ويكون في ملّة النّصرانيّة فيتزوّجها ويأخذ منها ما كان له من حقٍّ.

و إعلم يا مفضّل أنّه يجري عليها في المسوخيّة إنّها تكون في ظهورٍ فرساً فيركبها الحمار وتصير في ظهورٍ حماراً ويعود الحمار فرساً فيركبها وليس يكون إجتماعٌ في ظهورٍ واحدٍ في البشريّة ولا في المسوخيّة كما أنّه لا يجوز للنّصرانيّ أن ينكح مسلمةً كما لا يتهيّأ لحصانٍ أن يثب على أتانٍ وكما منهما كحمارٍ يثب على

أن ينكح المسلمون النّصارى فركب الحمير الخيل وهو إقامةُ عدلٍ من ذلك بالخلق المنكوس بما إستحقّوا وإكتسبوا.

و إنّي أزيدك يا مفضّل في ذلك علماً ليس هو عندك ولا علمته ولا يعلمه أحدٌ قبلك، أنّ اليهود الّذين هم في البشريّة قد ثبت عليهم هذا الإسم ينكحون نسائهم وكذلك هم لا ينكحون مسلمةً ولا نصرانيّة لأنّهم عندهم محظورٌ لا يقدر عليه كذلك يجري أمرهم في المسوخيّة وهي البغال، لأنّها لا يوثب عليها ولا تثب هي أيضاً بحالها منفردةً فيما هي فيه كما كانت في البشريّة وربّما كان منها شيءٌ على سبيل الإغتيال والمكاره فهو يجري منها على جزاءٍ كان سلف لها وهي في البشريّة وذلك من وثوب بغلٍ على فرسٍ وفرسٍ على بغلةٍ وليس يكون لذلك بينهما ولادةٌ.

وكذلك في البشريّة والمسوخيّة وهي إلى الرّسخ والرّصاص الأسود ألا ترىإلى ظلمته وسواده. وهذا يا مفضّل دليلٌ واضحٌ أنّ الرّصاص الأسود لا يعلو على شيءٍ من الأشياء من النّحاس والحديد إلاّ وفسد به، وما وقع به المزاج من غيره من الرّصاص القلعيّ فهو بمعنى من أسلم وتنصّر من اليهود. فإنّه وقع به إسمُ الإسلام والنّصرانيّة جاز له أن يتزوّج منهم وينكح. وكذلك الممازجة وقعت به وهو في المسوخيّة والرّسوخيّة بالتّزاوج بغيره. فإذا أردت معرفة أشخاصهم في المسوخيّة فإنظر إلى الدّواب فكلّ ما رأيته منها يشاكل البغال في معانيها فذلك ممّن وصف لك شرحه. وإعلم يا مفضّل: أنّ في العالم البشريّ وهو في الباطن مسخٌ وشرحُ ذلك القول: ظاهره بشريّ وفي باطنه مسخٌ وبيانه في العالم الظّلميّ أنّك تجد في العالم من يلعب بهدير الحمام ونهيق الحمار ويصهل بصهيل الخيل ويشحج شحيج البغال وينبح نباح الكلاب ويعجّ عجيج البقر ويضبح ضبيح الثّعالب ومواء القطط وسقسقة الفأر وصياح القرادة ومنها ما ينوح مثل الطّيور في الأسواق والطّرقات ويجعله مديحه ومعاشه ويعرف بها. وترى من العالم من يعنى بتربية الكلاب وتربية الحمام وتربية القطط وتربية أجناس المسوخ وذلك لإلفه ذلك الجّنس ترتاح روحه إلى الأجناس الّتي قد حلّ قبل ذلك الوقت فيها وكذلك ما ألف نم الجّوارح والصّيد بها فيعرف ما كانت تعرفه قديماً وتمسك على صاحبها بقدر ما أمسك هو عليها وهو كما أضرّت يضرّ وهو في المسوخيّة في كلّ نوعٍ منها وكذلك يعود غيره من جنسه إليه بمقدار ما كان المعاني له.

وذلك أنّك ترى " يا مفضّل " من يؤثر ذلك القرد أو الكلب أو الدّبّ والبهيمة والقطّ والطّير الجّارح على نفسه ويضرّ نفسه ويحسن إلى ذلك الّذي قد غوى به ممّا كان من أولاده وهو في البشريّة بشريٌّ والبشر في المسوخيّة بذلك الجّنس.

فإنظر إلى ما شرحت لك وإكشف عنه تجده وتعاينه وتعرفه من هو به وتحمد أهل الإيمان والتّوحيد لمولاهم على ما أولاهم من إسباغ نعمته على أوليائه وإستنقذهم من الظّلمة وجعلهم من أهل النّور ثمّ أوجدهم معاني أهل الخلاف والجّحود والإنكار.

و إعلم يا مفضّل: أنّ في العالم النّورانيّ من يعرف فضله على من هو دونه فيسأل الله الزّيادة والإرتفاع والبلوغ إلى تناهي الدّرجات لأنّه قال تبارك وتعالى: ورَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ ثمّ أوجد أنّها في جميع المكوّنات من العلويّ النّورانيّ والسّفليّ الصّغير أصحاب المراتب والدّرج فأوجد فضلهم على من هو دونهم في المنزلة من العالم التّرابيّ أهل الإجابة والإقرار بالمعرفة.

ثمّ أوجد فضل هذه المنزلة على عالم الجّحود والإنكار ما داموا في البشريّة فلهم فضلٌ على من هو دونهم في المسوخيّة على من هم في الرّسوخيّة وفضل من هم في الوسوخيّة على من هم في الرّسوخيّة هذه كلّها درجاتٍ في معانيها بعضها فوق بعضٍ وترتفع بعضها على بعضٍ في جميع ما جرى عليه ولكلّ منزلةٍ رتبةٌ ولتلك الرّتبة منازل يعلو في ذلك بعضهم فوق بعضٍ فمالكٌ ومملوكٌ وموسرٌ ومعسرٌ وشقيٌّ وسعيدٌ وآمنٌ وخائفٌ وعزيزٌ وذليلٌ في البشريّة والمسوخيّة والرّسخ في جميع ما جرى عليه في الكرّات والرّجعات والأكوار والأدوار والأحقاب والظّهورات ويعود فيها من الشّدّة إلى الرّخاء والضّعف إلى القوّة والمملوك مالكاً.

يا مفضّل هذا ليس فيه رجعةٌ فلأنفسهم يقدّمون فقد أنذرتهم وحذّرتهم ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ عنى بذلك وإلاّ صرتم بهائم. وإعلم أنّ مولاك أقام لهم نفسه مقام الدّاعي الرّؤوف النّاصح المشفق العطوف فقال سبحانه: «أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» وقال: «واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّه عَلَيْكُمْ» وقال: «ولا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ» وقال: «فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِه» وقوله: «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ». وإعلم يا مفضّل

أنّ في خطاب الله من الوجود الواضح المعاني ما لو إنكشف للعالم وتبيّنوه لغنوا به عن السّؤال والجّواب والبحث ولكان لهم دليلٌ ومقصدٌ ولكنّهم عموا عنه كما عموا عن المشاهدة والعيان والوجود والبحث وهم في غفلتهم وعماهم أضلّ وأجهل وأعمى وأكفر وأصمّ وأضلّ سبيلاً.

في الرّسوخيّات

وقد جعل في أهل الإقرار والإجابة والمعرفة والتّوحيد نور القبول وأن لا تمرّ آيةٌ من الآيات إلاّ إعتبروا بها وفكّروا فيها وكانت لهم دليلاً وشاهداً على صحّة اليقين بميلهم إلى الحقّ وقبولهم الصّدق وتجنّبهم الباطل فزادهم مولاهم بذلك إيماناً وهدى كما قال الله تعالى: «وإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إيماناً وعَلى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ» وقال مخبراً عنهم: «ومِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِه لَنَصَّدَّقَنَّ ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ» وآيٌ في القرآن مثل هذا كثيرٌ وليس ذلك إلاّ لأهل الإيمان والقبول والتّسليم.

وأمّا أهل الجّحود والكفر والإنكار والظّلمة والكدر فإنّه قد خبّر عنهم فقال: «وما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ إلاَّ كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ» وقال: «وما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها» وقال: «ولَو أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائكَةَ وكَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا» وقوله: «ولَو أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَو قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَو كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى» وقوله: «وما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ» وآيٌ في القرآن مثل هذا كثيرٌ في مقامهم على الجّحود والإنكار والكفر والمخالفة والعناد.

و إنّما ذلك لإثباتهم على الجّحود الأوّل للدّعوة الأولى في البدو الأوّل ثمّ ينقل العالم في تلك الظّلمة وكلّما عتوا وتعدّوا زادت ظلمتهم وقد قال الله سبحانه: «ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فما لَهُ مِنْ نُورٍ» وقال: خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ وقال: «أَو كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ

يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ» فهم فيه يلجون ويولجون والظّلمات في البحر اللّجّيّ هي المسوخيّة وهي طبقاتٌ متداركةٌ ومترادفةٌ من أصناف العجائب والتّراكيب يصعب وصفها على الواصفين ونعتها على المخلوقين لكثرة أجناسها وإختلاف صورها وتغيير أشكالها وبدائع أسمائها وسكّانها في المعادن مثل الأرض والجّبال والبحار وفي الهواء والرّياح والآجام وهي أعدادٌ كثيرةٌ لا تحصى ولا يحاط بها فهذه ظلمات البحر اللّجّيّ.

و أمّا الظّلمات الثّلاث فهي الرّسخ في الذّهب والفضّة وفي الحديد والنّحاس والرّصاص فإنّها بجنسٍ واحدٍ وإنّما أعلي الذّهب لعظم منزلته على كون من هو رسخاً لأنّ الذّهب يفضل على الفضّة في كلّ ما يأتي منه لأنّه أعلى منه في المنزلة لكون من هو شخصه لأنّ الذّهب بشخص الثّاني الرّجيم " سكد " لعنه الله لأنّ الواحد منه يباع بأضعاف من الفضّة ذلك أنّ " زازمد " و" سجكوق " كانا تبعاً لأمر سكد وتحت طاعته وكذلك الفضّة تباع بأضعاف من الحديد لأنّ الحديد شخص عثمان وكان عثمان تبعاً لزازمد مطيعاً له فيما يأتي به زازمد إلى ظلمة الحديد وشدّته في كونه.

وأمّا النّحاس فهو شخص التّابعين لهؤلاء الثّلاثة كذلك الرّصاص والحجارة وما جانسها فهؤلاء من الثّاني وإليه وهو أصلها وأُسّها وجوهرها في كلّ كونٍ وحدوثٍ فهذه الظّلمات الثّلاث الّتي ذكرها الله فقال: ظُلُماتٍ ثَلاثٍ وأمّا الحديد فليس فيه ليونة الذّهب وسلاسته ولا من ثمن الفضّة أيضاً شيءٌ بل هو مظلم الجّوهر لشدّة كون من هو شخصه في الطّغيان والكفر وثباته على الجّحود والإنكار وهو في شدّة ظلمته ولا يخرج ما هو فيه بل يتّخذ لقتلٍ وتلفٍ وآنيةٍ وآلةٍ يصنع بها سائر الأشياء من النّجارة والخرز والخياطة والحفر وغيرها ما يجري به آلة الحديد وكذلك كان في أوّل بدوه وكونه في البشريّة والثّالث من الظّلمات في الحجارة وتوهن ما ألمّ بها أو يردم أو يردم بها وإنّ منها ما يصنع منه أحوالاً يستعان بها على آلات البناء وغيره فمن ذلك النّورة والجّصّ والإسفيداج وما شاكل ذلك وهي بمعنى الشّخص الّذي كان من جوهرها والحديد يليها وهو مثلها ثمّ النّار وقد قال الله تعالى: كَالْحِجارَةِ أَو أَشَدُّ قَسْوَةً فأوجد أنّ فوق الحجارة ما هو أشدّ منه وكذلك هو الحديد وهو الّذي يأتي على الحجارة والحجر فهو نوعٌ من أنواع الحديد وهو مكوّنٌ من جوهريّته فهذا

يبيان شرح ما ختم به حين قال: «قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَو حَدِيداً أَو خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ» وفسّرت لك في الشّرح أنّ هذه الظّلمات أشخاصٌ في البشريّة قبل نزولها إلى الرّسوخيّة وتلف كلّ من أصغى إليه وقبل منه فالذّهب هو أصل الطّغيان والكفر والفضّة هي تبعه لأنّ أبا بكر كان لعمر مطيعاً لأنّه بابه وعثمان تبعاً للأوّل والثّاني فهو أظلم منهما في كونه وكدره وبنو أميّة هم تبعٌ لعثمان لأنّهم من جنسه وقومه وبنو العبّاس هم أشخاص الرّصاص وهم ألعن الجّميع والنّحاس أشخاص التّابعين لبني أميّة وبني العبّاس مثل مالك وأبي الهذيل العلاّف والشّافعي وأبي حنيفة ومن كان من أمثالهم لأنّ الذّهب شخص سكد لعنه الله وهو الضدّ الملعون الشّيطان الرّجيم إبليس الأبالسة والفضّة شخص بابه أبي بكر قال: إنّ لي شيطاناً يعتريني وهو سكد ّو الحديد شخص عثمان وهو أظلم الظّلمات الثّلاث وهو الّذي وازر الثّاني وعاضده وتابعه وكتب له الصّحيفة بأن لا يطابقوا محمّداً وآل بيته وهو الّذي غلب وتغلّب على الخلافة وغسل المصاحف ونفى أبا الذّرّ وآوى مروان بن الحكم إلى المدينة الّذي كان نفاه الرّسول وبني أميّة وأتباعهم في ذلك الرّصاص أشخاص بني العبّاس المتلبّسين بالخلافة المتّسمين بأمرة المؤمنين والنّحاس هو أشخاص الفقهاء الّذين نصبوا أنفسهم لضلالة من إتّبعهم وصدّوا العالم عن أهل البيت وأوردوا من الكذب ما رغّب النّاس في أبي بكر وعمر وعثمان وبني العبّاس وأمّا الحجارة وجميع أنواع الرّسوخ فهم أتباعٌ لهم في المنزلة..

وإعلم أنّ الظّلمة مقرونةٌ بسائر الأشياء لأنّ الظّاهر كلّه من الظّلمة وممازجٌ للباطن فلو ذهب العالم إلى معرفة أحدهما لما عرف إلاّ ضدّه الّذي هو بخلافه ولولا الظّاهر لما عُرِفَ الباطن وكذلك لولا الباطن ما عرف الظّاهر ولا وُجد فقرّ به ما أوجدك إيّاه فإذا عرفت غنيت به عن شرحٍ كثيرٍ وأجوبةٍ لها ولولا الظّاهر الّذي هو الظّلمة لما وجب الباطن الّذي هو النّور والفدرة فلمّا ظهرت القدرة بالأشخاص والهياكل الطّينيّة أقامت مع الضدّ في مقاماتٍ فناصبها وأورى أنّها مساويةٌ له وأنّها تقوم مقامه وأورى القادر أنّه يطلب النّصرة من الله بديّاً ثمّ من العالم المنكوس ومن الضدّ الذي أظهر الظّلم كما أنّه أورى أنّه تحت ضعفٍ حتّى أكمل فيهم معرفة الظّلمة وحقّقها ومكّنها وشطّها وأنفذها حتّى أكمل فيهم ذلك عند العالم أتت القدرة وهي الباطن على الظّاهر فأهلكته وهو عندهم ظهور البغي من الظّلمة الّذي هو الضدّ فلما

غلبت القدرة الضدّ أدحضته فكان كمن لم يكن شيئاً ودليل ذلك قوله سبحانه: «ويُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ ويَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ ويُبْطِلَ الْباطِلَ ولَو كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» فالحقّ القدرة والباطل الضدّ ومثل ذلك ظهر فرعون وهامان وقارون والنّمرود وعاد وثمود وما كان لظهور الضدّ من قبل ذلك وبعده إذ إدّعى الرّبوبيّة في أوقاته فأجابوه وإتّخذوه إلهاً وكانت القدرة الباطنيّة قائمةً بذاتها بالدّعوة فأورى في كلّ مقامٍ ضعفاً مثل التّغريق في البحر وإحراقه بالنّار ومثل الحبس والقتل والصّلب وما يجري مجرى ذلك فكان لذلك كلّه ظاهراً وباطناً يميّز الباطن من الظّاهر والظّاهر من الباطن فكان إختبار العالم الباطن ووجودهم إيّاه والفرق بينه وبين الظّاهر حيث أنّه ممّا لم يأت به الظّاهر وهو الضدّ من تغريق فرعون وأخذ نمرود بالبليّة وهلاك عاد وثمود وغيرهما بالصّيحة والرّيح والخسف والتّنكيل فكان جزاء من الأفعال الّتي للوليّ في المقام وكان الفعل الأوّل بالضدّ واقعٌ وإنّما وقع ذلك بالقدرة وكان ذلك جزاءه.

وإعلم أنّ الظّلمة مقارنةٌ مقاومةٌ للنّور فمن ذلك اللّيل والنّهار وأقامه للوليّ يجري مع الظّهور بلا زوالٍ ولا زيادةٍ فيه ولا نقصانٍ منه بل دائمٌ بدوام الملك لأنّ الظّاهر والباطن هما قسمان على الدّهر كلّه ظلمةٌ ونورٌ وليلٌ ونهارٌ يتزايد النّهار في بعض السّنة وينقص اللّيل ويتزايد اللّيل في وقتٍ آخر من السّنة وينقص النّهار وذلك يظهر القدرة والدّعوة في زمنٍ آخر ويخفي دعوة الحقّ فمن ذلك في زمن نوحٍ وهو الإسم ثمّ ظهر المعنى بمثل صورته على ما ترويه العامّة تسعمائةٍ وخمسين سنة وفي زمنٍ غيره أقلّ من ذلك إلى حيث نحن وكذلك يكون في آخر هذه القبّة يخفي مولاك شخصه عن المنكرين ومن إستحقّ من المقرّين وذلك بما سلف لهم من الذّنوب ويظهر دعوة الباطل حيناً طويلاً مثل ما كانت دعوة الحقّ في الأوّل ظاهرةً في عهد آدم سبعمائةٍ وخمسين سنة ثمّ يظهر ظهور الحقّ والكشف حتّى يتساويان ظهور الحقّ والباطل فلو ذهب العالم إلى وجود الزّيادة والنّقصان لما وجدوا ذلك ولو وجدها شيئاً واحداً وكذلك الظّهور والغيبة يردّ الباطن على الظّاهر ما أخذه منه حتّى تصير الغيبة والظّهور شيئاً واحداً ويتساويان ويعتدلان فيصير من أهل الخلاف أغلالٌ وآصارٌ في زيادةٍ ونقصانٍ وحرارةٍ وبرودةٍ فيصوم في طول النّهار وأصعب يومٍ في السّنة وآخرها ويصلّون ويجاهدون فيمرّ على الصّائم من شدّة الحرّ وطول

النّهار وسمومه فينالهم شدّةٌ عظيمةٌ وكذلك في زمانٍ آخر يصومون في أقصر يومٍ في السّنة ويلحقه من شدّة البرد والشّدّة عند الصّوم حالٌ عظيمٌ وكذلك يلحقهم في الجّهاد من الصّعوبة حالٌ شديدٌ ومثل ذلك في الحجّ مرّةً في شدّة الحرّ وأخرى في شدّة البرد فينالهم من ذلك. وهذا يا مفضّل صراط ربّك وعدله في ذاته وظهوره في الباطن والظّاهر وهو النّور. إذا بان لك هذا وإنكشف وجدت في خلقه خاصّتهم وعامّهم وقد وجدتك يا مفضّل ظهوره في مقام نوحٍ ألف سنةٍ وأقلّ وأكثر في ظهور إبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ثمّ مقام الإماميّة إلى حيث أنت به تعاينه من بعد ذلك حتّى يكون غيبة البلاغ ويقيم الظّاهر إلى الكشف ويكون من بعد ذلك ما كان جارياً في ملك مولاك تعادله ولا إنقضاء ولا زوال.

فلا يغرّك يا مفضّل ما نعته لكم فهم كما قال الله سبحانه يحملون أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم وذلك أنّهم قد ضلّوا وأنّهم لم يرضهم ذلك حتّى أضلّوا بضلالهم العالم الخبيث وقال الله سبحانه مخبراً عن قولهم: «وقالَ الّذينَ كفَرُوا ربَّنا أرِنَا الّذَيْنِ أَضلاَّنا مِنَ الْجِنِّ والإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الأسْفَلينَ» من الجّنّ عمر لأنّه الجّاني المعصية والفاعل لها ومن الإنس أبو بكر وهما أشخاص الذّهب والفضّة ثمّ خبّر عنهم بقوله: «وقالُوا ربَّنا إنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنا فَأَضلُّونَا السَّبِيلاَ» وأشار إلى الذّهب والفضّة وهما أصل كلّ ضلالةٍ وطغيانٍ.

فاعرف يا مفضّل نعمة ربّك من هذا الشّرح فقد أجبتك عن سؤال غيرك وقد أوسعت عليك في الجّواب فإدّخره ليكون لك صراطاً تستضيء به ونوراً تهتدي به وتهديه إلى العارفين وتلقيه إليهم وتأمرهم بكتمانه والعمل به والصّبر عليه والإجتهاد في الزّيادة منه والخروج عن المكاره وقبول الحقيقة.

فطوبى لمن أخذ منه ما عليه وقام بواجبه. وكن لمولاك من الشّاكرين وعلى نعمته من الحامدين وعلى معرفته من الثّابتين والحمد لله وحده.

كتاب التوحيد

للمفضل بن عمرو

كتاب التوحيد يختلف عن باقي كتب المفضل بن عمرو كونه جدال وحوار مع فئات اتخذت من الإلحاد اعتقاداً يحاول المفضل محاربته ويقوم الإمام الصادق بتثبيت المفضل على ذلك من خلال تأييده بالحجج والبراهين.

كنت ذات يوم بعد العصر جالسا في الروضة بين القبر والمنبر وأنا مفكر فيما خص الله به سيدنا محمداً (ص) من الشرف والفضائل وما منحه وأعطاه وشرفه به وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطر مرتبته فإني لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه فلما استقر به المجلس إذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه فتكلم ابن أبي العوجاء فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كل أحواله، فقال له صاحبه إنه كان فيلسوفا ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول وضلت فيها الأحلام وغاصت الألباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسير. فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه أفواجا فقَرَن اسمه باسم ناموسه فصار يهتف به على رءوس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت إليها دعوته وعلت بها كلمته وظهرت فيها حجته برا وبحرا وسهلا وجبلا في كل يوم وليلة خمس مرات مرددا في الأذان والإقامة ليتجدد في كل ساعة ذكره لئلا يخمل أمره.

فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمد (ص) فقد تحير فيه عقلي وضل في أمره فكري وحدثنا في ذكر الأصل الذي يمشي به ثم ذكر ابتداء الأشياء وزعم أن ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير ولا صانع له ولا مدبر بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال.

قال المفضل فلم أملك نفسي غضبا وغيظا وحنقا فقلت: يا عدو الله ألحدت في دين الله وأنكرت البارئ -جل قدسه- الذي خلقك في أحسن تقويم وصورك في أتم صورة ونقلك في أحوالك حتى بلغ بك إلى حيث انتهيت فلو تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك لوجدت دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة وشواهده جل وتقدس في خلقك واضحة وبراهينه لك لائحة.

فقال: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك فإن ثبت لك حجة تبعناك وإن لم تكن منهم فلا كلام لك وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ولا بمثل دليلك يجادلنا ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا. وإنه للحليم الرزين العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق ويسمع كلامنا ويصغي إلينا ويستعرف حجتنا حتى استفرغنا ما عندنا وظننا أنا قد قطعناه أدحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه ردا فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

قال المفضل: فخرجت من المسجد محزونا مفكرا فيما بلى به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها فدخلت على مولاي صلوات الله عليه فرآني منكسرا فقال ما لك !؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريين وبما رددت عليهما.

فقال: لألقين إليك من حكمة البارئ جل وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام وكل ذي روح من الأنعام والنبات والشجرة المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون ويسكن إلى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون فبكر علي غدا.

المجلس الأول

قال المفضل: فانصرفت من عنده فرحا مسرورا وطالت على تلك الليلة انتظارا لما وعدني به فلما أصبحت غدوت فاستوذن لي فدخلت وقمت بين يديه

فأمرني بالجلوس فجلست ثم نهض إلى حجره كان يخلو فيها فنهضت بنهوضه فقال اتبعني فتبعته فدخل ودخلت خلفه فجلس وجلست بين يديه.

فقال: -يا مفضل- كأني بك و قد طالت عليك هذه الليلة انتظارا لما وعدتك.

فقلت: أجل يا مولاي.

فقال: يا مفضل إن الله كان ولا شيء قبله وهو باق ولا نهاية له فله الحمد على ما ألهمنا وله الشكر على ما منحنا وقد خصنا من العلوم بأعلاها ومن المعاني بأسناها واصطفانا على جميع الخلق بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه.

فقلت: يا مولاي أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه وكنت أعددت معي ما أكتب فيه.

فقال لي: افعل يا مفضل إن الشكاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ البارئ جل قدسه وبرأ من صنوف خلقه في البر والبحر والسهل والوعر فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود حتى أنكروا خلق الأشياء وادعوا أن كونها بالإهمال لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع تعالى الله عما يصفون «وقاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» فهم في ضلالهم وعماهم وتحيرهم بمنزلة عميان دخلوا دارا قد بنيت أتقن بناء وأحسنه وفرشت بأحسن الفرش وأفخره وأعد فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التي يحتاج إليها لا يستغني عنها ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يترددون فيها يمينا وشمالا ويطوفون بيوتها إدبارا وإقبالا محجوبة أبصارهم عنها لا يبرون بنية الدار وما أعد فيها وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه وأعد للحاجة إليه وهو جاهل بالمعنى فيه ولما أعد ولما ذا جعل كذلك فتذمر وتسخط وذم الدار وبانيها فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة. فإنهم لما غربت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء صاروا يجولون في هذا العالم حيارى ولا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب تهيئته وربما وقف بعضهم على الشيء لجهل سببه والإرب فيه فيسرع إلى ذمه ووصفه بالإحالة والخطإ كالذي أقدمت عليه المانوية

الكفرة وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة وأشباههم من أهل الضلال المعللين أنفسهم بالمحال، فيحق على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير بالدلالة القائمة الدالة على صانعها أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك ويرغب إليه في الثبات عليه والزيادة منه. فإنه جل اسمه يقول «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ولَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» .

يا مفضل: أول العبر والأدلة على البارئ جل قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وميزته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر. وكل شيء فيها لشأنه معد والإنسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروب النبات مهيأة لمآربه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه. ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة وأن الخالق له واحد وهو الذي ألفه ونظمه بعضا إلى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولا إله غيره تعالى عما يقول الجاحدون وجل وعظم عما ينتحله الملحدون.

نبتدئ يا مفضل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به. فأول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث «ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة» حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة فإنه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق بأمه فأزعجه أشد إزعاج وأعنفه حتى يولد.

وإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثدييها فانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء وهو أشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد قد تلمظ وحرك شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد ثديي أمه كالإداوتين المعلقتين لحاجته إليه فلا يزال يغتذي باللبن ما دام رطب البدن رقيق الأمعاء لين الأعضاء، حتى إذا تحرك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ به الطعام فيلين عليه ويسهل

له إساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك فإذا أدرك وكان ذكرا طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعز الرجل الذي يخرج به من حد الصباء وشبه النساء وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقيا من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه.

اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة هل ترى يمكن أن يكون بالإهمال، أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوى ويجف كما يجف النبات إذا فقد الماء ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه، ألم يكن سيبقى في الرحم كالموءود في الأرض ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته، ألم يكن سيموت جوعا أو يغتذي بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ولو لم تطلع عليه الأسنان في وقتها، ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته أو يقيمه على الرضاع فلا يشد بدنه ولا يصلح لعمل ثم كان تشتغل أمه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته، ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء فلا ترى له جلالة ولا وقارا.

فقال المفضل: فقلت يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ حال الكبر.

فقال: ذلك بما قدمت أيديهم وإن الله ليس بظلام للعبيد فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب إلا الذي أنشأه خلقا بعد أن لم يكن ثم توكل له بمصلحته بعد أن كان فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطإ والمحال لأنهما ضد الإهمال وهذا فظيع من الهول وجهل من قائله لأن الإهمال لا يأتي بالصواب والتضاد لا يأتي بالنظام، تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا.

ولو كان المولود يولد فهما عاقلا لأنكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه ا لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم واعتبر ذلك بأن من سبي من بلد إلى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع في تعلم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الذي يسبى صغيرا غير عاقل ثم لو ولد عاقلا كان

يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى في المهد لأنه لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غبيا غافلا عما فيه أهله فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد حال حتى يألف الأشياء ويتمرن ويستمر عليها فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها إلى التصرف والاضطراب إلى المعاش بعقله وحيلته وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية.

وفي هذا أيضا وجوه أخر، فإنه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب تربية للآباء على الأبناء من المكلفات بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم فيتفرقون عنهم حين يولدون فلا يعرف الرجل أباه وأمه ولا يمتنع من نكاح أمه وأخته وذوات المحارم منه إذا كان لا يعرفهن وأقل ما في ذلك من القباحة بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع لو خرج المولود من بطن أمه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به أن يراه أفلا ترى كيف أقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب وخلا من الخطإ دقيقه وجليله اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة.

واعلم أن في أدمغة الأطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثا جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رءوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتاه ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان أن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنه لا منفعة فيه من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فإن كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون وكثير مما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته.

فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حد البله والجنون والتخليط إلى غير ذلك من الأمراض المختلفة كالفالج واللقوة وما أشبههما فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في معصيته، فسبحانه ما أجل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا.

انظر الآن يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعا على ما يشاكل ذلك فجعل للذكر آلة ناشزة تمتد حتى تصل النطفة إلى الرحم إذ كان محتاجا إلى أن يقذف ماءه في غيره، وخلق للأنثى وعاء قعر ليشتمل على الماءين جميعا ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون.

فكر يا مفضل في أعضاء البدن أجمع وتدبير كل منها للإرب، فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء، والمعدة للهضم، والكبد للتخليص، والمنافذ لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء إذا تأملتها وأعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة.

قال المفضل: فقلت يا مولاي إن قوما يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة؟

فقال سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك وإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق؟ فإن هذه صنعته وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم وأن الذي سموه طبيعة هو سنة في خلقه الجارية على ما أجراها عليه.

فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوة إلى الكبد في عروق رقاق واشجة بينها قد جعلت كالمصفي للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكاها وذلك أن الكبد رقيقة

لا تحتمل النف ثم إن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما وينفذ إلى البدن كله في مجاري مهيئة لذلك بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء حتى يطرد في الأرض كلها وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفايض قد أعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلة والرطوبة جرى إلى المثانة.

فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها وإعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير وله الحمد كما هو أهله ومستحقه.

قال المفضل: فقلت صف نشوء الأبدان ونموها حالا بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال.

فقال (ع): أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج سويا مستوفيا جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللحم والشحم والمخ والعصب والعروق والغضاريف.

فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمي بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشده إن مد في عمره أو يستوفي مدته قبل ذلك هل هذا إلا من لطيف التدبير والحكمة.

يا مفضل انظر إلى ما خص به الإنسان في خلقه تشريفا وتفضيلا على البهائم فإنه خلق ينتصب قائما ويستوي جالسا ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوبا على وجهه كذات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئا من الأعمال.

انظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خص بها الإنسان في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من المطالعة الأشياء ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين فتعرضها الآفات وتصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلبها واطلاعها نحو الأشياء

فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكي لا يفوتها شي من المحسوسات، فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن منفعة فيها، وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب، وكذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافئا فلو كان بصر ولم يكن ألوان لما كان للبصر معنى ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا. فجعل لكل حاسة محسوسا يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحواس إلا بها كمثل الضياء والهواء فإنه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون لو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفى على من صح نظره وأعمل فكره أن مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى بعضا وتهيئة أشياء آخر بها تتم الحواس لا يكون إلا بعمد وتقدير من لطيف خبير.

فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في أموره فإنه لا يعرف موضع قدمه ولا يبصر ما بين يديه فلا يفرق بين الألوان وبين المنظر الحسن والقبيح ولا يرى حفرة إن هجم عليها ولا عدوا إن أهوى إليه بسيف ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة حتى أنه لو لا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى وكذلك من عدم السمع يختل في أمور كثيرة فإنه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الأصوات واللحون الشجية المطربة ويعظم المئونة على الناس في محاورته حتى يتبرموا به ولا يسمع شيئا من أخبار الناس وأحاديثهم حتى يكون كالغائب وهو شاهد أو كالميت وهو حي فأما من عدم العقل فإنه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيرا مما يهتدي إليه البهائم أفلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال التي بها صلاح الإنسان والتي لو فقد منها شيئا لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئا منها فلم كان كذلك إلا لأنه خلق بعلم وتقدير.

قال المفضل فقلت فلم صار بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح فيناله في ذلك مثل ما وصفته يا مولاي.

قال (ع) ذلك للتأديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه كما قد يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا تنكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيهم ويصوب من تدبيرهم ثم للذين ينزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت أن شكروا وأنابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها حتى أنهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب.

فكر يا مفضل في الأعضاء التي خلقت أفرادا وأزواجا وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير فالرأس مما خلق فردا ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون أكثر من واحد ألا ترى أنه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلا عليه من غير حاجة إليه لأن الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد ثم كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان فإن تكلم من أحدهما كان الآخر معطلا لا إرب فيه ولا حاجة إليه وإن تكلم منهما جميعا بكلام واحد كان أحدهما فضلا لا يحتاج إليه وإن تكلم بأحدهما بغير الذي تكلم به من الآخر لم يدر السامع بأي ذلك يأخذ وأشباه هذا من الأخلاط واليدان مما خلق أزواجا ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدة لأن ذلك كان يخل به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء ألا ترى أن النجار والبناء لو شلت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته وإن تكلف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت له يدان يتعاونان على العمل أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم ألا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم السين ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم فالحنجرة يشبه قصبة المزمار والرية يشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح والعضلات التي تقبض على الرية ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزمار والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفا ونغما كالأصابع التي يختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحانا غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف فإن المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرية فتروح على الفؤاد بالنفس

الدائم المتتابع الذي لو احتبس شيئا يسيرا لهلك الإنسان وباللسان تذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرها وحامضها من مزها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة على إساغة الطعام والشراب والأسنان تمضغ الطعام حتى تلين ويسهل إساغته وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكها وتدعمهما من داخل الفم واعتبر ذلك بأنك ترى من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربها وبالشفتين يترشف الشراب حتى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر لا يثج ثجا فيغص به الشارب أو ينكي في الجوف ثم هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحهما الإنسان إذا شاء ويطبقهما إذا شاء ففيما وصفنا من هذا بيان أن كل واحد من هذه الأعضاء يتصرف وينقسم إلى وجوه من المنافع كما تتصرف الأداة الواحدة في أعمال شتى وذلك كالفأس يستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من الأعمال.

ولو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لف بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما يفته هد الصدمة والصكة التي ربما وقعت في الرأس ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صار بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدة الحر والبرد فمن حصن الدماغ هذا التحصين إلا الذي خلقه وجعله ينبوع الحس والمستحق للحيطة والصيانة بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته.

تأمل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل كالغشاء والأشفار كالأشراج وأولجها في هذا الغار وأظلها بالحجاب وما عليه من الشعر.

يا مفضل من غيب الفؤاد في جوف الصدر وكساه المدرعة التي هي غشاؤه وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لئلا يصل إليه ما ينكؤه من جعل في الحلق منفذين أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرية والآخر منفذ الغذاء وهو المريء المتصل بالمعدة الموصل لغذاء إليها وجعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام أن يصل إلى الرية فيقتل من جعل الرية مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تخل لكيلا تتحيز الحرارة في الفؤاد فتؤدي إلى التلف من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجا تضبطهما لئلا يجريا جريانا دائما فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس أكثر من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ.

ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء ولتهضم وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة إلا الله القادر أ ترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك كلا بل هو تدبير من مدبر حكيم قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إياها لا يعجزه شيء وهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

فكر يا مفضل لم صارت المخ الرقيق محصنا في أنابيب العظام هل ذلك إلا ليحفظه ويصونه لم صار الدم السائل محصورا في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلا لتضبطه فلا يفيض لم صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلا وقاية لها ومعونة على العمل لم صار داخل الأذن ملتويا كهيئة الكوكب إلا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي إلى السمع وليتكسر حمة الريح فلا ينكي في السمع لمِ حمل الإنسان على فخذيه وأليتيه هذا اللحم إلا ليقيه من الأرض فلا يتألم من الجلوس عليهما كما يألم من نحل جسمه وقل لحمه إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها من جعل الإنسان ذكرا وأنثى إلا من خلقه متناسلا ومن خلقه متناسلا إلا من خلقه مؤملا ومن خلقه مؤملا ومن أعطاه آلات العمل إلا من خلقه عاملا وخلقه عاملا إلا من جعله محتاجا ومن جعله محتاجا إلا من ضربه بالحاجة ومن ضربه بالحاجة إلا من توكل بتقويمه من خصه بالفهم إلا من أوجب له الجزاء ومن وهب له الحيلة إلا من ملكه الحول ومن ملكه الحول إلا من ألزمه الحجة من يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلا من لم يبلغ مدى شكره فكر وتدبر ما وصفته هل تجد الإهمال على هذا النظام والترتيب تبارك الله عما يصفون.

أصف لك الآن يا مفضل الفؤاد اعلم أن فيه ثقبا موجهة نحو الثقب التي في الرية تروح عن الفؤاد حتى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح إلى الفؤاد ولهلك الإنسان، أفيستجيز ذو فكر وروية أن يزعم أن مثل هذا يكون بالإهمال ولا يجد شاهدا من نفسه ينزعه عن هذا القول لو رأيت فردا من مصراعين فيه كلوب أكنت تتوهم أنه جعل كذلك بلا معنى بل كنت تعلم ضرورة أنه مصنوع يلقى فردا آخر فتبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة وهكذا تجد الذكر من الحيوان كأنه فرد من زوج مهيأ من فرد أنثى فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه فتبا وخيبة وتعسا لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتى أنكروا التدبير والعمد فيها لو كان فرج الرجل مسترخيا كيف كان

يصل إلى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ولو كان منعظا أبدا كيف كان الرجل يتقلب في الفراش أو يمشي بين الناس وشيء شاخص أمامه ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعا فقدر الله جل اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال منه مئونة بل جعل فيه القوة على الانتصاب وقت الحاجة إلى ذلك لما قدر أن يكون فيه دوم النسل وبقاؤه.

اعتبر الآن يا مفضل بعظيم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع فيها فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه فلم يجعله بارزا من خلفه ولا ناشرا من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان وتحجبه الأليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألفى ذلك المنفذ منه منصبا مهيئا لانحدار الثفل فتبارك الله من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه.

فكر يا مفضل في هذه الطواحن التي جعلت للإنسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض لمضغه ورضه فلم ينقص واحد من الصفتين إذ كان محتاجا إليهما جميعا تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار فإنهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج إلى تخفيفه أولا فأولا جعلا عديمي الحس لئلا يؤلم الإنسان الأخذ منهما ولو كان قص الشعر وتقليم الأظفار مما يوجد له مس من ذلك لكان الإنسان من ذلك بين مكروهين إما أن يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه وإما أن يخففه بوجع وألم يتألم منه.

قال المفضل فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقه لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه؟

فقال (ع) إن لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعما لا يعرفها فيحمد عليها اعلم أن آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامه وبخروج الأظفار من أناملها ولذلك أمر الإنسان بالنورة وحلق الرأس وقص الأظفار في كل أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات فتخرج الآلام والأدواء بخروجها وإذا طالا تحيرا وقل

خروجهما فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللا وأوجاعا ومنع مع ذلك الشعر من المواضع التي يضر بالإنسان ويحدث عليه الفساد والضرر.

لو نبت الشعر في العين ألم يكن سيعمى البصر ولو نبت في الفم ألم يكن سيغص على الإنسان طعامه وشرابه ولو نبت في باطن الكف ألم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض الأعمال فلو نبت في فرج المرأة أو على ذكر الرجل ألم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع فانظر كيف تنكب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة ثم ليس هذا في الإنسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات فإنك ترى أجسامهن مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه، فتأمل الخلقة كيف تتحرز وجوه الخطأ والمضرة وتأتي بالصواب والمنفعة أن المنانية و أشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والإبطين ولم يعلموا أن ذلك من رطوبة تنصب إلى هذه المواضع فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه أفلا ترى إلى هذه المواضع أستر وأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها. ثم إن هذه تعد مما يحمل الإنسان من مئونة هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة فإن اهتمامه بتنظيف بدنه وأخذ ما يعلوه من الشعر مما يكسر به شرته ويكف عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والبطالة تأمل الريق وما فيه من المنفعة فإنه جعل يجري جريانا دائما إلى الفم ليبل الحلق واللهوات فلا يجف فإن هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الإنسان ثم كان لا يستطيع أن يسيغ طعاما إذا لم يكن في الفم بلة تنفذه تشهد بذلك المشاهدة واعلم أن الرطوبة مطية الغذاء وقد تجري من هذه البلة إلى موضع آخر من المرة فيكون في ذلك صلاح تام للإنسان ولو يبست المرة لهلك الإنسان. ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين بقلة التميز وقصور العلم لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد لا يعرف ما فيه إلا بدلالات غامضة كمثل النظر إلى البول وحس العرق وما أشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك سببا للموت فلو علم هؤلاء الجهلة أن هذا لو كان هكذا كان أول ما فيه أنه كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت وكان يستشعر البقاء ويغتر بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتو والأشر ثم كانت

الرطوبات التي في البطن تترشح وتتحلب فيفسد على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بذلته وزينته بل كان يفسد عليه عيشه ثم إن المعدة والكبد والفؤاد إنما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها الله محتبسة في الجوف فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر إلى رؤيته واليد إلى علاجه لوصل برد الهواء إلى الجوف فمازج الحرارة الغريزية وبطل عمل الأحشاء فكان في ذلك هلاك الإنسان أفلا ترى أن كل ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جاءت به الخلقة خطأ وخطل.

فكر يا مفضل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبر فيها فإنه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث به فالجوع يقتضي الطعم الذي به حياة البدن وقوامه والكرا تقضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه ولو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه ولم يجد من طباعه شيئا يضطره إلى ذلك كان خليقا أن يتوانى عنه أحيانا بالتثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج الواحد إلى الدواء بشيء مما يصلح ببدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك إلى المرض والموت وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم بالتفكر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك فيدمغه حتى ينهك بدنه ولو كان إنما يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر نه حتى يقل النسل أو ينقطع فإن من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه محرك من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه واعلم أن في الإنسان قوى أربعا قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة وقوة ممسكة تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها وقوة هاضمة وهي التي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثه في البدن وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها تفكر في تقدير هذه القوى الأربعة التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والإرب فيها وما في ذلك من التدبير والحكمة ولو لا الجاذبة كيف يتحرك الإنسان لطلب الغذاء التي بها قوام البدن ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسد خلله ولو لا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج أولا فأولا أفلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف

صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه وسأمثل لك في ذلك مثالا إن البدن بمنزلة دار الملك وله فيها حشم وصبية وقوام موكلون بالدار فواحد لإقضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يعالج ويهيأ وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار وإخراجه منها فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين والدار هي البدن والحشم هي الأعضاء والقوام هي هذه القوى الأربع ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها بعد الذي وصفت فضلا وتزدادا وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الأطباء ولا قولنا فيه كقولهم لأنهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطب وتصحيح الأبدان وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها.

تأمل يا مفضل هذه القوى التي في النفس وموقعها من الإنسان أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك أفرأيت لو نقص الإنسان من هذه الخلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه إذا لم يحفظ ما له وعليه وما أخذه وما أعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به وما نفعه مما ضره ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علما ولو درسه عمره ولا يعتقد دينا ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع أن يعتبر شيئا على ما مضى بل كان حقيقا أن ينسلخ من الإنسانية أصلا فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان فإنه لو لا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة ولا انقضت له حسرة ولا مات له حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ولا رجا غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل له في كل منهما ضرب من المصلحة وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة.

انظر يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدرة العظيم غناؤه أعني الحياء فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف بالعدات ولم تقض الحوائج ولم يتحر الجميل ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء حتى أن كثيرا من الأمور المفترضة أيضا إنما يفعل لحياء فإن من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد أمانة ولم يعف عن فاحشة أفلا ترى كيف وفي للإنسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام أمره.

تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه ونتيجة فكره وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ولو لا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئا وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم ودرست العلوم وضاعت الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم وما روي لهم مما لا يسعهم جهله ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفطنة وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه وكذلك الكلام إنما هو شيء يصلح عليه الناس فيجري بينهم ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بألسن مختلفة وكذلك الكتابة ككتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الأمم إنما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام فيقال لمن ادعى ذلك أن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعا فعل أو حيلة فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل في خلقه فإنه لو لم يكن لسان مهيأ للكلام وذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلم أبدا ولو لم يكن له كف مهيأة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبدا واعتبرذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة فأصل ذلك فطرة البارئ جل وعز وما تفضل به على خلقه فمن شكر أثيب وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ.

تذكر يا مفضل فيما أعطي الإنسان علمه وما منع فإنه أعطي علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل

والشواهد القائمة في الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة وبر الوالدين وأداء الأمانة ومواساة أهل الخلة وأشباه ذلك مما قد توجد معرفته والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كل أمة موافقة أو مخالفة وكذلك أعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس واستخراج الأرضين واقتناء الأغنام والأنعام واستنباط المياه ومعرفة العقاقير التي يستشفى بها من ضروب الأسقام والمعادن التي يستخرج منها أنواع الجواهر وركوب السفن والغوص في البحر وضروب الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان والتصرف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما يطول شرحه ويكثر تعداده مما فيه صلاح أمره في هذه الدار فأعطي علم ما يصلح به دينه ودنياه ومنع ما سوى ذلك مما ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلم كعلم الغيب وما هو كائن وبعض ما قد كان أيضا كعلم ما فوق السماء وما تحت الأرض وما في لجج البحار وأقطار العالم وما في قلوب الناس وما في الأرحام وأشباه هذا مما حجب على الناس علمه وقد ادعت طائفة من الناس هذه الأمور فأبطل دعواهم ما بين من خطئهم فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما ادعوا علمه فانظر كيف أعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه ودنياه وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه وكلا الأمرين فيهما صلاحه.

تأمل الآن يا مفضل ما ستر عن الإنسان علمه من مدة حياته فإنه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله أو قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر على أن الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال لأن من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس وإن كان طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك في اللذات والمعاصي وعمل على أنه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله ألا ترى لو أن عبدا لك عمل على أنه يسخطك سنة ويرضيك يوما أو شهرا لم تقبل ذلك منه ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك ونصحك في كل الأمور وفي كل الأوقات على تصرف الحالات.

فإن قلت أوليس قد يقيم الإنسان على المعصية حينا ثم يتوب فتقبل توبته قلنا إن ذلك شيء يكون من الإنسان لغلبة الشهوات وتركه مخالفتها من غير أن يقدرها فينفسه ويبني عليه أمره فيصفح الله عنه ويتفضل عليه بالمغفرة فأما من قدر أمره على أن يعصي ما بدا له ثم يتوب آخر ذلك فإنما يحاول خديعة من لا يخادع بأن يتسلف التلذذ في العاجل ويعد ويمني نفسه التوبة في الآجل ولأنه لا يفي بما يعد من ذلك فإن النزوع من الترفه والتلذذ ومعاناة التوبة ولا سيما عند الكبر وضعف البدن أمر صعب ولا يؤمن على الإنسان مع مدافعته بالتوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل وقد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الأجل وقد نفد المال فيبقى الدين قائما عليه فكان خير الأشياء للإنسان أن يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك المعاصي ويؤثر العمل الصالح فإن قلت وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته وصار يترقب الموت في كل ساعة يقارف الفواحش وينتهك المحارم قلنا إن وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الأمر فيه، فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوي فإنما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه لا من خطإ في التدبير كما أن الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به. فإن كان المريض مخالفا لقول الطبيب لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم يكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه. ولئن كان الإنسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصي فإنه لو وثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج إلى الكبائر الفظيعة فترقب الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ثم إن ترقب الموت وإن كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر منهم وينزعون عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح ويجودون بالأموال والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع أولئك حظهم منها.

فكر يا مفضل في الأحلام كيف دبر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها فإنها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلا لا معنى له فصارت تصدق أحيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى لها أو مضرة يتحذر منها وتكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد فكر في هذه

الأشياء التي تراها موجودة معدة في العالم من مآربهم فالتراب للبناء والحديد للصناعات والخشب للسفن وغيرها والحجارة للأرحاء وغيرها والنحاس للأواني والذهب والفضة للمعاملة والجوهر للذخيرة والحبوب للغذاء والثمار للتفكه واللحم للمأكل والطيب للتلذذ والأدوية للتصحيح والدواب للحمولة والحطب للتوقد والرماد للكلس والرمل للأرض وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه. أرأيت لو أن داخلا دخل دارا فنظر إلى خزائن مملوة من كل ما يحتاج إليه الناس ورأى كل ما فيها مجموعا معدا لأسباب معروفة لكان يتوهم أن مثل هذا يكون بالإهمال ومن غير عمد فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا في العالم وما أعد فيه من هذه الأشياء.

اعتبر يا مفضل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان وما فيها من التدبير فإنه خلق له الحب لطعامه وكلف طحنه وعجنه وخبزه وخلق له الوبر لكسوته فكلف ندفه وغزله ونسجه وخلق له الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها وخلقت له العقاقير لأدويته فكلف لقطها وخلطها وصنعها وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال فانظر كيف كفي الخلقة التي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كل شيء من الأشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك من الصلاح لأنه لو كفي هذا كله حتى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل لما حملته الأرض أشرا وبطرا وللغ به كذلك إلى أن يتعاطى أمورا فيها تلف نفسه ولو كفي الناس كل ما يحتاجون إليه لما تهنئوا بالعيش ولا وجدوا له لذة. ألا ترى لو أن امرأ نزل بقوم فأقام حينا بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وخدمة لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء فكيف لو كن طول عمره مكفيا لا يحتاج إلى شيء وكان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان أن جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ولتكفه عن تعاطي ما لا يناله ولا خير فيه إن ناله.

واعلم يا مفضل إن رأس معاش الإنسان وحياته الخب و الماء فانظر كيف دبر الأمر فيهما فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشد من حاجته إلى الخبز وذلك أن صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش والذي يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز لأنه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه فجعل الماء مبذولا لا يشترى لتسقط عن الإنسان المئونة في طلبه وتكلفه وجعل الخبز متعذرا لا ينال إلا بالحيلة والحركة ليكون للإنسان في ذلك شغل

يكفه عما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والعبث ألا ترى أن الصبي يدفع إلى المؤدب وهو طفل لم يكمل ذاته للتعليم كل ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم وهكذا الإنسان لو خلا من الشغل لخرج من الأشر والعبث والبطر إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفه والكفاية وما يخرجه ذلك إليه اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بآخر كما يتشابه الوحوش والطير وغير ذلك فإنك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين الأخرى وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة والعلة في ذلك أن الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته ألا ترى أن التشابه في الطير والوحش لا يضرهما شيئا وليس كذلك الإنسان فإنه ربما تشابه التوأمان تشابها شديدا فتعظم المئونة على الناس في معاملتهما حتى يعطى أحدهما بالآخر ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلا عن تشابه الصورة فمن لطف لعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب إلا من وسعت رحمته كل شيء لو رأيت تمثال الإنسان مصرا على حائط فقال لك قائل إن هذا ظهر هاهنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع أكنت تقبل ذلك بل كنت تستهزئ به فكيف تنكر هذا في تمثال مصور جماد ولا تنكر في الإنسان الحي الناطق لم صارت أبدان الحيوان وهي تغتذي أبدا لا تنمي بل تنتهي إلى غاية من النمو ثم تقف ولا تتجاوزها لو لا التدبير في ذلك فإن من تدبير الحكيم فيها أن يكون أبدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت في الكبير والصغير وصارت تنمي حتى تصل إلى غايتها ثم يقف ثم لا يزيد والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ولو كانت تنمي نموا دائما لعظمت أبدانها واشتبهت مقاديرها حتى لا يكون لشيء منها حد يعرف لم صارت أجسام الإنس خاصة تثقل عن الحركة والمشي ويجفو عن الصناعات اللطيفة إلا لتعظيم المئونة فيما يحتاج إليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش ويتواع لله ويتعطف على الناس.

أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربه في العافية وبسط يديه بالصدقة ولو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار ويذل العصاة المردة وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات وبم كان العبيد يذلون لأربابهم ويذعنون لطاعتهم أفليس هذا توبيخ لابن أبي العوجاء وذويه اللذين جحدوا التدبير والمانوية الذين أنكروا الألم والوجع لو لم يولد من الحيوان إلا ذكر فقط أو إناث فقط ألم يكن النسل منقطعا وباد مع ذلك أجناس الحيوان فصار بعض الأولاد يأتي ذكورا وبعضها يأتي إناثا ليدوم التناسل ولا ينقطع لم صار الرجل والمرأة إذا أدركا نبتت لهما العانة ثم نبتت اللحية للرجل وتخلفت عن المرأة لولا التدبير في ذلك فإنه لما جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيما ورقيبا على المرأة وجعل المرأة عرسا وخولا للرجل أعطى الرجل اللحية لما له من العزة والجلالة والهيبة ومنعها المرأة لتبقى لها نظارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة أفلا ترى الخلقة كيف يأتي بالصواب في الأشياء وتتخلل مواضع الخطإ فتعطى وتمنع على قدر الإرب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل.

المجلس الثاني

قال المفضل ثم حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال بكر إلي غدا إن شاء الله فانصرفت من عنده مسرورا بما عرفته مبتهجا بما أوتيته حامدا لله على ما أنعم به علي شاكرا لأنعمه على ما منحني بما عرفنيه مولاي وتفضل به علي فبت في ليلتي مسرورا بما منحنيه محبورا بما علمنيه

قال المفضل فلما كان اليوم الثاني بكرت إلى مولاي فاستوذن لي فدخلت فأمرني بالجلوس فجلست فقال: الحمد لله مدير الأدوار ومعيد الأكوار طبقا عن طبق وعالما بعد عالم لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا ويَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى عدلا منه تقدست أسماؤه وجلت آلاؤه لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ولكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ يشهد بذلك قوله جل قدسه فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

يَرَهُ في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء ولا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ولذلك قال سيدنا محمد صلوات الله عليه وآله إنما هي أعمالكم ترد إليكم ثم أطرق هنيهة ثم قال يا مفضل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يترددون وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون بصراء عمي لا يبصرون نطقاء بكم لا يعقلون سمعاء صم لا يسمعون رضوا بالدون وحسبوا أنهم مهتدون حادوا عن مدرجة الأكياس ورتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس كأنهم من مفاجأة الموت آمنون وعن المجازات مزحزحون يا ويلهم ما أشقاهم وأطول عناءهم وأشد بلاءهم يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً ولا هُمْ يُنْصَرُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ.

قال المفضل فبكيت لما سمعت منه فقال لا تبك تخلصت إذ قبلت ونجوت إذ عرفت ثم قال أبتدئ لك بذكر الحيوان ليتضح لك من أمره ما وضح لك من غيره فكر في أبنية أبدان الحيوان وتهيئتها على ما هي عليه فلا هي صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لا تنثني ولا تتصرف في الأعمال ولا هي على غاية اللين والرخاوة فكانت لا تتحامل ولا تستقل بأنفسها فجعلت من لحم رخو تنثني تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب وعروق تشده ويضم بعضه إلى بعض وغلفت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كله ومن أشباه ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان وتلف بالخرق وتشد بالخيوط ويطلى فوق ذلك بالصمغ فيكون العيدان بمنزلة العظام والخرق بمنزلة اللحم والخيوط بمنزلة العصب والعروق والطلا بمنزلة الجلد فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرك حدث بالإهمال من غير صانع جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحري أن لا يجوز في الحيوان وفكر بعد هذا في أجساد الأنعام فإنها حين خلقت على أبدان الإنس من اللحم والعظم والعصب أعطيت أيضا السمع والبصر ليبلغ الإنسان حاجته فإنها لو كانت عميا صما لما انتفع بها الإنسان ولا تصرفت في شيء من مآربه ثم منعت الذهن والعقل لتذل للإنسان فلا تمتنع عليه إذا كدها الكد الشديد وحملها الحمل الثقيل فإن قال قائل إنه قد يكون للإنسان عبيد من الإنس يذلون وذعنون بالكد الشديد وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن فيقال في جواب ذلك أن هذا الصنف من الناس قليل فأما أكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدواب من الحمل والطحن وما أشبه ذلك ولا يغرون بما يحتاج إليه منه ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم

لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال لأنه كان يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد إلى عدة أناسي فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات مع ما يلحقهم من التعب الفادح في أبدانهم والضيق والكد في معاشهم.

فكر يا مفضل في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه بما فيه صلاح كل واحد منها فالإنس لما قدروا أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة وغير ذلك خلقت لهم أكف كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الأشياء وأوكدها هذه الصناعات وآكلات اللحم لما قدر أن يكون معايشها من الصيد خلقت لهم أكف لطاف مدمجة ذوات براثن ومخاليب تصلح لأخذ الصيد ولا تصلح للصناعات وآكلات النبات لما قدر أن يكونوا لا ذات صنعة ولا ذات صيد خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاول طلب الرعي ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض ليتهيأ للركوب والحمولة تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد وبراثن شداد وأشداق وأفواه واسعة فإنه لما قدر أن يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك وأعينت بسلاح وأدوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخاليب مهيأة لفعلها ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا يحتاج إليه لأنها لا تصيد ولا تأكل اللحم.

ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه أعني السلاح الذي به تصيد وتتعيش أفلا ترى كيف أعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته بل ما فيه بقاؤه وصلاحه انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أماتها مستقلة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الإنس فمن أجل أنه ليس عند أمهاتها ما عند أمهات البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالأكف والأصابع المهيأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها وكذلك ترى كثيرا من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج تدرج وتلقط حين ينقاب عنها البيض فأما ما كان منها ضعيفا لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الأمهات فضل عطف عليها فصارت تمج الطعام في أفواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخا كثيرة مثل ما ترزق الدجاج

لتقوى الأم على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكل أعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجا لتتهيأ للمشي ولو كانت أفرادا لم تصلح لذلك لأن الماشي ينقل قوائمه ويعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة وذو الأربع ينقل اثنين ويعتمد على اثنين وذلك من خلاف لأن ذا الأربع لو كان ينقل قائمين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمين من الجانب الآخر لما يثبت على الأرض كما لا يثبت السرير وما أشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره وينقل الأخريين أيضا من خلاف فيثبت على الأرض ولا يسقط إذا مشى.

أما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعما والبعير لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة بالمؤاتاة لفارسه والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ولو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها وكذلك جميع الأصناف مسخرة للإنسان فبم كانت كذلك إلا بأنها عدمت العقل والروية فإنها لو كانت تعقل وتروي في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها وأشباه هذا من الأمور وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة أن تجتاحهم فمن كان يقوم للأسد والذئاب والنمورة والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من أقدمها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها ثم لا تظهر ولا تنشر لطلب قوتها إلا بالليل فهي مع صولتها كالخائف للإنس بل مقموعة ممنوعة منهم ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيعت عليهم ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظ له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه وذب الدغار عنه ويبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله ويألفه غاية الإلف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على هذا الإلف إلا ليكون حارسا للإنسان له عين بأنياب ومخالب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب الواضع التي يحميها ويخفرها.

يا مفضل تأمل وجه الدابة كيف هو فإنك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها لئلا تصدم حائطا أو تتردى في حفرة وترى الفم مشقوقا شقا في أسفل الخطم ولو شق كمكان الفم من الإنسان في مقدم الذقن لما استطاع أن يتناول به شيئا من الأرض ألا ترى أن الإنسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمه له على سائر الأكلات فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خطمها مشقوقا من أسفله لتقبض به على العلف ثم تقضمه وأعينت بالجحفلة تتناول بها ما قرب وما بعد اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فإنه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعا يواريهما ويسترهما ومن منافعها فيه أن ما بين الدبر ومراقي البطن منها وضر يجتمع عليه الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبة تذب بها عن ذلك الموضع ومنها أن الدابة تستريح إلى تحريكه وتصريفه يمنة ويسره فإنه لما كان قيامها على الأربع بأسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان لها في تحريك الذنب راحة وفيه منافع أخرى يقصر عنها الوهم يعرف مواقعها في وقت الحاجة إليها فمن ذلك أن الدابة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم ثم جعل ظهرها مسطحا مبطوحا على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها وجعل حياها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها ولو كان أسفل البطن كمكان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها ألا ترى أنه لا يستطيع أن يأتيها كفاحا كما يأتي الرجل المرأة تأمل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فإنه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما إلى جوفه ولو لا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئا من الأرض لأنه ليست له رقبة يمدها كسائر الأنعام فلما عدم العنق أعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله فيتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان العضو الذي عدمه ما يقوم مقامه إلا الرءوف بخلقه وكيف يكون هذا بالإهمال كما قالت الظلمة فإن قال قائل فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الأنعام قيل له إن رأس الفيل وأذنيه أمر عظيم وثقل ثقيل ولو كان ذلك على عنق عظيمة لهدها و أوهنها فجعل رأسه ملصقا بجسمه لكيلا ينال منه ما وصفنا وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته انظر الآن كيف جعل حياء الأنثى من الفيلة في أسفل بطنها فإذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضربها فاعتبر كيف جعل حياء للأنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام. ثم جعلت فيه

هذه الخلة ليتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه فكر في خلق الزرافة واختلاف أعضائها وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان فرأسها رأس فرس وعنقها عنق جمل وأظلافها أظلاف بقرة وجلدها جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل أن نتاجها من فحول شتى قالوا وسبب ذلك أن أصنافا من حيوان البر إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتى وهذا جهل من قائله وقلة معرفته بالبارئ جل قدسه وليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف فلا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر وإنما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمارة فيخرج بينهما البغل ويلقح الذئب الضبع فيخرج بينهما السمع على أنه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو من كل واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس وعضو من الجمل وأظلاف من البقرة بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل فإنك ترى رأسه وأذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطا بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار فهذا دليل على أنه ليست الزرافة من لقاح أصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء وليعلم أنه خالق أصناف الحيوان كلها يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيها شاء ويفرق ما شاء منها في أيها شاء ويزيد في الخلقة ما شاء وينقص منها ما شاء دلالة على قدرته على الأشياء وأنه لا يعجزه شيء أراده جل وتعالى. فأما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فإن منشأها ومرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهقة اهبة طولا في الهواء فهي تحتاج إلى طول العنق لتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتتقوت من ثمارها تأمل خلق القرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضا بأحشاء الإنسان وخص من ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومي إليه ويحكي كثيرا مما يرى الإنسان يفعله حتى أنه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه أن يكون عبرة للإنسان في نفسه فيعلم أنه من طينة البهائم وسنخها إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب وإنه لو لا فضيلة فضله الله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على أن في جسم القرد فضولا أخرى يفرق بينه وبين الإنسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله وهذا لم يكن مانعا للقرد أن يلحق

بالإنسان لو أعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان بالصحة هو النقص في العقل والذهن والنطق.

انظر يا مفضل إلى لطف الله جل اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامهم هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقيها من البرد وكثرة الآفات وألبست قوائمها الأظلاف والحوافر والأخفاف ليقيها من الحفا إذ كانت لا أيدي لها ولا أكف ولا أصابع مهيأة للغزل والنسج فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها والاستبدال بها فأما الإنسان فإنه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالا بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات من ذلك أنه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما يخرجه إليه الكفاية ومنها أنه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ولبسها إذا شاء ومنها أن يتخذ لنفسه من الكسوة ضروبا لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروبا من الخفاف والنعال يقي بها قدميه وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر والأخفاف مقام الحذاء.

فكر يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم وإلا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء وليست قليلة فتخفى لقلتها بل لو قال قائل إنها أكثر من الناس لصدق فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والبال من أسراب الظباء والمها والحمير والوعول والأيائل وغير ذلك من الوحوش وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها وضروب الهوام والحشرات ودواب الأرض وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والإوز والكراكي والحمام وسباع الطير جميعا وكلها لا يرى منها شيء إذا ماتت إلا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع فإذا أحسوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها ولو لا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء ويحدث الأمراض والوباء فانظر إلى هذا الذي يلص إليه الناس وعملوه بالتمثيل الأول الذي مثل لهم كيف جعل طبعا وادكارا في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرة ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد.

فكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفا من الله عز وجل لهم لئلا يخلو من نعمه جل وعز أحد من خلقه لا بعقل وروية فإن الأيل يأكل الحيات فيعطش عطشا شديدا فيمتنع من شرب الماء خوفا من أن يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب منه ولو شرب لمات من ساعته فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظماء الغالب خوفا من المضرة في الشرب وذلك مما لا يكاد الإنسان العاقل المميز يضبطه من نفسه والثعلب إذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتا فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها فمن أعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة إلا من توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه فإنه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما يقوى عليه السباع من مساورة الصيد أعين بادهاء والفطنة والاحتيال لمعاشه والدلفين يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله ويشرحه حتى يطفو على الماء يكمن تحته ويثور الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعا في هذه البهيمة لبعض المصلحة.

قال المفضل فقلت خبرني يا مولاي عن التنين والسحاب؟

فقال (ع) إن السحاب كالموكل به يختطفه حيثما ثقفه كما يختطف حجر المغناطيس الحديد فهو لا يطلع رأسه في الأرض خوفا من السحاب ولا يخرج إلا في القيظ مرة إذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة

قلت فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه إذا وجده؟

قال ليدفع عن الناس مضرته

قال المفضل فقلت قد وصفت لي مولاي من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرة والنمل والطير؟

فقال (ع) يا مفضل تأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة إلا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره انظر إلى النمل واحتشادها في جمع القوت وإعداده فإنك ترى الجماعة منها إذ انقلبت الحب إلى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو

غيره بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله أما تريهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل ثم يعمدون إلى الحب فيقطعونه قطعا لكيلا ينبت فيفسد عليهم فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجف ثم لا يتخذ النمل الزبية إلا في نشر من الأرض كي لا يفيض السيل فيغرقها فكل هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقه خلق عليها لمصلحة لطفا من الله عز وجل.

انظر إلى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة أسد الذباب وما أعطي من الحيلة والرفق في معاشه فإنك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريبا منه تركه مليا حتى كأنه موات لا حراك به فإذا رأى الذباب قد اطمأن وغفل عنه دب دبيبا دقيقا حتى يكون منه بحيث يناله وثبة ثم يثب عليه فيأخذه فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة أن ينجو منه فلا يزال قابضا عليه حتى يحس بأنه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيا بذلك منه. فأما العنكبوت فإنه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركا ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب أجال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه فكذلك يحكى صيد الكلاب والفهود وهكذا يحكى صيد الأشراك والحبائل فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الإنسان إلا بالحيلة واستعمال آلات فيها فلا تزدر بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما أشبه ذلك فإن المعنى النفيس قد يمثل بالشيء الحقير فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد.

تأمل يا مفضل جسم الطائر وخلقته فإنه حين قدر أن يكون طائرا في الجو خفف جسمه وأدمج خلقه فاقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين ومن الأصابع الخمس على أربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران وكسي كله الريش ليداخله الهواء فيقله ولما قدر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا مضغ نقص من خلقه الأسنان وخلق له منقار صلب جاس يتناول به طعمه فلا ينسجح من لقط الحب ولا يتقصف من نهش اللحم ولما عدم الأسنان وصار يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا أعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحنا يستغني به عن المضغ واعتبر ذلك بأن عجم العنب وغيره

يخرج من أجواف الإنس صحيحا ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر ثم جعل مما يبيض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران فإنه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلا للأمر الذي قدر أن يكون عليه ثم صار الطائر السائح في هذا اجو يقعد على بيضه فيحضنه أسبوعا وبعضها أسبوعين وبعضها ثلاثة أسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه أن يلقط الطعم ويستخرجه بعد أن يستقر في حوصلته ويغذو به فراخه ولأي معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي روية ولا تفكر ولا يأمل في فراخه ما يأمل الإنسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا هو فعل يشهد بأنه معطوف على فراخه لعله لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطأ بل تنبعث وتنتفخ وتقوقي وتمتنع من الطعم حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها إلا لإقامة النسل ومن أخذها بإقامة النسل ولا روية ولا تفكر لو لا أنها مجبولة على ذلك اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المح الأصفر الخاثر والماء الأبيض الرقيق فبعضه لينتشر منه الفرخ وبعضه ليغذي به إلى أن تنقاب عنه البيضة وما في ذلك من التدبير فإنه لو كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحصنة التي لا مساغ لشيء إليها لجعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه فكر في حوصلة الطائر وما قدر له فإن مسلك الطعم إلى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام إلا قليلا قليلا فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الأولى إلى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي طعمه فإنما يختلسه اختلاسا لشدة الحذر فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلقة أمامه ليوعي فيها ما أدرك من الطعم بسرعة ثم تنفذه إلى القانصة على مهل وفي الحوصلة أيضا خلة أخرى فإن من الطائر ما يحتاج إلى أن يزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب أسهل عليه.

قال المفضل فقلت يا مولاي إن قوما من المعطلة يزعمون أن اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنما يكون من قبل امتزاج الأخلاط واختلاف مقاديرها بالمرج والإهمال؟

فقال: يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدراج والتدارج على استواء ومقابلة كنحو ما يخط بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف ولو كان بالإهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفا تأمل ريش الطير كيف هو فإنك تراه منسوجا كنسج الثوب من سلوك دقاق قد ألف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط والشعرة إلى الشعرة ثم ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتح قليلا ولا ينشق لتداخله الريح فيقل الطائر إذا طار وترى في وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي هو في وسط الريشة وهو مع ذلك أجوف ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران

هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ما له من المنفعة في طول ساقيه فإنه أكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كأنه ربيئة فوق مرقب وهو يتأمل ما يدب في الماء فإذا رأى شيئا مما يتقوت به خطا خطوات رفيقا حتى يتناوله ولو كان قصير الساقين وكان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه فيتفرق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر فإنك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الأرض ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئا من الأرض وربما أعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهولة له وإمكانا أفلا ترى أنك لا تفتش شيئا من الخلقة إلا وجدته على غاية الصواب والحكمة.

انظر إلى العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار فهي لا تفقده ولا هي تجده مجموعا معدا بل تناله بالحركة والطلب وكذلك الخلق كله فسبحان من قدر الرزق كيف قوته فلم يجعل مما لا يقدر عليه إذ جعل للخلق حاجة إليه ولم يجعله مبذولا وينال بالهوينا إذ كان لإصلاح في ذلك فإنه لو كان يوجد مجموعا معدا كانت البهائم تتقلب عليه ولا تنقلع حتى تبشم فتهلك وكان الناس أيضا يصيرون بالفراغ إلى غاية

الأشر والبطر حتى يكثر الفساد ويظهر الفواحش أ علمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلا بالليل كمثل البوم والهام والخفاش.

قلت: لا يا مولاي.

قال: إن معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجو من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب وذلك أن هذه الضروب مبثوثة في الجو لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بأنك إذا وضعت سراجا بالليل في سطح أو عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء كبر فمن أين يأتي ذلك كله إلا من القرب فإن قال قائل إنه يأتي من الصحاري والبراري قيل له كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعد سراجا في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه مع أن هذه عيانا تتهافت على السراج من قرب فيدل ذلك على أنها منتشرة في كل موضع من الجو فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوت بها فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو واعرف مع ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي عسى أن يظن ظان أنها فضل لا معنى له خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقه الطير وذوات الأربع أقرب وذلك أنه ذو أذنين ناشزتين وأسنان ووبر وهو يلد ولادا ويرضع ويبول ويمشي إذا مشى على أربع وكل هذا خلاف صفة الطير ثم هو أيضا مما يخرج بالليل ويتقوت مما يسري في الجو من الفراش وما أشبهه وقد قال قائلون إنه لا طعم للخفاش وإن غذاءه من النسيم وحده وذلك يفسد ويبطل من جهتين إحداهما خروج ما يخرج منه من الثفل والبول فإن هذا لا يكون من غير طعم والأخرى أنه ذو أسنان ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن للأسنان فيه معنى وليس في الخلقة شيء لا معنى له وأما المآرب فيه فمعروفة حتى أن زبله يدخل في بعض الأعمال ومن أعظم الإرب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جل شأنه وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة فأما الطائر الصغير الذي يقال له ابن تمرة فقد عشش في بعض الأوقات في بعض الشجر فنظر إلى حية عظيمة قد أقبلت نحو عشه فاغرة فاها لتبلعه فبينما هو يتقلب ويضطرب في طلب حيلة منها إذا وجد حسكة فحملها فألقاها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوي وتتقلب حتى ماتت أفرأيت لو لم أخبرك بذلك كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة أو يكون من طائر صغير أو

كبير مثل هذه الحيلة اعتبر بهذا وكثير من الأشياء تكون فيها منافع لا تعرف إلا بحادث يحدث به أو خبر يسمع به انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك اجتماعه من دقائق الفطنة فإنك إذا تأملت العمل رأيته عجيبا لطيفا وإذا رأيت المعمول وجدته عظيما شريفا موقعه من الناس وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبيا جاهلا بنفسه فضلا عما سوى ذلك ففي هذا أوضح الدلالة على أن الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها وسخره فيها لمصلحة الناس انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه فإنك إذا تأملت خلقه رأيته كأضعف الأشياء وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه ألا ترى أن ملكا من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا مما يصنع بالأيدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم من سنة كان يرتفع فاستدل بذلك على القدرة التي لا يئودها شيء ويكثر عليها تأمل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قدر أن يكون عليه فإنه خلق غير ذي قوائم لأنه لا يحتاج إلى المشي إذا كان مسكنه الماء خلق غير ذي رية لأنه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللجة وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاذيف من جانبي السفينة وكسي جسمه قشورا متانا متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات فأعين بفضل حس في الشم لأن بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد البعيد فينتجعه وإلا فكيف يعلم به وبموضعه واعلم أن من فيه إلى صماخيه منافذ فهو يعب الماء بفيه ويرسله من صماخيه فتروح إلى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسم هذا النسيم فكر الآن في كثرة نسله وما خص به من ذلك فإنك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة والعلة في ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان فإن أكثرها يأكل السمك حتى أن السباع أيضا في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضا كي ترصد السمك فإذا مر بها خطفته فلما كانت السباع تأكل السمك والطير يأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة.

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والأصداف والأصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث مثل القرمز فإنه إنما عرف الناس صبغه بأن كلبة تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئا من الصنف الذي يسمى الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه صبغا وأشباه هذا مما يقف الناس عليه حالا بعد حال زمانا بعد زمان.

قال المفضل حان وقت الزوال. فقام مولاي (ع) إلى الصلاة وقال بكر إلي غدا إن شاء الله تعالى فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما منحنيه حامدا لله على ما آتانيه فبت ليلتي مسرورا مبتهجا

المجلس الثالث

قال المفضل فلما كان اليوم الثالث بكرت إلى مولاي فاستوذن لي فدخلت فأذن لي بالجلوس فجلست فقال (ع) الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا اصطفانا بعلمه وأيدنا بحلمه من شذ عنا فالنار مأواه ومن تفيأ بظل دوحتنا فالجنة مثواه.

قد شرحت لك يا مفضل خلق الإنسان وما دبر به وتنقله في أحواله وما فيه من الاعتبار وشرحت لك أمر الحيوان وأنا ابتدئ الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار والحر والبرد والرياح والجواهر الأربعة الأرض والماء والهواء والنار والمطر والصخر والجبال والطين والحجارة والمعادن والنبات والنخل والشجر وما في ذلك من الأدلة والعبر فكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر وتقوية حتى أن من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضر ببصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب مها إلى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع في إجانة خضراء مملوة ماء فانظر كيف جعل الله جل وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد

ليمسك الأبصار المنقلبة عليه فلا ينكي فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغا منه في الخلقة حِكْمَةٌ بالِغَةٌ ليعتبر بها المعتبرون ويفكر فيها الملحدون قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

فكر يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتي النهار والليل فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنئون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه والإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره والزيادة في شرحه بل تأمل المنفعة في غروبها فلولا غربها لم يكن للناس هدء ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدء والراحة لسكون أبدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم فإن كثيرا من الناس لو لا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدء ولا قرار حرصا على الكسب والجمع والادخار ثم كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضيائها وتحمي كل ما عليها من حيوان ونبات فقدرها الله بحكمته وتدبيره تطلع وقتا وتغرب وقتا بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدءوا ويقروا فصار النور والظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما في ذلك من التدبير والمصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيهما مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشد أبدان الحيوان وتقوى وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وتنور الأشجار ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الأبدان ويجف وجه الأرض فتهيأ للبناء والأعمال وفي الخريف يصفو الهواء ويرتفع الأمراض ويصح الأبدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله ويطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام.

فكر الآن في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي تصح به الأزمنة الأربعة من السنة الشتاء والربيع والصيف والخريف ويستوفيها على التمام وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك

الغلات والثمار وتنتهي إلى غاياتها ثم تعود فيستأنف النشوء والنمو ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت وعصر من غابر الأيام وبها يحسب الناس الأعمال والأوقات الموقتة للديون والإجارات والمعاملات وغير ذلك من أمورهم وبمسير الشمس يكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون فإنها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات لأن الجبال والجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ثم لا تزال تدور وتمشي جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة منها والإرب التي قدرت له ولو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء. أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجليلة التي لم تكن عندهم فيها حيلة فصار تجري على مجاريها لا تعتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه استدل بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشوء الثمار وتصرمها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها وصار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف.

فكر في إنارته في ظلمة الليل والإرب في ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليم في تقصي الأعمال بالنهار أو لشدة الحر وإفراطه فيعمل في ضوء القمر أعمالا شتى كحرث الأرض وضرب اللبن وقطع الخشب وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم إذا احتاجوا إلى ذلك وأنسا للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض ونقص مع ذلك من نور الشمس وضيائها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار ويمتنعوا من الهدء والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف القمر خاصة في مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من

التنبيه على قدرة الله خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون.

فكر يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب والآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحى فالرحى تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في تلك تتحرك حركتين مختلفتين إحداهما بنفسها فتتوجه أمامها والأخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها فاسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلها راتبة أو تكون كلها منتقلة فإن الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير وليس بإهمال كما تزعم المعطلة فإن قال قائل ولم صار بعض النجوم راتبا وبعضها منتقلا قلنا إنها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة ومسيرها في كل برج من البروج كما قد يستدل على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لأنه إنما يوقف بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ولساغ لقائل أن يقول إن كينونتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها.

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعريين وسهيل فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت واحتجابها إذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير وقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته وكما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حينا وتحجب حينا

لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة وذلك أنها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاءوا وصار الأمران جميعا على اختلافهما موجهين نحو الإرب والمصلحة وفيهما مآرب أخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر فإنها تسير أسرع السير وأحثه.

أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ألم تكن ستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها كالذي يحدث أحيانا من البروق إذا توالت واضطرمت في الجو وكذلك أيضا لو أن أناسا كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دورانا حثيثا لحارت أبصارهم حتى يخروا لوجوههم فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الأبصار وتنكأ فيها وبأسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسد مسد الأضواء إذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدة لحاجة إليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم في هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الأزمان الأربعة المتوالية على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بينت وشخصت لك آنفا وهل يخفى على ذي لب أن هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم فإن قال قائل إن هذا شيء اتفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقل مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات فترى كل شيء من آلته مقدرا بعضه يلقى بعضا على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله وما ترى الناس كانوا قائلين له لو

سمعوه منه أفينكر أن يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض أنه كان بلا صانع ومقدر ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرض وما عليها أنه شيء اتفق أن يكون بلا صنعة ولا تدبير لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها أي شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه.

فكر يا مفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما إذا امتد إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كل ما في الأرض من حيوان ونبات أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة وكان ذلك سيهلكها أجمع ويؤديها إلى التلف وأما النبات فكان يطول عليه حر النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعا وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات حتى يعفن ويفسد كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس اعتبر بهذه الحر والبرد كيف يتعاوران العالم ويتصرفان هذا التصرف من الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما بعد دباغ الأبدان التي عليها بقاؤها وفيها صلاحها فإنه لو لا الحر والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت وانتكثت فكر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل فإنك ترى أحدهما ينقص شيئا بعد شيء والآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ولو كان دخول إحداهما على الأخرى مفاجأة لأضر ذلك بالأبدان وأسقمها كما أن أحدكم لو خرج من حمام حار إلى موضع البرودة لضره ذلك وأقم بدنه فلم جعل الله عز وجل هذا الترسل في الحر والبرد إلا للسلامة من ضرر المفاجأة ولم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضر المفاجأة لو لا التدبير في ذلك فإن زعم زاعم أن هذا الترسل في دخول الحر والبرد إنما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها فإن اعتل في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في

ذلك فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقي من هذا القول حتى استقر على العمد والتدبير لو لا الحر لما كانت الثمار الجاسية المرة تنضج فتلين وتعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة ولو لا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ويريع الريع الكثير الذي يتسع للقوت وما يرد في الأرض للبذر.

أفلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويمضها وفي ذلك عبرة لمن فكر ودلالة على أنه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه. وأنبهك يا مفضل على الريح وما فيها ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد أن يأتي على النفوس ويحرض الأصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن البقول ويعقب الوباء في الأبدان والآفة في الغلات ففي هذا بيان أن هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق وأنبئك عن الهواء بخلة أخرى فإن الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء والهواء يؤديه إلى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه فكان يكربهم ويفدحهم وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به إلى أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القراطيس لأن ما يلقى من الكلام أكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى فيعود جديدا نقيا ويحمل ما حمل أبدا بلا انقطاع وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما فيه من المصالح فإنه حياة هذه الأبدان والممسك لها من داخل بما تستنشق منه ومن خارج بما تباشر من روحه وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤدى بها من البعد البعيد وهو الحامل لهذه الأراييح ينقلها من موضع إلى موضع.

ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الأجسام وتزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر وتفضه حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر وتسير السفن وترخي الأطعمة وتبرد الماء وتشب النار وتجفف الأشياء الندية وبالجملة أنها تحيي كلما في الأرض فلو لا الريح لذوي النبات ومات الحيوان وحمت الأشياء وفسدت.

فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجل علته هذه الجواهر الأربعة ليتسع ما يحتاج إليه منها فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها فلو لا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم وأحطابهم والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيمة غناؤها ولعل من ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومرعاها ثم فيها بعد متنفس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم فكم بيداء وكم فدفد حالت قصورا وجنانا بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها ولو لا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا حزبه أمر يضطره إلى الانتقال عنه ثم فكر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة فتكون موطنا مستقرا للأشياء فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدئهم والإتقان لأعمالهم فإنها لو كانت رجراجة متكفئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما أشبه ذلك بل كانوا لا يتهنئون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة مكثها حتى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها.

فإن قال قائل فلم صارت هذه الأرض تزلزل قيل له إن الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يرهب بها الناس ليرعووا وينزعوا عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ويدخر لهم إن صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا وربما عجل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحا للخاصة والعامة ثم إن الأرض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وإنما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة.

أفرأيت لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلا حتى تكون حجرا صلدا أكانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث أو بناء أفلا ترى كيف تنصب من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة ولتهيأ للاعتماد ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقة الأرض أن مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب فلم جعل الله عز وجل كذلك إلا لينحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويها ثم تفيض آخر ذلك إلى البحر فكأنما يرفع أحد جانبي السطح

ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب لهذه العلة بينها ولو لا ذلك لبقي الماء متحيرا على وجه الأرض فكان يمنع الناس من أعمالها ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء لولا كثرته وتدفقه في العيون والأدوية والأنهار لضاق عما يحتاج الناس إليه لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف غلاتهم وشرب ما يرده من الوحوش والطير والسباع وتتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه منافع آخر أنت بها عارف وعن عظم موقعها غافل فإنه سوى الأمر الجليل المعروف من غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات يمزج بالأشربة فتلين وتطيب لشاربها وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الذي يغشاها وبه يبل التراب فيصلح للاعتمال وبه يكف عادية النار إذا اضطرمت وأشرف الناس على المكروه وبه يسيغ الغصان ما غص به وبه يستحم المتعب الكال فيجد الراحة من أوصابه إلى أشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت ما الإرب فيه فاعلم أنه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر وأصناف شتى تستخرج من البحر وفي سواخله منابت العود واليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير ثم هو بعد مركب الناس ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق ومن العراق إلى العراق فإن هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلا على الظهر لبارت وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها لأن أجر حملها كان يجاوز أثمانها فلا يتعرض أحد لحملها وكان يجتمع في ذلك أمران أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيش بفضلها وهكذا الهواء لو لا كثرته وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان والبخار التي يتحير فيه ويعجز عما يحول إلى السحاب والضباب أولا أولا وقد تقدم من صفته ما فيه كفاية والنار أيضا كذلك فإنها لو كانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه ولم يكن بد من ظهورها في الأحايين لغنائها في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الأخشاب تلتمس عند الحاجة إليها وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها لئلا تخبو فلا هي تمسك بالمادة والحطب فتعظم المئونة في ذلك ولا هي تظهر مبثوثة فتحرق كل ما هي فيه بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها ثم فيه خلة أخرى وهي

أنها مما خص به الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فإنه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فأما البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها ولما قدر الله عز وجل أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفا وأصابع مهيأة لقدح النار واستعمالها ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها أعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان وأنبئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها وهي هذا المصباح الذي يتخذه الناس فيقضون به حوائجهم ما شاءوا من ليلهم ولو لا هذه الخلة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج في ظلمة الليل وكيف كانت حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج أن يعالج ضمادا أو سفوفا أو شيئا يستشفي به فأما منافعها في نضج الأطعمة ودفاء الأبدان وتجفيف أشياء وتحليل أشياء وأشباه ذلك فأكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى.

فكر يا مفضل في الصحو والمطر كيف يعتقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده ألا ترى أن الأمطار إذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت أبدان الحيوان وخصر الهواء فأحدث ضروبا من الأمراض وفسدت الطرق والمسالك وأن الصحو إذا دام جفت الأرض واحترق النبات وغيض ماء العيون والأودية فأضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروبا أخرى من الأمراض فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الآخر فصلحت الأشياء واستقامت.

فإن قال قائل ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة قيل له ليمض ذلك الإنسان ويؤلمه بعض الألم فيرعوي عن المعاصي فكما أن الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأدوية المرة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك إذا طغى وأشر احتاج إلى ما يعضه ويؤلمه ليرعوي وقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه حظه ورشده ولو أن ملكا من الملوك قسم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضة ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت فأين هذا من مطرة رواء إذ يعمر به البلاد ويزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب والفضة في أقاليم الأرض كلها أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيذمر ويسخط إيثارا للخسيس قدره على

العظيم نفعه جهلا بمحمود العاقبة وقلة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها تأمل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك فإنه جعل ينحدر عليها من علو ليتفشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان إنما يأتيها من بعض نواحيها لما علا على المواضع المشرفة منها ويقل ما يزرع في الأرض ألا ترى أن الذي يزرع سيحا أقل من ذلك فالأمطار هي التي تطبق الأرض وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مئونة سياق الماء من موضع إلى موضع وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذوو العزة والقوة ويحرمه الضعفاء ثم إنه حين قدر أن ينحدر على الأرض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغور في قطر الأرض فيرويها ولو كان يسكبه انسكابا كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثم كان يحطم الزرع القائمة إذا اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت الحب المزروع ويحيي الأرض والزرع القائم وفي نزوله أيضا مصالح أخرى فإنه يلين الأبدان ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان إلى أشباه هذا من المنافع فإن قال قائل أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه أو برد يكون فيه تحطم الغلات وبخوره يحدثها في الهواء فيولد كثيرا من الأمراض في الأبدان والآفات في الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان وكفه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه أرجح مما عسى أن يرزأ في ماله.

انظر يا مفضل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلا لا حاجة إليها والمنافع فيها كثيرة فمن ذلك أن يسقط عليها الثلوج فيبقى في قلالها لمن يحتاج إليه ويذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام، وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل ويكون فيها كهوف ومقايل للوحوش من السباع العادية، ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الأعداء، وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر وفيها خلال أخرى لا يعرفها إلا المقدر لها في سابق علمه.

فكر يا مفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبس والزرانيخ والمرتك والقونيا والزيبق والنحاس والرصاص والفضة والذهب والزبرجد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الذهب والفضة ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشراء والبيع والمعاملات ولا كان يجيء السلطان الأموال ولا يدخرهما أحد للأعقاب وقد أعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل والفضة من الرصاص والذهب من الفضة وأشباه ذلك مما لا مضرة فيه.

فانظر كيف أعطوا إرادتهم فيما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك فيما كان ضارا لهم لو نالوه ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتاً بماء غزير لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن ورائه أمثال الجبال من الفضة تفكر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم فإنه أراد جل ثناؤه أن يرى العباد قدرته وسعة خزائنه ليعلموا أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح لهم في ذلك لأنه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك بأنه قد يظهر الشيء الطريف مما يحدثه الناس من الأواني والأمتعة فما دام عزيزا قليلا فهو نفيس جليل آخذ الثمن فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخست قيمته ونفاسة الأشياء من عزتها فكر يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب فالثمار للغذاء والأتبان للعلف والحطب للوقود والخشب لكل شيء من أنواع النجارة وغيرها واللحاء والورق والأصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع أرأيت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الأرض ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وإن كان الغذاء موجودا فإن المنافع بالخشب والحطب والأتبان وسائر ما عددناه كثيرة عظيم قدرها جليل موقعها هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره

ونضارته التي لا يعد لها شيء من مناظر العالم وملاهيه فكر يا مفضل في هذا الريع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة وأكثر وأقل وكان يجوز أن يكون الحبة تأتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع إلا ليكون في الغلة متسع لما يرد في الأرض من البذر وما يتقوت الزراع إلى إدراك زرعها المستقبل.

ألا ترى أن الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطى أهله ما يبذرونه في أرضهم وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فإنك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمرا عظيما فلم كان كذلك إلا ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم وما يرد فيغرس في الأرض ولو كان الأصل منه يبقى منفردا لا يفرخ ولا يريع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعملوا الغرس ثم كان إن أصابته آفة انقطع أصله فلم يكن منه خلف تأمل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلاء وما أشبه ذلك فإنها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أن تشد وتستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه فأما البر وما أشبهه فإنه يخرج مدرجا في قشور صلاب على رءوسها مثال الأسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع.

فإن قال قائل أوليس قد ينال الطير من البر والحبوب قيل له بلى على هذا قدر الأمر فيها لأن الطير خلق من خلق الله وقد جعل الله تبارك وتعالى له فيما تخرج الأرض حظا ولكن حضنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش فإن الطير لو صادف الحب بارزا ليس عليه شيء يحول دونه لأكب عليه حتى ينسفه أصلا فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت ويخرج الزراع من زرعه صفرا فجعت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطائر منه شيئا يسيرا يتقوت به ويبقى أكثره للإنسان فإنه أولى به إذ كان هو الذي كدح فيه وشقي به وكان الذي يحتاج إليه أكثر مما يحتاج إليه الطير تأمل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات فإنها لما كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت أصولها مركوزة في الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤديه إلى الأغصان وما عليها من الورق

والثمر فصارت الأرض كالأم المربية لها وصارت أصولها التي هي كالأفواه ملتقمة للأرض لتنزع منها الغذاء كما يرضع أصناف الحيوان أمهاتها.

ألا ترى إلى عمد الفساطيط والخيم كيف تمد بالأطناب من كل جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة في الأرض ممتدة إلى كل جانب لتمسكه وتقيمه ولو لا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف فانظر إلى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم متقدمة في خلق الشجر لأن خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم ألا ترى عمدها وعيدانها من الشجر فالصناعة مأخوذة من الخلقة.

تأمل يا مفضل خلق الورق فإنك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل الغلاظ منسوجة نسجا دقيقا معجما لو كان مما يصنع بالأيدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل ولاحتيج إلى آلات وحركة وعلاج وكلام فصار يأتي منه في أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلها بلا حركة ولا كلام إلا بالإرادة النافذة في كل شيء والأمر المطاع واعرف مع ذلك العلة في تلك العروق الدقاق فإنها جعلت تتخلل الورقة بأسرها لتسقيها وتوصل الماء إليها بنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء إلى كل جزء منها وفي الغلاظ منها معنى آخر فإنها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلا تنهتك وتتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة فكر في هذا العجم والنوى والعلة فيه فإنه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع آخر فإن حدث على الذي في بعض الموضع منه حادث وجد في موضع آخر ثم بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها ولو لا ذلك لتشدخت وتفسخت وأسرع إليه الفساد وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح وقد تبين لك موضع الإرب في العجم والنوى فكر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلة فيه ولما ذا يخرج في هذه الهيئة وقد كان

يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون في السرو والدلب وما أشبه ذلك فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة إلا ليستمتع بها الإنسان فكر في ضروب من التدبير في الشجر فإنك تراه يموت في كل سنة موته فيحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم تحيا وتنتشر فتأتيك بهذه الفواكه نوعا بعد نوع كما تقدم إليك أنواع الأطبخة التي تعالج بالأيدي واحدا بعد واحد فترى الأغصان في الشجر تتلقاك بثمارها حتى كأنها تناولتها عن يد وترى الرياحين تلقاك في أفنانها كأنها تجيئك بأنفسها فلمن هذا التقدير إلا لمقدر حكيم وما العلة فيه إلا تفكية الإنسان بهذه الثمار والأنوار والعجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها اعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير فإنك ترى فيها كأمثال التلال من شحم مركوم في نواحيها وحبا مرصوفا رصفا كنحو ما ينضد بالأيدي وترى الحب مقسوما أقساما وكل قسم منها ملفوفا بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسج وألطفه وقشره يضم ذلك كله فمن التدبير في هذه الصنعة أنه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانة من الحب وحده وذلك أن الحب لا يمد بعضه بعضا فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء.

ألا ترى أن أصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصنة ليصونه ويحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير وهي وصف الرمان وفيه أكثر من هذا لمن أراد الإطناب والتذرع في الكلام ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار.

فكر يا مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة فإنه حين قدر أن يحتمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الأرض ولو كان ينتصب قائما كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولينقصف قبل إدراكها وانتهائها إلى غايتها فانظر كيف صار يمتد على وجه الأرض ليلقى عليها ثمارها فتحملها عنه فترى الأصل من القرع والبطيخ مفترشا للأرض ثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنه هرة ممتدة وقد اكتنفتها إجراؤها لترضع منها وانظر كيف صارت الأصناف توافي في وقت المشاكل لها من حمارة الصيف ووقدة الحر فتلقاها النفوس بانشراح وتشوق إليها ولو كانت توافي في الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعرارا منها مع ما

يكون فيها من المضرة للأبدان ألا ترى أنه ربما أدرك شيء من الخير في الشتاء فيمتنع الناس من أكله إلا الشره الذي لا يمتنع من أكل ما يضره وليستوخم مغبته.

فكر يا مفضل في النخل فإنه لما صار فيه إناث يحتاج إلى التلقيح جعلت فيه ذكورة للقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي يلقح الإناث لتحمل وهو لا يحمل تأمل خلقة الجذع كيف هو فإنك تراه كالمنسوج نسجا من غير خيوط ممدودة كالسدى وأخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ما ينسج بالأيدي وذلك ليشتد ويصلب ولا ينقصف من حمل القنوان الثقلية وهز الرياح العواصب إذا صار نخلة وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه إذا صار جذعا وكذلك ترى الخشب مثل النسج فإنك ترى بعضه بعضا مداخلا بعضا طولا وعرضا كتداخل أجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه من الآلات فإنه لو كان مستحصفا كالحجارة لم يمكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرة والتوابيت وما أشبه ذلك ومن جسيم المصالح في الخشب أنه يطفو على الماء فكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف جلالة الأمر فيه فلو لا هذه الخلة كيف كانت هذه السفن والأظراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة وأنى كان ينال الناس هذا الوفق وخفة المئونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد وكانت تعظم المئونة عليهم في حملها حتى يلقى كثير مما يحتاج إليه في بعض البلدان مفقودا أصلا أو عسرا وجوده فكر في هذه العقاقير وما خص بها كل واحد منها من العمل في بعض الأدواء فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج وهذا ينزف المرة السوداء مثل الأفتيمون وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا يحلل الأورام وأشباه هذا من أفعالها فمن جعل هذه القوى فيها إلا من خلقها للمنفعة ومن فطن الناس بها إلا من جعل هذا فيها ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال قائلون وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحة إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم وأشباه هذا كثير ولعلك تشكك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا أنس ولا أنيس فتظن أنه فضل لا حاجة إليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبه علف للطير وعوده وأفنانه حطب فيستعمله الناس وفيه بعد

أشياء تعالج به الأبدان وأخرى تدبغ به الجلود وأخرى تصبغ به الأمتعة وأشباه هذا من المصالح. ألست تعلم أن أخس النبات وأحقره هذا البردي وما أشبهها ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها الملوك والسوقة والحصر التي يستعملها كل صنف من الناس وليعمل منه الغلف التي يوقى بها الأواني ويجعل حشوا بين الظروف في الأسفاط لكيلا تعيب وتتكسر وأشباه هذا من المنافع فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له قيمة وما لا قيمة له وأخس من هذا وأحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معا وموقعها من الزروع والبقول والخضر أجمع الموقع الذي لا يعدله شيء حتى أن كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلا الزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه واعلم أنه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيسا في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته فلو فطنوا طالبوا الكيمياء لما في العذر لاشتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها.

قال المفضل وحان وقت الزوال. فقام مولاي إلى الصلاة وقال بكر إلي غدا إن شاء الله فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما آتانيه حامدا لله على ما منحنيه فبت ليلتي مسرورا

المجلس الرابع

قال المفضل فلما كان اليوم الرابع بكرت إلى مولاي فاستوذن لي فأمرني بالجلوس فجلست.

فقال (ع): منا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس للاسم الأقدم والنور الأعظم العلي العلام ذي الجلال والإكرام ومنشئ الأنام ومفني العوالم والدهور وصاحب السر المستور والغيب المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون وصلواته وبركاته على مبلغ وحيه ومؤدي رسالته الذي ابتعثه بَشِيراً ونَذِيراً وداعِياً إِلَى اللَّهِ

بِإِذْنِهِ وسراجاً مُنيراً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ويَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات الطيبات والتحيات الزاكيات الناميات وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات في الماضين والغابرين أبد الآبدين ودهر الداهرين وهم أهله ومستحقه قد شرحت لك يا مفضل من الأدلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الإنسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك مما فيه عبرة لمن اعتبر.

وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان التي اتخذها أناس من الجهال ذريعة إلى جحود الخالق والخلق والعمد والتدبير وما أنكرت المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب وما أنكروه من الموت والفناء وما قاله أصحاب الطبائع ومن زعم أن كون الأشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول في الرد عليهم قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتخذ أناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد ذريعة إلى جحود الخلق والتدبير والخالق.

فيقال في جواب ذلك إنه إن لم يكن خالق ومدبر فلم لا يكون ما هو أكثر من هذا وأفظع فمن ذلك أن يسقط السماء على الأرض وتهوي الأرض فتذهب سفلا وتتخلف الشمس عن الطلوع أصلا وتجف الأنهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفة وتركد الريح حتى تحم الأشياء وتفسد ويفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما أشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتد حتى تجتاح كل ما في العالم بل تحدث في الأحايين ثم لا تلبث أن ترفع أفلا ترى أن العالم يصان ويحفظ من تلك الأحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره ويلذع أحيانا بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم ثم لا تدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فتكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة وقد أنكرت المعطلة ما أنكرت المنية من المكاره والمصائب التي تصيب الناس فكلاهما يقول إن كان للعالم خالق رءوف رحيم فلم يحدث فيه هذه الأمور المكروهة والقائل بهذا القول يذهب به إلى أنه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافيا من كل كدر ولو كان هكذا كان الإنسان سيخرج من الأشر والعتو إلى ما لا يصلح في دين ودنيا كالذي ترى كثيرا من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن

يخرجون إليه حتى أن أحدهم ينسى أنه بشر أو أنه مربوب أو أن ضررا يمسه أو أن مكروها ينزل به أو أنه يجب عليه أن يرحم ضعيفا أو يواسي فقيرا أو يرثي لمبتلى أو يتحنن على ضعيف أو يتعطف على مكروب فإذا عضته المكاره ووجد مضضها اتعظ وأبصر كثيرا مما كان جهله وغفل عنه ورجع إلى كثير مما كان يجب عليه والمنكرون لهذه الأمور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمون الأدوية المرة البشعة ويتسخطون من المنع من الأطعمة الضارة ويتكرهون الأدب والعمل ويحبون أن يتفرغوا للهو والبطالة وينالوا كل مطعم ومشرب ولا يعرفون ما تؤديهم إليه البطالة من سوء النشوء والعادة وما تعقبهم الأطعمة اللذيذة الضارة من الأدواء والأسقام وما لهم في الأدب من الصلاح وفي الأدوية من المنفعة وإن شاب ذلك بعض الكراهة فإن قالوا ولم لم يكن الإنسان معصوما من المساوي حتى لا يحتاج إلى أن يلذعه بهذه المكاره.

قيل إذا كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ولا مستحق للثواب عليها فإن قالوا وما كان يضره أن لا يكون محمودا على الحسنات مستحقا للثواب بعد أن يصير إلى غاية النعيم واللذة قيل لهم اعرضوا على امرئ صحيح الجسم والعقل أن يجلس منعما ويكفى كل ما يحتاج إليه بلا سعي ولا استحقاق فانظروا هل تقبل نفسه ذلك بل ستجدونه بالقليل مما يناله بالسعي والحركة أشد اغتباطا وسرورا منه بالكثير مما يناله بغير الاستحقاق وكذلك نعيم الآخرة أيضا يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الإنسان في هذا الباب مضاعفة بأن أعد له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا وجعل له السبيل إلى أن ينال بسعي واستحقاق فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه فإن قالوا أوليس قد يكون من الناس من يركن إلى ما نال من خير وإن كان لا يستحقه فما الحجة في منع من رضي أن ينال نعيم الآخرة على هذه الجملة قيل لهم إن هذا باب لو صح للناس لخرجوا إلى غاية الكلب والضراوة على الفواحش وانتهاك المحارم فمن كان يكف نفسه عن فاحشة أو يتحمل المشقة في باب من أبواب البر لو وثق بأنه صائر إلى النعيم لا محالة أو من كان يأمن على نفسه وأهله وماله من الناس لو لم يخافوا الحساب والعقاب فكان ضرر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معا وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الأمور غير

مواضعها وقد يتعلق هؤلاء بالآفات التي تصيب الناس فتعم البر والفاجر أو يبتلى بها البر ويسلم الفاجر منها فقالوا كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجة فيه فيقال لهم إن هذه الآفات وإن كانت تنال الصالح والطالح جميعا فإن الله جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما أما الصالحون فإن الذي يصيبهم من هذا يردهم نعم ربهم عندهم في سالف أيامهم فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر وأما الطالحون فإن مثل هذا إذا نالهم كسر شرتهم وردعهم عن المعاصي والفواحش وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا في ذلك.

أما الأبرار فإنهم يغتبطون بما هم عليه من البر والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة وأما الفجار فإنهم يعرفون رأفة ربهم وتطوله عليهم بالسلامة من غير استحقاقهم فيحضهم ذلك على الرأفة بالناس والصفح عمن أساء إليهم ولعل قائلا يقول إن هذه الآفات التي تصيب الناس في أموالهم فما قولك فيما يبتلون به في أبدانهم فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف فيقال لهم إن الله جعل في هذا أيضا صلاحا للصنفين جميعا أما الأبرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها وأما الفجار فلما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها وجملة القول أن الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الأمور كلها إلى الخيرة والمنفعة فكما أنه إذا قطعت الريح شجرة أو قطعت نخلة أخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم فيصيرها جميعا إلى الخيرة والمنفعة فإن قال ولم يحدث على الناس قيل له لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر فإن هذين الأمرين جميعا يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على ما فيه رشدهم فلو أخلوا منهما لغلوا في الطغيان والمعصية كما على الناس في أول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم.

و مما ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء فإنهم يذهبون إلى أنه ينبغي أن يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا مبرعين من الآفات فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايته فينظر ما محصوله أفرأيت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون

ولا يموت أحد منهم ألم تكن الأرض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعاش فإنهم والموت يفنيهم أولا أولا يتنافسون في المساكن والمزارع حتى ينشب بينهم في ذلك الحروب ويسفك فيهم الدماء فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون وكان يغلب عليهم الحرث والشره وقساوة القلوب فلو وثقوا بأنهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء ينال ولا أفرج لأحد عن شيء يسأله ولا سلا عن شيء مما يحدث عليه ثم كانوا يملون الحياة وكل شيء من أمور الدنيا كما قد يمل الحياة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الفناء قالوا إنه كان ينبغي أن يرفع عنهم المكاره والأوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا إليه فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتو والأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدين والدنيا وإن قالوا إنه كان ينبغي أن لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعاش قيل لهم إذا كان يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله ومواهبه في الدارين جميعا إذا لم يدخل العالم إلا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون.

فإن قالوا كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم يقال لهم رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعاش عنهم ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأنس بالقرابات وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد وموضع تربية الأولاد والسرور بهم ففي هذا دليل على أن كلما تذهب إليه الأوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ وسفاه من الرأي والقول.

ولعل طاعنا يطعن على التدبير من جهة أخرى فيقول كيف يكون هاهنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عز بز فالقوي يظلم ويغصب والضعيف يظلم ويسأم الخسف والصالح فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليه ومن ركب فاحشة أو انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبة فلو كان في العالم تدبير لجرت الأمور على القياس القائم فكان الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف والمتهتك للمحارم يعاجل بالعقوبة فيقال في جواب ذلك إن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الإحسان الذي فضل به الإنسان على غيره من الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح احتسابا للثواب وثقة بما وعد الله منه ولصار الناس بمنزلة الدواب التي تساس بالعصا والعلف ويلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم

على ذلك ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الإنسية إلى حد البهائم ثم لا يعرف ما غاب ولا يعمل إلا على الحاضر وكان يحدث من هذا أيضا أن يكون الصالح إنما يعمل الصالحات للرزق والسعة في هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنما يعف عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من ساعته حتى يكون أفعال الناس كلها تجري على الحاضر لا يشوبها شيء من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها مع أن هذه الأمور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه بل قد تجري على ذلك أحيانا والأمر المفهوم فقد ترى كثيرا من الصالحين يرزقون المال لضرب من التدبير وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون والأبرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح وترى كثيرا من الفساق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم كما عوجل فرعون بالغرق وبختنصر بالتيه وبلبيس بالقت وإن أمهل بعض الأشرار بالعقوبة وأخر بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير فإن مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم بل يكون تأخيرهم ما أخروه أو تعجيلهم ما عجلوه داخلا في صواب الرأي والتدبير.

وإذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب أن للأشياء خالقا حكيما قادرا فما يمنعه أن يدبر خلقه فإنه لا يصح في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته إلا بإحدى ثلاث خلال إما عجز وإما جهل وإما شرارة وكل هذه محال في صنعته عز وجل وتعالى ذكره وذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة والشرير لا يتطاول لخلقها وإنشائها وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها لا محالة وإن كان لا تدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه فإن كثيرا من تدبير الملوك لا تفهمه العامة ولا تعرف أسبابه لأنها لا تعرف دخلة أمر الملوك وأسرارهم فإذا عرف سببه وجد قائما على الصواب والشاهد المحنة ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة فيتبين لك من جهتين أو ثلاث أنه حار أو بارد ألم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشك فيه عن نفسك فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخالق والتدبير مع هذه الشواهد

الكثيرة وأكثر منها ما لا يحصى كثرة لو كان نصف العالم وما فيه مشكلا صوابه لما كان من حزم الرأي وسمت الأدب أن يقضي على العالم بالإهمال لأنه كان في النصف الآخر وما يظهر فيه من الصواب والإتقان ما يردع الوهم عن التسرع إلى هذه القضية فكيف وكل ما كان فيه إذا فتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر بالبال شيء إلا وجد ما عليه الخلقة أصح وأصوب منه واعلم يا مفضل أن اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم قوسموس وتفسيره الزينة وكذلك سمته الفلاسفة ومن ادعى الحكمة أفكانوا يسمونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه من التقدير والنظام؟ فلم يرضوا أن يسموه تقديرا ونظاما حتى سموه زينة ليخبروا أنه مع ما هو عليه من الصواب والإتقان على غاية الحسن والبهاء.

أعجب يا مفضل من قوم لا يقضون صناعة الطب بالخطإ وهم يرون الطبيب يخطئ ويقضون على العالم بالإهمال ولا يرون شيئا منه مهملا بل أعجب من أخلاق من ادعى الحكمة حتى جهلوا مواضعها في الخلق فأرسلوا ألسنتهم بالذم للخالق جل وعلا بل العجب من المخذول ماني حين ادعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه إلى الخطإ ونسب خالقه إلى الجعل تبارك الحليم الكريم وأعجب منهم جميعا المعطلة الذين راموا أن يدرك بالحس ما لا يدرك بالعقل فلما أعوزهم ذلك خرجوا إلى الجهود والتكذيب فقالوا ولم لا يدرك بالعقل قيل لأنه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته فإنك لو رأيت حجرا يرتفع في الهواء علمت أن راميا رمى به فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل لأن العقل هو الذي يميزه فيعلم أن الحجر لا يذهب علوا من تلقاء نفسه أفلا ترى كيف وقف البصر على حده فلم يتجاوزه فكذلك يقف العقل على حده من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله بعقل أقر أن فيه نفسا ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة من الحواس وعلى حسب هذا أيضا نقول إن العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته فإن قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به قيل لهم إنما كلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه ولم يكلفوا الإحاطة بصفته كما أن الملك لا يكلف رعيته أن يعلموا أطويل هو أم قصير أبيض هو أم أسمر وإنما يكلفهم الإذعان بسلطانه والانتهاء إلى أمره ألا ترى أن رجلا لو أتى باب الملك فقال

اعرض علي نفسك حتى أتقصى معرفتك وإلا لم أسمع لك كان قد أحل نفسه العقوبة فكذا القائل إنه لا يقر بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه متعرض لسخطه فإن قالوا أوليس قد نصفه فنقول هو العزيز الحكيم الجواد الكريم قيل لهم كل هذه صفات إقرار وليست صفات إحاطة فإنا نعلم أنه حكيم ولا نعلم بكنه ذلك منه وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته كما قد نرى السماء ولا ندري ما جوهرها ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه بل فوق هذا المثال بما لا نهاية له لأن الأمثال كلها تقصر عنه ولكنها تقود العقل إلى معرفته فإن قالوا ولم يختلف فيه قيل لهم لقصر الأوهام عن مدى عظمته وتعديها أقدارها في طلب معرفته وأنها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك وما دونه.

فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ولذلك كثرت الأقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقال بعضهم هو فلك أجوف مملو نارا له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع وقال آخرون هو سبحانه وقال آخرون هو جسم زجاجي يقبل نارية في العام ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر وقال آخرون هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار وقال آخرون هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربع ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم هي بمنزلة صفيحة عريضة وقال آخرون هي كالكرة المدحرجة وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء وقال آخرون بل هي أقل من ذلك وقال آخرون هي أعظم من الجزيرة العظيمة وقال أصحاب الهندسة هي أضعاف الأرض مائة وسبعون مرة ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها وإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر ويدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم فإن قالوا ولم استتر قيل لهم لم يستتر بحيلة يخلص إليها كمن يحتجب عن الناس بالأبواب والستور وإنما معنى قولنا استتر أنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن إدراكها بالنظر فإن قالوا ولم لطف وتعالى عن ذلك علوا كبيرا كان ذلك خطأ من القول لأنه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء إلا أن يكون مباينا لكل شيء متعاليا عن كل شيء سبحانه وتعالى فإن قالوا كيف يعقل أن يكون مباينا لكل

متعاليا قيل لهم الحق الذي تطلب معرفته من الأشياء هو الأربعة أوجه فأولها أن ينظر أموجود هو أم ليس بموجود والثاني أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره والثالث أن يعرف كيف هو وما صفته والرابع أن يعلم لما ذا هو ولأية علة فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق ن يعرفه من الخالق حق معرفته غير أنه موجود فقط فإذا قلنا كيف وما هو فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة به وأما لماذا هو فساقط في صفة الخالق لأنه جل ثناؤه علة كل شيء وليس شيء بعلة له ثم ليس علم الإنسان بأنه موجود يوجب له أن يعلم ما هو كما أن علمه بوجود لا يوجب أن يعلم ما هي وكيف هي وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة فإن قالوا فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفا حتى كأنه غير معلوم قيل لهم هو كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه والإحاطة به وهو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدل عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد وهو من جهة كالغامض لا يدركه أحد وكذلك العقل أيضا ظاهر بشواهد ومستور بذاته فأما أصحاب الطبائع فقالوا إن الطبيعة لا تفعل شيئا لغير معنى ولا تتجاوز عما فيه تمام الشيء في طبيعته وزعموا أن لحكمة تشهد بذلك فقيل لهم فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التحارب فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال فقد أقروا بما أنكروا لأن هذه هي صفات الخالق وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل لخالق الحكيم وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء وزعموا أن كونها بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الآفات التي تلد غير مجرى العرف والعادة كالإنسان يولد ناقصا أو زائدا إصبعا أو يكون المولود مشوها مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلا على أن كون الأشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيف ما اتفق أن يكون. وقد كان أرسطاطاليس رد عليهم فقال إن الذي يكون بالعرض والاتفاق إنما هو شيء يأتي في الفرط مرة لأعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها وليس بمنزلة الأور الطبيعية الجارية على شكل واحد جريا دائما متتابعا وأنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان أن يجري أكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالإنسان يولد وله يدان ورجلان وخمس أصابع كما عليه الجمهور من الناس فأما ما يولد على خلاف ذلك فإنه لعلة تكون في الرحم أو في المادة التي ينشأ منها الجنين كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته فيعوق

دون ذلك عائق في الأداة أو في الآلة التي يعمل فيها الشيء فقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب التي وصفنا فيأتي الولد زائدا أو ناقصا أو مشوها ويسلم أكثرها فيأتي سويا لا علة فيه فكما أن الذي يحدث في بعض الأعمال الأعراض لعلة فيه لا توب عليها جميعا الإهمال وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعية لعائق يدخل عليها لا يوجب أن يكون جميعها بالعرض والاتفاق فقول من قال في الأشياء إن كونها بالعرض والاتفاق من قبل أن شيئا منها يأتي على خلاف الطبيعة يعرض له خطأ وخطل فإن قالوا ولم صار مثل هذا يحدث في الأشياء قيل لهم ليعلم أنه ليس كون الأشياء باضطرار من الطبيعة ولا يمكن أن يكون سواه كما قال قائلون بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم إذ جعل الطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف ويزول أحيانا عن ذلك لأعراض تعرض لها فيستدل بذلك على أنها مصرفة مدبرة فقيرة إلى إبداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها وإتمام عملها فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقينَ يا مفضل خذ ما آتيتك واحفظ ما منحتك وكن لربك من الشاكرين ولآلائه من الحامدين ولأوليائه من المطيعين فقد شرحت لك من الأدلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد قليلا من كثير وجزاء من كل فتدبره وفكر فيه واعتبر به

فقلت بمعونتك يا مولاي أقوى على ذلك وأبلغه إن شاء الله. فوضع يده على صدري فقال احفظ بمشية الله ولا تنس إن شاء الله فخررت مغشيا علي فلما أفقت قال كيف ترى نفسك يا مفضل

فقلت قد استغنيت بمعونة مولاي وتأييده عن الكتاب الذي كتبته وصار ذلك بين يدي كأنما أقرؤه من كفي ولمولاي الحمد والشكر كما هو أهله ومستحقه. فقال يا مفضل فرغ قلبك واجمع إليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك فسألقي إليك من علم ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله بينهما وفيهما من عجائب خلقه وأصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم إلى سدرة المنتهى وسائر الخلق من الجن والإنس إلى الأرض السابعة السفلى وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزءا من أجزاء انصرف إذا شئت مصاحبا مكلوءا فأنت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى ولا تسألن عما وعدتك حتى أحدث لك منه ذكرا قال المفضل فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف أحد بمثله

كتـــــــاب الإهليلجـــــــة

للمفضل بن عمرو

كتاب الإهليلجة كما كتاب التوحيد أيضاً هو خاصّ بالرد على الملحدين الّذين حاولوا نقض التوحيد بإثباتاته حول الله فيذكر الإمام الصادق هذه المناقشة التي دارت مع هنديّ ليقنعه بوجود الصانع.

كتب المفضل بن عمر الجعفي إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) يعلمه أن أقواما ظهروا من أهل هذه الملة يجحدون الربوبية ويجادلون على ذلك ويسأله أن يرد عليهم قولهم ويحتج عليهم فيما ادعوا بحسب ما احتج به على غيرهم.

فكتب أبو عبد الله (ع): بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أما بعد وفقنا الله وإياك لطاعته وأوجب لنا بذلك رضوانه برحمته وصل كتابك تذكر فيه ما ظهر في ملتنا وذلك من قوم من أهل الإلحاد بالربوبية قد كثرت عدتهم واشتدت خصومتهم وتسأل أن أصنع للرد عليهم والنقض لما في أيديهم كتابا على نحو ما رددت على غيرهم من أهل البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النعم السابغة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة فكان من نعمه العظام وآلائه الجسام التي أنعم بها تقريره قلوبهم بربوبيته وأخذه ميثاقهم بمعرفته وإنزاله عليهم كتابا فيه شفاء لما في الصدور من أمراض الخواطر ومشتبهات الأمور ولم يدع لهم ولا لشيء من خلقه حاجة إلى من سواه واستغنى عنهم وكانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً ولعمري ما أُتي الجهال من قبل ربهم وإنهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البينات في خلقهم وما يعاينون في ملكوت السماوات الأرض والصنع العجيب المتقن الدال على الصانع، ولكنهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي، وسهلوا لها سبيل الشهوات، فغلبت الأهواء على قلوبهم، واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم، وكذلك يطبع الله عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ. والعجب من مخلوق يزعم أن الله يخفى على عباده وهو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله وتأليف يبطل حجته ولعمري لو تفكروا في هذه الأمور

العظام لعاينوا من أمر التركيب البين ولطف التدبير الظاهر ووجود الأشياء مخلوقة بعد أن لم تكن ثم تحولها من طبيعة إلى طبيعة وصنيعة بعد صنيعة ما يدلهم ذلك على الصانع فإنه لا يخلو شيء منها من أن يكون فيه أثر تدبير وتركيب يدل على أن له خالقا مدبرا وتأليف بتدبير يهدي إلى واحد حكيم.

وقد وافاني كتابك ورسمت لك كتابا كنت نازعت فيه بعض أهل الأديان من أهل الإنكار وذلك أنه كان يحضرني طبيب من باد الهند وكان لا يزال ينازعني في رأيه ويجادلني على ضلالته فبينا هو يوما يدق إهليلجة ليخلطها دواء احتجت إليه من أدويته إذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادعائه أن الدنيا لم تزل ولا تزال شجرة تنبت وأخرى تسقط نفس تولد وأخرى تتلف وزعم انتحالي المعرفة لله تعالى دعوى لا بينة لي عليها ولا حجة لي فيها، وأن ذلك أمر أخذه الآخر عن الأول والأصغر عن الأكبر، وأن الأشياء المختلفة والمؤتلفة والباطنة والظاهرة إنما تعرف بالحواس الخمس نظر العين وسمع الأذن وشم الأنف وذوق الفم ولمس الجوارح. ثم قاد منطقه على الأصل الذي وضعه فقال لم يقع شيء من حواسي على خالق يؤدي إلى قلبي إنكارا لله تعالى.

ثم قال أخبرني بم تحتج في معرفة ربك الذي تصف قدرته وربوبيته وإنما يعرف القلب الأشياء كلها بالدلالات الخمس التي وصفت لك قلت بالعقل الذي في قلبي والدليل الذي اتجه به في معرفته

قال فأنى يكون ما تقول وأنت تعرف أن القلب لا يعرف شيئا بغير الحواس الخمس فهل عاينت ربك ببصر أو سمعت صوته بإذن أو شممته بنسيم أو ذقته بفم أو مسسته بيد فأدى ذلك المعرفة إلى قلبك؟ قلت أرأيت إذ أنكرت الله وجحدته لأنك زعمت أنك لا تحسه بحواسك التي تعرف بها الأشياء وأقررت أنا به هل بد من أن يكون أحدنا صادقا والآخر كاذبا قال لا قلت أرأيت إن كان القول قولك فهل يخاف على شيء مما أخوفك به من عقاب الله؟

قال لا. قلت أفرأيت إن كان كما أقول والحق في يدي ألست قد أخذت فيما كنت أحاذر من عقاب الخالق بالثقة وأنك قد وقعت بجحودك وإنكارك في الهلكة؟

قال بلى قلت فأين أولى بالحزم وأقرب من النجاة .

قال أنت إلا أنك من أمرك على ادعاء وشبهة وأنا على يقين وثقة لأني لا أرى حواسي الخمس أدركته وما لم تدركه حواسي فليس عندي بموجود قلت إنه لما عجزت حواسك عن إدراك الله أنكرته وأنا لما عجزت حواسي عن إدراك الله تعالى صدقت به.

قال: وكيف ذلك؟ قلت لأن كل شيء جرى فيه أثر تركيب لجسم أو وقع عليه بصر للون فما أدركته الأبصار ونالته الحواس فهو غير الله سبحانه لأنه لا يشبه اخلق وإن هذا الخلق ينتقل بتغيير وزوال وكل شيء أشبه التغيير والزوال فهو مثله وليس المخلوق كالخالق ولا المحدث كالمحدث متن.

قال إن هذا لقول ولكني لمنكر ما لم تدركه حواسي فتؤديه إلى قلبي فلما اعتصم بهذه المقالة ولزم هذه الحجة؟ قلت أما إذا أبيت إلا أن تعتصم بالجهالة وتجعل المحاجزة حجة فقد دخلت في مثل ما عبت وامتثلت ما كرهت حيث.

قلت إني اخترت الدعوى لنفسي لأن كل شيء لم تدره حواسي عندي بلا شيء.

قال وكيف ذلك قلت لأنك نقمت علي الادعاء ودخلت فيه فادعيت أمرا لم تحط به خبرا ولم تقله علما فكيف استجزت لنفسك الدعوى في إنكارك الله ودفعك أعلام النبوة والحجة الواضحة وعبتها علي أخبرني هل أحطت بالجهات كلها وبلغت منتهاها؟ قال:لا.

قلت فهل رقيت إلى السماء التي ترى أو انحدرت إلى الأرض السفلى فجلت في أقطارها أو هل خضت في غمرات البحور واخترقت نواحي الهواء فيما فوق السماء وتحتها إلى الأرض وما أسفل منها فوجدت ذلك خلاء من مدبر حكيم عالم بصير؟

قال لا. قلت فما يدريك لعل الذي أنكره قلبك هو في بعض ما لم تدركه حواسك ولم يحط به علمك.

قال: لا أدري لعل في بعض ما ذكرت مدبرا وما أدري لعله ليس في شيء من ذلك شيء. قلت: أما إذ خرجت من حد الإنكار إلى منزلة الشك فإني أرجو أن تخرج إلى المعرفة.

قال: فإنما دخل علي الشك لسؤالك إياي عما لم يحط به علمي ولكن من يدخل علي اليقين بما لم تدركه حواسي؟ قلت من قبل إهليلجتك هذه.

قال ذاك إذا أثبت للحجة لأنها من آداب الطب الذي أذعن بمعرفته. قلت إنما أردت أن آتيك به من قبلها لأنها أقرب الأشياء إليك ولو كان شيء أقرب إليك منها لأتيتك من قبله لأن في كل شيء أثر تركيب وحكمة واهدا يدل على الصنعة الدالة على من صنعها ولم تكن شيئا ويهلكها حتى لا تكون شيئا.

قلت: فأخبرني هل ترى هذه إهليلجة؟

قال: نعم. قلت أفترى غيب ما في جوفها؟

قال: لا. قلت أفتشهد أنها مشتملة على نواة ولا تراها؟

قال: ما يدريني لعل ليس فيها شيء؟ قلت: أفترى أن خلف هذا القشر من هذه الإهليلجة غائب لم تره من لحم أو ذي لون؟

قال: ما أدري لعل ما ثم غير ذي لون ولا لحم. قلت: أفتقر أن هذه الإهليلجة التي تسميها الناس بالهند موجودة لاجتماع أهل الاختلاف من الأمم على ذكرها؟

قال: ما أدري لعل ما اجتمعوا عليه من ذلك باطل. قلت: أفتقر أن الإهليلجة في أرض تنبت؟

قال تلك الأرض وهذه واحدة وقد رأيتها. قلت: أفما تشهد بحضور هذه الإهليلجة على وجود ما غاب من أشباهها؟

قال: ما أدري لعله ليس في الدنيا إهليلجة غيرها. فلما اعتصم بالجهالة قلت أخبرني عن هذه الإهليلجة أتقر أنها خرجت من شجرة أو تقول إنها هكذا وجدت؟

قال: لا بل من شجرة خرجت. قلت فهل أدركت حواسك الخمس ما غاب عنك من تلك الشجرة؟

قال: لا. قلت فما أراك إلا قد أقررت بوجود شجرة لم تدركها حواسك.

قال: أجل ولكني أقول إن الإهليلجة والأشياء المختلفة شيء لم تزل تدرك فهل عندك في هذا شيء ترد به علي. قلت نعم أخبرني عن هذه الإهليلجة هل كنت عاينت شجرتها وعرفتها قبل أن تكون هذه الإهليلجة فيها.

قال: نعم. قلت: فهل كنت تعاين هذه الإهليلجة؟

قال: لا. قلت: أفما تعلم أنك كنت عاينت الشجرة وليس فيها الإهليلجة، ثم عدت إليها فوجدت فيها الإهليلجة، أفما تعلم أنه قد حدث فيها ما لم تكن.

قال: ما أستطيع أن أنكر ذلك ولكني أقول إنها كانت فيها متفرقة. قلت: فأخبرني هل رأيت تلك الإهليلجة التي تنبت منها شجرة هذه الإهليلجة قبل أن تغرس.

قال: نعم. قلت: فهل يحتمل عقلك أن الشجرة التي تبلغ أصلها وعروقها وفروعها ولحاؤها وكل ثمرة جنيت وورقة سقطت ألف ألف رطل كانت كامنة في هذه الإهليلجة.

قال: ما يحتمل هذا العقل ولا يقبله القلب. قلت: أقررت أنها حدثت في الشجرة.

قال: نعم، ولكني لا أعرف أنها مصنوعة فهل تقدر أن تقررني بذلك. قلت: نعم أرأيت أني إن أريتك تدبيرا أتقر أن له مدبرا وتصويرا أن له مصورا؟

قال: لا بد من ذلك. قلت: ألست تعلم أن هذه الإهليلجة لحم ركب على عظم فوضع في جوف متصل بغصن مركب على ساق يقوم على أصل فيقوى بعروق من تحتها على جرم متصل بعض ببعض؟

قال: بلى. قلت: ألست تعلم أن هذه الإهليلجة مصورة بتقدير وتخطيط وتأليف وتركيب وتفصيل متداخل بتأليف شيء في بعض شيء به طبق بعد طبق وسم على جسم ولون مع لون أبيض في صفرة ولين على شديد في طبائع متفرقة وطرائق مختلفة وأجزاء مؤتلفة مع لحاء تسقيها وعروق يجري فيها الماء وورق يسترها وتقيها من الشمس أن تحرقها ومن البرد أن يهلكها والريح أن تذبلها.

قال: أفليس لو كان الورق مطبقا عليها كان خيرا لها؟ قلت: الله أحسن تقديرا لو كان كما تقول لم يصل إليها ريح يروحها ولا برد يشددها ولعفنت عند ذلك ولو لم يصل إليها حر الشمس لما نضجت، ولكن شمس مرة وريح مرة وبرد مرة قدر الله ذلك بقوة لطيفة ودبره بحكمة بالغة.

قال: حسبي من التصوير فسر لي التدبير الذي زعمت أنك ترينه. قلت: أرأيت الإهليلجة قبل أن تعقد إذ هي في قمعها ماء بغير نواة ولا لحم ولا قشر ولا لون ولا طعم ولا شدة.

قال: نعم. قلت: أرأيت لو لم يرفق الخالق ذلك الماء الضعيف الذي هو مثل الخردلة في القلة والذلة ولم يقوه بقوته ويصوره بحكمته ويقدره بقدرته هل كان ذلك الماء يزيد على أن يكون في قمعه غير مجموع بجسم وقمع وتفصيل فإن زاد زاد ماء متراكبا غير مصور ولا مخطط ولا مدبر بزيادة أجزاء ولا تأليف أطباق قال قد أريتني من تصوير شجرتها وتأليف خلقتها وحمل ثمرتها وزيادة أجزائها وتفصيل تركيبها أوضح الدلالات وأظهر البينة على معرفة الصانع ولقد صدقت بأن الأشياء مصنوعة ولكني لا أدري لعل الإهليلجة والأشياء صنعت أنفسها.

قلت: أولست تعلم أن خالق الأشياء والإهليلجة حكيم عالم بما عاينت من قوة تدبيره.

قال بلى. قلت: فهل ينبغي للذي هو كذلك أن يكون حدثا؟

قال: لا. قلت: أفلست قد رأيت الإهليلجة حين حدثت وعاينتها بعد أن لم تكن شيئا ثم هلك كأن لم تكن شيئا.

قال: بلى، وإنما أعطيتك أن الإهليلجة حدثت ولم أعطك أن الصانع لا يكون حادثا لا يخلق نفسه قلت ألم تعطني أن الحكيم الخالق لا يكون حدثا وزعمت أن الإهليلجة حدثت فقد أعطيتني أن الإهليلجة مصنوعة فهو عز وجل صانع الإهليلجة وإن رجعت إلى أن تقول إن الإهليلجة صنعت نفسها ودبرت خلقها فما زدت أن أقررت بما أنكرت ووصفت صانعا مدبرا أصبت صفته ولكنك لم تعرفه فسميته بغير اسمه.

قال: كيف ذلك؟ قلت: لأنك أقررت بوجود حكيم لطيف مدبر فلما سألتك من هو قلت الإهليلجة قد أقررت بالله سبحانه ولكنك سميته بغير اسمه ولو عقلت وفكرت لعلمت أن الإهليلجة أنقص قوة من أن تخلق نفسها وأضعف حيلة من أن تدبر خلقها.

قال: هل عندك غير هذا؟ قلت: نعم، أخبرني عن هذه الإهليلجة التي زعمت أنها صنعت نفسها ودبرت أمرها كيف صنعت نفسها صغيرة الخلقة صغيرة القدرة ناقصة القوة لا تمتنع أن تكسر وتعصر وتؤكل وكيف صنعت نفسها مفضولة مأكولة مرة قبيحة المنظر لا بهاء لها ولا ماء قال لأنها لم تقو إلا على ما صنعت نفسها أو لم تصنع إلا ما هويت قلت أما إذ أبيت إلا التمادي في الباطل فأعلمني متى خلقت نفسها ودبرت خلقها قبل أن تكون أو بعد أن كانت، فإن زعمت أن الإهليلجة خلقت نفسها بعد ما كانت فإن هذا لمن أبين المحال كيف تكون موجودة مصنوعة ثم تصنع نفسها مرة أخرى فيصير كلامك إلى أنها مصنوعة مرتين، ولئن قلت إنها خلقت نفسها ودبرت خلقها قبل أن تكون إن هذا من أوضح الباطل وأبين الكذب لأنها قبل أن تكون ليس بشيء فكيف يخلق لا شيء شيئا وكيف تعيب قولي إن شيئا يصنع لا شيئا ولا تعيب قولك إن لا شيء يصنع لا شيئا. فانظر أي القولين أولى بالحق؟

قال: قولك. قلت: فما عك منه؟

قال: قد قبلته واستبان لي حقه وصدقه بأن الأشياء المختلفة والإهليلجة لم يصنعن أنفسهن ولم يدبرن خلقهن ولكنه تعرض لي أن الشجرة هي التي صنعت الإهليلجة لأنها خرجت منها. قلت: فمن صنع الشجرة؟

قال: الإهليلجة الأخرى. قلت: اجعل لكلامك غاية انتهى إليها، فإما أن تقول هو الله سبحانه فيقبل منك وإما أن تقول الإهليلجة فنسألك.

قال: سل. قلت: أخبرني عن الإهليلجة هل تنبت منها الشجرة إلا بعد ما ماتت وبليت وبادت؟

قال: لا. قلت: إن الشجرة بقيت بعد هلاك الإهليلجة مائة سنة فمن كان يحميها ويزيد فيها ويدبر خلقها ويربيها وينبت ورقها ما لك بد من أن تقول هو الذي خلقها، ولئن قلت الإهليلجة وهي حية قبل أن تهلك وتبلى وتصير ترابا وقد ربت الشجرة وهي ميتة إن هذا القول مختلف.

قال: لا أقول ذلك. قلت: أفتقر بأن الله خلق الخلق أم قد بقي في نفسك شيء من ذلك.

قال: إني من ذلك على حد وقوف ما أتخلص إلى أمر ينفذ لي فيه الأمر. قلت: أما إذ أبيت إلا الجهالة وزعمت أن الأشياء لا يدرك إلا بالحواس فإني أخبرك أنه ليس للحواس دلالة على الأشياء ولا فيها معرفة إلا بالقلب فإنه دليلها ومعرفها الأشياء التي تدعي أن القلب لا يعرفها إلا بها.

فقال: أما إذ نطقت بهذا فما أقبل منك إلا بالتخليص والتفحص منه بإيضاح وبيان وحجة وبرهان قلت فأول ما أبدأ به أنك تعلم أنه ربما ذهب الحواس أو بعضها ودبر القلب الأشياء التي فيها المضرة والمنفعة من الأمور العلانية والخفية فأمر بها ونهى فنفذ فيها أمره وصح فيها قضاؤه.

قال: إنك تقول في هذا قولا يشبه الحجة، ولكني أحب أن توضحه لي غير هذا الإيضاح. قلت: ألست تعلم أن القلب يبقى بعد ذهاب الحواس؟

قال: نعم، ولكن يبقى بغير دليل على الأشياء التي تدل عليها الحواس. قلت: أفلست تعلم أن الطفل تضعه أمه مضغة ليس تدله الحواس على شيء يسمع ولا يبصر ولا يذاق ولا يلمس ولا يشم؟

قال: بلى. قلت: فأية الحواس دلته على طلب اللبن إذا جاع والضحك بعد البكاء إذا روي من اللبن وأي حواس سباع الطير ولاقط الحب منها دلها على أن تلقي بين أفراخها اللحم والحب فتهوي سباعها إلى اللحم، وأخبرني عن فراخ طير الماء ألست تعلم أن فراخ طير الماء إذا طرحت فيه سبحت وإذا طرحت فيه فراخ طير البر غرقت والحواس واحدة. فكيف انتفع بالحواس طير الماء وأعانته على السباحة ولم تنتفع طير البر في الماء بحواسها، وما بال طير البر إذا غمستها في الماء ساعة ماتت وإذا أمسكت طير الماء عن الماء ساعة ماتت فلا أرى الحواس في هذا إلا منكسرا عليك ولا ينبغي ذلك أن يكون إلا من مدبر حكيم جعل للماء خلقا وللبر خلقا. أم أخبرني ما بال الذرة التي لا تعاين الماء قط تطرح في الماء فتسبح وتلقى الإنسان ابن خمسين سنة من أقوى الرجال وأعقلهم لم يتعلم السباحة فيغرق كيف لم يدله عقله ولبه وتجاربه وبصره بالأشياء مع اجتماع حواسه وصحتها أن

يدرك ذلك بحواسه كما أدركته الذرة. إن كان ذلك إنما يدرك بالحواس أفليس ينبغي لك أن تعلم أن القلب الذي هو معدن العقل في الصبي الذي وصفت وغيره مما سمعت من الحيوان هو الذي يهيج الصبي إلى طلب الرضاع والطير اللاقط على لقط الحب والسباع على ابتلاع اللحم.

قال: لست أجد القلب يعلم شيئا إلا بالحواس. قلت: أما إذ أبيت إلا النزوع إلى الحواس فإنا لنقبل نزوعك إليها بعد رفضك لها ونجيبك في الحواس حتى يتقرر عندك أنها لا تعرف من سائر الأشياء إلا الظاهر مما هو دون الرب الأعلى سبحانه وتعالى فأما ما يخفى ولا يظهر فليست تعرفه وذلك أن خالق الحواس جعل لها قلبا احتج به على العباد وجعل للحواس الدلالات على الظاهر الذي يستدل بها على الخالق سبحانه فنظرت العين إلى خلق متصل بعضه ببعض فدلت القلب على ما عاينت وتفكر القلب حين دلته العين على ما عاينت من ملكوت السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد يرى ولا دعائم تمسكها لا تؤخر مرة فتنكشط ولا تقدم أخرى فتزول ولا تهبط مرة فتدنو ولا ترتفع أخرى فتنأى لا تتغير لطول الأمد ولا تخلق لاختلاف الليالي والأيام ولا تتداعى منها ناحية ولا ينهار منها طرف مع ما عاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيرها لدوران الفلك وتنقلها في البروج يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وسنة بعد سنة منها السريع ومنها البطيء ومنها المعتدل السير ثم رجوعها واستقامتها وأخذها عرضا وطولا وخنوسها عند الشمس وهي مشرقة وظهورها إذا غربت وجرى الشمس والقمر في البروج دائبين لا يتغيران في أزمنتهما وأوقاتهما يعرف ذلك من يعرف بحساب موضوع وأمر معلوم بحكمة يعرف ذوو الألباب أنها ليست من حكمة الإنس ولا تفتيش الأوهام ولا تقليب التفكر فعرف القلب حين دلته العين على ما عاينت أن لذلك الخلق والتدبير والأمر العجيب صانعا يمسك السماء المنطبقة أن تهوي إلى الأرض وأن الذي جعل الشمس والنجوم فيها خالق السماء، ثم نظرت العين إلى ما استقلها من الأرض فدلت القلب على ما عاينت فعرف القلب بعقله أن ممسك الأرض الممتدة أن تزول أو تهوي في الهواء وهو يرى الريشة يرمى بها فتسقط مكانها وهي في الخفة على ما هي عليه هو الذي يمسك السماء التي فوقها وإنه لو لا ذلك لخسفت بما عليها من ثقلها وثقل الجبال والأنام والأشجار والبحور والرمال فعرف القلب بدلالة العين أن مدبر

الأرض هو مدبر السماء، ثم سمعت الأذن صوت الرياح الشديدة العاصفة واللينة الطيبة وعاينت العين ما يقلع من عظام الشجر ويهدم من وثيق البنيان وتسفى من ثقال الرمال تخلي منها ناحية وتصبها في أخرى بلا سائق تبصره العين ولا تسمعه الأذن ولا يدرك بشيء من الحواس وليست مجسدة تلمس ولا محدودة تعاين فلم تزد العين والأذن وسائر لحواس على أن دلت القلب أن لها صانعا وذلك أن القلب يفكر بالعقل الذي فيه فيعرف أن الريح لم تتحرك من تلقائها وأنها لو كانت هي المتحركة لم تكفف عن التحرك ولم تهدم طائفة وتعفي أخرى ولم تقلع شجرة وتدع أخرى إلى جنبها ولم تصب أرضا وتنصرف عن أخرى فلما تفكر القلب في أمر الريح علم أن لها محركا هو الذي يسوقها حيث يشاء ويسكنها إذا شاء ويصيب بها من يشاء ويصرفها عمن يشاء فلما نظر القلب إلى ذلك وجدها متصلة بالسماء وما فيها من الآيات فعرف أن المدبر القادر على أن يمسك الأرض والسماء هو خالق الريح ومحركها إذا شاء وممسكها كيف شاء ومسلطها على من يشاء وكذلك دلت العين والأذن القلب على هذه الزلزلة وعرف ذلك بغيرهما من حواسه حين حركته فلما دل الحواس على تحريك هذا الخلق العظيم من الأرض في غلظها وثقلها وطولها وعرضها وما عليها من ثقل الجبال والمياه والأنام وغير ذلك وإنما تتحرك في ناحية ولم تتحرك في ناحية أخرى وهي ملتحمة جسدا واحدا وخلقا متصلا بلا فصل ولا وصل تهدم ناحية وتخسف بها وتسلم أخرى فعندها عرف القلب أن محرك ما حرك منها هو ممسك ما أمسك منها وهو محرك الريح وممسكها وهو مدبر السماء والأرض وما بينهما وإن الأرض لو كانت هي المزلزلة لنفسها لما تزلزلت ولما تحركت ولكنه الذي دبرها وخلقها حرك منها ما شاء ثم نظرت العين إلى العظيم من الآيات من السحاب المسخر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لا جسد له يلمس بشيء من الأرض والجبال يخلل الشجرة فلا يحرك منها شيئا ولا يهصر منها غصنا ولا يعلق منها بشيء يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته ويحتمل من ثقل الماء وكثرته ما لا يقدر على صفته مع ما فيه من الصواعق الصادعة والبروق اللامعة والرعد والثلج والبرد والجليد ما لاتبلغ الأوهام صفته ولا تهتدي القلوب إلى كنه عجائبه فيخرج مستقلا في الهواء يجتمع بعد تفرقه ويلتحم بعد تزايله تفرقه الرياح من الجهات كلها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربها يسفل مرة ويعلو أخرى متمسك بما فيه من الماء الكثير الذي إذا أزجاه صارت منه البحور يمر على

الأراضي الكثيرة والبلدان المتنائية لا تنقص منه نقطة حتى ينتهي إلى ما لا يحصى من الفراسخ فيرسل ما فيه قطرة بعد قطرة وسيلا بعد سيل متتابع على رسله حتى ينقع البرك وتمتلي الفجاج وتعتلي الأودية بالسيول كأمثال الجبال غاصة بسيولها مصمخة الآذان لدويها وهديرها فتحيا بها الأرض الميتة فتصبح مخضرة بعد أن كانت مغبرة ومعشبة بعد أن كانت مجدبة قد كسيت ألوانا من نبات عشب ناضرة زاهرة مزينة معاشا للناس والأنعام. فإذا أفرغ الغمام ماءه أقلع وتفرق وذهب حيث لا يعاين ولا يدرى أين توارى فأدت العين ذلك إلى القلب فعرف القلب أن ذلك السحاب لو كان بغير مدبر وكان ما وصفت من تلقاء نفسه ما احتمل نصف ذلك من الثقل من الماء وإن كان هو الذي يرسله لما احتمله ألفي فرسخ أو أكثر ولأرسله فيما هو أقرب من ذلك ولما أرسله قطرة بعد قطرة بل كان يرسله إرسالا فكان يهدم البنيان ويفسد النبات ولما جاز إلى بلد وترك آخر دونه فعرف القلب بأعلام المنيرة الواضحة أن مدبر الأمور واحد وأنه لو كان اثنين أو ثلاثة لكان في طول هذه الأزمنة والأبد والدهر اختلاف في التدبير وتناقض في الأمور ولتأخر بعض وتقدم بعض ولكان تسفل بعض ما قد علا ولعلا بعض ما قد سفل ولطلع شيء وغاب فتأخر عن وقته أو تقدم ما قبله فعرف القلب بذلك أن مدبر الأشياء ما غاب منها وما ظهر هو الله الأول خالق السماء وممسكها وفارش الأرض وداحيها وصانع ما بين ذلك مما عددنا وغير ذلك مما لم يحص وكذلك عاينت العين اختلاف الليل والنار دائبين جديدين لا يبليان في طول كرهما ولا يتغيران لكثرة اختلافهما ولا ينقصان عن حالهما النهار في نوره وضيائه والليل في سواده وظلمته يلج أحدهما في الآخر حتى ينتهي كل واحد منهما إلى غاية محدودة معروفة في الطول والقصر على مرتبة واحدة ومجرى واحد مع سكون من يسكن في الليل وانتشار من ينتشر في الليل وانتشار من ينتشر في النهار وسكون من يسكن في النهار ثم الحر والبرد وحلول أحدهما بعقب الآخر حتى يكون الحر بردا والبر حرا في وقته وإبانة فكل هذا مما يستدل به القلب على الرب سبحانه وتعالى فعرف القلب بعقله أن مدبر هذه الأشياء هو الواحد العزيز الحكيم الذي لم يزل ولا يزال وأنه لو كان في السماوات والأرضين آلهة معه سبحانه لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِما خَلَقَ ولَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ولفسد كل واحد منهم على صاحبه وكذلك سمعت الأذن ما أنزل المدبر من الكتب تصديقا

لما أدركته القلوب بعقولها وتوفيق الله إياها وما قاله من عرفه كنه معرفته بلا ولد ولا صاحبة ولا شريك فأدت الأذن ما سمعت من اللسان بمقالة الأنبياء إلى القلب

فقال: قد أتيتني من أبواب لطيفة بما لم يأتني به أحد غيرك إلا أنه لا يمنعني من ترك ما في يدي إلا الإيضاح والحجة القوية بما وصفت لي وفسرت. قلت: أما إذا حجبت عن الجواب واختلف منك المقال فسيأتيك من الدلالة من قبل نفسك خاصة ما يستبين لك أن الحواس لا تعرف شيئا إلا بالقلب، فهل رأيت في المنام أنك تأكل وتشرب حتى وصلت لذة ذلك إلى قلبك؟

قال: نعم. قلت: فهل رأيت أنك تضحك وتبكي وتجول في البلدان التي لم ترها والتي قد رأيتها حتى تعلم معالم ما رأيت منها؟

قال: نعم ما لا أحصي. قلت: هل رأيت أحدا من أقاربك من أخ أو أب أو ذي رحم قد مات قبل ذلك حتى تعلمه وتعرفه كمعرفتك إياه قبل أن يموت؟

قال: أكثر من الكثير. قلت: فأخبرني أي حواسك أدرك هذه الأشياء في منامك حتى دلت قلبك على معاينة الموتى وكلامهم وأكل طعامهم والجولان في البلدان والضحك والبكاء وغير ذلك قال ما أقدر أن أقول لك أي حواسي أدرك ذلك أو شيئا منه وكيف تدرك وهي بمنزلة الميت لا تسمع ولا تبصر قلت فأخبرني حيث استيقظت ألست قد ذكرت الذي رأيت في منامك تحفظه وتقصه بعد يقظك على إخوانك لا تنسى منه حرفا؟

قال: إنه كما تقول وربما رأيت الشيء في منامي ثم أمسي حتى أره في يقظتي كما رأيته في منامي. قلت: فأخبرني أي حواسك قررت علم ذلك في قلبك حتى ذكرته بعد ما استيقظت؟

قال إن هذا الأمر ما دخلت فيه الحواس. قلت: أفليس ينبغي لك أن تعلم حيث بطلت الحواس في هذا أن الذي عاين تلك الأشياء وحفظها في منامك قلبك الذي جعل الله فيه العقل الذي احتج به على العباد.

قال: إن الذي رأيت في منامي ليس بشيء إنما هو بمنزلة السراب الذي يعاينه صاحبه وينظر إليه لا يشك فيه أنه ماء فإذا انتهى إلى مكانه لم يجده شيئا

فما رأيت في منامي فبهذه المنزلة. قلت كيف شبهت السراب بما رأيت في منامك من أكلك الطعام الحلو الحامض وما رأيت من الفرح والحزن.

قال لأن السراب حيث انتهيت إلى موضعه صار لا شيء وكذلك صار ما رأيت في منامي حين انتبهت. قلت: فأخبرني إن أتيتك بأمر وجدت لذته في منامك وخفق لذلك قلبك ألست تعلم أن الأمر على ما وصفت لك؟

قال: بلى. قلت: فأخبرني هل احتلمت قط حتى قضيت في امرأة نهمتك عرفتها أم لم تعرفها؟

قال: بلى ما لا أحصيه. قلت: ألست وجدت لذلك لذة على قدر لذتك في يقظك فتنتبه وقد أنزلت الشهوة حتى تخرج منك بقدر ما تخرج منك في اليقظة هذا كسر لحجتك في السراب قال ما يرى المحتلم في منامه شيئا إلا ما كانت حواسه دلت عليه في اليقظة؟

قلت: ما زدت على أن قويت مقالتي وزعمت أن القلب يعقل الأشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواس وموتها، فكيف أنكرت أن القلب يعرف الأشياء وهو يقظان مجتمعة له حواسه وما الذي عرفه إياها بعد موت الحواس وهو لا يسمع ولا يبصر ولكنت حقيقا أن لا تنكر له المعرفة وحواسه حية مجتمعة إذا أقررت أنه ينظر إلى الامرأة بعد ذهاب حواسه حتى نكحها وأصاب لذته منها فينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصفه به من معرفته بالأشياء والحواس ذاهبة أن يعرف أن القلب مدبر الحواس ومالكها ورائسها والقاضي عليها فإنه ما جهل الإنسان من شيء فما يجهل أن اليد لا تقدر على العين أن تقلعها ولا على اللسان أن تقطعه وأنه ليس يقدر شيء من الحواس أن يفعل بشيء من الجسد شيئا بغير إذن القلب ودلالته وتدبيره لأن الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبرا للجسد به و به يبصر وهو القاضي والأمير عليه ولا يتقدم الجسد إن هو تأخر ولا يتأخر إن هو تقدم وبه سمعت الحواس وأبصرت إن أمرها ائتمرت وإن نهاها انتهت وبه ينزل الفرح والحزن وبه ينزل الألم إن فسد شيء من الحواس بقي على حاله وإن فسد القلب ذهب جميعا حتى لا يسمو لا يبصر قال لقد كنت أظنك لا تتخلص من هذه المسألة وقد جئت بشيء لا

أقدر على رده قلت وأنا أعطيك تصاديق ما أنبأتك به وما رأيت في منامك في مجلسك الساعة.

قال: أفعل فإني قد تحيرت في هذه المسألة؟ قلت: أخبرني هل تحدث نفسك من تجارة أو صناعة أو بناء أو تقدير شي و تأمر به إذا أحكمت تقديره في ظنك؟

قال: نعم. قلت: فهل أشركت قلبك في ذلك الفكر شيئا من حواسك؟

قال: لا. قلت: أفلا تعلم أن الذي أخبرك به قلبك حقٌ؟

قال: اليقين هو فزدني ما يذهب الشك عني ويزيل الشبه من قلبي. قلت: أخبرني هل يعرف أهل بلادك علم النجوم؟

قال: إنك لغافل عن علم أهل بلادي بالنجوم. قلت: وما بلغ من علمهم بها؟

فقال: إنا نخبرك عن علمهم بخصلتين تكتفي بهما عما سواهما. قلت: فأخبرني ولا تخبرني إلا بحق.

قال: بديني لا أخبرك إلا بحق وبما عاينت. قلت: هات؟

قال: أما إحدى الخصلتين فإن ملوك الهند لا يتخذون إلا الخصيان. قلت: ولم ذاك؟

قال: لأن لكل رجل منهم منجما حاسبا فإذا أصبح أتى باب الملك فقاس الشمس وحسب فأخبره بما يحدث في يومه ذلك وما حدث في ليلته التي كان فيها فإن كانت امرأة من نسائه قارفت شيئا يكرهه أخبره فقال فلان قارف كذا وكذا مع فلانة ويحدث في هذا اليوم كذا وكذا. قلت: فأخبرني عن الخصلة الأخرى؟

قال: قوم بالهند بمنزلة الخناقين عندكم يقتلون الناس بلا سلاح ولا خنق ويأخذون أموالهم. قلت: وكيف يكون هذا؟

قال: يخرجون مع الرفقة والتجار بقدر ما فيها من الرجالة فيمشون معهم أياما ليس معهم سلاح ويحدثون الرجال ويحسبون حساب كل رجل من التجار فإذا عرف أجمعهم موضع النفس من صاحبه وكذلك واحد منهم صاحبه الذي حسب به

في ذلك الموضع فيقع جميع التجار موتى. قلت: إن هذا أرفع من الباب الأول إن كان ما تقول حقا.

قال: أحلف لك بديني أنه حق ولربما رأيت ببلاد الهند قد أخذ بعضهم وأمر بقتله. قلت: فأخبرني كيف كان هذا حتى اطلعوا عليه؟

قال: بحساب النجوم. قلت: فما سمعت كهذا علما قط وما أشك أن واضعه الحكيم العليم، فأخبرني من وضع هذا العلم الدقيق الذي لا يدرك بالحواس ولا بالعقول ولا بالفكر؟

قال: حساب النجوم وضعته الحكماء وتوارثه الناس. قلت: أخبرني هل يعلم أهل بلادك علم النجوم؟

قال: إنك لغافل عن علم أهل بلادي بالنجوم، فليس أحد أعلم بذلك منهم. قلت: أخبرني كيف وقع علمهم بالنجوم؟ وهي مما لا يدرك بالحواس ولا بالفكر؟

قال: حساب وضعته الحكماء وتوارثته الناس فإذا سألت الرجل منهم عن شيء قاس الشمس ونظر في منازل الشمس والقمر وما للطالع من النحوس وما للباطن من السعود ثم يحسب ولا يخطئ ويحمل إليه المولود فيحسب له ويخبر بكل علامة فيه بغير معاينة وما هو مصيبة إلى يوم يموت. قلت: كيف دخل الحساب في مواليد الناس؟

قال: جميع الناس إنما يولدون بهذه النجوم، ولو لا ذلك لم يستقم هذا الحساب فمن ثم لا يخطئ إذا علم الساعة واليوم والشهر والسنة التي يولد فيها المولود. قلت: لقد توصفت علما عجيبا ليس في علم الدنيا أدق منه ولا أعظم إن كان حقا كما ذكرت يعرف به المولود الصبي وما فيه من العلامات ومنتهى أجله وما يصيبه في حياته أوليس هذا حسابا تولد به جميع أهل الدنيا من كان من الناس.

قال: لا أشك فيه. قلت: فتعال ننظر بعقولنا كيف علم الناس هذا العلم، وهل يستقيم أن يكون لبعض الناس إذا كان جميع الناس يولدون بهذه النجوم وكيف عرفها بسعودها ونحوسها وساعاتها وأوقاتها ودقائقها ودرجاتها وبطيئها وسريعها ومواضعها من السماء ومواضعها تحت الأرض ودلالتها على غامض هذه الأشياء

التي وصفت في السماء وما تحت الأرض، فقد عرفت أن بعض هذه البروج في السماء وبعضها تحت الأرض وكذلك النجوم السبعة منها تحت الأرض ومنها في السماء فما يقبل عقلي أن مخلوقا من أهل الأرض قدر على هذا.

قال: وما أنكرت من هذا؟ قلت: إنك زعمت أن جميع أهل الأرض إنما يتوالدون بهذه النجوم فأرى الحكيم الذي وضع هذا الحساب بزعمك من بعض أهل الدنيا ولا شك إن كنت صادقا أنه ولد ببعض هذه النجوم والساعات والحساب الذي كان قبله إلا أن تزعم أن ذلك الحكيم لم يولد بهذه النجوم كما ولد سائر الناس.

قال: وهل هذا الحكيم إلا كسائر الناس؟ قلت: أفليس ينبغي أن يدلك عقلك على أنها قد خلقت قبل هذا الحكيم الذي زعمت أنه وضع هذا الحساب وقد زعمت أنه ولد ببعض هذه النجوم؟

قال: بلى. قلت: فكيف اهتدى لوضع هذه النجوم وهل هذا العلم إلا من معلم كان قبلهما وهو الذي أسس هذا الحساب الذي زعمت أنه أساس المولود والأساس أقدم من المولود والحكيم الذي زعمت أنه وضع هذا إنما يتبع أمر معلم هو أقدم منه وهو الذي خلقه مولودا ببعض هذا النجوم، وهو الذي أسس هذه البروج التي ولد بها غيره من الناس. فواضع الأساس ينبغي أن يكون أقدم منها، هب إن هذا الحكيم عمر مذ كانت الدنيا عشرة أضعاف، هل كان نظره في هذه النجوم إلا كنظرك إليها معلقة في السماء أوتراه كان قادرا على الدنو منها وهي في السماء حتى يعرف منازلها ومجاريها نحوسها وسعودها ودقائقها وبأيتها تكسف الشمس والقمر وبأيتها يولد كل مولود وأيها السعد وأيها النحس وأيها البطيء وأيها السريع. ثم يعرف بعد ذلك سعود ساعات النهار ونحوسها وأيها السعد وأيها النحس وكم ساعة يمكث كل نجم منا تحت الأرض وفي أي ساعة تغيب وأي ساعة تطلع وكم ساعة يمكث طالعا وفي أي ساعة تغيب وكم استقام لرجل حكيم كما زعمت من أهل الدنيا أن يعلم علم السماء مما لا يدرك بالحواس ولا يقع عليه الفكر ولا يخطر على الأوهام وكيف اهتدى أن يقيس الشمس حتى يعرف في أي برج وفي أي برج القمر وفي أي برج من السماء هذه السبعة السعود والنحوس وما الطالع منها وما الباطن وهي معلقة في السماء وهو من أهل الأرض لا يراها إذا توارت بضوء الشمس إلا أن تزعم أن هذا

الحكيم الذي وضع هذا العلم قد رقي إلى السماء وأنا أشهد أن هذا العالم لم يقدر على هذا العلم إلا بمن في السماء لأن هذا ليس من علم أهل الأرض؟

قال: ما بلغني أن أحدا من أهل الأرض رقي إلى السماء. قلت: فلعل هذا الحكيم فعل ذلك ولم يبلغك؟

قال: ولو بلغني ما كنت مصدقا. قلت: فأنا أقول قولك هبه رقي إلى السماء هل كان له بد من أن يجري مع كل برج من هذه البروج ونجم من هذه النجوم من حيث يطلع إلى حيث يغيب ثم يعود إلى الآخر حتى يفعل مثل ذلك حتى يأتي على آخرها، فإن منها ما يقطع السماء في ثلاثين سنة ومنها ما يقطع دون ذلك وهل كان له بد من أن يجول في أقطار السماء حتى يعرف مطالع السعود منها والنحوس والبطيء والسريع حتى يحصي ذلك أو هبه قدر على ذلك حتى فرغ مما في السماء هل كان يستقيم له حساب ما في السماء حتى يحكم حساب ما في الأرض وما تحتها وأن يعرف ذلك مثل ما قد عاين في السماء لأن مجاريها تحت الأرض على غير مجاريها في السماء فلم يكن يقدر على أحكام حسابها ودقائقها وساعاتها إلا بمعرفة ما غاب عنه تحت الأرض منها لأنه ينبغي أن يعرف أي ساعة من الليل يطلع طالعها وكم يمكث تحت الأرض وأية ساعة من النهار يغيب غائبها لأنه لا يعاينها ولا ما طلع منها ولا ما غاب ولا بد من أن يكون العالم بها واحدا وإلا لم ينتفع بالحساب، ألا تزعم أن ذلك الحكيم قد دخل في ظلمات الأرضين والبحار فسار مع النجوم والشمس والقمر في مجاريها على قدر ما سار في السماء حتى علم الغيب منها وعلم ما تحت الأرض على قدر ما عاين منها في السماء.

قال: وهل أريتني أجبتك إلى أن أحدا من أهل الأرض رقي إلى السماء وقدر على ذلك حتى أقول إنه دخل في ظلمات الأرضين والبحور؟ قلت: فكيف وقع هذا العلم الذي زعمت أن الحكماء من الناس وضعوه وأن الناس كلهم مولدون به وكيف عرفوا ذلك الحساب وهو أقدم منهم؟

قال: أرأيت إن قلت لك إن البروج لم تزل وهي التي خلقت أنفسها على هذا الحساب ما الذي ترد علي؟ قلت: أسألك كيف يكون بعضها سعدا وبعضها نحسا وبعضها مضيئا وبعضها مظلما وبعضها صغيرا وبعضها كبيرا.

قال: كذلك أرادت أن تكون بمنزلة الناس فإن بعضهم جميل وبعضهم قبيح وبعضهم قصير وبعضهم طويل وبعضهم أبيض وبعضهم أسود وبعضهم صالح وبعضهم طالح. قلت: فالعجب منك إني أراودك منذ اليوم على أن تقر بصانع فلم تجبني إلى ذلك حتى كان الآن أقررت بأن القردة والخنازير خلقن أنفسهن.

قال: لقد بهتني بما لم يسمع الناس مني. قلت: أفمنكر أنت لذلك؟

قال: أشد إنكار. قلت: فمن خلق القردة والخنازير؟ إن كان الناس والنجوم خلقن أنفسهن فلا بد من أن تقول إنهن من خلق الناس أو خلقن أنفسهن أفتقول أنها من خلق الناس؟

قال: لا. قلت: فلا بد من أن يكون لها خالق، أو هي خلقت أنفسها. فإن قلت إنها من خلق الناس أقرت أن لها خالقا فإن قلت لا بد أن يكون لها خالق فقد صدقت وما أعرفنا به. ولئن قلت إنهن خلقن أنفسهن فقد أعطيتني فوق ما طلبت منك من الإقرار بصانع.

ثم قلت فأخبرني بعضهن قبل بعض خلقن أنفسهن أم كان ذلك في يوم واحد، فإن قلت بعضهن قبل بعض فأخبرني السماوات وما فيهن والنجوم قبل الأرض والإنس والذر خلقن أم بعد ذلك، فإن قلت إن الأرض قبل أفلا ترى قولك إن الأشياء لم تزل قد بطل حيث كانت السماء بعد الأرض.

قال: بلى، ولكن أقول معا جميعا خلقن. قلت: أفلا ترى أنك قد أقررت أنها لم تكن شيئا قبل أن خلقن وقد أذهبت حجتك في الأزلية.

قال: إني لعلى حد وقوف ما أدري ما أجيبك فيه لأني أعلم أن الصانع إنما سمي صانعا لصناعته والصناعة غير الصانع والصانع غير الصناعة لأنه يقال للرجل الباني لصناعته البناء والبناء غير الباني والباني غير البناء وكذلك الحارث غير الحرث والحرث غير الحارث. قلت: فأخبرني عن قولك إن الناس خلقوا أنفسهم فبكمالهم خلقوها أرواحهم وأجسادهم وصورهم وأنفاسهم أم خلق بعض ذلك غيرهم؟

قال: بكمالهم لم يخلق ذلك ولا شيئا منهم غيرهم. قلت: فأخبرني الحياة أحب إليهم أم الموت؟

قال: أوتشك أنه لا شيء أحب إليهم من الحياة ولا أبغض إليه من الموت. قلت: فأخبرني من خلق الموت الذي يخرج أنفسهم التي زعمت أنهم خلقوها فإنك لا تنكر أن الموت غير الحياة وأنه هو الذي يذهب بالحياة، فإن قلت إن الذي خلق الموت غيرهم فإن الذي خلق الموت هو الذي خلق الحياة. ولئن قلت هم الذين خلقوا الموت لأنفسهم إن هذا لمحال من القول وكيف خلقوا لأنفسهم ما يكرهون إن كانوا كما زعمت خلقوا أنفسهم هذا ما يستنكر من ضلالك إن تزعم أن الناس قدروا على خلق أنفسهم بكمالهم وأن الحياة أحب إليهم من الموت وخلقوا ما يكرهون لأنفسهم.

قال: ما أجد واحدا من القولين ينقاد لي ولقد قطعته علي قبل الغاية التي كنت أريدها. قلت: دعني فإن من الدخول في أبواب الجهالات ما لا ينقاد من الكلام وإنما أسألك عن معلم هذا الحساب الذي علم أهل الأرض علم هذه النجوم المعلقة في السماء.

قال: ما أجد يستقيم أن أقول إن أحدا من أهل الأرض وضع علم هذه النجوم المعلقة في السماء. قلت: فلا بد لك أن تقول إنما علمه حكيم عليم بأمر السماء والأرض ومدبرهما.

قال: إن قلت هذا فقد أقررت لك بإلهك الذي تزعم أنه في السماء. قلت: أما أنك فقد أعطيتني أن حساب هذه النجوم حق وأن جميع الناس ولدوا بها.

قال: الشك في غير هذا. قلت: وكذلك أعطيتني أن أحدا من أهل الأرض لم يقدر على أن يغيب مع هذه النجوم والشمس والقمر في المغرب حتى يعرف مجاريها ويطلع معها إلى المشرق.

قال: الطلوع إلى السماء دون هذا. قلت: فلا أراك تجد بدا من أن تزعم أن المعلم لهذا من السماء؟

قال: لئن قلت إن ليس لهذا الحساب معلم، لقد قلت إذا غير الحق. ولئن زعمت أن أحدا من أهل الأرض علم ما في السماء وما تحت الأرض لقد أبطلت لأن أهل الأرض لا يقدرون على علم ما وصفت لك من حال هذه النجوم والبروج بالمعاينة والدنو منها فلا يقدرون عليه لأن علم أهل الدنيا لا يكون عندنا إلا بالحواس وما يدرك علم هذه النجوم التي وصفت بالحواس لأنها معلقة في السماء

وما زادت الحواس على النظر إليها حيث تطلع وحيث تغيب فأما حسابها ودقائقها ونحوسها وسعودها وبطيئها وسريعها وخنوسها ورجوعها فأنى تدرك بالحواس أو يهتدى إليها بالقياس. قلت: فأخبرني لو كنت متعلما مستوصفا لهذا الحساب من أهل الأرض أحب إليك أن تستوصفه وتتعلمه أم من أهل السماء قال من أهل السماء إذ كانت النجوم معلقة فيها حيث لا يعلمها أهل الأرض قلت فافهم وأدق النظر وناصح نفسك ألست تعلم أنه حيث كان جميع أهل الدنيا إنما يولدون بهذه النجوم على ما وصفت في النحوس والسعود أنهن كن قبل الناس.

قال: ما أمتنع أن أقول هذا. قلت: أفليس ينبغي لك أن تعلم أن قولك إن الناس لم يزالوا ولا يزالون قد انكسر عليك حيث كانت النجوم قبل الناس فالناس حدث بعدها ولئن كانت النجوم خلقت قبل الناس ما تجد بدا من أن تزعم أن الأرض خلقت قبلهم.

قال: ولم تزعم أن الأرض خلقت قبلهم قلت ألست تعلم أنها لو لم تكن الأرض جعل الله لخلقه فراشا ومهادا ما استقام الناس ولا غيرهم من الأنام ولا قدروا أن يكونوا في الهواء إلا أن يكون لهم أجنحة قال وما ذا يغني عنهم الأجنحة إذا لم تكن لهم معيشة؟ قلت: ففي شك أنت من أن الناس حدث بعد الأرض والبروج؟ **قال: لا ولكن على اليقين من ذلك.** قلت: آتيك أيضا بما تبصره.

قال: ذلك أنفى للشك عني. قلت: ألست تعلم أن الذي تدور عليه هذه النجوم والشمس والقمر هذا الفلك؟ **قال: بلى.** قلت: أفليس قد كان أساسا لهذه النجوم؟

قال: بلى. قلت: فما أرى هذه النجوم التي زعمت أنها مواليد الناس إلا وقد وضعت بعد هذا الفلك لأنه به تدور البروج وتسفل مرة وتصعد أخرى؟

قال: قد جئت بأمر واضح لا يشكل على ذي عقل أن الفلك الذي تدور به النجوم هو أساسها الذي وضع لها لأنها إنما جرت به. قلت: أقررت أن خالق النجوم التي يولد بها الناس سعودهم ونحوسهم هو خالق الأرض لأنه لو لم يكن خلقها لم يكن ذرء.

قال ما أجد بدا من إجابتك إلى ذلك. قلت: أفليس ينبغي لك أن يدلك عقلك على أنه لا يقدر على خلق السماء إلا الذي خلق الأرض والذرء والشمس والقمر والنجوم وأنه لو لا السماء وما فيها لهلك ذرء الأرض.

قال: أشهد أن الخالق واحد من غير شك، لأنك قد أتيتني بحجة ظهرت لعقلي وانقطعت بها حجتي وما أرى يستقيم أن يكون واضع هذا الحساب ومعلم هذه النجوم واحدا من أهل الأرض لأنها في السماء ولا مع ذلك يعرف ما تحت الأرض منها إلا معلم ما في السماء منها، ولكن لست أدري كيف سقط أهل الأرض على هذا العلم الذي هو في السماء حتى اتفق حسابهم على ما رأيت من الدقة والصواب فإني لو لم أعرف من هذا الحساب ما أعرفه لأنكرته ولأخبرتك أنه باطل في بدء الأمر فكان أهون علي. قلت فأعطني موثقا إن أنا أعطيتك من قبل هذه الإهليلجة التي في يدك وما تدعي من الطب الذي هو صناعتك وصناعة آبائك حتى يتصل الإهليلجة وما يشبهها من الأدوية بالسماء لتذعنن بالحق ولتنصفن من نفسك.

قال: ذلك لك. قلت: هل كان الناس على حال وهم لا يعرفون الطب ومنافعه من هذه الإهليلجة وأشباهها؟ **قال: نعم.** قلت: فمن أين اهتدوا له؟

قال: بالتجربة وطول المقايسة. قلت: فكيف خطر على أوهامهم حتى هموا بتجربته، وكيف ظنوا أنه مصلحة للأجساد وهم لا يرون فيه إلا المضرة أو كيف عزموا على طلب ما لا يعرفون مما لا تدلهم عليه الحواس؟

قال: بالتجارب. قلت: أخبرني عن واضع هذا الطب وواصف هذه العقاقير المتفرقة بين المشرق والمغرب هل كان بد من أن يكون الذي وضع ذلك ودل على هذه العقاقير رجل حكيم من بعض أهل هذه البلدان؟

قال: لا بد أن يكون كذلك وأن يكون رجلا حكيما وضع ذلك وجمع عليه الحكماء فنظروا في ذلك وفكروا فيه بعقولهم. قلت: كأنك تريد الإنصاف من نفسك والوفاء بما أعطيت من ميثاقك فأعلمني كيف عرف الحكيم ذلك وهبه قد عرف بما في بلاده من الدواء والزعفران الذي بأرض فارس أتراه اتبع جميع نبات الأرض فذاقه شجرة شجرة حتى ظهر على جميع ذلك، وهل يدلك عقلك على أن رجالا حكماء قدروا على أن يتبعوا جميع بلاد فارس ونباتها شجرة شجرة حتى عرفوا ذلك

بحواسهم وظهروا على تلك الشجرة التي يكون فيها خلط بعض هذه الأدوية التي لم تدرك حواسهم شيئا منها. وهبه أصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها وتتبعه جميع شجر فارس ونباتها كيف عرف أنه لا يكون دواء حتى يضم إليه الإهليلج من الهند والمصطكى من الروم والمسك من التبت والدارصيني من الصين وخصى بيدستر من الترك والأفيون من مصر والصبر من اليمن والبورق من أرمنية وغير ذلك من أخلاط الأدوية التي تكون في أطراف الأرض؟ وكيف عرف أن بعض تلك الأدوية وهي عقاقير مختلفة يكون المنفعة باجتماعها ولا يكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع أم كيف اهتدى لمنابت هذه الأدوية وهي ألوان مختلفة وعقاقير متبائنة في بلدان متفرقة فمنها عروق ومنها لحاء ومنها ورق ومنها ثمر ومنها عصير ومنها مائع ومنها صمغ ومنها دهن ومنها ما يعصر ويطبخ ومنها ما يعصر ولا يطبخ مما سمي بلغات شتى لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا يصير دواء إلا باجتماعها ومنها مرائر السباع والدواب البرية والبحرية وأهل هذه البلدان مع ذلك متعادون مختلفون متفرقون باللغات متغالبون بالمناصبة ومتحاربون بالقتل والسبي.

أفترى ذلك الحكيم تتبع هذه البلدان حتى عرف كل لغة وطاف كل وجه وتتبع هذه العقاقير مشرقا ومغربا آمنا صحيحا لا يخاف ولا يمرض سليما لا يعطب حيا لا يموت هاديا لا يضل قاصدا لا يجور حافظا لا ينسى نشيطا لا يمل حتى عرف وقت أزمنتها ومواضع منابتها مع اختلاطها واختلاف صفاتها وتباين ألوانها وتفرق أسمائها ثم وضع مثالها على شبهها وصفتها ثم وصف كل شجرة بنباتها وورقها وثمرها وريحها وطعمها أم هل كان لهذا الحكيم بد من أن يتبع جميع أشجار الدنيا وبقولها وعروقها شجرة شجرة وورقة ورقة شيئا شيئا فهبه وقع على الشجرة التي أراد؟ فكيف دلته حواسه على أنها تصلح لدواء والشجر مختلف منه الحلو والحامض والمر والمالح وإن قلت يستوصف في هذه البلدان ويعمل بالسؤال فأنى يسأل عما لم يعاين ولم يدركه بحواسه أم كيف يهتدي إلى من يسأله عن تلك الشجرة وهو يكلمه بغير لسانه وبغير لغته والأشياء كثيرة فهبه فعل كيف عرف منافعها ومضارها وتسكينها وتهييجها وباردها وحارها وحلوها ومرارتها وحرافتها ولينها وشديدها فلئن قلت بالظن إن ذلك مما لا يدرك ولا يعرف بالطبائع والحواس ولئن قلت بالتجربة

والشرب لقد كان ينبغي له أن يموت في أول ما شرب وجرب تلك الأدوية بجهالته بها وقلة معرفته بمنافعها ومضارها وأكثرها السم القاتل.

ولئن قلت بل طاف في كل بلد وأقام في كل أمة يتعلم لغاتهم ويجرب بهم أدويتهم تقتل الأول فالأول منهم ما كان لتبلغ معرفته الدواء الواحد إلا بعد قتل قوم كثير فما كان أهل تلك البلدان الذين قتل منهم من قتل بتجربته بالذين ينقادونه بالقتل ولا يدعونه أن يجاورهم وهبه تركوه وسلموا لأمره ولم ينهوه كيف قوي على خلطها وعرف قدرها ووزنها وأخذ مثاقيلها وقرط قراريطها وهبه تتبع هذا كله وأكثره سم قاتل إن زيد على قدرها قتل وإن نقص عن قدرها بطل وهبه تتبع هذا كله وجال مشارق الأرض ومغاربها وطال عمره فيها تتبعه شجرة شجرة وبقعة بقعة كيف كان له تتبع ما لم يدخل في ذلك من مرارة الطير والسباع ودواب البحر هل كان بد حيث زعمت أن ذلك الحكيم تتبع عقاقير الدنيا شجرة شجرة وثمرة ثمرة حتى جمعها كلها فمنها ما لا يصلح ولا يكون دواء إلا بالمرار هل كان بد من أن يتبع جميع طير الدنيا وسباعها ودوابها دابة دابة وطائرا طائرا يقتلها ويجرب مرارتها كما بحث عن تلك العقاقير على ما زعمت بالتجارب ولو كان ذلك فكيف بقيت الدواب وتناسلت وليست بمنزلة الشجرة إذا قطعت شجرة نبتت أخرى وهبه أتى على طير الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدواب التي كان ينبغي أن يتبعها بحرا بحرا ودابة دابة حتى أحاط به كما أحاط بجميع عقاقير الدنيا التي بحث عنها حتى عرفها وطلب ذلك في غمرات الماء. فإنك مهما جهلت شيئا من هذا فإنك لا تجهل أن دواب البحر كلها تحت الماء. فهل يدل العقل والحواس على أن هذا يدرك بالبحث والتجارب؟

قال: لقد ضيقت علي المذاهب فما أدري ما أجيبك به. قلت: فإني آتيك بغير ذلك مما هو أوضح وأبين مما اقتصصت عليك، ألست تعلم أن هذه العقاقير التي منها الأدوية والمرار من الطير والسباع لا يكون دواء إلا بعد الاجتماع؟

قال: هو كذلك. قلت: فأخبرني كيف حواس هذا الحكيم وضعت هذه الأدوية مثاقيلها وقراريطها، فإنك من أعلم الناس بذلك لأن صناعتك الطب وأنت تدخل في الدواء الواحد من اللون الواحد زنة أربع مائة مثقال ومن الآخر مثاقيل وقراريط فما فوق ذلك ودونه حتى يجيء بقدر واحد معلوم إذا سقيت منه صاحب البطنة بمقدار عقد بطنه وإن سقيت صاحب القولنج أكثر من ذلك استطلق بطنه وألان فكيف

أدركت حواسه على هذا أم كيف عرفت حواسه أن الذي يسقى لوجع الرأس لا ينحدر إلى الرجلين والانحدار أهون عليه من الصعود والذي يسقى لوجع القدمين لا يصعد إلى الرأس وهو إلى الرأس عند السلوك أقرب منه وكذلك كل دواء يسقى صاحبه لكل عضو لا يأخذ إلا طريقه في العروق التي تسقى له وكل ذلك يصير إلى المعدة ومنها يتفرق أم كيف لا يسفل منه ما صعد ولا يصعد منه ما انحدر. أم كيف عرفت الحواس هذا حتى علم أن الذي ينبغي للأذن لا ينفع العين وما ينتفع به العين لا يغني من وجع الأذن وكذلك جميع الأعضاء يصير كل داء منها إلى ذلك الدواء الذي ينبغي له بعينه فكيف أدركت العقول والحكمة والحواس هذا وهو غائب في الجوف والعروق في اللحم وفوقه الجلد لا يدرك بسمع ولا ببصر ولا بشم ولا بلمس ولا بذوق.

قال: لقد جئت بما أعرفه إلا أننا نقول إن الحكيم الذي وضع هذه الأدوية وأخلاطها كان إذا سقى أحدا شيئا من هذه الأدوية فمات شق بطنه وتتبع عروقه ونظر مجاري تلك الأدوية وأتى المواضع التي تلك الأدوية فيها. قلت: فأخبرني ألست تعلم أن الدواء كله إذا وقع في العروق اختلط بالدم فصار شيئا واحدا.

قال:بلى. قلت: أما تعلم أن الإنسان إذا خرجت نفسه برد دمه وجمد؟

قال: بلى. قلت: فكيف عرف ذلك الحكيم دواءه الذي سقاه للمريض بعد ما صار غليظا عبيطا ليس بأمشاج يستدل عليه بلون فيه غير لون الدم؟

قال: لقد حملتني على مطية صعبة ما حملت على مثلها قط ولقد جئت بأشياء لا أقدر على ردها. قلت: فأخبرني من أين علم العباد ما وصفت من هذه الأدوية التي فيها المنافع لهم حتى خلطوها وتتبعوا عقاقيرها في هذه البلدان المتفرقة وعرفوا مواضعها ومعادنها في الأماكن المتباينة وما يصلح من عروقها وزنتها من مثاقيلها وقراريطها وما يدخلها من الحجارة ومرار السباع وغير ذلك؟

قال: قد أعييت عن إجابتك لغموض مسائلك وإلجائك إياي إلى أمر لا يدرك علمه بالحواس ولا بالتشبيه والقياس، ولا بد أن يكون وضع هذه الأدوية واضع لأنها لم تضع هي أنفسها ولا اجتمعت حتى جمعها غيرها بعد معرفته إياها فأخبرني كيف علم العباد هذه الأدوية التي فيها المنافع حتى خلطوها وطلبوا

عقاقيرها في هذه البلدان المتفرقة. قلت: إني ضارب لك مثلا وناصب لك دليلا تعرف به واضع هذه الأدوية والدال على هذه العقاقير المختلفة وباني الجسد وواضع العروق التي يأخذ فيها الدواء إلى الداء.

قال: فإن قلت ذلك لم أجد بدا من الانقياد إلى ذلك قلت فأخبرني عن رجل أنشأ حديقة عظيمة وبنى عليها حائطا وثيقا ثم غرس فيها الأشجار والأثمار والرياحين والبقول وتعاهد سقيها وتربيتها ووقاها ما يضرها حتى لا يخفى عليه موضع كل صنف منها، فإذا أدركت أشجارها وأينعت أثمارها واهتزت بقولها دفعت إليه فسألته أن يطعمك لونا من الثمار والبقول سميته له أتراه كان قادرا على أن ينطلق قاصدا مستمرا لا يرجع ولا يهوي إلى شيء يمر به من الشجرة والبقول حتى يأتي الشجرة التي سألته أن يأتيك بثمرها والبقلة التي طلبتها حيث كانت من أنى الحديقة أو أقصاها فيأتيك بها.

قال: نعم. قلت: أفرأيت لو قال لك صاحب الحديقة حيث سألته الثمرة ادخل الحديقة فخذ حاجتك فإني لا أقدر على ذلك هل كنت تقدر أن تنطلق قاصدا لا تأخذ يمينا ولا شمالا حتى تنتهي إلى الشجرة فتجتني منها.

قال: وكيف أقدر على ذلك ولا علم لي في أي مواضع الحديقة هي؟ قلت: أفليس تعلم أنك لم تكن لتصيبها دون أن تهجم عليها بتعسف وجولان في جميع الحديقة حتى تستدل عليها ببعض حواسك بعد ما تتصفح فيها من الشجرة شجرة شجرة وثمرة ثمرة حتى تسقط على الشجرة التي تطلب ببعض حواسك أن تأتيها وإن لم ترها انصرفت قال وكيف أقدر على ذلك ولم أعاين مغرسها حيث غرست ولا منبتها حيث نبتت ولا ثمرتها حيث طلعت قلت فإنه ينبغي لك أن يدلك عقلك حيث عجزت حواسك عن إدراك ذلك أن الذي غرس هذا البستان العظيم فيما بين المشرق والمغرب وغرس فيه هذه الأشجار والبقول هو الذي دل الحكيم الذي زعمت أنه وضع الطب على تلك العقاقير ومواضعها في المشرق والمغرب وكذلك ينبغي لك أن تستدل بعقلك على أنه هو الذي سماها وسمى بلدتها وعرف مواضعها كمعرفة صاحب الحديقة الذي سألته الثمرة وكذلك لا يستقيم ولا ينبغي أن يكون الغارس والدال عليها إلا الدال على منافعها ومضارها وقراريطها ومثاقيلها.

قال: إن هذا لكما تقول، أفرأيت لو كان خالق الجسد وما فيه من العصب واللحم والأمعاء والعروق التي يأخذ فيها الأدوية إلى الرأس وإلى القدمين وإلى ما سوى ذلك غير خالق الحديقة وغارس العقاقير هل كان يعرف زنتها ومثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكل داء منها وما كان يأخذ في كل عرق.

قال: وكيف يعرف ذلك أو يقدر عليه وهذا لا يدرك بالحواس ما ينبغي أن يعرف هذا إلا الذي غرس الحديقة وعرف كل شجرة وبقلة وما فيها من المنافع والمضار؟ قلت: أفليس كذلك ينبغي أن يكون الخالق واحدا لأنه لو كان اثنين أحدهما خالق الدواء والآخر خالق الجسد والداء لم يهتد غارس العقاقير لإيصال دوائه إلى الداء الذي بالجسد مما لا علم له به ولا اهتدى خالق الجسد إلى علم ما يصلح ذلك الداء من تلك العقاقير فلما كان خالق الداء والدواء واحدا أمضى الدواء في العروق التي برأ وصور إلى الداء الذي عرف ووضع فعلم مزاجها من حرها وبردها ولينها وشديدها وما يدخل في كل دواء منه من القراريط والمثاقيل وما يصعد إلى الرأس منها وما يهبط إلى القدمين منها وما يتفرق منه فيما سوى ذلك.

قال: لا أشك في هذا لأنه لو كان خالق الجسد غير خالق العقاقير لم يهتد واحد منهما إلى ما وصفت. قلت: فإن الذي دل الحكيم الذي وصفت أنه أول من خلط هذه الأدوية ودل على عقاقيرها المتفرقة فيما بين المشرق والمغرب ووضع هذا الطب على ما وصفت لك هو صاحب الحديقة فيما بين المشرق والمغرب وهو باني الجسد وهو دل الحكيم بوحي منه على صفة كل شجرة وبلدها وما يصلح منها من العروق والثمار والدهن والورق والخشب واللحاء وكذلك دله على أوزانها من مثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكل داء منها وكذلك هو خالق السباع والطير والدواب التي في مرارها المنافع مما يدخل في تلك الأدوية فإنه لو كان غير خالقها لم يدر ما ينتفع به من مرارها وما يضر وما يدخل منها في العقاقير فلما كان الخالق سبحانه وتعالى واحدا دل على ما فيه من المنافع منها فسماه باسمه حتى عرف وترك ما لا منفعة فيه منها فمن ثم علم الحكيم أي السباع والدواب والطير فيه المنافع وأيها لا منفعة فيه ولو لا أن خالق هذه الأشياء دله عليها ما اهتدى بها.

قال: إن هذا لكما تقول وقد بطلت الحواس والتجارب عند هذه الصفات. قلت: أما إذا صحت نفسك فتعال ننظر بعقولنا ونستدل بحواسنا هل كان يستقيم لخالق

هذه الحديقة وغارس هذه الأشجار وخالق هذه الدواب والطير والناس الذي خلق هذه الأشياء لمنافعهم أن يخلق هذا الخلق ويغرس هذا الغرس في أرض غيره مما إذا شاء منعه ذلك.

قال: ما ينبغي أن تكون الأرض التي خلقت فيها الحديقة العظيمة وغرست فيه الأشجار إلا لخالق هذا الخلق وملك يده. قلت فقد أرى الأرض أيضا لصاحب الحديقة لاتصال هذه الأشياء بعضها ببعض.

قال: ما في هذا شك. قلت: فأخبرني وناصح نفسك ألست تعلم أن هذه الحديقة وما فيها من الخلقة العظيمة من الإنس والدواب والطير والشجر والعقاقير والثمار وغيرها لا يصلحها إلا شربها وريها من الماء الذي لا حياة لشيء إلا به.

قال: بلى. قلت: أفترى الحديقة وما فيها من الذرء خالقها واحد وخالق الماء غيره يحبسه عن هذه الحديقة إذا شاء ويرسله إذا شاء فيفسد على خالق الحديقة.

قال: ما ينبغي أن يون خالق هذه الحديقة وذارئ هذا الذرء الكثير وغارس هذه الأشجار إلا المدبر الأول وما ينبغي أن يكون ذلك الماء لغيره وإن اليقين عندي لهو أن الذي يجري هذه المياه من أرضه وجباله لغارس هذه الحديقة وما فيها من الخليقة لأنه لو كان الماء لغير صاحب الحديقة لهلك الحديقة وما فيها ولكنه خالق الماء قبل الغرس والذرء وبه استقامت الأشياء وصلحت. قلت: أفرأيت لو لم يكن لهذه المياه المنفجرة في الحديقة مغيض لما يفضل من شربها يحبسه عن الحديقة أن يفيض عليها أليس كان يهلك ما فيها من الخلق على حسب ما كانوا يهلكون لو لم يكن لها ماء.

قال: بلى ولكني لا أدري لعل هذا البحر ليس له حابس وأنه شيء لم يزل. قلت: أما أنت فقد أعطيتني أنه لو لا البحر ومغيض المياه إليه لهلكت الحديقة.

قال: أجل. قلت: فإني أخبرك عن ذلك بما تستيقن بأن خالق البحر هو خالق الحديقة وما فيها من الخليقة وأنه جعله مغيا لمياه الحديقة مع ما جعل فيه من المنافع للناس.

قال: فاجعلني من ذلك على يقين كما جعلتني من غيره. قلت: ألست تعلم أن فضول ماء الدنيا يصير في البحر.

قال: بلى. قلت: فهل رأيته زائدا قط في كثرة الماء وتتابع الأمطار على الحد الذي لم يزل عليه، أو هل رأيته ناقصا في قلة المياه وشدة الحر وشدة القحط؟

قال: لا. قلت: أفليس ينبغي أن يدلك عقلك على أن خالقه وخالق الحديقة وما فيها من الخليقة واحد وأنه هو الذي وضع له حدا لا يجاوزه لكثرة الماء ولا لقلته وأن مما يستدل على ما أقول إنه يقبل بالأمواج أمثال الجبال يشرف على السهل والجبل، فلو لم تقبض أمواجه ولم تحبس في المواضع التي أمرت بالاحتباس فيها لأطبقت على الدنيا حتى إذا انتهت على تلك المواضع التي لم تزل تنتهي إليها ذلت أمواجه وخضع إشرافه.

قال إن ذلك لكما وصفت ولقد عاينت منه كل الذي ذكرت ولقد أتيتني ببرهان ودلالات وما أقدر على إنكارها ولا جحودها لبيانها. قلت: وغير ذلك سآتيك به مما تعرف اتصال الخلق بعضه ببعض وأن ذلك من مدبر حكيم عالم قدير ألست تعلم أن عامة الحديقة ليس شربها من الأنهار والعيون وأن أعظم ما ينبت فيها من العقاقير والبقول التي في الحديقة ومعاش ما فيها من الدواب والوحش والطير من البراري التي لا عيون لها ولا أنهار إنما يسقيه السحاب؟

قال: بلى. قلت: أفليس ينبغي أن يدلك عقلك وما أدركت بالحواس التي زعمت أن الأشياء لا تعرف إلا بها إنه لو كان السحاب الذي يحتمل من المياه إلى البلدان والمواضع التي لا تنالها ماء العيون والأنهار وفيها العقاقير والبقول والشجر والأنعام لغير صاحب الحديقة لأمسكه عن الحديقة إذا شاء ولكان خالق الحديقة من بقاء خليقته التي ذرأ وبرأ على غرور ووجل خائفا على خليقته أن يحبس صاحب المطر الماء الذي لا حياة للخليقة إلا به.

قال: إن الذي جئت به لواضح متصل بعضه ببعض وما ينبغي أن يكون الذي خلق هذه الحديقة وهذه الأرض وجعل فيها الخليقة وخلق لها هذا المغيض وأنبت فيها هذه الثمار المختلفة إلا خالق السماء والسحاب يرسل منها ما شاء من الماء إذا شاء أن يسقي الحديقة ويحيي ما في الحديقة من الخليقة والأشجار

والدواب والبقول وغير ذلك إلا أني أحب أن تأتيني بحجة أزداد بها يقينا وأخرج بها من الشك. قلت: فإني آتيك بها إن شاء الله من قبل إهليلجتك واتصالها بالحديقة وما فيها من الأشياء المتصلة بأسباب السماء لتعلم أن ذلك بتدبير عليم حكيم.

قال: وكيف تأتيني بما يذهب عني الشك من قبل الإهليلجة؟ قلت: فيما أريك فيها من إتقان الصنع وأثر التركيب المؤلف واتصال ما بين عروقها إلى فروعها واحتياج بعض ذلك إلى بعض حتى يتصل بالسماء.

قال: إن أريتني ذلك لم أشك. قلت: ألست تعلم أن الإهليلجة نابتة في الأرض، وأن عروقها مؤلفة إلى أصل وأن الأصل متعلق بساق متصل بالغصون والغصون متصلة بالفروع والفروع منظومة بالأكمام والورق وملبس ذلك كله الورق ويتصل جميعه بظل يقيه حر الزمان وبرده.

قال أما الإهليلجة فقد تبين لي اتصال لحائها وما بين عروقها وبين ورقها ومنبتها من الأرض فأشهد أن خالقها واحد لا يشركه في خلقها غيره لإتقان الصنع واتصال الخلق وائتلاف التدبير وإحكام التقدير. قلت: إن أريتك التدبير مؤتلفا بالحكمة والإتقان معتدلا بالصنعة محتاجا بعضه إلى بعض متصلا بالأرض التي رجت منه الإهليلجة في الحالات كلها أتقر بخالق ذلك؟

قال: إذن لا أشك في الوحدانية. قلت: فافهم وافقه ما أصف لك ألست تعلم أن الأرض متصلة بإهليلجتك وإهليلجتك متصلة بالتراب والتراب متصل بالحر والبرد والحر والبرد متصلان بالهواء والهواء متصل بالريح والريح متصلة بالسحاب والسحاب متصل بالمطر والمطر متصل بالأزمنة والأزمنة متصلة بالشمس والقمر والشمس والقمر متصلتان بدوران الفلك والفلك متصل بما بين السماء والأرض صنعة ظاهرة وحكمة بالغة وتأليف متقن وتدبير محكم متصل كل هذا ما بين السماء والأرض لا يقوم بعضه إلا ببعض ولا يتأخر واحد منهما عن وقته ولو تأخر عن وقته لهلك جميع من في الأرض من الأنام والنباتات.

قال: إن هذه لهي العلامات البينات والدلالات الواضحات التي يجري معها أثر التدبير بإتقان الخلق والتأليف مع إتقان الصنع لكني لست أدري لعل ما تركت غير متصل بما ذكرت. قلت: وما تركت.

قال: الناس. قلت: ألست تعلم أن هذا كله متصل بالناس سخره لها المدبر الذي أعلمتك أنه إن تأخر شيء مما عددت عليك هلكت الخليقة وباد جميع ما في الحديقة وذهبت الإهليلجة التي تزعم أن فيها منافع الناس.

قال: فهل تقدر أن تفسر لي هذا الباب على ما لخصت لي غيره. قلت: نعم أبين لك ذلك من قبل إهليلجتك حتى تشهد أن ذلك كله مسخر لبني آدم.

قال: وكيف ذلك؟ قلت: خلق الله السماء سقفا مرفوعا ولو لا ذلك اغتم خلقه لقربها وأحرقتهم الشمس لدنوها وخلق لهم شهبا ونجوما يهتدى بها في ظلمات البر والبحر لمنافع الناس ونجوما يعرف بها أصل الحساب فيها الدلالات على إبطال الحواس ووجود معلمها الذي علمها عباده مما لا يدرك علمها بالعقول فضلا عن الحواس ولا يقع عليها الأوهام ولا يبلغها العقول إلا به لأنه العزيز الجبار الذي دبرها وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا يسبحان في فلك يدور بهما دائبين يطلعهما تارة ويؤفلهما أخرى فبنى عليه الأيام والشهور والسنين التي هي من سبب الشتاء والصيف والربيع والخريف أزمنة مختلفة الأعمال أصلها اختلاف الليل والنهار اللذين لو كان واحد منهما سرمدا على العباد لما قامت لهم معايش أبدا فجعل مدبر هذه الأشياء وخالقها النهار مبصرا والليل سكنا وأهبط فيهما الحر والبرد متبائنين لو دام واحد منهما بغير صاحبه ما نبتت شجرة ولا طلعت ثمرة ولهلكت الخليقة لأن ذلك متصل بالريح المصرفة في الجهات الأربع باردة تبرد أنفاسهم وحارة تلقح أجسادهم وتدفع الأذى عن أبدانهم ومعايشهم ورطوبة ترطب طبائعهم ويبوسة تنشف رطوباتهم وبها يأتلف المفترق وبها يتفرق الغمام المطبق حتى ينبسط في السماء كيف يشاء مدبره فَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ بقدر معلوم لمعاش مفهوم وأرزاق مقسومة وآجال مكتوبة ولو احتبس عن أزمنته ووقته هلكت الخليقة ويبست الحديقة فأنزل الله المطر في أيامه ووقته إلى الأرض التي خلقها لبني آدم وجعلها فرشا ومهادا وحبسها أن تزول بهم وجعل الجبال لها أوتادا وجعل فيها ينابيع تجري في الأرض بما تنبت فيها لا تقوم الحديقة والخليقة إلا بها ولا يصلحون إلا عليها مع البحار التي يركبونها ويستخرجون منها حلية يلبسونها ولحما طريا وغيره يأكلونه فعلم أن إله البر والبحر والسماء والأرض وما بينهما واحد حي قيوم مدبر حكيم وأنه لو كان غيره لاختلفت الأشياء وكذلك السماء نظير الأرض التي أخرج

الله منها حَبًّا وعِنَباً وقَضْباً وزَيْتُوناً ونَخْلًا وحَدائِقَ غُلْباً وفاكِهَةً وأَبًّا بتدبير مؤلف مبين بتصوير الزهرة والثمرة حياة لبني آدم ومعاشا يقوم به أجسادهم وتعيش بها أنعامهم التي جعل الله في أَصْوافِها وأَوْبارِها وأَشْعارِها أَثاثاً ومَتاعاً إِلى حِينٍ والانتفاع بها والبلاغ على ظهورها معاشا لهم لا يحيون إلا به وصلاحا لا يقومون إلا عليه وكذلك ما جهلت من الأشياء فلا تجهل أن جميع ما في الأرض شيئان شيء يولد وشيء ينبت أحدهما آكل والآخر مأكول ومما يدلك عقلك أنه خالقهم ما ترى من خلق الإنسان وتهيئة جسده لشهوة الطعام والمعدة لتطحن المأكول ومجاري العروق لصفوة الطعام وهيأ لها الأمعاء ولو كان خلق المأكول غيره لما خلق الأجساد مشتهية للمأكول وليس له قدرة عليه.

قال: لقد وصفت صفة أعلم أنها من مدبر حكيم لطيف قدير عليم قد آمنت وصدقت إن الخالق واحد سبحانه وبحمده غير أني أشك في هذه السمائم القاتلة أن يكون هو الذي خلقها لأنها ضارة غير نافعة. قلت: أليس قد صار عندك أنها من غير خلق الله؟ **قال: نعم لأن الخلق عبيده ولم يكن ليخلق ما يضرهم** قلت سأبصرك من هذا شيئا تعرفه ولا أنبئك إلا من قبل إهليلجتك هذه وعلمك بالطب؟ **قال: هات؟** قلت: هل تعرف شيئا من النبت ليس فيه مضرة للخلق؟ **قال: نعم.** قلت: ما هو؟ **قال: هذه الأطعمة.** قلت: أليس هذا الطعام الذي وصفت يغير ألوانهم ويهيج أوجاعهم حتى يكون منها الجذام والبرص والسلال والماء الأصفر وغير ذلك من الأوجاع؟ **قال: هو كذلك.** قلت: أما هذا الباب فقد انكسر عليك. **قال: أجل.** قلت: هل تعرف شيئا من النبت ليس فيه منفعة؟ **قال: نعم.** قلت: أليس يدخل في الأدوية التي يدفع بها الأوجاع من الجذام والبرص والسلال وغير ذلك ويدفع الداء ويذهب السقم مما أنت أعلم به لطول معالجتك؟ **قال: إنه كذلك** قلت فأخبرني أي الأدوية عندكم أعظم في السمائم القاتلة أليس الترياق؟ **قال: نعم هو رأسها وأول ما يفرغ إليه عند نهش الحيات ولسع الهوام وشرب السمائم.** قلت: أليس تعلم أنه لا بد للأدوية المرتفعة والأدوية المحرقة في أخلاط الترياق إلا أن تطبخ بالأفاعي القاتلة؟

قال: نعم هو كذلك، ولا يكون الترياق المنتفع به الدافع للسمائم القاتلة إلا بذلك ولقد انكسر على هذا الباب فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه خالق السمائم القاتلة والهوام العادية وجميع النبت والأشجار وغارسها ومنبتها وبارئ

الأجساد وسائق الرياح ومسخر السحاب وأنه خالق الأدواء التي تهيج بالإنسان كالسمائم القاتلة التي تجري في أعضائه وعظامه ومستقر الأدواء وما يصلحها من الدواء العارف بالروح ومجري الدم وأقسامه في العروق واتصاله بالعصب والأعضاء والعصب والجسد وأنه عارف بما يصلحه من الحر والبرد عالم بكل عضو بما فيه وأنه هو الذي وضع هذه النجوم وحسابها والعالم بها والدال على نحوسها وسعودها وما يكون من المواليد وأن التدبير واحد لم يختلف متصل فيما بين السماء والأرض وما فيها فبين لي كيف؟

قلت: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وأشباه ذلك، قلت هو الأول بلا كيف وهو الآخر بلا نهاية ليس له مثل خلق الخلق والأشياء لا من شيء ولا كيف بلا علاج ولا معاناة ولا فكر ولا كيف كما أنه لا كيف له وإنما الكيف بكيفية المخلوق لأنه الأول لا بدء له ولا شبه ولا مثل ولا ضد ولا ند لا يدرك ببصر ولا يحس بلمس ولا يعرف إلا خلقه تبارك وتعالى.

قال: فصف لي قوته. قلت إنما سمي ربنا جل جلاله قويا للخلق العظيم القوي الذي خلق مثل الأرض وما عليها من جبالها وبحارها ورمالها وأشجارها وما عليها من الخلق المتحرك من الإنس ومن الحيوان وتصريف الرياح والسحاب المسخر المثقل بالماء الكثير والشمس والقمر وعظمهما وعظم نورهما الذي لا تدركه الأبصار بلوغا ولا منتها والنجوم الجارية ودوران الفلك وغلظ السماء وعظم الخلق العظيم والسماء المسقفة فوقنا راكدة في الهواء وما دونها من الأرض المبسوطة وما عليها من الخلق الثقيل وهي راكدة لا تتحرك غير أنه ربما حرك فيها ناحية والناحية الأخرى ثابتة وربما خسف منها ناحية والناحية الأخرى قائمة يرينا قدرته ويدلنا بفعله على معرفته فلهذا سمي قويا لا لقوة البطش المعروفة من الخلق ولو كانت قوته تشبه قوة الخلق لوقع عليه التشبيه وكان محتملا للزيادة وما احتمل الزيادة كان ناقصا وما كان ناقصا لم يكن تاما وما لم يكن تاما كان عاجزا ضعيفا والله عز وجل لا يشبه بشيء وإنما قلنا إنه قوي للخلق القي وكذلك قولنا العظيم والكبير ولا يشبه بهذه الأسماء الله تبارك وتعالى.

قال: أفرأيت قوله سميع بصير عالم. قلت إنما يسمى تبارك وتعالى بهذه الأسماء لأنه لا يخفى عليه شيء مما لا تدركه الأبصار من شخص صغير أو كبير

أو دقيق أو جليل ولا نصفه بصيرا بلحظ عين كالملوق وإنما سمي سميعا لأنه ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ ولا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ ولا أَدْنى مِنْ ذلِكَ ولا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا يسمع النجوى ودبيب النمل على الصفا وخفقان الطير في الهواء لا تخفى عليه خافية ولا شيء مما أدركته الأسماع والأبصار وما لا تدركه الأسماع والأبصار ما جل من ذلك وما دق وما صغر وما كبر ولم نقل سميعا بصيرا كالسمع المعقول من الخلق وكذلك إنما سمي عليما لأنه لا يجهل شيئا من الأشياء لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء علم ما يكون وما لا يكون وما لو كان كيف يكون ولم نصف عليما بمعنى غريزة يعلم بها كما أن للخلق غريزة يعلمون بها فهذا ما أراد من قوله عليم فعز من جل عن الصفات ومن نزه نفسه عن أفعال خلقه فهذا هو المعنى ولو لا ذلك ما فصل بينه وبين خلقه فسبحانه وتقدست أسماؤه.

قال: إن هذا لكما تقول ولقد علمت أنما غرضي أن أسأل عن رد الجواب فيه عند مصرف يسنح عني فأخبرني لعلي أحكمه فيكون الحجة قد انشرحت للمتعنت المخالف أو السائل المرتاب أو الطالب المرتاد مع ما فيه لأهل الموافقة من الازدياد فأخبرني عن قوله لطيف وقد عرفت أنه للفعل ولكن قد رجوت أن تشرح لي ذلك بوصفك. قلت: إنما سميناه لطيفا للخلق اللطيف ولعلمه بالشيء اللطيف مما خلق من البعوض والذرة ومما هو أصغر منهما لا يكاد تدركه الأبصار والعقول لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته لا يعرف من ذلك لصغره الذكر من الأنثى ولا الحديث المولود من القديم الوالد فلما رأينا لطف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للسفاد والهرب من الموت والحدب على نسله من ولده ومعرفة بعضها بعضا وما كان منها في لجج البحار وأعنان السماء والمفاوز والقفار وما هو معنا في منزلنا ويفهم بعضهم بعضا من منطقهم وما يفهم من أولادها ونقلها الطعام إليها والماء علمنا أن خالقها لطيف وأنه لطيف بخلق اللطيف كما سميناه قويا بخلق القوي.

قال: إن الذي جئت به لواضح فكيف جاز للخلق أن يتسموا بأسماء الله تعالى. قلت: إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أباح للناس الأسماء ووهبها لهم وقد قال القائل من الناس للواحد واحد ويقول لله واحد ويقول قوي والله تعالى قوي ويقول صانع والله صانع ويقول رازق والله رازق ويقول سميع بصير والله سميع بصير

وما أشبه ذلك فمن قال للإنسان واحد فهذا له اسم وله شبيه والله واحد وهو له اسم ولا شيء له شبيه وليس المعنى واحدا وأما الأسماء فهي دلالتنا على المسمى لأنا قد نرى الإنسان واحدا وإنما نخبر واحدا إذا كان مفردا فعلم أن الإنسان في نفسه ليس بواحد في المعنى لأن أعضاءه مختلفة وأجزاءه ليست سواء ولحمه غير دمه وظمه غير عصبه وشعره غير ظفره وسواده غير بياضه وكذلك سائر الخلق والإنسان واحد في الاسم وليس بواحد في الاسم والمعنى والخلق فإذا قيل لله فهو الواحد الذي لا واحد غيره لأنه لا اختلاف فيه وهو تبارك وتعالى سميع وبصير وقوي وعزيز وحكيم وعليم فتعالى الله أحسن الخالقين.

قال: فأخبرني عن قوله رءوف رحيم وعن رضاه ومحبته وغضبه وسخطه.
قلت: إن الرحمة وما يحدث لنا منها شفقة ومنها جود وإن رحمة الله ثوابه لخلقه والرحمة من العباد شيئان أحدهما يحدث في القلب الرأفة والرقة لما يرى بالمرحوم من الضر والحاجة وضروب البلاء والآخر ما يحدث منا من بعد الرأفة واللطف على المرحوم والرحمة منا ما نزل به وقد يقول القائل انظر إلى رحمة فلان وإنما يريد الفعل الذي حدث عن الرقة التي في قلب فلان وإنما يضاف إلى الله عز وجل من فعل ما حدث عنا من هذه الأشياء وأما المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه فهو رحيم لا رحمة رقة وأما الغضب فهو منا إذا غضبنا تغيرت طبائعنا وترتعد أحيانا مفاصلنا وحالت ألواننا ثم نجيء من بعد ذلك بالعقوبات فسمي غضبا فهذا كلام الناس المعروف والغضب شيئان أحدهما في القلب وأما المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله جل جلاله وكذلك رضاه وسخط ورحمته على هذه الصفة جل وعز لا شبيه له ولا مثل في شيء من الأشياء.

قال: فأخبرني عن إرادته. قلت: إن الإرادة من العباد الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل وأما من الله عز وجل فالإرادة للفعل إحداثه إنما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بلا تعب ولا كيف قال قد بلغ حسبك فهذه كافية لمن عقل والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الذي هدانا من الضلال وعصمنا من أن نشبهه بشيء من خلقه وأن نشك في عظمته وقدرته ولطيف صنعه وجبروته جل عن الأشباه والأضداد وتكبر عن الشركاء والأنداد

آداب عبـــــــد المطّلـــــــب

لجعفر بن محمد بن المفضل بن عمرو

يحتوي هذا الكتاب على آداب عامّة تتعلّق بمطابقه الفكرة العلوية بين الشّريعة والتّطبيق، الّذي جعل منه العلويّون صورة من التّطبيق على الحياة والمعيشة، واختلفوا في أنّ إقامة هذه التّكاليف الباطنة تغني عن العقيدة الباطنة أم أنها لا تغني، ففي طريقة الجنّان ومحمد بن شعبة الحرّاني نجد التّركيز على الظّاهر وعدم قبول الباطن بدون إقامة الظّاهر، ولكن الشّيخ أبا سعيد ناقل الرّسالة يجعل الباطن يغني عن الظّاهر. فتكون هذه الرّسالة آداباً عامّة توارثها العلويّون كتراث حضاريّ يزخر بالتّقاليد ذات المعاني، فكل شيء وكلّ عملٍ وأمرٍ ونهيٍ يحتمل الوجه الباطن كما يحتمل الوجه الظّاهر.

و هو لجعفر بن محمّد بن المفضّل رواية الشّابّ الثّقة أبو سعيد ميمون بن القاسم الطّبراني – قدّس الله روحه – قال:

حدّثني الشّيخ الثّقة أبي الحسين محمّد بن عليّ الجلّيّ –قدّس الله روحه وشرّف مقامه–، قال: وافا شيخنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي، علاّ الله درجته. وقال في ذلك أبيات شعر وهذا هو وبالله التّوفيق:

آداب عبـــــــد المطّلـــــــب قـــد جمعـــت غـــرّ النّجـــب
يـــا طالـــب العلـــم إقتـــبس مـــن نورهـــا تـــرى العجـــب
و إن عملـــــت بالّـــــذي قـــد قالـــه نلـــت الأرب

رواه عن محمّد بن عبد الله الفارسي، عن اسحاق بن محمّد البصريّ. يرفع الإسناد إلى محمّد بن المفضّل قال جعفر البصريّ: دخلت يوماً إلى إسحق بن محمّد البصريّ، فرأيته جالساً عند محمّد بن عبد الله بن مهران الكوفيّ، والحسن بن حمّاد، ومدرك بن يزيد الأرمني، ونفر من أصحابه البالغين، وقد سألوه عن معالم دينهم وعن ما يحتاج الرّجل إليه إذا بلغ المعرفة أن يستعمله.

فقال: الحمد لله الّذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وعلى يده جرت البركات، وبمعرفته تزول الشّبهات. وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيرا.

إعلم أيّدك الله أنّ المعنى أحدٌ أحد فردٌ صمد لا يعرف بغيره، وخلقه يعرفون به، فكلّ صورةٍ يظهر بها المعنى هي صفة من صفاته وإسم من أسمائه، والله عزّ وجلّ لا تقع عليه صفة ولا حدّ ولا إسم له ولا صفة، فإسمه غيره وهو غير اسمه، وصفته غيره، وهو غير صفته، فتعالى الأزل أن يحدّ أو يوصف أو يُرى إلاّ بما شاء من إسمائه الّتي إستخصّها لنفسه فجعلها أسماء ظاهرة نورانيّة. ونطق، **فأسماؤه غيره وهو غيرها**. قوله تعالى: «اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُو لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنى» وقوله تعالى:«ولِلَّهِ الأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها» أي فادعو المحتجب بها وهو المعنى الّذي قال: أنا معنى كلّ غاية. والغاية محمّد الّذي أنطقت دونه الغايات، ومحمّد خلق من خلق الله إستخصّه واستخلصه من غير حاجةٍ فأقامه المقام المحمود.

والمقامات كلّها الظّاهرة في باب الإمامة النّاطقة بالوصيّة بيوتٌ استخصّها وأظهر بها من غير أن يكون تحرّك عن كيانه، لأنّه عزّو جلّ صرف أبصار المخلوقين عن النّظر إليه إلاّ كما يشاء وفيما يشاء من صغير الخلق وكبيرهم وكلّما سوى المعنى فهو معروفاً بغيره، وهو خلقٌ من خلقه، ولو لم يظهر بذاته لما صحّ الوجود ولا ثبت العيان ولا أقامت الحجّة على الخلق، وإنّما ظهر بذاته ليؤخذ بأدابه وآثاره، ولكنّه عزّ وجلّ ظهر بهذه الصّورة المرئيّة إمتحانٌ للعالم ليؤمن به من يؤمن ويكفر من يكفر، أعاذنا الله وإيّاكم من الكفر والزّيغ وركوب الشّهوات والقول بالشّبهات، فمن أراد منكم الإرتقاء في المعرفة ودخول الجّنان النّيّرة فعليه بمثل هذا التّوحيد الّذي بيّنته لكم، وهذا هو التّوحيد الخالص لله، كما جاء في الذّكر الحكيم قوله تعالى: «و قالَ اللَّهُ لا تَتَّخذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُو إِلهٌ واحدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» وقوله تعالى:«ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ» وقوله تعالى:«ما يَكُونُ

منْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إلاَّ هُو رابِعُهُمْ ولا خَمْسَةٍ إلاَّ هُو سادِسُهُمْ ولا أَدْنى مِنْ ذلكَ ولا أَكْثَرَ إلاَّ هُو مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا». فهو أحد فردٌ صمد. لا يقع عليه عدد، ولا يتبعّض، ولا يتشعّب، ولا يحول، ولا يزول من حال إلى حال، ولا يتغيّر عن كيانه وإن ظهر بعيانه. وهو العليّ العظيم.

و إنّما يقع العدد والتّبعيض على نفسه المحذّرة الّذي هو الإسم الظّاهر بخمس أشخاص، وهم الأشباح الخمسة محمّد وفاطر والحسن والحسين ومحسن الخفي، والقديم الأزل يجلّ عن الأشخاص والصّور وتعالى أن يحاط أو يعاين بنظر، وكيف يحاط بنظر من لا شبيه له ولا نظير ولا عديل. والصّور والمثال والأسماء والمقامات كلّها دونه، وخلقٌ من خلقه، جلّ وتعالى.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله واجتناب الأضداد وإيثار معرفته الّتي بها نجاة كلّ مؤمن، دقّ وجلّ صغر أم كبر، فتأدّبوا أيّها المؤمنون بوصيّتي وآمنوا بربّكم قبل الحسرة والنّدامة حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز:«يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ واخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِه ولا مَوْلُودٌ هُو جازٍ عَنْ والِدِه شَيْئاً» وقوله تعالى: «واتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ولا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ ولا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ ولا هُمْ يُنْصَرُونَ» وقوله تعالى:«واتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيه إِلَى اللَّه ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ» وقال تعالى:«اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ» واليوم عبده وخلقه، وهو محمّد بن عبد الله وظهوره، لأن المعرفة والتّوحيد لا يكونان إلاّ عند المؤمنين البالغين المعرفة، إلاّ أنّ لكلّ شيءٍ زكاة، وزكاة المؤمن في آخرته هديّته العلم إلى إخوانه وكتمان دينه ومعرفة الله عن الأضداد المخالفين، وقربان كلّ مؤمن البراء من ولاية الأضداد الكافرين بالله، والكفر هو الهرم، وقلّة مخالطة العامّة هي النّجاة، والنّجاة هو الجّهاد للتّلميذ، وجهاد التّلميذ رضا العالم، والتّلميذ بمنزلة المرأة والسّيّد بمنزلة الزّوج، وأفضل الأعمال بعد معرفة الله العلم وبرّ الإخوان والسّعي في قضاء حوائجهم، والعلم بلا عمل كالفلك الّتي يركبها الرّاكب بلا ملاّح، فالملاّح في الباطن هو الباب، والفلك هو السّفينة الّذي من ركبها نجا ومن تخلّف عنها ضلّ وهوى.

أطلبوا العلم من العلماء بالرّفق والتّودّد، فالعلم هو الرّزق، وأكتموا معرفة الله عن غير أهلها تنجوا، فمن أذاع سرّ الله وسرّ والديه فقد بريء منهما، وأفضل

العبادة المعرفة، وإنتظار دعوة الدّاعي، والغنى هو الإيمان والفقر هو الكفر، **فإذا رأيتم المجذوم فاجتنبوه** لأنّه هو القاذف في المؤمنين عند الكافرين، ولا تميلوا بسرّكم إليه، **وإجتنبوا الأبرص** في ذلك، فإنّ الأبرص قد شهر بالمؤمنين في محافل الكافرين فشهّره الله في البرص، ومن عرف ماية مؤمن في زمانه وسلموا من لسانه أن يقول فيهم سوءاً صرف الله عنه ماية قالب من قوالب البشريّة قد وجب عليه أن يسكنها.

وإذا أراد المؤمن المسئلة عن إخوانه المؤمنين فليسارع بالمسير والسّعي في قضاء حوائجهم وحقوقهم فإنّ في ذلك نجاته، وخير رجالكم من عمل بطاعة الله، وشرّ رجالكم من عمل بطاعة الشّيطان، ولا تميلوا إلى علم الظّاهر ما دمتم تصيبون العلوم الباطنة، والنّجاة من النّار نجاة المؤمن بمعرفة الله ومعرفة إسمه وبابه في النّورانيّة، ولكلّ داء دواء، ودواء الذّنوب الإستغفار، ومصافحة الإخوان المؤمنين كفّارة الذّنوب، فمن كثرت ذنوبه فليصافح إخوانه المؤمنين، ومعرفة أمير المؤمنين بالحقيقة هي نجاة العارف.

إذا سمعتم الدّاعي يدعو إلينا فأجيبوه بالتّلبية، وإجتنبوا الميت (المنيّة) وهو الكفر، ومن خاف القصاص كفّ عن مظالم النّاس، والقصاص هو التّراكيب في أنواع العذاب، من توكّل على الله وقنع بمعرفته ورضي بإخوانه كفاه الله البيوت الكثيفة وأناله الخير فيهم، خذوا معالم دينكم من علمائكم الّذين هم أعلم منكم بمعرفة الله، أعرفكم بالله من تفكّر، وتفكّروا في ملكوت الله ومعرفته فإنّه يذهب عنكم الشّيطان، والإيمان يزين العبد والكفر يشينه، وطاعة الشّيطان ندامة، جاهدوا عدوّكم، وهي النّفس الأمّارة بالسّوء.

الصّدقة تدفع ميتة السّوء، والصّدقة هي مطارحة العلم بين من هو دونه في المعرفة وميتة السّوء هي الكفر بالله، من ذكر محمّد صلعم وعلى آله عنده ولم يعرفة بالنّورانيّة فهو من الّذين لا يعلمون، وهم الّذين جحدوا ربوبيّة الله.

من سألكم علماً فاعطوه على مقدار مقامه إذا كان من أهله، وإذا كان من غير أهله فاقطعوا يديه ورجليه من خلاف وقال الله عزّ وجلّ:«والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» والسّارق والسّارقة

هم الّذين يطلبون علوم الله زناً ورياء ويعاندان العلماء على ذلك ويأخذونها من غير شكر، فاقطعوا أيديهما أي اقطعوا عنهم العلم والمعرفة بما أصرّا على المعاندة، قال الله تعالى: «إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ ويَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ مِنْ خلافٍ أَو يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ» أي الّذين يحاربون الله ورسوله هم: المقزمنة والمقصّرة والمفوّضة والموحّدة المرائية المعاندة للمؤمنين، فالله أمير النّحل، ورسوله محمّد، ويسعون في الأرض فساداً هم الأضداد، والأرض الأبواب وأصحاب المراتب، مثل الأيتام والنّقبا والنّجبا والمختصّين والمخلصين والممتحنين والمؤمنين وجميع أهل المراتب كلّ على مقداره، وأن يقتلوا أي يكفروا أو يصلبوا، والصّلب إخراجهم أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أي يمنعون العلوم الباطنة فيتركون على أهوائهم يمرحون وينفون من الأرض لا يكلّمون ولا يعاشرون ويخرجون من حدّ الإيمان إلى حدّ الجّحود والإنكار، ذلك لهم خزي في الدّنيا أي لسوء معاملتهم للمؤمنين، ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم، أي عذاب النّار في الهياكل الضّيّقة الّتي يجري عليها الذّبح في كلّ وقت وزمان.

من إستعاذ من الشّيطان فأعيذوه من سألكم أنّه يزيل عنه وعن نفسه الشّيطان والشّكوك بالعلوم فاعطوه على مقداره، عقّلوا أولادكم أي أخرجوهم من الظّلمة إلى النّور وإسقاط الشّعر نفي الظّلمة.

إذا أتاكم السّائل المستحقّ الطّالب معرفة الله فاعطوه من نشا موائدكم: أي إذا أتاكم السّائل المستحقّ الطّالب معرفة الله فاعطوه مثل ما تعطون تلاميذكم، والتّلميذ الطّالب والمائدة الباب والنّشار العلم الّذي يخرج منه، فإذا شكّ في معرفة الله فليخرج الشّكّ عن قلبه بمسألته وسلّمه إلى من هو فوقه في العلم والمعرفة حتّى يعرف أمره فيرجع عن شكّه والشّكّ بالله كافر قال الله تعالى:«فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ » وقوله تعالى:«ومَنْ يَكْفُرْ بِالإِيْمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وهُو فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ» وقوله تعالى:«وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وهُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، فالكلمات هم الرّسل أي لا تشكّوا في رسلي فإنّ الشّكّ من عمل الشّيطان تزاوروا وتحابّوا، أي تزاوروا في المعرفة وتحاببوا في الصّفوة.

و قالت أهل الفضل أربعة من السّعادة لا يتمّ الإيمان إلاّ بها وهي: معرفة الرّبّ، والعلم الباطن، والتّلميذ الصّالح، والرّابعة الأخ الشّفوق المؤاتي أخاه لما يريده، وقيل: أربعة من أعطيهنّ فقد أعطي ملك الدّنيا والآخرة، وهي الصّفوة للإخوان من غير علّة، وإتّباع الحقّ من غير ملّة، وترك الباطل، والرّؤية والمقام العلم الباطن، وقيل تهادوا العلم بينكم تهتدون إلى الطّريق الأعظم والبلد الأيمن، فإنّ في الهديّة زوال الشّحنة، يعني هديّة العلم زوال الشّكّ عنكم، **صافحوا إخوانكم المؤمنين** فيزيل الله عنكم الهمّ والفقر والعلل والأسقام، **أكتموا دينكم عن غير أهله تغنموا** أي بصحّة البدن، حسن الحال على ثلاث وجوه مكافأة ونحلة ومحبّة، بذل الرّجل ماله ونفسه وعلمه لإخوانه العارفين يمنع ميتة السّوء، وميتة السّوء هي الكفر، صاحب العلوم الباطنة العارف بها وبمعناها والعامل بما أمر الله به يرى ربّه بالنّورانيّة، **صلة الرّحم مواصلة المؤمنين زيادةٌ في المعرفة** ونفيٌ للشّكّ، **ما نقص مال من صدقة** أي ما نقص علم بذل لأهله، وبالعلم يرفع الله عن المؤمنين الكفر والشّرك والفسوق وأنواع العذاب.

أفضل الأعمال بذل العلوم الباطنة للمؤمن العارف بالله، وقبل الشّروع في بذله يجب التّأكّد من شرعيّة مستحقّيه، من سأل عن العلم وقيل عن المعرفة، فلا تجيبوه إلاّ من ثبت على معرفة الله وسلّم ذلك إلى ربّه في كلّما أخذ منه أخرجه الله من ظلمة الكدر إلى الصّفوة، ومن فتح الله عليه في المعرفة فليسعى في قضاء حوائج المؤمنين ليكون إيمانه كاملاً، لأنّ الإيمان لا يكمل إلاّ في القيام بالحقوق.

إتّقوا فراسة المؤمن، يعني دعاؤه، لأنّه ينظر بنور الله، أي يدعو بإذن الله، المؤمن مرآة أخيه المؤمن، يعني أن يعطيه من العلوم الباطنة إذا حضر، ويدعو له إذا غاب، ويرفع قدره عند المؤمنين، وليس منّا أهل الإيمان من أفسد تلميذاً على سيّده.

المعرفة زين المؤمن والعلم يكرمه، العمل إيمانه والتّوحيد آلته، إتّقوا جدال المشركين، ولا تقاتلوهم، وقيل: لا تجالسوهم فيضلّونكم، فإنّ المجادل في النّار، وسلّموا على علمائكم بما تتفقّهون به من العلوم الباطنة تسلموا من الضّنك والبلوى، ومهما زاد الرّجل من المعرفة والإيمان بربّه فليزداد في المؤمنين محبّة وفهماً

ومعرفة، **ولا تشكّوا في اليتيمين** فإنّ من شكّ فيهما هلك، ومن إتّبع الأضداد وقاطع إخوانه بعد عن الله وكان في الآخرة من الخاسرين.

أفضل المؤمنين من لم يقارب الأضداد، فإذا تمّ التّقرّب إلى الله فتقرّبوا ببواطن علمه، وإذا استبعدتم النّاس فبالعلوم الظّاهرة أبعدوهم واخرجوهم، وأبعد المنازعين لكم في دينكم ممّن يدّعي شيئاً أنّه عليه، ولا تقربوهم مساجدكم ولا جماعاتكم، وقيل خصّوا أولياء الله بالتّسليم والرّحب، وتباعدوا عن المذيعين للسّرّ فإنّهم يريدون بذلك الرّياء والسّمعة والرّياسة.

و من طلب العلم على بصيرة فلا تمنعوه فإنّه النّاجي، ومن طلبه على غير بصيرةٍ فداروه وألقوا إليه الكلمة بعد الكلمة حتّى يتطهّر قلبه وتزداد بصيرته، ومن طلب عناداً فلا تعطوه شيئاً وإمنعوه وتأدّبوا بآداب الله عزّ وجلّ حيث يقول:«فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ» وقوله: «ولا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» ثمّ قال: المستهزيء بالمؤمنين بغير يقين يستهزيء بنفسه في النّار كما كان يفعل بالمؤمنين في دار الدّنيا، وقيل إنّ الملائكة تصعد بعمل العبد إلى السّماء، فإن كان العمل فاسداً فيقول الله عزّ وجلّ إجعلوا عمله في سجّين، وإن كان صالحاً يفتح الله له سبعون باباً من أبواب الرّحمة والتّوبة والمغفرة، وقال الله تعالى في حقّ المستهزئين: «وإذا لَقُوا الَّذينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وإذا خَلَوْا إلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ويَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ».

وإنّ أعلى الإيمان المعرفة به لا بغيره، فإنّ غيره مخلوق وهو خالق، وأدناها إماطة الأذى عن الطّريق وهو إزالة الضّدّ عن الحقّ، وقيل لا تطلعوا الأحمق على معرفة الله فإنّه الحمق الحميق ممّن قال الله سبحانه وتعالى فيهم ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم وهم: الأحمق، والمتأكّل بدينه، والمجادل في معرفة الله. والأحمق هو الحروق الّذي أبداً ينصر الأشرار مع المؤمنين ويغضب من أدنى شيء ويرضى من أدنى شيء قوله تعالى:«إِنَّ الَّذينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ».

ثلاث دعوات مستجابات دعوة المؤمن الممتحن ودعوة المؤمن المظلوم الطّالب على عدوّه ودعوة المؤمن، وقيل العالم على تلميذه.

ومعرفة الله تبعد الشّيطان عنكم، والعلم الباطن ينوّر القلب، وطهارة المؤمنين تكسر ظهر الشّيطان، والعمل الصّالح ومحبّة الإخوان تقطع دائرته، وبرّ الإخوان يرضي الرّحمن ويقطع وثبة الشّيطان، ومجانبة الضدّ رضا الرّبّ.

و من عرف الله حقّ معرفته ثمّ أحبّ الأضداد فقد كفر بالله وكان الله منه بريء، لا دين لمن إتّبع الأضداد على أن يغلب الوليّ، ما أقبح الجّهل بعد المعرفة والكفر بعد الإيمان، وأقبح من هذين رجلٌ عارفٌ أذنب ذنباً سلبه الله المعرفة، والذّنب الّذي بسببه سلبه الله للإنسان المعرفة هو البغي على الوليّ، من عرف الله في غيبته فهو العارف به عند ظهوره ومن غاب عنه ربّه وقع في التّيه فليسأل من هو أعلم منه بربّه عن الغيبة والظّهور والنّقلة ليعرّفه ذلك، وكلّما قال له العالم امتثله، وإن بقي في شكٍّ وتيهٍ فهو ملعون، من إنتبه من نومه وهو عارفٌ بربّه فارق الضّنك ونجا من العبوديّة.

ومن قال أنا من ولد عليّ فهو من أولياء الطّاغوت، ومن قال أنا من ولد فاطمة فهو في عقاب النّار يتردّد. فقال له محمّد بن عبد الله بن مهران، وإن كان موحّداً مؤمناً، فقال: **يتبرّأ من هذا النّسب لأنّ العلويّ هو المطّلع على معرفة الله، فإنّه يحتجّ عند العامّة في هذه النّسبة على أهل الظّاهر، وعند المؤمنين لا يتعرّف المؤمن الموحّد بأنّه علويٌّ، ولا يفتخر على المؤمنين في هذه النّسبة وله أن يتبرّأ منها**، وأن يقول أنّ المؤمن أجلّ من العلويّ الّذي لا يعرف الله، فإذا العلويّ عرف الله كان أجلّ من المؤمن الّذي عرف الله.

ثمّ قال: أجمل القول، وأمن الحسد، والله وما الحسد إلاّ فيهم، إن سمّعوهم المؤمنين شيئاً يا أخي من علوم الله حسدوهم وإن أعطوهم كشفوا أمرهم وأذاعوا سرّهم، وروى عنهم وإدّعوه لأنفسهم وزعموا أنّ كلامهم مفترض طاعته على المؤمنين ويحبّون أن يكون النّاس كلّهم محتاجون إليهم في العلم والمعرفة وحطام الدّنيا، ولو أنّ أحدهم ملك الدّنيا تلفّت نفسه إلى أخذ دانق، وقد حرم عليهم الصّدقة

في الظّاهر والباطن، فظاهر الصّدقة المال وباطنها الإقرار بهذه النّسبة عند المؤمنين والتّعذير عليهم.

ثمّ قال: يا أخي: أعرض عمّن هذا سبيله، وقيل إنّ المؤمن الموحّد منهم يتبرّأ من نسبه ظاهراً وباطناً حتّى يصيروا كواحد من المؤمنين يأتمرهم ويأتمر بهم ولأمرهم وينتهي عن نهيهم، **فإن كره ذلك في بلدته في ترك نسبته فليخرج إلى بلدة لا يعرفه أهلها وإنّه يظهر للعامّة والخاصّة أنّه من عامّة النّاس، فإنّه إن فعل ذلك فهو العلويّ الخالص**، ويكون علوي في معرفة الله ووحدانيّته في السّرّاء والضّرّاء والشّدّة والرّخاء والظّاهر والباطن.

ثمّ قال: يا أخي، وأين يوجد ذلك مثل من قد وصفته لك، إنّما هذه الصّفة لصاحب مرتبة اليتيم، أو نقيب، أو نجيب، أو مختصّ، أو مخلّص، أو ممتحن. فإنّ أصحاب المراتب هم العلويّون الّذين علوا في معرفة الله إلى الأعلى وسموا في العلوم الباطنة إلى السّموات السّبع وحلّوا في الأرضين السّبعة فأخذ لكلّ سماءٍ دارٌ ولكلّ أرضٍ بيتاً فسكنوا بها كسكون الرّوح النّيّرة النّور الفاضل، ومن تسمّى بهذا الإسم على غير معرفة لعنته ملائكة السّموات والأرض، وما من عبد مؤمن يصبح ويمسي صائماً إلى أن يؤذن له بالإفطار إلاّ وله أجر الصّائمين، والبيوت النّيّرة والوجه الحسن والمعرفة السّنيّة والعلم الكثير قد أخرج من فيء التّناهي الّتي هي البيوت إلى جوار الرّبّ ورضاه، ومن أصبح عارفاً بالله نال الملكوت الأعلى.

أفضل الجّهاد مجاهدة المؤمنين أنفسهم عن الشّبهات وإرتكاب الشّهوات، إستيقظوا من نومكم عند النّهار وعند اللّيل ولا ينام أحدكم على غير طهارة فتخرجون عن حدّ الإيمان إلى حدّ الكفر، ولا تغفلوا عن ذكر الله صباحاً ولا مساءً وفي كلّ الأوقات.

إعملوا الخير تكونون من أهله، وارفضوا الشّرّ تدنون بذلك إلى الحجارة الفاضلة النّيّرة، وإذا عرفتم ربّكم فاطلبوا العلوم الباطنة لتستكملوا المعرفة وإعملوا بما أمرتكم لتطهّروا عند ذلك وصبّوا العلوم الباطنة على أنفسكم صبّاً، فإنّ في ذلك نجاتكم وطهّروا قلوبكم وصحّوا نيّاتكم بما تنطق به ألسنتكم من معرفة الله:«وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» إنّ أغفل ما تكونوا فيه أن يطّلع عليكم ما لا

ترجونه، ولا تمرّ على كافر ولا على مشرك ولا منافق إلاّ أهلكته ودمّرته تدميراً، ومن كان محمّد – إليه التّسليم – دعوته وسلسل حجّته وأمير المؤمنين إلهه وعدّته فليبشر بالرّحمة والرّضوان والفوز والغفران.

فإذا نسيتم شيئاً من أمور دينكم فاذكروا الله حقّ ذكره وقولوا:«وما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» يا مذكّر سلسل ومعلّمه ومبدي محمّد ومقيمه، وخالق الأسماء ذكّرني ما نسيت من ديني واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا، إفعل بي وبإخواني المؤمنين يا أمير النّحل فإنّك كما وصفت نفسك بنفسك حيث قلت:«وما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» اللّهمّ لا تنسيني معرفتك وثبّتني على طاعتك وطاعة رسولك محمّد ووليّك سلسل وأسمائك الأئمّة الّذي تسمّيت بهم، فأنت يا أمير النّحل خلوّاً منهم وهم لا يخلون منك يا عليّ يا عظيم.

العلم نور المؤمنين فلا ترفضوا الثّبات على معرفة المسجد الأقصى وإنتظار الصّلاة على اليقين نوّره نور النّورانيّة على الصّفات، إذا جاءكم السّائل الذّاكر ربّه باللّيل فلا تردّوه، فلعلّه من الملائكة المذنبين أهبطهم الله بذنوبهم إلى الأرض ليكمّلوا العقوبات، ثمّ يصفوا ويصعدوا إلى أماكنهم، ولعلّهم أُهبطوا إلى الأرض إمتحاناً وإختباراً ليعلم الرّبّ هل يطيعون أو يعصون، وهو عزّ وجلّ أعرف بهم، وربّما إمتحن عبيده بهم فيجازيهم على مقدار حسناتهم إليهم ويعاقبهم على مقدار سيّئاتهم لهم. والمؤمنين هم الفائزين، اجلبوا العلم من العلماء، فالعالم شبيه ضرع الشّاة الّتي يحلب منها الحليب واللّبن، واللّبن أصل الخيرات، وكذلك العالم تدرّ منه ومن عنده العلوم الباطنة فيجلي بها القلوب الصّديئة إذا عملوا بها.

علّموا أولادكم وتلاميذكم السّعي في ظلمة اللّيل، والخوض في البحر اليمين والبحار ليميّزوا بذلك الحقّ من الباطل والنّاسخ من المنسوخ، والمحكم من المتشابه، فيفوزوا به تلاميذكم.

أشرّ اليهود المقزمنة، وأشرّ النّصارى المفوّضة، وأشرّ المجوس الزّيديّة وأشرّ من ذلك الإنكار والجّحود، وخير ما ينال المؤمن الصّفوة والإرتقاء في المعرفة، فينالون بالإنكار المسوخيّة في أليمّ العذاب، **إذا إنكشف لأحدكم عن أخيه**

شيئاً ممّا يغمّه فيقول: بسم الله الرّحمن الرّحيم، لبّيك يا أمير النّحل، هل من مردّ: فإنّ الله عزّ وجلّ يردّه إلى الحقّ.

ولا ينام أحدكم فيما بين الشّمس والظّلّ، أي لا ينام أحدكم عند غيبة الحقّ وظهور الضّدّ في فتنة الشّيطان، وهو حبتر، وهو مفتن، كما أخرج من كان قبلكم من معرفة الله إلى معرفة أصحابه.

اغسلوا أيديكم من دنيا الضّدّ فما لكم فيها نصيب، أما ترضون أن يغفر الله لكم، وتحبّون أن يكمل الله لكم درجاتكم فتفوزون فوزاً عظيماً، فطوبى للمساكين الّذين يسكنون إلى معرفة الله المأسورين فيها، فقد بشّروا للإرتقاء إلى الملكوت الدّائم في معرفة الله، وإنّ أجلّكم العارف بربّه، وأجلّكم مقاماً في العلم الصّفوة.

طوبى للعاملين بآداب الله السّابقين إلى رضوانه: «أُولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وهُمْ مُهْتَدُونَ».

الغضب يفسد الإيمان، خذوا معالم دينكم من أهل ملّتكم وارفضوا المفوّضة الّذين قصّروا عن معرفة الله، وهم أضداد المؤمنين.

إنّ الله عزّ وجلّ أعطى المؤمن ثلاث خصال: العلم والعمل والمهابة في صدور الجّاهلين، ومن أعطا مؤمناً شيئاً من علوم الله ومعرفته ممّا يحتاج إليه أعطاه الله بكلّ حرف سبعون ألف جزء، ومن أعطاه عند اشرافه على المهالك والإرتياب فأنقذه من الشّبهة والزّيغ والزّلل فقد أزيل عنه عشر بيوت وقيل ثمانين قميصاً قد وجب عليه أن يسكنها ممّا يعاقب فيها، فإذا وسوس لكم الشّيطان في معرفة الله عزّ وجلّ تقولوا: بسم الله الرّحمن الرّحيم، لبّيك لبّيك يا أمير النّحل آمنت بك ربّاً وبمحمّد رسولاً وبسلسل باباً، أخلصت لك روحي وبدني وما أقلّت الأرض منّي، أشهد أنّك القادر على كلّ شيء ولم يشيبك شيءٌ من الباطل، وأنت الغالب لكلّ شيء وكلّ نفس تعاليت يا أمير النّحل.

فإذا إكتسى أحدكم ثوباً جديداً فليستقبل إلى الشّمس أو إلى القمر أو إلى نجم أو إلى السّماء أو إلى شيءٍ من آيات الله، ثمّ يجمع القميص ويصبّه على نفسه صبّاً، ويقرأ سورة الحمد وقل هو الله أحد، وإنّا أنزلناه في ليلة القدر وآية الكرسي ثمّ يقول: اللّهمّ إنّي أسألك وأنا المقرّ بظاهرك وباطنك ونعمتك وإحسانك وجنّتك ونارك وبعثك

وحسابك، ألبسني الثّوب النّورانيّ وأرني بابك الظّاهر واغشني بشعاع نورك واكنفني بفناء ظلّك فإنّك الأحد الفرد يا أمير النّحل، أشهد أنّك كما وصفة نفسك «وأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً ولا ولَداً» «تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ والإِكْرامِ».

و إذا كرّم أحدكم إخوانه من المؤمنين بمعرفة الله فليقل: اللّهمّ أسألك يا سيّدي تمام النّعمة والمعرفة في بطونك وظهورك في مقاماتك وأسمائك الحسنى.

وإذا نظرت إلى المرآة فقل: يا أمير النّحل منك وبك ولك اللّهمّ ارزقني الصّفوة وتمنّ على عبدك بكرمك وجودك وعلى المؤمنين.

وإذا أويتم الفراش فقولوا: بسم الله الرّحمن الرّحيم، العليّ الكبير، أشهد أنّ الصّورة خلقك والأسماء مقاماتك والصّفات رسلك والنّعوت عبيدك، وأشهد أنّك لم تحول ولم تزول ولا تتغيّر ولا تأخذك سنة ولا نوم يا أمير النّحل نبّهني من نومي بكمال العافية واصرف عنّي الشّبهة والغفلة إنّك لا تحبّ الغافلين عن معرفتك، اللّهمّ ارزقني زيارة المؤمنين في رقدتي هذه والقي عليّ لباسك المضيء وثبّتني بالقول وتوفّني موحّداً عارفاً بك وألحقني بإخواني الصّافّين حول عرشك.

و إذا إنتبتم من نومكم -والنّوم هو الغفلة-، فقولوا: لا إله إلاّ الله العليّ العظيم الحيّ القيّوم سبحانك يا عليّ يا عظيم، سبحان من يحيي العظام وهي رميم، أشهد أنّك يا مولاي تحيي وتميت وأنت حيٌّ لا تموت وإليك المصير.

و إذا جلس أحدكم من نومه فليقل قبل أن يقوم من مضجعه: حسبي الله العليّ الأعلى، حسبي من له الآخرة والأولى، اللّهمّ إنّي أسألك أن تنبّهني من نومي وأن تلقي عليّ لباسك واجعلني من المستيقظين في معرفتك جلّ جلالك ولا إله غيرك، ولا باريء سواك يا أمير النّحل يا عليّ يا عظيم، ثمّ ترفع رأسك إلى الأعلى، وعليك أبداً بالعلوّ، فإنّ الله قد ذكرك وجعلك من العالمين.

و إذا دخل أحدكم منزله فليسلّم على أهله فيقول: السّلام عليكم أيّتها الأرواح الطّاهرة الطّيّبة الزّكيّة الّتي روّحت إلى معرفة الله واستراحت من الضّنك والأعمال والأغلال والآصار، وعليكم السّلام من العليّ العلاّم، أيّتها الأرواح الطّيّبة، اللّهمّ يا سيّدي إجعل رواحها إلى جنّتك وحضاير قدسك صافياً نقيّاً، تنزل إذا شاءت من غير

كدر ولا نكر، وإجعل ذلك بجميع المؤمنين يا عليّ يا عظيم، فإنّ ذلك ينفي الفقر ولا فقر أشدّ من الكفر بالله والشّكّ والشّرك.

و لا يدخل أحدكم الغايط حتّى يقول: اخس يا ملعون، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من نجسه ورجسه، اللّهمّ لا تجعل مقعدي في هذا الوقت مقعد الشّياطين، اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من شخصه وصورته وروحه وتلوينه.

و إذا خرج أحدكم من الغايط فليقل: الحمد لله الّذي زال عنّي مقرّة الشّيطان، وأخرج عنّي الفقر والأذى والشّكّ والإرتياب وطهّرني من الدّنس والبلوى.

و إذا إستاك أحدكم بمسواك فليقل: «سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» أشهد أنّك شخص الباب الّذي قال الله عزّ وجلّ:«وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها» وقال سبحانه:«بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ» والعذاب جهنّم:«لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ» وأنت يا مولاي مقام من مقامات النّور الّذي يستضيء بك المؤمن والكافر، بمعرفتك ترتفع عن المؤمن العبوديّة ويوضع على الكافر الآصار والأغلال.

و لا يتوضّأ أحدكم ولا يغتسل بالماء حتّى يقول قبل أن يمسك الماء: بسم الله الرّحمن الرّحيم: اللّهمّ طهّرني بعلومك الجّارية منك على أوليائك الّذين هديتهم إلى معرفتك وهدوا من هو دونهم بالنّورانيّة والجّلال فيهم وطهّرني وزكّ عملي وإجعل ما عندك خيراً إليّ، فإذا فرغ من وضوءه أو من غسله فليقل: أشهد أنّك يا أمير النّحل مقيم الباب وخالقه ورازقه، وأشهد أنّ السّيّد محمّد نفسك وحجابك به يستضيء المؤمنين ومنه يقتبسون معرفتك، سيّدي أدخلني إلى دار الضّيا وأزيل عنّي العاهات والآفات.

وإذا مشّط أحدكم وسرّح لحيته فليقل: اللّهمّ زيّنّي وتخلّفني ولا تبدلني غيري، فإنّي لنعمتك من الشّاكرين ولآلائك من الحامدين، اللّهمّ أرني الحقّ حقّاً فأتّبعه، فالحقّ يتيمك الأكبر، وأرني الباطل باطلاً فأتجنّبه، فالباطل عدوّ وليّك، مولاي أتمم لي حسناتي.

و إذا تخلّل أحدكم يقول: اللّهمّ إنزع عنّي الغلّ والحسد وقوّيني سلاحك وهو يتيمك الأصغر لأنقذ فيه نفسي من أفخاخ المردة وبؤس الفقر، اللّهمّ إفعل ذلك بي ظاهراً وباطناً.

و إذا قلّم أحدكم أظافره فليقل: بسم الله الرّحمن الرّحيم، خالق الأسماء، وليبدأ بيده اليمنى وليكن ذلك صبيحة النّهار من يوم الجّمعة إلى أن يبلغ الإبهام، ثمّ يرجع إلى الخنصر فلا يقلّمها، فإذا كان يوم الجّمعة الثّانية يبتديء بخنصر اليد اليسرى، ويقلّم أظافره على ما ذكرنا إلى أن يبلغ خنصره اليمنى فيدعه، والخنصر هو الأصل، وهو فاطمة، ومن عندها إنفجرت عيون الكبرياء، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى، فيجب على المؤمن أن يقلّم أظافره في كلّ يوم جمعة على ما بيّناه مرّة بيده اليمنى ومرّة بيده اليسرى، **أو يدع جمعة خنصره في اليد اليمنى وجمعة خنصره في اليد اليسرى على حسب ما ذكرناه**، فإذا فرغ من تقليم أظافره فليقل: أشهد أنّك مولاي أصل الأصول ومؤبّد الأبد والخالق القديم، خلقت فأحسنت، وصوّرت فأنرت، وأتممت وأقمت فأظهرت، وسمّيت فأرفعت، ونطقت فأحكمت، وأكملت وبطنت فأعلنت، وكم دعوة فأجبت، لك الحمد سبحانك يا عليّ يا عظيم، ما أعظم شأنك وأجلّ ذكرك وأنور قدسك وأبها صورتك وأضوى علمك وأفضل حلمك وأكمل خلقك، ثمّ يغسل أصابعه بالماء القراح، والغسل الصّغير فيقول: يا سيّدي أزيل عنّي الشّبهات والشّهوات وردّني إلى موطني الّذي خلقت منه نوراً لا ظلاماً فيه وحكم لا جهل فيه وعلم لا زلل فيه وإيمان لا نفاق فيه، وأمن لا خيانة فيه وصبراً لا جزع فيه وصدقاً لا كذب فيه وشكراً لا كفر فيه وعدل لا جور فيه ورضى لا سخط فيه، وصياماً لا فطر فيه، وعافية لا إبتلاء فيه، اللّهمّ إفعل بي ذلك وبإخواني المؤمنين.

و إذا خرج أحدكم إلى السّفر فليقل عند خروجه من منزله: اللّهمّ أنت الصّاحب في السّفر والخليفة في الحضر، وكان رسول الله صلعم وعلى آله كثيراً ممّا يناجي به عند خروجه من منزله في سفره بهذه الكلمات وكان يقول لأمير المؤمنين: أنت الصّاحب في السّفر والخليفة في الحضر، **والسّفر في الباطن طلب العلوم الباطنة والمعرفة السّنيّة**، اللّهمّ ارزقني الصّفوة وجنّبني سوء المنقلب يا مولاي أسألك ببابك، ومن طلب معرفتك فارزقني ما وعدتني حيث قلت وقولك

الحقّ:«ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» فأنا أدعوك كما أمرتني فاستجب لي كما وعدتني:« إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ».

و **إذا وحّد الرّجل منكم ربّه** فليقل: «رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُباركاً وأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ» اللّهمّ إجعله مستقرّاً ولا تجعله مستودعاً يا أمير النّحل إنّك لذلك فاعلاً، فإفعل بي وزدني معرفة سنيّة حتّى لا أنكر شيئاً يرد عليّ من معرفتك وعلومك وأقرّ بآياتك ورسلك ومقاماتك، سيّدي رحّلني إلى دار الصّفوة عارفاً بك غير منكر ولا جاحد وإفعل ذلك بجماعة المؤمنين.

و **إذا دخل أحدكم إلى السّوق** وأشرف على الخلق فليقل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، تعاليت يا عليّ حيث ساويت بين خلقك ورزقتهم كلاً على مقدار علمه وإقراره وإنكاره وما يستطيع من الخير وإستعماله من هذا فذهبوا عنك وعن معرفتك وأنكروك وجحدوك وقالوا بغيرك وإتّخذوا لك شريكاً وضدّاً وندّاً فما أجلّوك، يا سيّدي أشهدت عليهم الدّاعي إليك حيث قال:«ويا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ، تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، لا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا ولا فِي الآخِرَةِ وأَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللَّهِ وأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ، فَسَتَذْكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ» فما كفر هذا الخلق المنكوس المتمرّد وقد جهلوا عنك وعن معرفتك، فتبّاً لهم من عبيد وسحقاً ومحقاً، سيحلّون في المعذّبات ويمسخون في المركّبات ويمرقون في الكرّات «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ»،«أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ»،«لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ» اللّهمّ إرفع وإدفع شرّهم عنّي وعن جماعة المؤمنين وخذ سمعهم وأبصارهم وإجعل على قلوبهم غشاوة حتّى لا يصلون إليّ ولا إلى أحدٍ من المؤمنين، ثمّ يقول: لبّيك اللّهمّ لبّيك لا شريك لك يا صاحب البطشة الكبرى، لبّيك يا صاحب النّقمات، لبّيك يا صاحب الحجرات، لبّيك يا جبّار السّموات والأرض، أنت أنت كما وصفت نفسك أحداً فرداً صمداً لك الأسماء الحسنى والمثل الأعلى والآلاء الكبرى هذه صفة الرّبّ تعالى وتقدّست أسماؤه، ثمّ يقول عن يمينه، قل أعوذ بربّ النّاس، وعلى يساره، قل أعوذ بربّ الفلق، ثمّ يقرأ قل هو الله أحد.

و **إذا دخل أحدكم صفة القصّابين** ونظر إلى الشّاة والبقر مذبوحات ومعلّقات فليقل: بسم الله الرّحمن الرّحيم، الحمد لله الّذي لا يظلم أحداً، اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من لحومها ودمائها وأشهد عليهم بالضّلالة، اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أحلّ محلّهم وأقوم مقامهم، اللّهمّ إجعلني من الذّابحين ولا تجعلني من المذبوحين.

و **إذا وصل إليكم شيئاً من دنياهم** فقولوا: اللّهمّ إن كان هذا الشّيء مطلقاً لنا قبلهم فنحن نحمدك على ذلك، وإن كان إصطناع منهم إلينا فهوّن ذلك علينا وإجعله حلالاً مطلقاً لا ردّ فيه ولا مطالبة، وإن كان غير ذلك فلا تعاقبنا عليه، فإنّ الحلال والحرام بينهما أشخاص النّور والظّلمة الحلال أشخاص أمرتنا بطاعتها ومعرفتها والحرام أشخاص أمرتنا بإجتنابها ونهيتنا عنها، اللّهمّ لا تحرّم علينا ما حلّلته لنا ولا تحظر علينا ما أبحته لنا وإجعلنا من أهل هذه الآية:«لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فيما طَعِمُوا إذا مَا اتَّقَوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وأَحْسَنُوا واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» آمنّا بك وأيقنّا بك ورضينا بك ربّاً وكفرنا بمن تشبّه بك وبارزك وناصبك ونشهد أنّك العليّ الكبير الأعلى سبحانك وتعالى جدّك.

و **إذا هنّأ أحدكم لأخيه بمولود ذكر** فليقل: بارك الله لك يا أخي في مولودك وجعله الله من المؤمنين البالغين الّذين يسبّحون في الأرض وبنور ربّهم يهتدون.

و أمّا الولد في الباطن هو التّلميذ، فإذا بلغ المولود أشدّه، وهو التّلميذ فيقول له: ثبّتك الله وأعطاك وجعل ما منحك من المعرفة مستقرّاً غير مستودع وألهمك العلوم الباطنة الجّارية منه في محبّة العارفين به، ومعنى ذلك أشدّه، يعني إذا بلغ التّلميذ في المعرفة ووحّد ربّه.

و **إذا قدم عليكم أخوكم المسافر** المهاجر إليكم فقولوا له: تقبّل الله مشيك وشكر سعيك وجعل هجرتك فيه وأنار بيتك ورضي عملك وعلا ذكرك وزادك وجعلك على ما خوّلك وأنعم به عليك من معرفته من الشّاكرين وأزادك علوّاً في العلم والمعرفة وأعتقك من العبوديّة، فكن من الشّاكرين.

و **إذا تزوّج أحدكم** فليقل: اللّهمّ إنّي تزوّجت حلالاً طلقاً لا دنس فيه ولا إرتياب ولا شكّ ولا غايلة، اللّهمّ فحلّل لي ما حرّمته على غيري ولا تؤاخذني بشقوتي وتقصير أذى منّي، فإنّي أريد بذلك النّجاة من البيوت النّكرة والنّكدة إلى

جنان الرّضوان والبيوت السّمويّة وزيارة الأنوار، اللّهمّ أسألك أن ترزقني القيام بذلك ظاهراً وباطناً، والتّزويج هو الدّعا إلى الله، فمن أجابك إلى ذلك فقد تزوّجته.

و إذا أتى أحدكم زوجته فليقل: بسم الله الرّحمن الرّحيم، بسم الله مسهّل الأمور ورازق الخيرات ومانح أوليائه الدّرجات العالية، اللّهمّ سهّل لي زوجتي ويسّر لي قبول ما أريد منها وأدني عليها، اللّهمّ إنّي إستحللته ذلك بأمرك وقبلته بأمانيك فإجعله مؤمناً ذكراً سويّاً ولا تجعل للشّيطان فيه نصيب وباطن ذلك في أنّه العالم والتّلميذ وما يجري بينهما من علوم التّوحيد ومطارحة العلم للتّلميذ.

و إذا ذكرتم محمّد وآله والأئمّة إليهم التّسليم والأبواب وأصحاب المراتب والمقامات فقولوا: سبحان ربّي العليّ الأعلى، فإنّكم تزيلون بذلك عن أنفسكم الشّكّ في معرفة الله عزّ وجلّ.

و إذا ركبتم الدّواب وهم هذه الخلق المنكوس فقولوا: «لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا وما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وإِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ» اللّهمّ إنّنا عبيدك المقرّين بتوحيدك العارفين بجنّتك ونارك ولا تزلّنا بعد أن عزّزتنا ولا تخرجنا من النّور إلى الظّلمة، اللّهمّ إنّا راضون بما قسمته لنا من سعة المعيشة وضنكها، اللّهمّ لا تخطر على قلوبنا غير معرفتك وعلومك الباطنة الجّارية منك.

ما من عبدٍ إلاّ وفيه واحدة من ثلاث، طيرة أو تمنّي أو كبر.

و إذا تثائب أحدكم فليذكر أمير النّحل ويقول: بسم أمير النّحل هرمز، اللّهمّ إنفي عنّي الطّيرة ووسوسة الشّيطان وكيده فإنّي أعوذ بك منهم.

و إذا خشي الكبر في السّنّ فليجالس من هو دونه في المعرفة ويسألهم عمّا يحتاج إليه أحدكم من معرفة الله فإنّ ذلك ينفي الفقر.

و إذا تمنّى أحدكم من معرفة الله فإنّ ذلك ينفي الفقر.

و إذا تمنّى أحدكم فليتمنّى الزّيادة ويقول: سبحان من لا شريك له في ملكه، الّهمّ منّني معرفتك لتكون خلاصي من هذه القمص، لك الكبرياء والآلاء، اللّهمّ إرزقني التّواضع وانفي عنّي التّكبّر ووسوسة الشّيطان والمردة.

و إذا تمنّى أحدكم فليتمنّى الزّيادة في معرفة الله والعلوم الباطنة وليسأل ربّه مبتهلاً إليه ويقول: يا عليّ أسألك ببابك، يا مولاي إنقرضت أيّامي وأبقت آثامي، أسألك تمام معرفتك والفوز والجّنان والنّجاة، اللّهمّ إنّي أسألك أن ترزقني نفحة من نفحات رزقك وأن تجعلها عوناً لي على ديني ودنياي ولا تضلّلني عن معرفتك وارزقني ما أنت أعلم وأعرف به مني.

و إذا ضاق على أحد من أمره فلا يشكو ربّه بل يقل: أشهدّ بالله أنّ ما أنا فيه لذنبٍ قد سبق وإنّي ظلمت نفسي وأنّك لا تظلم أحداً، وكيف يظلم وهو العدل الّذي لا يجوز، اللّهمّ إن كان ما أنا فيه محنةٌ فارزقني الصّبر عليها وإن كان عقوبة فسهّل لي إجتنابها وهوّن عليّ خلاصها، اللّهمّ إجعل ما أنا فيه محنةٌ ولا تجعله عقوبةٌ، ولا يطغى أحدكم على العالم بكلامه لتلاميذه وإخوانه في معرفة الله فيحبط عمله.

لا يجعلنّ أحداً منكم الدّعا بإزالة ولاية الضّدّ فإنّ «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ »،«ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً» يكافيء ربّك بالإحسان إحساناً وبالسّيئة سيّئة مثلها ولا يفعل ظلماً ولا يبخس أحدكم أجر ما عمل، فعليكم بالصّبر والتّسليم لأمر الله إلى أن يتمّ وعد الله يؤتي الأعمال، فإنّه إذا كان ذلك جاءكم الأمر من حيث لا تحسبون.

و إنّ النّظر إلى بير زمزم يذهب الدّاء، معناه أنّ معرفة آمنة بنت وهب تذهب الشّكّ عن المؤمنين، إشربوا من مائها، وإذا أردتم أن تداووا به، ممّا يلي الرّكن الّذي فيه الحجر الأسود، فإنّ تحت الحجر خمسة أنهار من الجنّة، الفرات والنّيل وسيحون وجيحون ومهران.

يقولوا: خذوا معالم دينكم من محمّد منه السّلام واعرفوه حقّ معرفته فإنّ زمزم آمنة بنت وهب والماء محمّد وهو العلم الجّاري من محمّد إلى المؤمنين، فإذا أردتم معرفة الله تعالى فمن الرّكن الّذي فيه الحجر الأسود، فالرّكن أبو طالب والحجر الأسود عقيل بن أبي طالب، وتحت الحجر الأسود خمسة أنهار، يقال إنّ عقيل إحدى حجب أمير النّحل، لأنّه إحتجب بأربع عشر حجاباً، وقال قومٌ تسعة عشر حجاباً، وقال بخمسة، وقال قومٌ بإثني عشر، وكلّها حقّاً، لأنّ أمير المؤمنين مدبّرها ومقيمها والمحتجب بها، لا من سبيل أنّه حلّ فيها وتكلّم منها لكنّه إحتجب بالأب والأم والزّوجة (والأخوة، والأخوات، والعمّ والعمّة، والإبن، والإبنة، والخال،

والخالة، والزّوج، والزّوجة، والصّهر والصّهرة)[1] وإحتجب بأهل البيت من غير أن يكون يتحوّل من بيت إلى بيت ومن دار إلى دار. لأنّه جلّ وعزّ أورى نفسه كخلقه من صورة إمام بعد إمام، من غير أن يزول عن معدنه، وصرف أبصار المخلوقين عن النّظر إليه في كيفيّته. وهو جلّ وعزّ لا يحول ولا يزول من حال إلى حال ولا من هيكل إلى هيكل، لا يكنفه شيءٌ ولا يحويه مكان ولا يعدّه شيءٌ ولا يقع عليه العدد ولا يتبعّض ولا يتفرّق ولا يشتبه ولا يشتّت ولا يتشعّب، بل هو فردٌ صمدٌ يوري نفسه كيف يشاء لمن يشاء كما يشاء كلٌّ على مقدار ما فيه من النّور، فهذه صفة الرّبّ جلّت قدرته.

وأمّا الأنهار الخمسة، الفرات محمّد وسيحون الحسن وجيحون الحسين والنّيل فاطر ومهران محسن، جلّ ربّي وتعالى.

و لا تلقوا معرفة ربّكم إلى من لا يؤمن على كتمانه ولا يحفظ المؤمنين ولا يعرف حقوقهم، فإن فعلتم فتأدّبوا بآداب الله قال الله جلّ من قائل:«فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وكَفى بِاللَّهِ حَسِيباً» علّموا أولادكم الصّلوة وجدّدوهم ليتنزّهوا بها، يعني التّلاميذ عرّفوهم معرفة أمير النّحل وقيل الميم لأنّه الصّلاة ومقاماته.

تنزّهوا عن قرب الكلاب، يقول لا تجالسوا العامّة ولا المقصّرة ولا المفوّضة ولا المقزمنة ولا تحدّثوهم بمعرفة الله تعالى وعلومه فتهلكوا فإن أحسّوا منكم شيئاً أباحوا دمائكم، فإستغفروا ربّكم وإسألوه الإقالة.

لا يظهر الرّجل منكم نفسه ودينه في دولة الضّدّ، وهو بشخص الحمّام وذلك قول العالم: لا يقرأ أحدكم القرآن في الحمّام، فمن فعله ويرى ما يكرهه فلا يلوم إلاّ نفسه.

أعطوا كلّ سورةٍ حقّها من الرّكوع والسّجود، يعني أقيموا كلّ مقام في مرتبته الّذي أقامه الله بها ورتّبه وأظهر منه القدرة والنّطق.

لا يصلّي الرّجل منكم في قميصٍ موسخ، أي لا تعرفون ربّكم بالحجاب الّذي لا حقيقة له، وهو البشريّة النّاسوتيّة، بل إعرفوه بقدرته ونطقه، فإنّ الحجب كثيرة

---

[1] العدد ١٢

والمعنى هو القادر والنّاطق، لا تقولوا بالحجاب ولا بالصّورة وقولوا بالمعنى الّذي خلق الصّورة والحجاب، ولا تقولوا بصاحب النّطق بلا قدرة، فإنّ صاحب النّطق يخطيء ويصيب وصاحب القدرة مصفّى من الكدر ولا يخطيء في قوله ولا يدّعي ما ليس له به علم يصيب في كلّ أوقاته، فإذا رأيتم صاحب قدرة أو معجزة يعجز عنها جميع الخلق فإسألوه عن مقامه وكلّما قاله لكم فصدّقوه، فإنّ صاحب القدرة لا يدّعي بما ليس له، وكونوا كنفسٍ واحدةٍ، وتجاوزوا عن المؤمنين عثراتهم، فواللّذي نفسي بيده إنّ المؤمن أشدّ إتّصالاً بالله من شعاع الشّمس بالشّمس، وليس بين الضّوء ومخرجه فرق، والشّمس محمّد والشّعاع الحجب الصّوامت عليهم السّلام، والضّوء المؤمن ومخرجه محمّد.**لا تقيموا أئمّة الضّلال مقام أئمّة الهدى** ولا أحد من أتباعهم مقام المؤمن وهو قول أمير النّحل.

لا تصلّوا على كدس حنطة ولا شعير ولا على شيءٍ ممّا يؤكل، الجّواب، من عرف محمّد إليه التّسليم بحقيقة المعرفة فقد صلّى، ولا يأخذ أحدكم العلوم الباطنة ممّن هو دون الباب والباب حاضر إلاّ إذا لم يصل إلى الباب، وإذا قدّر له الوصول إلى الباب يسأله عمّا يحتاج إليه، فإذا غاب الباب عنه ورأيتم يتيم أو نقيب أو نجيب أو مؤمن عالم فيسأله عمّا يحتاج إليه من معالم دينه، وقول أمير المؤمنين:«لا يصلّي أحدكم نافلة في وقت الفرض إلاّ عن عذر، ولكن يقضي بعد ذلك إذا صلّى الفريضة أو مكّنه القضاء» فإنّ الله سبحانه يقول:«الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ» لا يداخلهم الشّكّ والإرتياب فإن فاتهم لقاء الباب عند حضور الباب ولقوه بعد ذلك فاتهم لقاء المولى عند حضور الباب وألقوه بعد ذلك إذا قدروا عليه، والنّهار هو النّاطق واللّيل هو الصّامت، هذا في بعض البواطن ومعرفة اليتيمين بالحقيقة تعادل معرفة ألف مؤمن بالغ كامل الصّفاء وهو قول أمير المؤمنين: الصّلاة في الحرمين تعادل ألف صلاة في غير الحرمين، والحرمين اليتيمين وكلّ مؤمن بالغ كامل أصله الصّلاة.

من ألقى حرفاً من علوم الله الباطنة إلى مستحقّ في وقته تعادل ألف كلمة في الباطن بغير وقتها، وهو قول أمير المؤمنين منه الرّحمة:«نفقة درهم في الحجّ تعادل ألف درهم في غير الحجّ» وإذا أحدكم عرف ربّه بحقيقة المعرفة فليعرف حقوق المؤمنين، وهو قول أمير النّحل:«إذا قام أحدكم إلى الصّلاة فليخشع لله، فإنّه من خشع قلبه خشعت له جوارحه» أقفوا بين المقام والمقام، إنّ الله يجمع كلمة

المؤمنين على المقام الثّاني، وهو قول أمير المؤمنين:«إجلسوا في الرّكعتين حتّى تسكن جوارحكم، ثمّ قوموا فإنّ الله يغفر لكم» إنّ ذلك فعلنا، إذا عرفتم ربّكم بحقيقة المعرفة فعليكم بالدّعاء إليه، وهو قول أمير المؤمنين: «إذا فرغ أحدكم من صلاته فعليه بالدّعاء» وقال: «فليرفع أحدكم يديه بالدّعاء إلى السّماء» وقال أمير النّحل: وليقرأ: «وفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وما تُوعَدُونَ» فمن أين يطلب الرّزق إلاّ من معدنه، باطن ذلك أنّه يجب على المؤمن أن يدعو إلى ربّه في كلّ وقت لقوله: كلّ سماء سلسل والرّزق العلوم الباطنة، وما توعدون في الظّاهر الصّورة المؤنّقة وهو الشّخص الّذي يظهر بالقائم وهو:«ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ» فمن أين تطلب العلوم الباطنة وإظهار الحقّ إلاّ من موضعه ومعدنه وهو السّيّد محمّد منه السّلام إذا كان الله عزّ وجلّ خلقه وفوّض إليه الأمر، أمره أمره ونهيه نهيه، فلا يشكّ أحدكم في صلاته الّذي إفترضها الله عليه والصّلاة معرفته وليسأل ربّه أن يرزقه المعرفة في كلّ بيت وأن ينقذه من ولاية الأضداد وأن ينحله البيوت النّيّرة الصّافية قال أمير المؤمنين:«لا ينقلبنّ أحدكم في صلاته حتّى يسأل ربّه الجنّة ويستجيره من النّار، ويسأله الحور العين».

لا يكفرنّ المؤمن بذكره للأضداد عند العامّة ولكنّه إذا إعتقد في قلبه ولايتهم وهو قول أمير المؤمنين: لا يقطع الصّلاة التّبسّم ولكن يقطعها القهقهة، وهي ولاية الأضداد.

إذا شكّ أحدكم في معرفة الله وجب عليه إتيان الباب والإستغفار إليه، فإن لم يقدر على الباب فيسئل من هو أعلم منه في البشر، وهو قول أمير المؤمنين:«إذا خالط أحدكم النّوم، والنّوم الشّكّ، وجب عليه الوضوء، والوضوء بالجّملة هو العلم» والباب إذا قرأ أحدكم بتوحيد الله وهو أمير النّحل ورسالته محمّد وقدرة سلمان عليه السّلام، والباب صاحب النّقمات والرّجعات وإنّ المؤمنين يصفون من الكدرويّة ويخرجون من القبور، والقبور هي الهياكل الّتي حبس بها المؤمن ثمّ لمّا أذنب ذنباً ممّا أذنبه النّاس، وهو الذّنوب الّذي قد نهوه عنها، فقد أتمّ إيمانه، وهو قول أمير المؤمنين منه السّلام: إذا قال العبد التّشاهد: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأتمّها بالآية:«وأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ» فقد تمّت صلاته والصّلاة في الجّملة هي الإيمان والمعرفة

بالله، ما عرف الله من أراد معرفته إلاّ بالطّلب والإنقياد إلى العلم للعالم، وقال أمير المؤمنين: «ما عبد الله شيئاً أشدّ من المشي»، والمشي هو الطّلب، ليس للمؤمن أن يكشف دينه للمقزمنة والمفوّضة، قال أمير المؤمنين: «ليس للرّجل المؤمن أن يكشف عن فخذيه ويجلس بين قومه» والفخذين هما الوالدين، وقومه المقزمنة والمفوّضة، ومن أخذ من علم زرارة وأبو بصير، وسدير، وعبد الله بن يعفور، ومحمّد بن أبي مسلم، والحكم بن أبي عقبة، وحنان بن سدير، وبريد[1] العجليّ، وحجر بن زياد، وعامر بن خزاعة، ومن هو مثلهم في العباد فلا يقربنّ المسجد الحرام والمسجد الباب، قال أمير المؤمنين من أكل شيئاً من المؤذيات بذبحها [بالرّائحة] فلا يقربنّ المسجد، فليعرف المؤمن مقدار معرفته بربّه فلا يظلم نفسه إذا عرف ربّه، وقال أمير المؤمنين: لا يرفع السّاجد مؤخّرته في الفريضة إذا سجد وإذا أراد أحدكم التّوحيد فليعرف الله حقّ معرفته، وقال أمير المؤمنين: إذا أراد أحدكم الغسل فليبدأ بذراعيه، والغسل هو التّوحيد والذّراعين هي المعرفة، لأنّ حركة الرّجل بذراعيه والتّوحيد لا يتمّ إلاّ بالمعرفة بالله.

إذا عرف أحدكم ربّه بكمال المعرفة فليعرف ذلك إخوانه، وقال أمير المؤمنين: إذا صلّيت فسمع نفسك القراءة والتّكبير والتّسبيح، الجّواب: إنّ الصّلاة هي المعرفة ونفس المؤمن إخوانه والقراءة العلوم الباطنة والتّكبير والتّسبيح والتّوحيد هو العمل بطاعته.

و إذا عرف أحدكم ربّه فليعرف محمّد منه السّلام حقّ معرفته، وقال أمير المؤمنين: إذا إنتقل أحدكم من صلاته فلينتقل عن يمينه، واليمين محمّد وقيل المقداد، فعليكم بالعمل الصّالح، وقال أمير النّحل: تزوّدوا من الدّنيا فإنّ خير ما تزوّدتم التّقوى، وقوله:«وتَزَوَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى واتَّقُونِ يا أُولِي الأَلْبابِ».

ارفضوا أصحاب النّسبة، ومن يدّعي أنّه من ولد الحسن والحسين وأنّ أمير المؤمنين أجرى في الأصلاب والأرحام، فعليكم بالمؤمنين البالغين في معرفة الله، ومن قد نفى عن الله الولادة والولد جلّ وتعالى وقال أمير المؤمنين:«مسخت من بنو إسرائيل أمّتان، واحدة في البرّ والأخرى في البحر فلا تأكلوا إلاّ ما عرفتموه»

---

[1] في نسخة: يزيد

فإسرائيل هو محمّد، والبنو هم المؤمنين، والأمّتان هم أصحاب النّسبة ممّن يدّعي أنّه من ولد الحسن والحسين، فالبرّ الحسن والبحر الحسين لأنّ الإمامة والعلوم في ولد الحسين، وهو البحر في باطن العلوم، فلا تقولوا لمن عرفتموه بالأيمان والتّوحيد به، وإنّا لننفي النّسبة عنه ظاهراً وباطناً عن الحادق والقاذف والصّغير والكبير، فإذا كانوا على هذه الصّفة فخالطوهم واركنوا إليهم وعرّفوهم دين الله سبحانه وتعالى، وإذا لم يكونوا على ذلك فتبرّأوا منهم في الباطن ووالوهم في الظّاهر، فإنّ في ذلك نجاتكم منهم، من داخله شكٌّ وإرتيابٌ في معرفة أمير النّحل وكتم ذلك عن العلماء وإخوانه وسألهم عن ذلك كان حقّاً على الله أن يخرجه من شكّه.

قال أمير المؤمنين منه الرّحمة:«من كتم وجعاً به ثلاثة أيّام ولم يلقى مطبّباً دام وجعه، ومن لقي الطّبيب فعرّفه علّته كان حقّاً على الله أن يعافيه منه».

أبعد ما يكون العبد من الله عزّ وجلّ إذا كان همّه بطنه وفرجه، فالبطن الأوّل والفرج الثّاني، يقول: من توالا هذين ورفض الحقّ فقد بعد عن الله، هذا في أوّل الباطن وفي الباطن الغامض يقول: أبعد ما يكون الرّجل من معرفة أمير المؤمنين إذا قال في التّقصير، ولا بعداً أشرّ من أن يقصر في معرفة الله.

لا يطلبنّ أحدكم **علوم العامّة** فيخرجه ذلك من دينه ومعرفته ربّه، قال أمير المؤمنين:«لا يخرج أحدٌ في سفر يخاف منه على دينه وصلاته، فالسّفر هو الطّلب إلى العلم ».

الحجامة تنفع البدن وتشدّ العقل أراد بالحجامة إقامة الظّاهر، فإنّ في ذلك تصفية البدن، وأخذ الشّارب نظافة في البدن، فالشّارب عائشة النّاكثة، لأنّ الشّارب نفث القاذفين، ولأنّ عائشة وجّهت الأوّل والثّاني إلى الظّلم والعناد، فأزيلوا عن أنفسكم [هثياغ] العناد واعرفوا ربّكم بصفاء القلب، وأمّا الشّارب المحمود: فاطر، فالشّارب من أخلاق الأنبياء، فالشّارب في هذا الموضع محمود يقول إنّ في معرفة فاطر به نجاة النّبيّون، فتنبّأوا وبلّغوا الملكوت الدّائم لأنّ فاطم أصل مقامات النّساء به، فمن عرفها حقّ معرفتها كان نبيّاً، وأخلاق الأنبياء مقامات الأنبياء.

السّواك مرضاة لله ومطيبة للفم ويزيد الدّماغ ويسهّل مجاري الماء ويذهب مايتان وسبعون عاهة، السّواك باب الله عزّ وجلّ بمعرفته يصفو الرّجل ويزيد في

الدّرجة ويلهمه الله إلى العلوم الباطنة إلهام يذهب عنه الدّرن ويكشف له عند الغطاء وقيل الغلط.

غسل الرّأس بالخطميّ يذهب الرّدى، وقيل الدّرن وينفي الأقذاء، معنى ذلك معرفة محمّد بالنّورانيّة تذهب هذه البيوت الرّديئة وتنفي الشّكّ.

المضمضة والإستنشاق سنّة الفم والأنف، فالمضمضة محمّد بن الحنفيّة والأنف قنبر ومحمّد بن الحنفيّة يحضّ المؤمنين على طلب المعرفة وما يلزمهم من حقوق إخوانهم حتّى يبلغوا إلى التّصفية، وقنبر هو الأنف لأنّه كان رسول أمير المؤمنين إلى من دونه في المرتبة، فقال أمير المؤمنين أنا أنف الهدى وهي واقعةٌ على قنبر لقول أمير النّحل اقنيهم يا قنبر إنّي جلت السّموات والأرض فلم أرى مؤمن غيرك.

السّعوط صحّة للرّأس وتنقاء للبدن من سائر الأوجاع، معنى السّعوط دعاء الباب لهذا الخلق إلى معرفة الله سبحانه، فمن أجابه أسقط عنه العاهات والآفات والآصار والأغلال.

النّورة طهوراً للجّسد، فالنّورة المحمودة نفي الشّكّ عن المؤمن لأنّ الشّعر هو الشّكّ، فإذا تنوّر سقط عن نفسه الشّكّ والشّرك، وليس الثّياب البيض زينة للرّجل المسلم وإنّما معرفة علوم الله الباطنة زينةٌ للمؤمن فإنّ من عرف ذلك كمل إيمانه.

تقليم الأظافر يمنع الدّاء الأعظم وبدار الرّزق كما في الآية:«ولا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وبِداراً أَنْ يَكْبَرُوا» معناه معرفة النّواطق العشرة الّتي قال الله سبحانه فيها:«تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ» وهي مناطق فاطم، ونفي الأضداد العشرة والبراءة منهم وهم الّذين قالت فيهم العامّة العشرة الذّين بايعوا تحت الشّجرة ويعتبرون أنّ الآية نزلت بحقّهم:«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً».

نتف الأنف ينفي الرّائحة المنكرة وهي الطّيب، وسنّة ما أمرنا به الطّيب.

إنكار المؤمنين للضّدّ تنفي العاهات عن المؤمن وتطهّره، وهي ملازمة الطّيب.

غسل اليدين قبل الطّعام وبعده زيادة في الرّزق، وهي معرفة الحسن والحسين النّورانيّة والحقيقة قبل الطّعام وبعد الطّعام العلوم الظّاهرة، يقول: معرفة الحسين على الحقيقة من قبل الأشخاص وبعدها زيادة في مقام المؤمن ومعرفته وصفوته.

غسل الأعياد: طهوراً لمن أراد قضاء الحوائج بين يدي الله عزّ وجلّ وإتّباعٌ لسنّة الرّسول.

الأعياد: الفطر والأضحى، الفطر ظهور وليّ الله بالدّعاء وهو محمّد، والأضحى شخص القائم وظهوره وهو الحجاب بالسّيف وإهراق الدّماء، و**الغسل فيهما** الإقرار لهما بالقدرة، وهما واحد وهو جوهرة واحدة، وطلب الحوايج التّصفية وإتّباعٌ لسنّة رسول الله والدّعاء إلى الله جهراً.

قيام اللّيل صحّةٌ البدن ورضى الرّبّ وتعريض الرّحمة والتّمسّك بأخلاق الأنبياء ومعرفة الله سبحانه في دولة الضّدّ، ومعرفة الوليّ والباب، لأنّ اللّيل المذموم العكر هو الضّدّ، وبمعرفة الله يسأل المؤمن درجة الأنبياء وفي الحديث: عليكم بقيام اللّيل فإنّه دأب الصّالحين قبلكم ومقربة إلى ربّكم ويكفّر لخطاياكم ومنهاة عن الإثم ومطردة للدّاء من الجّسد، وقد روي أنّ أمّ سليمان بن داوود عليهما السّلام قالت له: يا بنيّ لا تنم اللّيل فإنّ من نام اللّيل جاء يوم القيامة وهو مفلس من الحسنات، وقد أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السّلام يا داوود كذب من إدّعى محبّتي، فإذا جنّه اللّيل نام عنّي، وفي الحديث: إنّ الله تعالى يباهي ملائكته، عليهم الصّلاة والسّلام بالعبد إذا قام يتهجّد في اللّيلة الباردة يقول: أنظروا إلى عبدي خرج من تحت لحافه وترك الدّفء وإمرأته الحسناء ليناجيني بكلامي أشهدكم أن قد غفرت له، **وكان عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه يقوم للتّهجّد إذا هدأت العيوم ويسمع له دويّ كدويّ النّحل، فلا يزال كذلك حتّى الصّبح، وقد قيل لـِ **بشر الحافي** -رضي الله عنه-:لا تستريح لك في اللّيل ساعة، فقال: إنّ رسول الله صلعم وعلى آله قد قام حتّى تورّمت قدماه الشّريفتين وقطر منهما الدّم مع أنّ الله عزّ وجلّ قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر فكيف أنام أنا ولم أعلم أنّ الله تعالى غفر لي ذنباً واحداً، **وكان سفيان الثّوري** رضي الله عنه يقول: عليكم بقلة الأرض تملكوا قيام اللّيل، وكان **النّفيس بن عيّاض** رضي الله عنه يقول: بلغنا أنّ الله تعالى يقول حين يتجلّى من اللّيل: أين

المدّعون لمحبتّي في النّهار أليس كلّ محبّ يحبّ الخلوة بحبيبه، فها أنا الآن مطّلع على أحبابي يكلّموني على الحضور ويخاطبونني على المشاهدة غداً أقرّ أعينهم في جنّتي.

أكل التّفاح يصرف المعدة – يليّنها – أي العلوم الباطنة نجاة المؤمن.

و مضغ اللّبان يشدّ الأضراس وينفي البلغم ويذهب رائحة الفم، معناه النّظر في علوم الله سبحانه تشدّ قلب المؤمن من الشّكّ والإرتياب ويقوّي عزم المؤمن على معرفة الله وينفي عنه الضّدّ ويطيّب روحه.

الجلوس في المسجد بعد طلوع الشّمس أسرع في الرّزق من الضّرب في سبيل الله عزّ وجلّ، معناه المسجد معرفة الإمام منذ أن ظهر إلى أن يظهر الإمام الأخير، وهو القائم الثّابت والثّابت على معرفته نفي الشّكّ والإرتياب في أمره سهّل لقائه والنّظر إليه وأخذ العلوم منه.

السّفرجل يقوّي القلب الضّعيف، ويطيّب المعدة، ويزكّي الفؤاد، ويشجّع الجبّان، ويحسن الولد. معناه السّفرجل معرفة الأشخاص بالنّورانيّة، فمن عرف الأشخاص قوي قلبه على معرفة الله عزّ وجلّ وعلى ما يرد عليه من الباب ويخرجه من ذلك إلى الصّفوة والشّجاعة حتّى يدعو إلى ربّه، والولد هو التّلميذ، يقول: يحسن معرفة تلاميذه.

من أكل إحدى وعشرون زبيبة على الرّيق في يومه كفاه الله شرّ ذلك اليوم، وقيل صحّ بدنه، معناه: يقول من عرف إحدى وعشرين منطقاً من المناطق البابيّة في وقتٍ يعرفهم حقّ معرفتهم، ومن النّاطق منهم والصّامت يدفع الله عنه الشّكّ الّذي هو الكفر.

قال: يجب على الرّجل المسلم أن يأتي أهله أوّل ليلة من شهر رمضان لقول الله عزّ وجلّ: «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ» والرّفث هو المصافحة وقيل المجامعة في المذاكرة، والرّجل المسلم هو المؤمن الّذي آمن بالله ورسوله ظاهراً وباطناً وأسلم نفسه في طاعة الله والدّعا إلى ربّه، والأهل فهم تلاميذه، والرّفث مطارحة العلم الباطن، يقول: يستحبّ أن يلقي المؤمن إلى تلميذه العلوم الباطنة

وتعريفه في أنّ شهر رمضان هو عبد الله بن عبد المطّلب، والنّساء هم المؤمنين، يقول: مطارحة العلم كفّارة.

من نقش على خاتمه إسم الله فليحوّل عن اليد الّذي يستنجي بها في الوضوء.

من عرف محمّد حقّ معرفته فلينفي عنه البشريّة، كان من المؤمنين في محلّ النّورانيّين، وليعلم أنّه باشر من هو دونه من المراتب بهيئته وباشر الخلق في البشريّة فقال: «إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» أي باشرتكم بهذه الصّورة، والحمد لله وحده، فإحفظوا ما سمعتم، وكان فيما قال: إعلموا أنّ حوائج النّاس إليكم نعمة من الله عليكم، فلا تملّوا النّعمة فتعود نقمة، وإعلموا أنّ أفضل الأعمال ما إكتسب أجراً وورث حمداً، فتنافسوا على المكارم وأتاخذوا الأيادي إلى أهلها، فلو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه رجلاً حسناً يسرّ النّاظرين، ويقول: ويفوق العالمين، ولو رأيتم البخيل رجلاً لرأيتموه قبيحاً مشوّهاً تنفر عنه القلوب وتغضّ دونه الأبصار، أيّها النّاس: من جاد ساد ومن بخل ذلّ وإنّ أعظم النّاس عفواً من عفى عن مقدرة، وأكرمهم من أعطى من غير مسئلة، وأوصلهم من واصل من قطعه، ومن لم يطيّب حرثه لم يزكّي منبته، والفروع من معادنها تثمر أصولها وتنمو به «واللَّهُ ولِيُّ الْمُتَّقِينَ»، «واللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ» ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

كتاب الهفت الشريف

للمفضل بن عمرو

يسمّى الباب الأوّل من كتاب الهفت الشريف بكتاب الأظلّة والأشباح، لذا فقد اختلف الأقدمون في تسمية هذا الكتاب ولمّا كانت العادة جاريةً بتسمية الكتاب بحسب مبتدأه فقد سمّى الأقدمون كتاب الهفت الشريف بكتاب الهفت والأظلة، أو بكتاب الأظلّة والأشباح، وجميعها تسميات دالّة على هذا الكتاب الموسوم بكتاب الهفت الشّريف، وهو مجموعة من الأحاديث يبدو بأنّها زبدة ما تمّ الوصول إليه في الأفكار الباطنيّة، وقد تقاذفت كثير من الطوائف هذا الكتاب فقد كان للحروب عاملٌ مهمّ في وصوله إلى أيدي الإسماعيليين، إن بسبب الحروب أو بأسباب أخرى، فحاز منهم إهتماماً جدّياً، ولكن لا يبدو أنّه قد حاز منهم إهتماماً يقينياً حتى رماه الإسماعيليون عن ظهورهم وردّوه إلى أصحابه العلويين، ولكن بعض مدّعيّ الوجاهة في العلويين وعملاً بالموروث الشّعبي، فقد تبرأوا من هذا الكتاب وزعموا أن لا علاقة لهم به وبقي هذا الكتاب مهملاً حتى قرّرنا مقارنة نسخه وطباعتها ووضعها في هذه المجموعة المباركة.

أمّا الأصل الحقيقي للكتاب فهو حديث قديم يسمّى بالهفتية ولا شكّ أنّه جاء من بين كتب اليهود سيما وأن الإمام يقول في هذا الكتاب: «عن الباقر قال: حدثت عن بني إسرائيل قال رجل: جعلت فداك، والله في أحاديث السّبعة ما هو أعجب من أحاديثهم. قال الباقر: لعلّك، يا رجل، تريد الهفتيّة؟ قال نعم. فقال الباقر: فصدّق بها فإنّها حقّ.....» مما يدل على أنها كانت

موجودة ومتناقلة من قبل وجاءت هذه الأحاديث لتثبتها ونجد هذا أيضاً في حديث آخر حيث يقول: «وعن أبي قال: دخلت عليه فسألني ما عندك يا بنيّ من الأحاديث السّبعة؟ قلت: عندي شيء كثير، وقد هممت أن أوقد لها ناراً وأحرقها. قال: هات ما أنكرت منها. فخطر في بالي الآدميّون....» مما يدل على أن جدالاً قام حول هذه الفكرة يحاول العلويون اثبات فكرتهم فيه طالما أنّه داخلٌ في اعتقادهم به.

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين النبيين وعلى آله أجمعين.

الحمد لله الّذي ليس لأوليته ابتداء ولا لأزليته انتهاء وليس له أضداد ولا أنداد المطهر من الأزواج والأولاد خلق الأنام وأحسن التقدير ونهى باللطف والتدبير، وأقام السموات السبع بأمر إذ لم تكن وبسط الأرضين وأجرى بينهما البحار السبع وصيرها حصناً حصيناً لسمواته وزينها بالنجوم وجعلها أعلاماً يستهدي بها الخلق وخلق الجبال فجعلها أوتاداً، وجعل لكم خلقاً ظاهراً وباطناً وأدب خلقه من الظاهر من الأمور وَخصّهم بدرجات الباطن من العلم فسبحانه وتعالى علواً كبيراً.

ثم إننا نظرنا في علوم الباطن المأثورة عن الأئمة الراشدين فوجدنا الباطن ممازجاً ملائماً للظاهر، والباطن والظاهر لا اختلاف بينهما، إلا اتباع الهوى والميل إلى الرأي.

فوجدنا الناس قد اجتمعوا على التوحيد في التنزيل، واختلفوا في التأويل بالشبهات التي زاغت بها قلوب المخالفين، فركبوا الهوى بسبب جهلهم في التأويل فكل قال بهواه وطعن على مخالفة غيره في القرآن. فلما مضى وانقضى القرن لحقه قرن.

فنظرنا في أقاويلهم وفحصنا عن أفعالهم فوجدنا أفضل العلوم ما كان عن الله تعالى، وعن رسوله نصّاً، ووجدنا التأويل عن أهل البيت موافقاً للتنزيل لأنهم استنبطوا من العلم ما حارت فيه عقول أكثر الناس وعجزت أفهامهم وضعفت قلوبهم عن احتماله، فلما عجزوا عن ذلك فرغوا الى الطعن على أهله، حين حرموا منفعته، فكان أول ما يجب علينا النظر في أمور التوحيد إذ كانت الأشياء معقولة على التوحيد واقامته وأنه مالك الناس والدنيا والدين، فرجعنا في معرفته إلى أهل البيت الطاهرين وذريتهم المرسلين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وكان مما أوجب أن الله عز وجل كان ولا شيء معه، ثم جرت مشيئته بحادث الأشياء من خلف أحوال ارادته واسباب علله على ما أنا مفسّر لك في هذا الكتاب شيء بشيء وعلة علة من أقاويل الأئمة عليهم السلام مما أوليَا أوليائَهم وأصفيائهم من مكنون علم الله ورسوله وسرّه ودقائق علمه، فكان مما انتهى إلينا في ذلك عن الثقاة من حملة هذا العلم المخصوص المنصوص عليه فيما رووه علماً عن السلف الماضي، فمن ذلك أنه حدثنا محمد بن الفضل وكان أحد رواة علم الباطن ومن ثقاتهم وأوثقهم في علمه وأزهدهم في زمانه، ثم عمر بن زيد، ثم يوسف بن يعقوب، ثم يونس الموصلي، ثم عبد الله بن حلية الكتاني، ثم سيدنا محمد بن سنان خازن هذا العلم، ثم محمد بن المفضل، ثم ابن أبي عمير، وكان صواماً قواماً، ثم صفوان بن يحيى السابري وابن أبي عمران، وأحمد أبو محمد بن بصير، ويعقوب بن علقمة كل هؤلاء استنبطوا من علم آل محمد واتفقوا على هذه الروايات عن يونس بن ظبيان، وكان ليونس بن ظبيان شأن وأي شأن وعمر بن ذينة، وداوود بن كثير الرقي، وكان من الامام بمنزلة الثقاة.

المفضل بن عمر الجعفي هو أصل كل رواية باطنة، عن أبي عبد الله عليه السلام، ثم بن ربيع الشامي، وأبو حمزة الثمالي[1]، من لم يستغن عن رواياته المخالفون والموافقون، لصدق نصحه وأمانته، وقد نقل عن أصحاب الحديث، وأبو الحسن الخراساني وكان مناظر وأحمر العين، وكان أفضل إخوانه وأبو خالد الكابلي، وله دلائل كثيرة، وجابر الجعفي، وكان قد رزقه جعفر العلم رزقاً وقد جمعوا جمهور أصحاب الحديث من أهل الحجاز والعراق مثل سفيان وشيعته، وكل هؤلاء رواة عن أبي جعفر ومن قبل عن علي بن الحسين في بدء الخليقة ومعرفة الآدميين السبعة، وكيف كان انقضاء عهد كل آدم، وتركيبهم في الصور إلى ما يصير كل واحد منهم، وقد روي عن الصادق منه السلام هذه الأخبار وعن جماعة من أصحابه ابني يعقوب يونس ويوسف وبن عبد الله حناف وابن سدير ومبشر.

ولكل واحد منهم مناقب وهم الّذين نقلوا هذا العلم عن عبد الله بلا خلاف ولا نزاع وإنما كان الاختلاف من قبل الرواة وآل بيت محمد ليس بينهم اختلاف في التنزيل والتفسير والتأويل في الحلال والحرام، وهم والله عرفاء الحلال والحرام، وما قد أبان من علم التوحيد ومعرفة الحق عنهم بأجمعهم.

لأن لفظ أول الحديث المفضل بن عمر عن الصادق وأنه كان المعني من الجميع عنه.

الباب الأول: في معرفة ابتداء الخليقة وأول شيء خلقه الله تعالى

قال المفضل عليه فضل الله ورحمته:

قرأت على أبي عبد الله علينا سلامه ورحمته:«قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

---

[1] في كتاب الأظلة والأشباح : أبو الغمر الشمالي .

«يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ويَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ» قال: يا مفضل، لو علم الناس مبتدأ أصل الخلق ما اختلف رجلان في الدين.

قلت: سيدّي ومولاي، لا علم لي إلا ما علمتني فسّرها لي؟ فقال: إنها مفسرة في الآية ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ومن الناس من يقول إن الثواب والعقاب في الدنيا قوله: «يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ويَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ». أما علمت أن العذاب والرحمة[1] قبل أن يحشروا وينقلبوا في هذه الدنيا في الناسوتية والمسوخية والتراكيب ومن بعده إليه ينقلبون.

قلت: صدق سيدّي ما عقابها إلاّ في يومي هذا؟ قال: ثم نظر إلى ابن ظبيان وقال: يا يونس ما تقول أهل الكوفة في ابتداء الخلق؟

قال: يقولون أن الله خلق ابليس قبل آدم؟ فقال- وبالله المستعان على ما يقولون-، كذبوا على الله هكذا، إن الله سبحانه وتعالى خلق النور قبل الظلمة وخلق الخير قبل الشرّ وخلق الجنة قبل النار، وخلق الرحمة قبل العذاب، وخلق الأشباح قبل الأرواح، وخلق الأرواح قبل الأبدان وخلق الأبدان قبل الموت، وخلق الموت قبل الفناء، وخلق الفناء قبل التراكيب، وخلق التراكيب قبل القيامة، وخلق القيامة قبل النشر، وخلق النشر قبل القصاص، وخلق القصاص قبل الندامة، وخلق الندامة قبل الحشر وخلق الحشر قبل أن تبدو الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار.

قلت: سيّدي ما هو أول شيء خلقه[2] الله؟ قال: أول شيء خلقه الله النور الظلي.

---

[1] في كتاب الأظلة والأشباح : «أنّ الرحمة والعقاب قبل الحشر، وأن الله نقلهم في هذه الدنيا وذلك في الناسوتيّة والمسوخيّة والتراكيب والتكرير والتعذيب.
قال المفضّل: فقلت : بلى يا مولاي، ولكن العالم المنكوس لا يعرفونها ولا يعقلونها حتى تكون السّاعة.»

[2] في كتاب الأظلة والأشباح : «ما هو أول شيء أظهره الله».

قلت: ومن أي شيء خلقه؟ قال: خلقه من مشيئته، ثم قسمه. أما سمعت قوله سبحانه وتعالى: « إِلى رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ الظِّلَّ ولَو شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً ». خلقه من قبل أن يخلق ماء وأرضاً وعرشاً.

قلت: على أي مثال؟ قال: على مثال صورته، ثم قسمه إلى أظلّة، فنظرت الأظلة بعضها إلى بعض، فرأت نفسها وعرفت أنهم كانوا بعد أن لم يكونوا، وألهموا من المعرفة هذا المقدار، ولم يلهموا معرفة شيء سواه من الخير أو الشرّ، ثم أدّبهم الله.

قلت: فكيف أدّبهم؟ قال: سبح نفسه فسبحوه، وحمد نفسه فحمدوه، وحقق نفسه فحققوه، ولولا ذلك لم يكن يعرف أنه ربه ولا يدري كيف يثني عليه ويشكره، ولم يدر كيف يتكلم وكيف يسكن، ثم قال: تفقهوا عن الله الكلام، ثم قرأ سيّدي:«فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ»، ثم قال: فلم تزل الأظلة على ذلك تحمده وتوالي الله سبعة آلاف سنة.

فشكر الله ذلك، فخلق من تسبيحها السماء السابعة[1]، ثم خلق من تسبيح الأظلة الأشباح وجعلها الأظلة، وخلق من تسبيح نفسه الحجاب الأعلى، ثم قرأ سيّدي:«وما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَو مِنْ وَراءِ حِجابٍ»، يعني الأشباح التي خلق من تسبيح الأظلة السبعة. وأما معنى قوله تعالى: أو من وراء حجاب، يعني الأشباح التي خلقت من الأظلة السبعة.

وأما معنى قوله: أو من وراء حجاب، قال: يعني الأشباح التي خلق من الأظلة، ثم خلق لهم الجنة السابعة من السماء السابعة، ثم قال: عندهم جنة المأوى

---

[1] في كتاب الأظلة والأشباح : «فخلق الله من شكرها أشباحاً وجعلها لباس الأظلّة وخلق من تسبيح نفسه الحجاب الأعلى، ثم قرأ مولانا منه السلام : «وما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَو مِنْ وَراءِ حِجابٍ»، يعني وهي الأظلّة .

قال المفضّل : ما معنى من وراء حجاب فقال : هي الأشباح التي من تسبيح الأظلّة .

قال المولى الصادق منه السلام، ثمّ إنّ لاله تبارك وتعالى خلق السماء السابعة العالية الرفيعة، وهي الأولى وخلق فيها الجنّة السابعة، ثم قرأ مولانا منه السلام «عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى»».

وهي أعلى الجنات، ثم خلق آدم الأول، وأخذ عليه الميثاق وعلى ذريته، وقال عزّ وجلّ: من ربّكم؟ قالوا:«قَالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا».

قال الحجاب الّذي خلقه من تسبيح نفسه وأنبأهم[1] فكان الحجاب الأول أعلمهم، فمن هناك وجبت الحجّة على الخلق. ثم قال الله لهم: «أتعلمون أني أنا ربكم الأعلى»، كم في قدرتي أن أخلق أمثالكم وتعجزون أن تخلقوا شيء.

فقالوا: نعم يا رب فذلك هو الميثاق الّذي أخذه عليهم، ثم إن الله تبارك وتعالى خلق على مثال ذلك سبعة آدميين[2]، وخلق لكل آدم سماء وجنة على ما قد أخبرتك، فجعل أول من أجاب لأخذ الميثاق آدم الأول، ثم الثاني واحد بعد واحد، ثمّ فضل الأول على الثاني ثم تلا:«والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ». وخلق النور الثاني أفضل من النور الثالث، وخلق الأظلة من إرادته على ما يشاء، ثم أدّبهم على مثال الأول، وخلق لهم السماء الانية والجنة الثانية.

قال: «قَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ»؟«قَالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا».

فقال للحجاب الثاني: أنبئهم بأسمائهم، فأنبأهم بأسمائهم ومن أي شيء خلقوا، ومما خلقت السموات والجنة والأظلة والأشباح، وأخذ الميثاق من أهل السماء الأول للحجاب الأول وأخذ من أهل السماء الثانية الميثاق للحجاب الثاني، ثم قرأ سيدي:«وإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ ورَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ»، والطور هو الحجاب الأول، وأما قوله تعالى:«خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ»، وهي المعرفة في الشهادة، فصار ما بين سماء إلى سماء هو، وصار الحجاب الثاني مؤدياً عن الله تعالى إذا صعد إلى السماء السابعة. وكذلك إذا نزل الرب إلى السماء الثانية والرابعة فكان تأدياً لهم.

---

[1] في كتاب الأظلة والأشباح : «فقال للحجاب الّذي خلقه من تسبيح نفسه، أنبئهم بأسمائهم، ومن أي شيء خلقوا، فأنبأهم الحجاب بذلك وكان الحجاب الأعلى يعلم ويفهمهم ويرشدهم، فمن هنالك وجبت الحجّة على العالم كافّة...»

[2] في كتاب الأظلة والأشباح : «ثمّ إنّ الله خلق على مثال ذلك سبعة أنـوار،' وجعـل لهـا أظلّـة وأشباحاً وسموات وجنّات وخلق على ما أخبرتك به، فكان آدم الأوّل أجاب لأخـذ الميثـاق عليـه السلام، آدم الأوّل، ثمّ واحد بعد واحد إلى أن تناهى ذلك، ثم قرأ مولانا علينا سلامه ......»

فمن ذلك صار الحجاب حجّة على أهل السماء السابعة[1]، وهي أول الحجب. فصارت السموات أبواباً، ثم تلا:«وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها»، ثم خلق النور الثاني مثلما خلق النور الأول والنور الثاني من الأظلة والأشباح والأرواح السماء والجنة.

وخلق الحجاب الثالث ورأسه كما رأس الحجاب الثاني، وأخذ ميثاقهم له ونبأهم كما نبأ أهل السماء الثانية وأجاب آدم الثالث على مثل ما أجاب آدم الثاني على ما قرأت لك من النور والأظلة والأشباح وغير ذلك من التأديب، وخلق الله النور الرابع ثم الخامس والسادس والسابع على ما قرأت لك. ثم قال والأشهر الحرم؟

قال: أربعة.

قلت: وكيف صارت حرم؟ قال: لأن الحجاب الأول أقرب إلى الله من الحجاب الثاني، والحجاب الثاني أقرب من الحجاب الثالث، إلى أن يبلغ إلى السابع، كذلك الأشباح والأظلة والأرواح على مثال ذلك.

ثم خلق النور الخامس على شرح ما أخبرتك به، ثم خلق النور السادس على مثل ما تقدم من ذكره من الأشياء. وخلق النور الخامس من أمره، والسادس من فهمه، ثم خلق النور السابع وأمره ونهاه. وقال: أضعفهم السابع أي أقلهم نوراً وأكثرهم إيماناً وأرقهم يقيناً، إلا أن الله خلقهم على مثال الأول من الأظلة والأشباح، وأقام لهم الحجاب حجة عليهم، وكل هؤلاء أولهم حجة على آخرهم أول بعد أول، وكلهم قد شاهد الرب، وشاهدهم خلق السموات كلها من سبعة أنوار، وجعل كل نور متقدم وأفضل من صاحبه لسابقته، وجعل مقدار ذلك خمسين ألف سنة، فتبارك الله أحسن الخالقين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

---

[1] في نسخة : «فمن ذلك صارت الحجب خمسة على أهل السموات السبع وصارت السموات أبواباً لحجبه ..».

الباب الثاني:

في معرفة علل الأظلة والأشباح والأرواح وكيف أدبهم وعرفهم بنفسه

قال أبو عبد الله:

ثم خلق الله في كل سماء جنة وفي كل جنة عيناً تسمى سلسبيلاً، ثم تلا: «عَيْناً فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً»، وقال:

هي سبع جنات وسبع أعين وإنما احتملت كل سماء أهلها وصارت أوطاناً لهم تلائمهم، لأن الله خلق أعمالهم من العيون السبعة التي في الجنان، فإنها خلقت من علوم أهلها. ثم إن الله غمس الأظلة والأشباح في العيون وجعل لكل أهل سماء نوراً في عينه، فصارت أرواحاً في الأبدان. وقال: وإنما تسمت الأظلة لأنها كانت أظلة في ظل نور الله، وإنما تسمت الأشباح فلأنها ذات الله، وإنما تسمت الأرواح فلأنها استراحت إلى معرفة الله، وإنها تسمت السماء سماء، لأن الله سمّاها من أعمالهم ورفعها. ثم خلق الله بسبعة أيام لكل سماء يوماً، ثم إن الله فرض على كل سماء جنساً من التسبيح والتهليل، وجل لكل سماء باباً وجعل الحجب رسله إلى أهل كل سماء[1]. فسبّح نفسه فسبحوه، ومجد نفسه فمجدوه، وهلل نفسه فهللوه، فمكث على ذلك بما أخبرتك يؤدبهم ليتخذ عليهم الحجة. ثم خلق الأرواح أبداناً من نوره وجعل كل نور في سماء على حدود، ولكل روحاً نورانية بدناً من نور. فإذا صعد بدناً نوراً إلى السماء ألبس من الأبدان التي يتفاضل بها بدناً وجعل له حجاباً نورانياً، فكان الله إذا نزل إلى السماء لبس حجاب تلك السماء[2]، وحجابه من نور، ليس كالأرواح التي

---

[1] في نسخة : «وأمر الحجب على الأبواب وجعلهم رسله إلى أهل السموات السبع ....».

[2] في نسخة : «ثم إن الباري تعالى ينزل إلى سماء سماء في كل يوم فيسبّح نفسه فيسبحوه ويمجد نفسه فيمجدوه...».

أبدانها من نور[1]. وإنما ظهر لخلقه بهذه الصفة تأديباً لهم ليفهموا عنه ما يقول. لأن الشيء لا يفهم عنه إلاّ من يكون بصورته ومن جنسه، ثم قرأ سيدي:«صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عابِدُونَ»، فمكث كما أخبرتك يؤدبهم ويحدثهم كيف خلقهم وكيف ابتدأهم ومن أي شيء خلقهم. فلما أعلموا ذلك جعل يحدث كل أهل سماء كيف يخلق الأبدان الظلمانية، وكيف يخلق الأبالسة؟

الباب الثالث: في معرفة الأدوار والأكوار والتراكيب في الناسوتية

قال سيدي:

فلما عقلوا ذلك جعل يحدث أهل كل سماء، كيف يخلق الأبدان الظلمية، وكيف يخلق الأبالسة، وكيف أنه يكورهم، ويركبهم، وكيف خلق الليل ليسكنوا فيه، ثم تلا سيدي:« فالِقُ الإِصْباحِ وجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً والشَّمْسَ والْقَمَرَ حُسْباناً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»، حتى يعلمهم كيف يجعل الليل سكناً، وكيف يخلق لهم شمساً ونهاراً وقمراً وليلاً، وكيف يكون الإيمان الخفي والكفر الظاهر، وكيف أحب الله أن يُعبد سراً وجهراً، وكيف يمزقون ويقتلون حتى لم يترك شيئاً مما يكون في هذه الدنيا إلا حدثهم عنه وعرفهم به، وكيف يخطؤون ويزلون، ويُعصون ومن عصي في أي شيء يرد، ومن أطاع في أي شيء ينسخ وكيف سبب الأدوار السبعة؟

قال أبو عبد الله:

فأدبهم وعرفهم كيف الأوجاع، وأي علة تنزل بهم، وقد بين لهم ذلك ليكون له الحجة عليهم. ثم خلق الأدوار الاثني عشر، وكان قد قدر خلقهم إلى أن خلق لهم الأبدان من الطين بخمس أدوار، وكل دور بخمسين ألف سنة، وبقيت سبعة أدوار،

---

[1] في نسخة : وخلق لكل روح نوارنية بدناً من النور وكان إذا نزل إلى سماء من السموات يلـبس من تلك الأبدان النورانية بدناً وكذلك حجابه ...

فكان من الأدوار السبعة دور الأبدان النورانية، وستة إلى أعدائه، حتى يرجعوا إلى ما كانوا. ثم تلا أبو عبد الله:« كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ».

قال سيدي أبو عبد الله:

يا مفضل ما تقول أهل الكوفة في دور منتهى الدنيا؟

قلت: يقولون إنها سبعة آلاف سنة. فقال: يقولون أنها سبعة آلاف سنة. قال سيدي: أخزاهم الله إنهم لا يصفون ملك الله العلي الأعلى إلا بجهلهم وإنهم قد قصروا في قدرته تباً لهم وعليهم لعنة الله. وماذا يقولون في الآخرة يا مفضل؟

قلت: يقولون يا مولاي هي دائمة لا انتهاء لها. فقال: يؤفكون ويجهلون أمر الله تعالى، إن الله عز وجل لا يخلق شيئاً إلا ويعلم أوله وآخره، وكيف يخفى عليه أمر الآخرة وغايتها ومنتهاها، هو أعلم وأفهم وأعظم شأناً من أن يخفى عليه في الأرض ولا في السماء ولا في الجنة ولا النار. ووقت ابتداء ذلك وانقضاءه، أما سمعت قول الله تعالى:«فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ، خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ». فكيف ينفون هذه القدرة قدرة الله عز وجل بدت في كل ما أراد، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

الباب الرابع: في معرفة عصيان الخلق وعلله وكيف نسوا ما ذكروا به

قال المفضل: قال مولاي أبو عبد الله:

فرغ الله من ذلك كله بمقدار خمسين ألف سنة، ثم قال: «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً»، ثم قال: فكل من عصا منكم خلقت من معصيته عدواً له[1].

قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا لأضعفهم يقيناً[1]: تعالوا حتى نجتمع إلى رئيسنا ونطيعه في سمواته، ولا نحتاج أن نهبط إلى الأرض، فلما قالوا ذلك وهم لا

---

[1] في نسخة : فكل من عصاني منكم خلقت من معصيته عدواً لي وله ....

يعلمون أن ذلك معصية ورداً على الله تعالى، واجتمعوا إليه وكان الله عز وجل ظاهراً لهم يرونه رؤيا العين، وقالوا: إلهنا وسيدنا ومولانا، أخبرتنا بأنك تسكنا في الأرض فتبلونا في الأرض وتخلق من معصيتنا عدو لنا، لك المشيئة في أمرك والبدا في فعلك، لا تهبطنا إلى الأرض ودعنا في السماء نحمدك ونشكرك ونعبدك، قال: ها قد عصيتموني بردكم علي قولي، أفلا قلتم إلهنا أنت أعلم ولا علم لنا استسلمنا لأمرك، واتبعنا رضاك.

فقال: كنت أشكر ذلك من قولكم، ولكنكم رددتم على قولي وأمري. فخلق من معصيتهم حجاباً، واحتجب عنهم به وخلق لكل واحد منهم سبعة أبدان يترددون فيها، ثم ينقلبون إلى غيرها، قال: فعلموا أنهم أخطأوا وغلطوا على أنفسهم وضيعوا ما كان عهد الله إليهم في ترك مخالفتهم، ثم تلا أبو عبد الله:«فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ والْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ».

ثم تلا:«ولَو أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وأَشَدَّ تَثْبِيتاً، وإِذاً لآَتَيْناهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً، ولَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً». ثم قرأ:«ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ والرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً، ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وكَفى بِاللَّهِ عَلِيماً»، يعني بما أضمرتم في قلوبكم من ردكم على الله تعالى. ثم وكد ذلك وحذر المؤمنين فقال تعالى:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ»، يعني من مثل هذا القول ومن ردها على الله تعالى.

قال: واحتجب الله عنهم فندموا على ما فاتهم، وطافوا بذلك الحجاب سبعة آلاف سنة، ندماً على ما قالوه، وأسفاً على ما فاتهم، وطافوا بذلك الحجاب سبعة آلاف سنة ندماً على ما قالوه، وأسفاً على ما فاتهم من رؤيته وعلمه وحرمانهم من النظر إليه وحلاوة كلامه، وكانوا يتحدثون عن حلاوة ذلك ما لا انتهاء له ولا غاية، فلما فقدوا الاستراح استوحشوا وبقوا حيارى لا يهتدون من أمرهم ما يفعلون وأدركتهم الحسرة والندامة والسلام.

---

[1] في نسخة : «فقالوا لضعف يقينهم ..»

الباب الخامس: في معرفة بعث الرسل إلى الخلق

قال أبو عبد الله: فلما تحيروا في أمورهم وبهتوا وندموا رحمهم ربهم، فأرسل إليهم الرسل وكان أول من أتاهم من الرسل محمد (ص) رأس الأنبياء وخاتم المرسلين في قديم الدهر وحديثه في الأظلة والأشباح والروح والأرواح. فمن ذلك ما قاله أمير المؤمنين (ص): بنا فتح الأمر وبنا يختم. وذلك أن رسول الله وأمير المؤمنين كانا على خلقه كالأظلة، واسم على الأشباح والأرواح. فكان بعد ذلك يكلمهم بالحجاب. وكان رسول الله (ص) أول الحجب الشبحي، ثم في الحجاب الروحي، ثم في البدن[1]، حين خلق لهم الأبدان اللحمية الدموية[2]، قلت لمولانا الصادق: أي شيء خلق الله من معصيتهم؟ قال: الكلام الّذي عليه إبليس.

الباب السادس: في معرفة ابليس ومن أي شيء خلقه

قال أبو عبد الله:

---

[1] في نسخة: «وكان الله يكلمهم من الحجاب وكان رسول الله الحجاب، فلم يزل يكلمهم من الحجاب الظلي ثم من الحجاب الروحي حتى حجبهم عنه بالحجاب البدني الّذي خلقه من طولهم وعرضهم ثم كلمهم منه وخاطبهم فيه ودعاهم إليه فبقوا حيارى لا يدرون ما يقولون له وما أُحجبوا ولا نكروا بل بقوا متحيرين، فخلق من ذلك الوقوف والتحيير في الأبدان الطينية ...»

[2] في نسخة: «فقلت : سيدي ومولاي : مما خلقها الله تعالى ؟
قال : من معصيتهم وهو الكلام الّذي ردّوه على الله، فخلق من الشكّ وخلق من الشك النار، وخلق إبليس من تلك النار روحاً بلا بدن، لا إلى السماء مرفوعاً ولا إلى الأرض مهبوطاً، بل هو قائمٌ في الهواء والرب محتجب والأرواح النورانية مختلفة في الأبدان وهي تضيء ضياءً فلم يعرف إبليس كيف ابتداء خلق العالم ولا كيف ظهروا ولا من أي شيء خلقوا ولم يشهد ما شهدوا أولئك الّذين قبله ولم يخبر بشيء من ذلك ولم يحدث بشيء ولم يؤدب كما أدب المؤمنين .....»

خلق الله تعالى الروح بلا بدن، وخلق إبليس من معاصي المؤمنين وزلاتهم وخطاياهم، فلما خلقه نظر إلى السماء من فوقه وهو قائم والرب محتجب والأرواح النورانية تختلف في الأبدان وتضيء ضياءً فلم يعرف الملعون ابتداء الخلق أو من أي شيء خلقوا ولم يشهدها كما شهد الّذين من قبله، ولم يخبّره بشيء من ذلك، ولم يؤدّب المؤمنين. ثم تلا أبو عبد الله: « ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ والأَرْضِ ولا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وما كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً».

وإنما أراد بهذا الحرف من الخطاب. وذلك إبليس وذريته قد شهدوا خلق الأرضين:« وما كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً»، إن الله خلق إبليس لكل طاغ متمرد.

ثم قال: يا مفضل أتدري لما عصيَ إبليس؟ قلت لا يا مولاي...

قال: إن إبليس وذريته جاهلون، خلقوا من الجهل والمعصية، فلا يطيعون الله أبداً، ولا يعرفون سبيل الرشاد، ويتبعون سبل الغيّ والورود إليه. ثم ردوا وما انتهوا. وخلق المؤمنين من روح الحياة. فإن شكوا رجعوا، وإن جهلوا وقفوا، حتى يعرفوا، وإن عصوا استغفروا ومعصية المؤمن على تعمّد لا تدوم، وإنما يعصي ويحذره.

قلت: يا مولاي من أين جهل الرب؟ قال عليه السلام: من جهة الحجب المختلفة.

الباب السابع: في معرفة الأبالسة وكيف صاروا شياطين

قال أبو عبد الله: إن إبليس لما خُلق، نظر في خلقة المؤمنين، وهو يعلم أنهم مؤمنين فرآهم أبدانهم قائمة، فقال في نفسه: أنا خير منهم ومن هؤلاء. فلما صار في الخلقة الظلمية إلى الشبح، أنكر ذلك. فقال: كيف هذا وأنا خير من هؤلاء القوم الّذين خلقوا أبداناً. أجري في أبدانهم ولا يمكنهم أن يجروا فيَّ. فأقبل هو وذريته يدخلون في الأبدان التي لا روح فيها. فقال: نحن خير من هؤلاء وقد زيّنّا عليهم نملكهم ولا

يملكوننا وندخل في أبدانهم ولا يدخلون في أبداننا، وكيف خصّوا بالضياء وخصصنا في الظلمة، فاعتقد هو وذريته عداوة المؤمنين ولم يكن يومئذٍ يسمّى إبليس.

وقال أبو عبد الله: لا سماءً مختلفة وعلى قدر الظل والشبح والروح، فلما اعتقد هو وذريته عداوة المؤمنين بعث الله محمد منه السلام إلى النبيين والمؤمنين أنواراً، وقد كان أسكنهم سماء الدنيا وخص خلقه سكان السموات الدنيا. فأيدهم الله بمحمد ليديهم ويرشدهم.

فقال الله: يا محمداً انزل إليهم ثم حذّرهم من إبليس وذريته فإنهم قد أضمروا عداوة المؤمنين، ونقدم إلى المؤمنين بأن لا يخبروا إبليس بخلقهم ولا من أي شيء خلقوا. وأمرهم في الكتمان. فمن هنا أمرتم في الكتمان وهو امتحان الطاعة والمعصية. لأن التقية ديني ودين آبائي وأجدادي ومن لا تقية له لا إيمان له. وقال الله للمؤمنين وهو يؤدبهم: إني سأخلق لكم عدواً وإنه سيعصيني وذريته وإني أعذبهم، في الدنيا والآخرة. أمّا في الدنيا ففي المسوخية، وأمّا في الآخرة ففي النار. ثم تلا «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ». وقال عزّ من قائل للمؤمنين: إني لست بجائر، ولا أظلم أحداً من خلقي، ولا أعذب أحداً إلا بذنبه، وإني أريد أن آخذ عليهم عهد الله وميثاقه بأنه خلقهم ويرزقهم ويحيوا ويموتوا بقدرته وسلطانه التي أعداهم الله إياها. وعلى هذا العهد والميثاق أعطاهم هذه القدرة.

ثم تلا: « وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»، وقال تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً، لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً». قال الصادق: فدخل الكتمان في الميثاق الّذي أخذه على الأنبياء والأوصياء. فقال: استروا ذلك واكتموه لمّا علم ما في قلوب الأعداء.

فقلت: كيف حلّفهم؟ قال: حلّف الأنبياء بالله، وحلف الأوصياء بالله، وحلف المؤمنين بالله العظيم، وحلفهم بهذا الميثاق على المعرفة والأظلة والأشباح والأبدان بعد حلف الميثاق العظيم، قوله تعالى: « وَأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً»، والسلام والحمد لله رب العالمين.

الباب الثامن:

في معرفة إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا

قال أبو عبد الله: ثم إن الله جمع أرواح الأنبياء والأوصياء والمؤمنين كلها فكتب عليها كتاباً وأشهد عليها محمداً (صلعم)، ولم يكن في ذلك اليوم شاهداً غير محمد، وكتب في لوح من نور وختمه واستودع ذلك اللوح سرادق عرشه. ثم تلا أبو عبد الله: « فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ»، أتدري كيف نزلت؟

قلت: لا

قال: نزلت هذه الآية بآدم على ولده وكل رسول، وجئنا بك يا محمد على الآدميين شهيد. ثم تلا قوله: « وأَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ ذلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ»، والأظلة والأشباح والأرواح.

قلت يا مولاي: إن أهل الكوفة يقرأونها بخلاف ما تقرأها أنت، ويزعمون أن هذه الشهادة في النساء والطلاق. فقال: ويلهم جهلوا الآية لأنهم وضعوها في غير موضعها الّذي وضعه الله تعالى فيه، وآثروا الرجال والمرأة، لقد كفروا وعقّوا. ألم يقل الله عز وجل: « وأَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ»[1].

قلت: يا مولاي وكيف الآية التي في أمرالنساء والطلاق؟ قال: هي: « ولا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا». وقال: «ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وأَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ»، وقال تعالى: «ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ». يا مفضّل أما سمعت قوله تعالى: «ومَنْ يَكْتُمْها

---

[1] في نسخة : «وأقيموا الشهادة لله ربكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر في الأظلة والأشباح والأرواح والأبدان، قال المفضل : فقلت : سيدي ومولاي أهل الكوفة يفسرون هذه الآية بخلاف ذلك ويزعمون أنها في النساء والطلاق فقال : وقوله عز وجلّ ويلهم جهلوا هذه الآية وجعلوها في غير موضعها الّذي وضعها الله فيه، أترى المرأةى والرجل هم الله العلي العظيم لقد كفروا بالله وصدوا عنه وعتوا عتواً كبيراً، أليس الله يقول : أقيموا الشهادة لله ؟ فقلت: بلى يا مولاي، فقال : الله إمرأة أم رجل عزّ وجلّ وعلا عما يقولوا الظالمون علواً كبيراً .....».

فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ واللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» وهذه الآية ليست في النساء والطلاق، وإنما هي المعرفة والشهادة باطلاق اللفظ في مقالة التوحيد، فهذا تفسيرها في باطن علم الله وسره فاعرفه يا مفضّل.

قال المفضّل: سيدي ومولاي: إني لأجد بعض إخواني المؤمنين العارفين المحقين ربما وقع في حال مع بعض الأضداد المخالفين فيستعين بي أخي المؤمن ويستشهدني في حال ليس لي به علم ولا معرفة ولا أدري كيف أصنع معه إن شهدت معه شهدت بما لا علم لي أحقاً هو أم باطل، وإن تخلفت عنه هلكت، فأي شيء أصنع يا مولاي حتى أتخلّص ولا آثم[1]؟

قال مولاي -منه الرحمة-: يا مفضّل، إشهد لأخيك على عدوّه فما للكافر على المؤمن حرمة، ولا عصمة.

قال المفضّل: أشهد بما لا أعلم والله تعالى يقول: «إلاّ من شهد بالحق وهم يعلمون» وأنا فما أعلم؟

فقال مولاي منه السلام: بلى يا مفضّل، أنت تعلم أوما علمت أن الله أخذ عليهم العهد وأمر المؤمنين أن يشهدوا لإخوانهم المؤمنين إذا كانوا عندهم في موضع التقية والأمانة في جميع ما يشهدون لهم فيه وذلك إن شهادة المؤمن لأخيه المؤمن بالإيمان أعظم من ذلك كله، وهو لا يعلم ما بنفسه بسرّه، فهذه الشهادة هي شهادة صدق لأنها قضاء الحقّ الله لأنّ الحق الباري تعالى لقوله تعالى: «إن الله هو الحق وهو يحيي ويميت» فأنت تشهد لأخيك أنّه قد عرف الحقّ الّذي هو الباري، فما يجب أن يتخلف المؤمن عن نصرة أخيه المؤمن لأن الله تعالى لما أخذ الميثاق عليهم أمرهم أن يشهدوا بعضهم على بعض على العدى لأنه أعلمكم باستطالة العدى عليكم بما كسبتم بذنوبكم وأمركم أن تشهدوا بعضكم لبعض لما فيه نجاتكم وخلاصكم من الأعداء وجعل ذلك فرضاً واجباً على المؤمن على أخيه المؤمن وأنّي حقّ أحقّ من شهادتك لأخيك المؤمن وخلاصه من الأعداء الظالمين.

---

[1] هذا السؤال محذوف من النسخ المطبوعة.

الباب التاسع: في معرفة الباطن وعقد الشهادة عند المؤمنين

قال المفضل: قلت لمولاي عليه السلام: ما تقول في الرجل الناصبي يتزوج بالامرأة المؤمنة؟

قال عليه السلام: إذا تبين لها نصبه استعصت عليه، وقالت له: طلّقني. ثمّ تستشهدني فاشهد لها بذلك.

قلت: وهل أشهد لها؟

فأجاب: ليس للكافر مع المؤمن عصمة.

قلت: وكيف أشهد والله يقول: إلاّ من شهد بالحقّ وهم يعلمون، وأنا لا علم لي بذلك. قال منه السلام: بلى، أنت تعلم. أما علمت أن الله أخذ عليكم الميثاق أن يشهد المؤمن لأخيه المؤمن، إذا كان من الموضع الّذي يعفّ ويجب فيه العفّة والأمانة في كل ما يشهده، وذلك أن شهادة المؤمن لأخيه بالايمان أكبر من ذلك كله. فهي حق واجب على الأخ لأخيه المؤمن. وذلك وصف الله المؤمنين عندما كان يؤدبهم في الأظلّة في جميع ما ينالهم من الأعداء في الدنيا، وأعلمهم في إظهار الأعداء عليهم. فأمرهم أن يشهدوا لبعضهم البعض بما فيه نجاتهم من الأعداء ومصلحتهم في المعاش، وإن ذلك حقاً واجباً عليهم يفعلون. فأي حقّ أعظم من هذا الحقّ الّذي يفرق بين الناصبي والمؤمنة. تمّ والسلام.

الباب العاشر:

في معرفة أشباه الناس في البهائم والبهائم بالناس في المسوخية وسببه

قلت: مما خلق إبليس وذريته؟ فقال أبو عبد الله: خلق الله تعالى إبليس وذريته من النار.

قلت: ومما خلق آدم وذريته؟

قال: خلقوا من النور والأظلة والأشباح والأرواح وخلقت أبدانهم من الطين. فلما أخذ الله عليهم الميثاق على آدم وولده قال تعالى للأنبياء والأوصياء والمقربين: إني سأحتجب بحجب الآدمية. فإذا دعوتكم لآدم فاجعلوه قبلتكم فإني جعلت آدم قبلتي، وإني سآمر إبليس وذريته بالسجود له، ولكنه يستكبر ويعصي هو وذريته، فتحل عليهم عقوبتي، وإني أنا الله لا إله إلا أنا، لا أظلم أحداً ولا أعذبه إلا بحجة.

قال: فدعا الله الملائكة بالسجود لآدم[1] والملائكة المقربين والأنبياء والصديقين والأولياء والأصفياء والمؤمنين، فسجدوا كلهم أجمعين. فصار آدم قبلتهم ودعا إبليس وذريته إلى السجود له فامتنع. فقال له: «ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ»[2]؟ قال: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»، والنار تأكل الطين وهي أقوى من الطين، والنار تشبه النور والطين يشبه التراب[3].

---

[1] في نسخة: «ثم إن الله تعالى دعى الملائكة أعني العالمين الكبير والصغير النوراني والترابي ومن يليهم من أهل الإجابة والإقرار الّذين دخلوا في المزاج إلى السجود لآدم فسجدوا له كلهم كل رتبة تتلو تقدّمها فصار آدم قبلة العارفين ...»

[2] في نسخة: «أم كنت من العالين يعني من الأشباح الخمسة التي هي أشخاص الحجاب الأعلى ...

[3] في نسخة: قال إبليس : أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين، والنار تأكل الطين لأنها تشبه النور والطين من تراب، والماء ممتزج ...»

قال: فخلق عز وجل من معصية إبليس[1] النار، وخلق من معصية ذريته المسوخية، فنظر إبليس إلى المسوخية فقال: ما هذا؟ قال: هذا تركيبك أنت وذريتك في المذبوح والمركوب والمأكول والمشروب، ومن كل صنف وجنس. ثم ألبس الله تعالى إبليس وذريته الأبدان[2]، كما ألبس آدم وذريته، فمن هناك اشتبه على الناس أمرهم في المسوخية عندما لبسوا الأبدان.

قال: وإنه ليلقاك الرجل في بدءه وأنت تظن أنه آدمي، وإنما هو قرداً أو خنزيراً أو كلباً أو دبّاً، فاشتبه ذلك على الناس، فمن ذلك لا يعرف المؤمن من الكافر للصورة المركبة فيهم يعني الأبدان التي ألبسوها، فلما تركبت الأشياء وبني آدم لا يعرفون أنهم من ذرية إبليس، بل إنما يظنون أنهم مثلهم[3] فجعلوا يخبرونهم كيف خلق الله آدم وذريته، وكيف خلق الأشياء حتى أخبروهم بخلق كل شيء من السموات والأرض والجنة والنار. ولما سجدت الملائكة لآدم علم إبليس عند ذلك أنه يركب في المسوخية هو وذريته، وحسد آدم وذريته لمّا رزقوا من الجنة، ولما فضلوا به، واعتقد هو وذريته عداوة المؤمنين، فأظهر إبليس السجود إلى كل شيء، وندم هو وذريته وأظهر السجود للأحجار والأوثان والشمس والقمر، وجلّ أن يكون الله تعالى قد احتجب فيها، فلذلك سجد لكل شيء من دون الله تعالى.

---

[1] في نسخة: «فخلق عز وجل من معصية إبليس النساء، وخلق من معصية ذريته المسوخيات . قال : فاشتبه النساء عليهم لموضع مشاكلتهم لهم في الأبدان والصّور واستبشعوا المسوخيات وتناكروا باختلاف صورهم، فقال إبليس : ما هؤلاء ؟ فقيل له : بهذا تحلّ أنت وذريتك في الركوب والمأكول والقشاش من كل جنس وصنف باختلاف الصور والأجناس لمخالفتك الله ومعصيتك لطاعته وامتناعك عن السجود لحجابه ...».

[2] في نسخة : «قال : ثمّ إنّ إبليس وذريته لبسوا الأبدان كما لبس آدم وذريته الأبدان فبذلك اشتبهوا على المؤمنين بلبسهم الأبدان ...».

[3] في نسخة : «و هم لا يعرفونهم ولا يعلمون أنهم مسوخ لأنهم ظاهرون في التراكيب باطنون في المعرفة لأن المزاج أشكلهم على المؤمنين فإذا لم يبق لله حقّ إلاّ أنكروه ولم يبق شيء من الباطل إلا ثبتوه وأقروه وأقاموه عناداً لله، فحين تزول عنهم رتبة المزاج يظلمون فيركبون ويرجعون إلى المسوخية، فيراهم المؤمنين العارفين المقرين بما هم به وبما هو أصلهم من الظلمة والتعس والنكس..».

الباب الحادي عشر:

في معرفة علل المزاج بين المؤمن والكافر وكم يكررون

قال أبو عبد الله: لم يوفق اله إبليس وذريته إلى السجود له وهو محتجب بآدم، لأن إبليس وذريته خلقوا من الظلمة والخطيئة. فخلق الهواء من أهوائهم وظلمهم وعصيانهم[1]، وخلق الأرض من كفرهم واعتدائهم[2]، ثم اختلطوا بالمزج حينن ركبوا بالأبدان، واختلطوا في التزويجِ والنكاح واشتباه الأبدان ووقع بينهم النسل وتوالدوا، ولهذه العلة يلد الكافر مؤمناً، ويلد المؤمن كافراً. ثم تلا أبو عبد الله قوله تعالى:«يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ»، وكلّ من يخرج من الأصلاب من أصله الّذي خلق منه ثم يكرر سبع كرات في سبع أبدان، والمؤمن ينسخ نسخاً، والكافر يمسخ مسخاً في أصناف المسوخيّة، ثم تلا قوله تعالى:«ومِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى ومِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ». وتلا أيضاً: «لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ»، يعني في دورة لا عقب لها إلاّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإنهم لا يمسخون، وإنما يمسخ من كان قبل إبليس وذريته ومن خلق الظلمة والخطيئة.

---

[1] في نسخة : «خلق الهواء من التوهم»

[2] في نسخة : «خلق الأرض من الظنّ»

الباب الثاني عشر:

في معرفة المؤمن الممتحن وكيف يرد في المسوخية ويركب فيها ؟

قلت: فما أول درجة من درجات المؤمن الممتحن المصفى الخالص التي يركب فيها؟

قال عليه السلام: أول درجة ما وصفه الله تعالى بها بقوله: «أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى»[1].

قلت: يا مولاي فما حدّ النقيب؟

قال: أما سمعت قوله تعالى: « فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ» عن معرفة الله، ألا ترى كيف يوكد في الآية:« إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَو أَلْقَى السَّمْعَ وهُو شَهِيدٌ»[2].

قلت: يا مولاي وما معنى قوله تعالى وهو شهيد؟

قال عليه السلام: يعني مشاهدة الله في الأظلة حين أخذ عليهم الميثاق.

قلت: يا مولاي: فكم عدد النقباء؟

قال: إثنا عشر نقيباً.

---

[1] في نسخة : «أما العالية بعد الباب والأيتام ثم النقباء ثم النجباء والمختصين والمخلصين والممتحنين وأما أقرب درجات العالم الصغير وأدناها إلى عالم المزاج وأقربها اللاّحقين والمستمعين والسائحين والمقدسين والروحانيين والكروبيين والمقربين وهم السابقون وهم أعلى درجات العالم الصغير كما الباب أعلى درجات العالم الكبير...».

[2] في نسخة: «قال المفضل : كم الأيتام : قال : خمسة أبداً، والنقباء اثنا عشر أبداً والنجباء ثمان وعشرون أبداً، وبقية العالمين الكبير والصغير أصحاب المراتب والدرج تمام المائة ألف وأربع وعشرون ألف شخص، فأما علم الإقرار والإجابة الّذين دخلوا في المزاج فإنهم لا يحصون عدداً ولا يحاط بهم ولا يدركهم غير الخالق لهم .....».

قلت: فهل يرتقون إلى درجة غيرها؟

قال: ليس بعدها درجة.

ثم تلا قوله تعالى: «إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وكانَ رَسُولاً نَبِيًّا». فبدأ بالإخلاص من قبل الرسالة وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة.

قلت: يا مولاي: أما كان أهله من أهل الصلاة؟ قال: ويحك أتدري ما معنى قوله تعالى « وكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ»؟ قلت: يعني أهله المؤمنين من شيعته، الّذين يخفون إيمانهم، وهي الدرجة العالية والمعرفة والإقرار بالتوحيد وأنه العلي الأعلى، فأمّا معنى قوله تعالى: «وكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ»، فالصلاة أمير المؤمنين، والزكاة معرفته. وأما إقامة الصلاة فهي معرفتنا وإقامتنا، وهو مثل قوله تعالى: « واللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ». أما سمعت قوله تعالى: « ورَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَخْتارُ» يعني أمير المؤمنين علي (ص) ما كان لهم من الخيرات يعني محمد (ص) والله أعلم بحاله، تم الباب والسلام.

الباب الثالث عشر:

في معرفة الصفاء والاصطفاء وما يسقط عن المؤمن من الأعمال الظاهرة إذا ارتقى إلى هذه المنزلة

قلت سيّدي: قد فسرت لي الصفاء وعرفته، فما معنى الاصطفاء أيضاً؟ قال عليه السلام: الاصطفاء فوق درجة النبيين، وهي الرسالة لقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إِبْراهِيمَ وآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ». فنحن الذريّة.

قلت: يا مولاي، فإذا بلغ أحدهم إلى هذه الدرجة هل يرقى إلى غيرها؟

قال: نعم يرتقي إلى الحجاب وهي أول درجة ذكرناها. ثم تلا قوله تعالى:«ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلاَّ وَحْياً أَو مِنْ وَراءِ حِجابٍ». وتلا أيضاً قوله تعالى: «ورَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ».

قلت: يا مولاي: هل علينا نحن معرفة هذه الدرجات؟

قال الصادق: نعم من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر، وما دام لا يعرف هذه الدرجات ولا يبلغها بمعرفته، فإذا بلغها وعرفها منزلة منزلة، ودرجة درجة، فهو حينئذٍ حرٌّ قد سقطت عنه العبودية، وخرج من حد المملوكية إلى حدّ الحرية باشتهائه ومعرفته.

قلت: يا مولاي: فهل ذلك في كتاب الله؟

قال: نعم، أما سمعت قوله تعالى:« وأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى».

فإذا عرف الرجل ربّه فقد انتهى للمطلوب ولا شيء أبلغ إلى الله من الوحدانية والمعرفة، وإنما وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين. وأمّا من قد بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها لك فقد أعتقه من الرقّ ورفعت عنه الأغلال والأصفاد وإقامة الظاهر.

ثمّ تلا قوله تعالى: «لَيْسَ عَلَى الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات جُناحٌ فيما طَعِمُوا إذا مَا اتَّقَوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات ثُمَّ اتَّقَوْا وآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وأَحْسَنُوا واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ». وقرأ مولاي:«لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ »، قلت: ما تعني هذه يا مولاي؟

قال: يعني رفعةً في المعرفة وارتفاعاً في الدرجات والسلام.

الباب الرابع عشر:

في معرفة ما يجب للمؤمن من الّذي قد بلغ وانتهى على أخيه المؤمن الّذي لم يبلغ ولم ينته إلى حقيقة المعرفة

قال أبو عبد الله عن قوله تعالى: «فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ». فقال: يا مفضل: ما تقول أهل الكوفة في هذه الآية؟

قلت: يقولون، ما هو السلام – يعني يقول الرجل إذا دخل بيته السلام على من معي–.

قال: ما أجهل القوم وما أعمى قلوبهم.

قلت: وما معنى هذا؟

قال: هذا في شيعتنا وفي كل مؤمن قد ارتقى درجة صاحبه، فلصاحبه الّذي لم يرتق درجة أن يسلم إليه الأمر، ويوجب له الطاعة على نفسه، حتى يرتقي إلى مثل عمله الملكوتي فيصير مثله في درجة الايمان والمعرفة فحينئذٍ لا توجب طاعته لأحد، بل يجب له الطاعة على جميع اخوانه من هم دونه حتى يبلغ درجة الباب[1].

قلت: يا مولاي، وما هي درجة الباب؟

---

[1] في نسخة : «قال المفضل : سيدي ومولاي، وماذا يكون لهم إذا علموا وبلغوا إلى هذه المنزلة ؟ قال مولاي منه السلام : يكون لهم أن يرون مولاهم وحجابه وبابه بحث حلّوا ولا يحجبهم عن النظر جبلٌ شاهقٌ ولا طورٌ ولا بحرٌ عميقٌ ولا حائطٌ محيط، بل يكون نصب أعينهم حيث ما شاء وأرواد، فطوبى لمن وفقه الله أن يكون كذلك، والويل لمن حرم ذلك » وهنا ينتهي كتاب الهفتيّة المسمّى بخبر الهفت والأظلّة والّذي هو جزء من الكتاب الكبير المسمّى بالهفت الشريف .

قال الصادق: درجة الباب أن يدري الامام حيث يشاء، لا يحجب عنه شيء، لا جبل شاهق، ولا طود متين ولا بحر عميق، ولا حائط محيط، الا يكون نصب عينيه حيث شاء وأراد.

قلت: يا مولاي فما درجة الايمان؟

قال عليه السلام: أدنى درجة أن لا يحجب الله عنه شيئاً لا أرض ولا سماء ولا جبل ولا برّ ولا بحر حيث ما كان يراه ولا يجهل أمر الله عز وجل. وذلك أن الجهل منقصة، وليس في الامام منقصة، والجهل ضلالة، وليس عند الامام ضلالة، وإنما عنده الهداية. فاعرف هذه الأصول وهذه الدرجات فإنها تبلغ المؤمن والسلام.

الباب الخامس عشر:

في معرفة نكس الكافر درجة بعد درجة – يعني ينكس في الكفر كما انتهى المؤمن في الايمان فيصير إبليس من الأبالسة

قال المفضل: سألت سيدي عن الكافر كيف يرتقي في الكفر ويبلغه حتى يصير طاغياً ظالماً شيطاناً؟ قال: يا مفضل إن لكل كافر سبعة أبدان آدمية يركب فيها ويعذب.

فأول درجة الكافر أن يكون كافراً ممتحناً بالكفر فيغلي قلبه بأعمال الفجور، كما يغلي قلب المؤمن بأعمال البرّ. فإذا بلغ الكافر هذه الدرجة صار نقيباً في الطغيان، ثم إذا بلغ هذه الدرجة من الطغيان صار مخلصاً خالصاً في الاثم والبهتان، ثم يكون مخلصاً في بَغيِه الشرّ واجتنابه الخير، ثم يصير مأوى الطغاة، ثم يكون باباً، فإذا ارتقى وكان باباً في الكفر صار يوضع كل ذنب برأيه، ويدعو إليه الناس، وسبيل هذا الكافر في الشرور كسبيل المؤمن بالخير. وكلما ارتقى المؤمن إلى الخير باباً ارتقى هذا الكافر في المعصية باباً، مثل بمثل، حتى ينتهي في الكفر، فحينئذٍ

يركب في المسوخيّة بذنوب سلفت منه انتابه هموم وغموم وسمّ وتعب، وإنما يكون ذلك ليصفو ولا يكون لأحد قبله مثل تعاسته حتى يعرف المؤمن إيمانه بكماله ويعرف الكافر كفره بكماله والسلام، والحمد له رب العالمين.

الباب السادس عشر:

في معرفة امتزاج المؤمن بالكافر وكيف اختلطا؟

قلت: يا مولاي، هل تدلّني على معرفة امتزاج المؤمن بالكافر، وكيف اختلطا؟ قال الصادق: ويحك، إن الله خلق الأرض من رضاء المؤمنين ومن رائحة عمل المؤمن ومعرفته بربّه وإقراره بوحدانية مولاه وأوليائه ومعاداة أعدائه، وما كان منها رديئاً فهو من رائحة عمل الكافر وجهالته بربّه وإنكاره لوحدانيّته ومعاداته لأوليائه وموالاته لأعداء الله عز وجل، وإخلاصه في الكفر، وامتزاج بعضهم ببعض بامتزاج التشبيه حين لبسوا الأبدان وهم في المسوخيّة، والناس لا يعلمون، وربّما أكل معك كلب وأنت تظنّ أنه إنسان. فلما اختلطوا وأكلوا معهم وشربوا معهم ووقع بينهم النكاح والامتزاج والتزويج، وكلما وقع بينهم من الأكل والشرب، جرت الولادة على أصل امتزاج بعضهم في الظاهر، وأما الباطن فإن له شأناً عجيباً، وكذلك في الأظلّة وامتزاج البحر المالح والبحر العذب والسلام.

الباب السابع عشر:

في معرفة إبليس والشيطان والمؤمن والكافر لماذا تسموا بهذه الأسماء

قال المفضل: قلت: سيّدي، لم سمّي إبليس إبليساً؟ قال: لأنه أبلس في رحمة الله، وآيس من رحمته تعالى، وسهى عن معرفة الله، وجهل وحدانيّته، ومعنى أبلس في نفسه هو الجهل، وقد كان له اسم قبل ذلك.

قلت: يا مولاي وما كان اسمه؟ قال: كان اسمه «ذَمّاً»، لأنّه ذمَّ الله حين لم يوافقه للسجود[1]، وخذله الله وسمّاه ذمّاً فهو أديماً.

قلت: يا مولاي: ولم سمّي آدم آدماً؟ قال الصادق: لأنه دام على معرفة الله عز وجلّ في الأظلّة والأشباح والأرواح والأبدان لم يغيّر ولم يبدل. فسمّاه الله آدم أي مداوم، ومحمود وموافق.

قلت: يا مولاي: ولم تسمّى المؤمن مؤمناً؟ قال: لأن الله آمّنه من المسخ، فهو مؤمن بربّه واثق به، عارف بربوبيّته ووحدانيّته، غير منكر ولا متكبّر، أطاع أوامره واجتنب معاصيه[2]، وقد كان الله وفقه لذلك في الأظلّة حين أخذ عليه الميثاق.

قلت: يا مولاي: لم سمّي الكافر كافراً؟ قال – منه السلام–: لأنه كفر بعد المعرفة في الكتاب، وثبت على كفره، وهو الجحود والإنكار بآياته ورسله.

---

[1] في نسخة : «لأنه ذمّ الله تعالى حين لم يعرفه فسماه الله ذميماً فهو مذمومٌ مخذول أبداً في الأظلة والأشباح ..»

[2] في نسخة : «لأنه دام على معرفة مولاه وآمن به في الأظلة والأشباح والأرواح والأبدان في جميع الأكوار والأدوار والأحقاب والدساتير فلم يغير ولم يبدل فسماه الله مؤمناً لأنه مقرّ بربه موفق محمود مقيم في طاعة الله واثقاً به عارفاً بربوبيته غير مستنكف ولا متكبر والكافر غير موفق مخذول في الأظلة والأشباح عند ذلك أخذ الميثاق عليه »

قلت: يا مولاي: فكيف امتزجا؟ قال الصادق: إنّما المزاج بين ولد آدم وولد إبليس بالنكاح على ما أخبرتك، فما رأيت من مؤمن يلد كافراً فذالك الكافر من ذرية إبليس، وإنما وقع النكاح بالتشبيه، وما رأيت من كافر يلد مؤمناً، ولذلك لأن المؤمن من ولد آدم.

قلت: يا مولاي: وكيف يعرف المؤمن من الكافر؟ قال الصادق: يعرف المؤمن بإيمانه ومعرفته الحق من الباطل، فمن مال إلى الحق وركن إليه فهو من نسل آدم لقبوله للحقّ، ومن مال إلى الباطل وأحبّه فهو من ذرية إبليس لإنكاره الحقّ وتركه الصدق. ثم قال: وعلامة أخرى في ولد آدم وفي ذرية إبليس.

قلت: وما ذلك؟ قال: هي معاداة الحق وأهله، ومأمّا من عادى الباطل وأهله فهو من ذرية آدم[1].

قلت: حسبي يا مولاي فلا بيان أبين من هذا، فهو كاف وشاف والسلام.

الباب الثامن عشر:

في معرفة علل العذاب في المسوخيّة

قال المفضّل:

قال لي سيّدي: أتدري كيف العذاب في المسوخيّة؟ قلت: لا يا مولاي.

فقال: إن الله خلق في كل أرض إبليساً وخلق من كفره وكفر ذريته ناراً من بعد النور، ثم جمع في هذه النار التي جعلها من كفرهم أنواع العذاب وأصناف البلاء ليعذّبهم في المسوخيّة، ثم تلا: «ولَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ

---

[1] في نسخة : «قال : وخذ إليك علامة أخرى، فقلت : وما هي يا مولاي ؟ فقال : من دعا إلى الحقّ وأهله فهو من ذرية آدم، ومن دعا إلى الباطل وأهله فهو من ذرية إبليس لعنه الله ...»

هُو مُسْرِفٌ مُرْتابٌ» يعني في فسوقه وعصيانه وتماديه وطغيانه كرّة في رجعته ومسوخيّته.

قلت: يا مولاي، من خاطب بها الكافر الّذي هو في زمان المحمدية على التكرار وأخبرهم أنهم كانوا في زمان يوسف من قبل بالبينات من قبل أن يكرون في هذه الكرة التي خاطبهم بها، قال: قال الله تعالى: هذا يراد منه إنذار الأول ليخبرهم أنه أنذرهم قبل هذه الكرة في التراكيب الأولى، وأنتم في التكرار من الأبدان لقوله عز وجل: « أَزِفَتِ الْآزِفَةُ، لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ كاشِفَةٌ»، تفسيرها: لبست الأبدان المسوخية من دون كاشف أي ليس يكشف عنهم إلا الله الّذي خلقهم، ثم قال تعالى: « أَفَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ، وتَضْحَكُونَ ولا تَبْكُونَ، وأَنْتُمْ سامِدُونَ»، ويعني لا هوّن عمّا يراد بكم من التكرير في المسوخيّة، فاسجدوا لله واعبدوه.

ثم قال الصادق: يا مفضّل، إنّه لا وجه للمؤمن في كل زمان وأوان ودهر وعصر حتى يعرف الله وأبوابه حجبه. فقد كمل في المعرفة وصار في درجة الآمنين الشاكرين، وقد استراح من الأغلال والآصاد، وكذلك إبليس وذريته جهلوا الله ومعرفته في كل زمان وأوان ودهر وعصر وجهلوا أبوابه وحجبه، فكمل كفرهم واستوجبوا التركيب في المسوخيّة، فعذّبوا كرّة بعد كرة، كما قال الله تعالى: «ولَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الأدْنى دُونَ الْعَذابِ الأكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» والسلام.

الباب التاسع عشر:

في معرفة كمال المؤمن وانتهائه بالإيمان حتى يكتفي بمؤنته من الأكل والشرب ويصعد إلى السماء وينزل إلى الأرض

قال المفضّل: قلت لمولاي: ما حدّ انتهاء المؤمن؟ قال: إذا ارتقى المؤمن في درجة الأبواب.

قلت: أيرتقون من درجة إلى درجة، حتى يصيروا ملائكة، فيرفع عنهم الأكل والشرب والاهتمام بتلك الأشياء ويرتقون إلى السماء وينزلون إلى الأرض.

قلت: على صورة الملائكة أم على صورة بني آدم؟ قال: على أيّ صورة شاء، وإنّ في جميع الأرض عدداً كثيراً تخاطبونهم ويخاطبونكم ولا تعرفونهم، وقد رفع الله عنهم الآصاد والأغلال، وكفاهم مؤونة الأكل والشرب، وهم يسعون في الأرض على صورة بني آدم لا يهتمون ولا يغتمون، وإنهم يحضرون في مجالس الذّكر، ويكلمون الناس ولا ينكرونهم، فإذا شاؤوا يصعدون إلى السماء صعدوا، أو يبقون في الأرض لهم ما يشاؤون. وإنّ الرجل منهم ليرى اليوم في المشرق ويُرى كذلك في المغرب، قد أعطاه الله من القدرة كلّ هذا، فعلى هذا يرتقي المؤمنون درجة درجة، وفضيلة فضيلة، حتى يصيروا في السماء ملائكة وينزلوا إلى الأرض ويرجعوا إلى السماء، يا مفضّل، أما رأيت رجلاً على هذه الصورة. قال الصادق: كيف رأيته يا محمد؟

قال: كنت جالساً في المسجد أسبّح الله، إذ دخل رجل فسلّم فرددت عليه السلام، ونظرت إليه وإذا به تبدو عليه آثار السفر، ومعه ناقة فعقلها، وعليه ثياب رثّة، فعجبتني سيمته، وسكونه، وقلت في نفسي: هذا رجل من الصالحين منقطع إلى الله تعالى، فقال: هل فيكم أحد يضيّفني ليلتي هذه؟ فرحمته، وقلت له: يا عبد الله، أنا أضيّفك، فأجلِس.

فلمّا فرغت من الصلاة، أشرت إليه، وقمت وقام معي، ومشينا حتى صرنا إلى المنزل، فدعوت، فقدمت المائدة، وكان عليها الثريد والحم. فأكلت وأكل معي، فلما أكلنا وشربنا، وأردت أن أرفع المائدة، وإذا بالطعام كما هو حين وضع بين أيدينا، والرغيفان كما هما، وبينما نحن كذلك، دخل الخادم علينا ليرفع المائدة، فلما نظر في الطعام ووجده لم يؤخذ منه شيء، قال: ما بالكم لم تأكلوا، فبقيت متحيراً لا أردّ عليه جواب. فنظر إليّ وقال: ما لكما لا تنطقان؟ وكنت شاخصاً ببصري إلى الأرض، فلما تكلّم نظرت إليه، فإذا هو غير الرجل الّذي خرج معي من المسجد، وإذا له شوارب طوال، فارتعبت رعباً شديداً أشدّ مما كنت فيه وقلت في نفسي: بليت والله، فشعر بذلك منّي، وقال: ويحك إستعذ بالرحمن، وقل كما قالت مريم: «إِنّي

أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا»، ثمّ قال: لا تعجب منّي فإن المؤمن إذا بلغ الدرجات وانتهى وصفا وخلص رفع عنه الأكل والشرب والاهتمام والآفات من الطبائع، وصار ملكاً من الملائكة، كلّما حب أن يرفع إلى السماء عرج، وكلما أحبّ أن ينزل إلى الأرض نزل، فلما قال لي هذا، يا مولاي، ذهب عنّي الرعب، وجاءتني البشارة وامتلأت سروراً وفرحاً من قوله. ثم أوميت له في السجود إليه، فقال لي: لا تسجد أنا أخوك، فقلت له جعلت فداك، أولست أنت الرجل الّذي دخلت المسجد وخرجت معي إلى المنزل؟ فقال لي: نعم، وأنا أتعجّب من تقلّبه من صورة إلى صورة، فقال: لا تعجب فإنّني مؤمن مثلك، لكنني قد بلغت وانتهيت.

فقلت له: الحمد لله الّذي قد منَّ عليَّ في رؤيتك هذه الليلة، لكنني سمعتك يا أخي تقرأ هذه الآية: «أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا». قال لي: يا أخي هكذا أنزلها الله تعالى. أما علمت أن مريم أتاها جبريل فنفخ فيها من روح الله، وأتاها في صورة رجل كان يسمّى في ذلك الوقت «تقيّا»، وكان أعبد أهل زمانه؟ فلما نظرت إليه قالت: أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّا، ثم قال: سبحان الله، ماأعجب هذا الخلق المنكوس، أما علمت يا أخي أن مريم ارتعبت فاستجارت به، وهذه علامة كفرهم؟

قلت له: هل لك في المقام والموادعة؟ فقال لي: أنا خارج عنك بعد ساعة من الليل، ثم أوصاني وقال: عليك بخصلتين، احتفظ بهما، عليك بالمبالغة والمعرفة، وإياك أن تقصّر في العمل، فإن المعرفة أي معرفة ربك هي المنتهى، وعليك ببرّ إخوانك من أولياء الله، فإن النجاة فيه، ولا تلاقي أحد من إخوانك إلا بالخضوع، وإن كان دونك في الشرف والمال والبنين، فإنّك إن فعلت ذلك كفاك الله عز وجل مهمات أمور الدّنيا والآخرة، وكان الله لك يا أخي من وراء كل تجارة وأوصيك يا أخي ونفسي بكتمان سرّ الله تعالى وباطن مكنونه، إلا من إخوانك الموحّدين المقربين بمعرفة العليّ الأعلى، ثم غاب عنّي، فقال الصادق: لقد أتاني في هذا الأسبوع ثلاث مرات فسلّم عليّ وأنا فيكم ولا تعرفونهم، قال المفضّل: فكتب بعد ذلك مولاي إلى أكثر من عشرين منهم والسلام.

الباب العشرون:

في وبال الكافر وانتهاؤه بالكفر، وتركيبه في المسوخية

قال أبو عبد الله: إن الكافر بتكامل كفره ويمسخ ويعذّب ويرتفع درجة درجة حتى يستكمل الكفر وينتهي فيه، فإذا انتهى يتركب ويعذب في المسوخية.

قلت: يا مولاي: كيف يعذّب؟ قال: إنّ أوّل ما يركب فيه المأكول ممّال حلّ أكله فيعذب على أيدي أولياء الله. وكذلك بيد أعداء الله، أما رأيت الكافر يتقرب إلى الله بقربان ويذبح الشاة والبقر وينحر الناقة؟

قلت: نعم يا مولاي. قال: فهذا عذابهم على أيدي الأعداء، أمّا على أيدي المؤمنين فما ينحر من البقر والغنم للأكل في أعيادهم وفي القربان والنّذر وغير ذلك.

ثم تلا قوله تعالى: « كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وهُمْ يَنْظُرُونَ»، ولا يعرفون الأعداء ولا الأولياء ولا يستطيعون الكلام.

ثم تلا قوله تعالى: « يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي الْمُؤْمنِينَ»، وقال منه السلام: فبيوتهم أبدانهم وهي بيوت الأرواح، ثم تلا: « ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ»، وهذا معنى الذّبح والقتل والمسخ، وقوله تعالى: « وما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ»، أي أمرهم بأمر واحد وهو معرفة الله والأبواب الحجب، وقوله كلمح بالبصر: لم يعرفوا من الحق شيئاً، ثم تلا: وهم يصطرخون فيها « رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ»، يقولون ربّنا أخرجنا من الأبدان المسوخيّة ومن هذا العذاب إلى الأبدان الناسوتية لكي نعمل صالحاً، أما علمت أنهم لو كانوا في الجنة لما قالوا أرجعنا نعمل صالحاً. وكذلك يقولون ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً، والمؤمن يكون في سبعة أبدان فيرجع إلى الحقّ ويدين. وأمّا الكافرين الجاحدين فلا يذكروا إلا كما يذر المؤمنون، فلو أنهم رجعوا عن طغيانهم وبهتانهم لقبل الله ذلك منهم، لكنهم لم يزدادوا إلا تمادياً وتمرداً، وجاءهم النّذير فذوقوا العذاب الأليم، فما للظالمين من نصير.

قلت: يا مولاي ما معنى جاءكم النذير؟ قال: ما يقولون أهل الكوفة؟

قلت: يقولون الرسل. فقال: ليس كما يقولون.

قلت: ما هو إذاً يا مولاي؟ قال: هو الإمام الّذي هو النّذير لأهل الحقّ والباطل ينذر أولياءه وأعداءه، والحمد لله رب العالمين.

الباب الحادي والعشرون:

في معرفة الكافر في التراكيب مرة بعد مرة وكيف لم يرجع عن كفره

ثم تلا مولاي: «مَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُو فِي الآخِرَةِ أَعْمى وأَضَلُّ سَبِيلاً». ما تقول أهل الكوفة فيها؟

قلت: يا مولاي: يقولون عن ذلك يوم القيامة. قال: هيهات إلى يوم القيامة، وما يعرف الجاهل والعالم ربّه إلاّ يوم القيامة. ويعرفان سبيل الحقّ من الباطل، والله إنما يعني من كان في أول التراكيب أعمى، كان في التركيب الآخر أعمى وأضلّ سبيلاً عن معرفة الله وحدانيته. أما سمعت قوله تعالى: « ولَو رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ»، هل ذلك إلا من عمى القلب؟ فأمّا المؤمن فقد ألفه التوفيق ولا يفارقه، وأما الكافر فقد قرن بالخذلان، فلا يعقل ولا يبصر ولا يسمع، كما قال جلّ ذكره: « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ». قلت: صدق اله عز وجلّ، ثم تلا:« إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً»، وقال تعالى: «ولِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ولِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمالَهُمْ»، ومعنى ذلك المسوخية، ثم قال: الدرجات هي أبدان التراكيب فإنه يعمي قلب الكافر حتى يصير إلى غاية كفره.

الباب الثاني والعشرون: في معرفة إبليس وهل هو ظاهر أم باطن

سئل أبو عبد الله عن إبليس هل هو ظاهر أم باطن؟ قال: هو ظاهر بالتراكيب، باطن في المعرفة، ألم تر إلى ذريته في التراكيب وقد خفيت عليك معرفتهم وإنّك لا تخالطهم ويخالطوك ولا تعرفهم ونحن نعفرهم، ثم قال: وإن أريتك مكانهم ومعهم افعل ذلك، أو إذا خرجنا نحو الجبّانة فذكّرني، فلما كان بعد ذلك كان همّي الوحيد أن أسأله، وعندما اجتمعنا في قصر الربيع وهو ناجية الجبانة، وإذا الناس مقبلون ومدبرون، فقلت: يا مولاي: وعدتني إنّك تريني المسوخيّة وأمرتني أن أذكرك، قال: فمسح بيده على عيني ثم قال: أنظر، فنظرت إلى القوم الّذين رأيتهم مقبلين ومدبرين قد عاد أكثرهم كلاب وقردة وخنازير وثعالب وغير ذلك.

فقلت: يا مولاي، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريّة إبليس، يخالطون الناس وهم في المسوخية.**فقلت: تبارك الله تعالى...**

ثم قال عليه السلام: هل تعرف أحداً منهم؟

قلت: وما ظننتهم ممسوخين. قال: فهم ممسوخين أفّ لهم، وتف عليهم.

ثم قال: أغمض عينيك يا مفضّل، فأغمضتهم، فمسح بيده الكريمة على عينيّ وقال لي: إنظر إليهم، ففعلت، وإذا بهم قد عادوا لما كانوا عليه، وكان الرجل منهم بعد ذلك يلقاني فأحييه ويحييني إلى أن أقوم من عنده،

ثم قلت: يا مولاي من الإنس ومن الجنّ ومن الشيطان؟ فقال: الإنس الّذين قاموا بمعرفة الله وأقروا بوحدانيّته، وعرفوا أولياءه وأبوابه.

وقلت: فمن الجنّ؟ قال: الّذين اختفوا في أبدان الإنس فلا يردّون وإنّما يسمّوا الجنّ لاجتناهم وخفاياهم.

قلت: فمن الشياطين؟ قال: الّذين مسخوا في أبدان المسوخيّة والسلام.

الباب الثالث والعشرون: في معرفة تزويج أم كلثوم في الباطن

قال المفضّل: قلت: سيّدي، أريد أن أسألك في شيء يتحدثون عنه أهل الكوفة وإنني يا مولاي أستحي أن أسألك عنه. قال: يا مفضّل قد علمت ما قد هممت به وتريد أن تسألني عن تزويج أم كلثوم.

قلت: نعم يا مولاي. فقال: إسمع يا مفضّل ما أقول وافهم. إنّ أصل ذلك كان في الأظلة والأشباح على حسب ما أنا مفسّره لك، إنّ عليّ (صلعم) قد ظلم ستّة مرات، في ستة مرات فيما يظنون، وقيل لستة مرات فيما شبه عليهم، وبقيت له قتلة، وبقي له ظلم آخر على التشبيه تأكيد الحجّة على الأعداء، وما كان الله ليقتل أولياءه، أما سمعت قوله تعالى في قصّة عيسى: « وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ».

قلت: يا مولاي كيف كان سبب قتله أوّل مرة؟ قال الصادق عليه السلام: كان سبب أوّل ذلك قابيل وهابيل، فقد كان هابيل يومئذٍ أمير المؤمنين، وكان قابيل زافر، وهو إبليس الأبالسة، فأتى قابيل إلى هابيل، فقال له: زوّجني ابنتك، فامتنع عن تزويجه إياها، فقال عندئذٍ قابيل: والله لأقتلنك إن لم تزوجني بها، فلما همّ بقتله زوّجه جريرة بنت إبليس، فظنّ قابيل أنّها ابنة هابيل، والله أجلّ وأعظم من أن يفعل بأوليائه ذلك، ولكن يفعل ذلك على الظاهر تشبيهاً لتأكيد الحجّة على الأعداء، والمعنى كما أخبرتك، فلم يزل ذلك بهما ستّة مرات، فلمّا أن كان في تكرير السّادس ووُلِّيَ زافر، أرسل إلى أمير المؤمنين يقول: زوّجني ابنتك. فأرسل إليه أمير المؤمنين عليّ سلمان، وقال له: قل يا سلمان إنّك قد عدت إلى ضلالك القديم، فأتى سلمان إلى زافر، وأخبره ذلك، فلمّا علم أنّ سلمان قد اطّلع على أمره اغتاظ وقال له: نعم قد عدت إلى ما ذكرت، فإمّا أن يزوّجني وإمّا أن أغوّر ماء بئر زمزم، وأرفع عن البيت الحرام رسم المقام، أو أقتله.

فانصرف سلمان إلى أمير المؤمنين وأخبره، فقال علي: احمل إليه هذا الكتاب، فحمل سلمان إليه الكتاب، فلما نظره (حبتر وأدلم) أي علم أنّه أقبل في سبب، فقال: ما وراءك؟

فقال سلمان: أخبرني أمير المؤمنين أن أعرض عليك هذا الكتاب، قال زافر وما هو: فأخرج الكتاب وسلّمه إيّاه، فلما فتحه، وجد فيه صورة هابيل ونظر إلى نفسه يعني هو قابيل.

فقال مخاطباً سلمان: إنما خطبت إليه ابنته لأنه يزعم أنني من نسل الشيطان، ولكن لا بدّ له أن يزوّجني ابنته حتى يظهر كذبه عند الخلق، ولا ينجيه إلا التزويج أو القتل.فقال سلمان: سأخبره بذلك، وأقبل على أمير المؤمنين وأخبره بكل ما جرى، قال علي: قد علمت بكل ما قال، وأنا الآن أزوجه ابنته جريرة، كما زوجته قديماً واشتبه عليه. ثمّ إنّ سلمان انصرف إليه وأخبره بأن أمير المؤمنين قد أجابك إلى كل ما تريد، فجمع أصحابه وعاهدهم على ذلك، ثم أمر أمير المؤمنين سلمان أن يحمل إليه ابنته جريرة، فأتى بها سلمان إليه، فأعمى الله بصره وجعل عليه غشاوة فلم يفهم، وتداخله السرور والفرح، لذلك ثم قال لسلمان: إنّي سأشكرك في قيامك في هذا الأمر ولا أقدر على مكافأتك، ثم تلا أبو عبد الله:« إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ»، قال: ثم دخل فيها فوجدها على صورة أم كلثوم، فلما أصبح أرسل إلى أصحابه وشياطينه ليحتجّ بذلك عندهم، فلما أصبح أرسل إلى أصحابه وشياطينه ليحتجّ بذلك عندهم، فلما اجتمعوا إليه هنأوه بتزويجه، فقال زافر: كفانا أمر علي وأصحابه، فإنهم لو كانوا بني أبي كبشة على حقّ، ونحن على باطل، ما زوّجوا كريمتهم.

قالوا: صدقت.

قال: والله إنهم سحرة كهنة كذابون وهذه حيلة بينهم.

قال سلمان: وبينما هم كذلك دخلت عليهم فقالوا بأجمعهم: نحن على باطل وصاحبك على حقّ ونحن عنده شياطين خونة، فلم زوّجنا ابنته أم كلثوم؟ فقال لهم سلمان هذه الآية: « شَياطِينَ الإِنْسِ والْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً»، فلما سمعوا ذلك من سلمان غضبوا عليه، وغضب الثاني غضباً شديداً،

وهمّوا بي، فقلت لهم: أتقتلوني في مجلسكم هذا؟ قال المفضّل: إنّ هذا والله هو الأبلسة المحضة على الطغاة الكفرة الفجرة.

قال سلمان: لمّا همّوا بي قال بعضهم لبعض، فما نصنع بهذا العجميّ وقد نلت حاجتك؟

فافترقوا وبلغ ما تحدثوا به أمير المؤمنين علي عليه السلام، فأمر سلمان أن يسير إليهم ويحدثهم بالحقيقة وما لبس عليه من أمر ابنته حتى يكف عن فجوره وتبجّحه فيصغر في نفسه ويقلّ قدره ويموت من العار والحزن، قال سلمان: فأتيته في منزله ولم يكن أحد عمده، فقلت له: كيف وجدت زوجتك؟ فقال: إنها موافقة لي، تتجنّب مخالفتي في السر والعلانية، وهي كأنّها منّا وفينا، فقال سلمان: نعم إنها منك وإليك وهي ابنتك جريرة، فأدخل عليها، لعلك تعرفها الآن، فلما سمع هذا لم يتمالك عقله، فدخل عليها ونظر فيها، فإذا هي ابنته جريرة لم ينكر منها شيئاً. فصاح صيحة رجّت لها الدار، واغتاظ غيظاً شديداً وقال: قد فعلها الساحر بن أبي طالب، ليست هذه بأوّل أفعاله، والله لأفعلنّ وأفعلنّ، فقال له سلمان: لا تكشف عورتك وتبدي سيرتك وتنفضح في عشيرتك، ومن رأيي ومشورتي لك أن تكتم ذلك، فإن كتمت قال الناس زوّجه ابنته، وإن أبديت انكشف للناس أمرك، فقال: كفاني يا سلمان أنّني متّ غيظاً وسأقبل منك ما تقول، وليقل هذا الساحر ما يقول، فلا طاقة لي ولأصحابي بسحره، وكتم عن أصحابه قصّته خوفاً من العار ومات حنقاً وغيظاً لا رحمه الله ولا رضي عنه رب العالمين.

الباب الرابع والعشرون: في معرفة المذبوح والمقتول مما يخالف صورة الانسانية

قال العالم: إنّ على المذبوح والمقتول والمأكول والمشروب والمدلول والمركوب والحيتان وما خالف صورة الانسانية، فإن الله، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، حكمه عادل يفعل في خلقه ما يشاء ولا يضادّه أو ينازعه أحد، فهو في أفعاله محمودٌ، وهو ربّ العالمين، لم يسلّط على المؤمن العارف الموحّد ذبح ولا قتل

ولا ذلّ ولا تعب ولا نصب، بل ذلك كله مصروف عنه إلى الكافر الجاحد، وما كان الله بالّذي يصرفه إلى الكافر إلاّ بذنب قد تقدم من الكافر إلى المؤمن، من ذلّ وهوان وذبح وقتل، والمؤمن قد أمسك عن الكافر لسانه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه استوجب الكافر ذلك لما سبق من الكفر والجحود والإنكار إلى الحقّ وأهله، فيعاقبه الله، عز وجل، في العاجل بمثل ما ترى من تعذيب روحه وتركيبه في كل شيء خالف صورة الإنسانية من بقر وغنم وإبل ودواب وطير وهوام وكل ذي روح دبّ ودرج وذبح وقتل، وركب وأهوال فهو مسخ ونسخ، فالّذي يؤكل منه فهو نسخ، والّذي لا يؤكل منه فهو مسخ قد حلّ فيه العذاب والهوان المتقدّم ذكره مثلما مرّ به في النسخ من الذّبح والأكل، وذلك كله عدلٌ من الله عزّ وجلّ لقوله تعالى: «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنى» أي أرواح الكافرين الجاحدين للحقّ وأهله، فهذا كمال كفرهم يخرج الله أرواحهم من الأبدان التي تراها فيركبها في أبدا المسوخيّة المنكوسة، لقوله تعالى: « يا أَيُّهَا الإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ، كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ»، فالدّين هو أمير المؤمنين، وقوله تعالى أيضاً: «وما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ»، قال العالم: يعني أنّ كل دابّة في الأرض وفي السماء قد كانت أمم قبلكم، ثم قال: إنّ عدوّنا ليمسخ في كل شيء خالف الصورة الإنسانية حتى إذا عاد أحدهم يقتل ألف قتلة ويذبح ألف ذبحة ويموت ألف ميتة. وأمّا أولياء الله وأتباعهم المؤمنين خلّصهم الله من المسوخيّة وجعل ذلك عقوبة لأعدائهم، إنّ ذلك هو العذاب الأدنى.

وأمّا العذاب الأكبر فعند قيام القائم حتى ينتقم كل وليّ من الأعداء. قال العالم: أوّل ما ينكس إليه الكافر إنما يصير في الأنعام، حتى يمرّ بكل شيء في البرّ من العذاب، ثمّ يصير أنّه يمرّ في البحر، ثمّ في الجوّ والهواء، حتى في كل شيء يدبّ ويدرج حتى يصير أضيق من قمّ الخياط، لقوله تعالى: «وكَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ». فهذه علّة أرواح الكافرين تجعل في المركبات إلى قيام القائم.

وقال العالم: وأمّا الّذي لم يكن فيه روح الحياة مثل الحجر والشجر والماء والملح وغيره مما لا يدبّ ولا يدرج ومما يتحلل من أبدان المؤمن والكافر، فكل شيء رأيته أو سمعته أو شممته وله طعم طيب ورائحة زكيّة أو ملامسة لينة أو

مطعم أو مشرب، فإن ذلك مما يتحلل من أبدان المؤمنين، وكلّما خالف هذه الأشياء إلى غيرها من نتن أو مر أو كريه أو مما يكرهه الإنسان في شمّه أو في منظره أو في ذوقه أو في ملامسته في جميع الحالات، فإن ذلك مما يتحلل من أبدان الكافرين وليس للكافرين أظهر ولا همّ فيه أنعم من بدن الإنسانيّة الّذي هو فيها، فإذا استوفى دولته أخرجه من بدنه هذا إلى أنجس الأبدان وأشرّها، وهي الأبدان المنكوسة وهي سجنٌ له يعذّب فيها، وكذلك قال العالم: الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، يعني هذه الأبدان، لأنّ الكافر نال شهوته بلسانه وبدنه ورجله في ذهابه ومجيئه في هذا البدن، والبدن جنّته، ثم يخرج إلى العذاب الأدنى في المركبات. وأمّا المؤمن فالبدن سجن له وليس عذابه إلاّ ما كان في هذا البدن، فإذا أخرجه الله تعالى منه عاد إلى ما منه بدأ إلى روح وريحان وجنّة ونعيم.

قال العالم – منه السلام–: لأخرجنّكم من الأبدان الكدرة إلى الأبدان الزاهرة. فأرواح المؤمنين تعاد إلى ما منه بدأت أي إلى نور الله. ثمّ قال العالم: إنّ الله خلق أرواح المؤمنين من نوره، وصنعهم من رحمته، وأخذ عليهم الميثاق بالولاية. فلذلك صار المؤمن أخو المؤمن من أبيه وأمّه، فأمّه الرحمة وأبوه النور، ثم قال الصادق: المؤمن ينظر بنور الله الّذي منه بدأ وسلام على المرسلين.

الباب الخامس والعشرون: في معرفة ابتداء الخلق المؤمن العارف

قال الصادق منه السلام: إن الله عز وجل خلقنا قبل الخلق بألف عام، وكنّا أرواح حول العرش نسبّح الله ويسبّح أهل السماء بتسبيحنا، فهبطنا إلى الأرض والأبدان فسبحناه عز وجلّ، فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا وفي لساننا نطق كل لسان، وذلك قوله تعالى: «وإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ، وإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ». فخصّ الله سبحانه وتعالى محمد (صلعم) وعليّ والأوصياء والأئمة والتابعين من شيعتهم بأن خلقهم من نوره، ووضعهم في رحمته، وهم الأرواح الطيبة الطاهرة طهرت من الآفات والعاهات، وطابت بقبول الولاية، وإنما جعلت هذه الأبدان محنة للمؤمنين في دولة

الكافرين الظالمين لأمرٍ سبق في علمه، وقد قال تعالى في أرواح المؤمنين: «إنَّ كتابَ الأبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ، وما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ، كِتابٌ مَرْقُومٌ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ»، يعني أرواح المؤمنين العارفين بمحمد وعلي والأوصياء فهم يصلون إلى جوار الله، يعني مقرون في التوحيد بالقصد إلى العليّ المتعالي تبارك الله، فإذا أراد الله أن يخلق بدناً من الأبدان الّذي تسكن فيه الروح الطيّبة توفّق الرجل إلى أكل الثمار الطيّبة والطعام اللذيذ فيكون الماء فيه، فتجتمع النطفة فإذا جامع الرجل امرأته وعلقت منه كملت في الجنين الأرواح الثلاثة، روح القوة وروح الشهوة وروح الحياة، وهذا قول النبي محمد (صلعم): المؤمن كالنحلة إذا أكلت، أكلت طيب، وإذا وضعت وضعت طيب، فإذا كان عند خروج الجنين نزلت الروح الطيبة وهي روح الإيمان النورانية التي هي من نور الله خلقت، فتثبت في البدن بعد سقوطها من الرحم والبطن، فعند ذلك يحزن ويبكي، وهذا من علامات الخير، لأن الروح الطيبة تنزل من الروح والريحان، ومن جوار الرحمان. فبصرت في هذا البدن الّذي هو سجن لروح المؤمن، لذلك فإذا رأيت الولد عند سقوطه تراه حزيناً، وهذه من علامات الإيمان، فإذا تمت معرفته واحتمل المحنة بكمالها، ثم أخرج من هذا البدن، وظلّ عليه شيء من المحنة، فيكون مردوداً حتى يستكمل المعرفة، وقال العالم عليه السلام: أرواح المؤمنين جنود مجندة بالهواء والأرواح هي في العلو، لأنها لا تسكن ضيق الأجسام ولا الأرحام ولا الظلمات، وقال أمير المؤمنين: أرواح المؤمنين لم يسكنوا الأصلاب ولم تضمهم الأرحام ولم يخلقوا من ماء مهين، بل خلقوا من ماء معين. فالأرواح كهيئة الأجسام رقيقة نورانية لا يدركها إلا من كان في رقتها ونورانيتها، فالكثيف لا يدرك الرقيق، والرقيق لا يدرك الكثيف، فهكذا أرواح المؤمنين: فهي كهيئة الأجسام تنسل وتتعارف في الجنة وتسرح كيفما شاءت، ثم تأوي إلى ظل العرش، والحمد لله رب العالمين.

الباب السادس والعشرون: في معرفة أرواح المؤمنين واحدة هي أم اثنتان

قال العالم: قلت لمولاي الصادق منه السلام: أخبرني عن الأرواح التي تقيم في الأبدان وتحفظها هل هي واحدة في المؤمنين والكافرين؟ قال الإمام: إن أرواح الملائكة والمؤمنين هي شيء واحد لا اختلاف بينها، وأما أرواح الأبالسة والشياطين فهي شيء واحد أيضاً، ذلك لأن أرواح المؤمنين موافقة لأرواح الأولياء والأوصياء، يألف بعضها بعضاً، وأرواح الأبالسة والشياطين متباينة لأرواح الأولياء والأصفياء، لأن أرواح الأولياء والأصفياء نورانيّة شعشعانيّة لا ظلميّة وأرواح الأبالسة والجنّ والشياطين سود ظلميّة لا نورانية[1]، فانقضى أمر آدم.

قلت: فما معنى قوله عز وجلّ: «إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ»؟ فقال: أي مسرورين في المعرفة متقابلين في اعلم، لا يزيد بعضهم على بعض، ولا تفاضل بينهم ولا عداوة ولا بغضاء، قد نزع الله ذلك من قلوبهم وأنصفهم كل واحد من صاحبه، فإذا توافقا على هذا الحال من ميقاتهم استراحوا، وهذا حتى انتهاء الآدميين السبعة. وقد قلت لك بأن كل آدم يمكث في الأرض مع ذريته مدة معلومة لدينا.

قلت: يا مولاي: هل يخلق الله بعد ذلك خلقاً؟ قال: يا مفضل: قد أبطلت بسؤالك ملك الله وقدرته، هيهات... هيهات... إنّه لا يزال ولا يزول خالقاً رازقاً محيياً مميتاً، تريد أن تبطل سلطان الله وقدرته وأمره ونهيه؟

---

[1] في نسخة : «أما سمعت يا مفضّل قوله تعالى : من كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً، وذلك أنه من كان في أول التراكيب المسوخية أعمى عن المعرفة فهو في التراكيب المسوخية أعمى وأضل سبيلاً، أما سمعت يا مفضل قوله : ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، فهل هذا إلا من أعمى القلوب، فأما المؤمنون فإن التوفيق قد ألفوه لا يعرفون غيره ولا يفارقونه ولا يفارقهم وأم الاجاحدين المنكرين فقد قرنوا بالخذلان لأنهم كما قال الله سبحانه «صم بكم عمي فهم لا يفقهون»...»

قلت: يا مولاي وسيّدي: إنّ فقهاءهم قد اجتمعوا على ذلك. قال: والله إنّهم قد أبطلوا ملك العليّ الأعلى، وأبطلوا أمره ونهيه، ويقولون ما الأمر وما النهي ولا ملك ولا سلطان؟ أفٍّ لهم... وبالله المستعان على ما يقولون، والسلام.

الباب السابع والعشرون:

في معرفة يوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم وهل هو يوم واحد أم أيام مما يخلق الله بعد ذلك

قال المفضّل: قال لي سيّدي: إقرأ يا مفضّل قوله تعالى: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّماواتُ وبَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ». فقرأتها فقال: قف عندها يا مفضّل... إن الله يبدل الأرض غير الأرض ويخلقها، ويخلق سماء غير هذه السماء، ويخلق خلقاً آخر، ولا يزال سلطانه وعظمته أبد الآبدين، وبذلك وصف نفسه، أما سمعت قوله تعالى في كتابه الكريم حين ذكر أهل الجنّة وأهل النار، فقال سبحانه: «خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ».

قلت: يا مولاي: صف لي ما يخلق الله؟ قال الصادق: إن الله سبحانه وتعالى يخلق نوراً بعد ذلك من مشيئته، خلاف النور الأول، ثم يقيم أظلّة خلاف الأظلّة الأولى، ثم يصف أهل النور الثّاني عمّا يصف به أهل النور الأول، ويأخذ الميثاق التالي كما أخذ ميثاق النور الأول، والنور الأول أقوى من النور الثاني وأفضل، فإذا قسمهم في الأظلة أخرجهم أشباحاً، فيرون أنفسهم على مثل ما كان النور الأول، مثل بمثل فيفقهون أنفسهم على مثل ما رأى النور الأول أيضاً مفقهاً، والنور الأول لم يفقه، وعلم أنه كان بعد أن لم يكن، وإنما فضل النور الأول على النور الثاني بذلك، فيؤدبهم الله سبحانه ويعرفهم بنفسه وفق وحدانيته وفردانيته، فحمد نفسه فحمدوه، وسبح نفسه فسبحوه، وهلل لنفسه فهللوه، وأقاموا عند ذلك الكلام، وعرفوا ربهم وعلموا أنهم خلقوا، وأن لهم خالقاً رازقاً، فيأخذ ميثاقهم كما أخذ ميثاق النور الأول، وتخلق الأبالسة والشياطين على حسب ما ذكرته لك من النور والخلق، أي من معاصيهم، أبداناً يعني معاصي الآدميين على مثال الأول، وكذلك من معاصي

الأبالسة على مثال الأول، حتى يكملوا في دورهم ويردهم أدواراً وأكواراً، ثم يخرجهم في التراكيب على مثال الأول المؤمن في النسوخية، والكافر في المسوخية كالتي كانت لهم في زمان آدم الأول، فعلى ذلك يجري قضاء الله في خلقه وتجري مقاديره في سمائه وأرضه وجنته وناره، ولم يزل ولم يزول ملك قادر جبّار، تم والسلام.

الباب الثامن والعشرون: في معرفة المسوخية الثانية والفرق بينها وبين المسوخية الأولى

قال المفضل: قلت لمولاي: ما هي العلامة في المسوخية الأولى والثانية، وما الفرق بينهما؟ قال: العلامة في ذلك التحليل والتحريم، فكل شيء حرّم ذبحه وأكله فهو حرام، كما كان في الزمان الأول قبل زمانكم هذا، وقبل آدمكم هذا.

قلت: يا مولاي: هل كان آدم قبل الآدميين السبعة، وكان قبل أرضنا وسمائنا أرضاً وسماءً؟ فقال: يا غافل، إن الله لم يزول ولا يزال، وإنه كلما بدأ أرضاً خلق لها خلقاً خلاف الخلق الأول، ألم تر إلى هذه المسوخية وأصنافها، هل ترى فيها إلا وحشة؟ لأنه قد غيّر خلقها عن خلقها الأول، فمن أجل ذلك حرام أكلها وذبحها، لأنهم قد عوقبوا في ذلك العصر وذبحوا وأكلوا وإنما يحلّ إلى كل قوم من المأكل ما يخلق من معاصيهم، فلو لم يخلق من معاصيهم فحرام ذلك أكله عليهم، وعلامة أخرى أنه لا يتقرب بشيء من المسوخية التي لا يحل أكلها وذبحها إلى الله تعالى، ويتقرب بسائر ما يحلّ ذبحه وأكله، لأنه خرج منهم ومن معاصيهم، فصار حلالاً لكم تأكلوه، وتذبحوه، وتركبوه، وتتقربوا به إلى الله تعالى، ثم تلا أبو عبد الله: «ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى».

قلت: يا مولاي: إنني أرى التحريم في من قد مرّ عليهم البلاء من قبلنا. قال الصادق: نعم، أما ترى يا مفضل أن الوحوش والضباع والحيتان من دواب البر والبحر ما لا يحل أكله وذبحه، وما لا يجب أن يتقرب به إلى الله تعالى.

قال المفضّل: نعم يا مولاي، ما أكثر هذا الصنف. قال عليه السلام: فافهم هؤلاء الّذين قد تعذّبوا في الزمان الأول أنهم قد استراحوا من حر الحديد، ثم رجع إلى حديث البداية من الآدميين السبعة.

قلت: ماذا يكون؟ قال: يميز الله الخبيث من الطيب، ويجعل الخبيث بعضه على بعض، فيركمه جميعه ثم يجعله في جهنم، أولئك هم الخاسرون:«قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ»، يعني في المسوخيّة وفي التراكيب.

قال المفضّل: ثم إن مولانا الصادق قال: ومقدار كل آدم في الأرض سبعة آلاف سنة حتى يخلص المؤمن ويصفو، فيكون ملكاً ويمكث إبليس وذريته ملعونين فيركبون في المسوخية، ثم يرد الله المؤمنين من السماء إلى الأرض، فيصيرون في التراكيب ألف سنة على مثال ما فعل تعالى في الأولين، حتى تكون أماكنهم في السماء الثانية، فيفعل ذلك بأهل كل دور، وبأهل كل آدم، حتى يفعل مثل هذا في الستة الآدميين مثل بمثل حسب ما وصفت لك في كل آدم، حتى يخرج آدم الأول في زمانه وهذا في آخر الزمان، وآخر الأدوار والأعصار، فذلك سبع سموات وسبع أرضين وسبع أيام، وسبع ليال. وقال: «وجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً» يعني لما لبسوا فيه الأبدان، وجعلنا النهار معاشاً، يعني عندما رجعوا فيه إلى أمكنتهم من السموات، وذلك حينما صفوا وانتهوا عائشين عيشاً هنيئاً مريئاً في الجنّات التي خلقنا لهم من أعمالهم والسلام.

الباب التاسع والعشرون:

في معرفة الشمس والقمر وخلقهما وما أمثالهما وما مثل الليل والنهار

قال المفضل: قال لي مولاي منه السلام: يا مفضّل إن الله، عز وجل، خلق الشمس[1] من الحجاب الأعلى، وهو النور الّذي احتجب به، فلذلك صارت الشمس من دون الله تعالى، وذلك لجهل إبليس وغلطه، وإنما سميت شمساً لأنها استشمست من الله إذ كان النور حجاب الله تعالى. فجعلت الشمس للنهار واصطفاه الله بها، فمثل النهار مثل الإمام، ومثل الليل مثل الحجّة، ومثل الشمس مثل النبيّ (صلعم)، والقمر خلق من الحجاب الأدنى، فجعل القمر في الليل واصطفاه الله به، فهو يزيد وينقص حتى يرجع إلى الحجاب النوريّ، ومثل القمر مثل أمير المؤمنين عند العارفين، وأمّا الجاهلين فيزيد وينقص في صفاته ومثل الشمس مثل رسول الله (صلعم) تدور وتكبر وترجع وهي واحدة لا زيادة فيها ولا نقصان، ومثل الليل والنهار مثل الشاكين والمتقين.

قلت: فلما لا يعبد القمر من دون الله كما يعبدون الشمس؟ قال: إن القمر من الحجاب الأدنى، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

[1] في نسخة : «قال : من النور الأول فأنارت فلذلك صارت تعبد من دون الله لجهل إبليس وغلطه . إنما سميت شمساً لأنها شمست وأنارت، وكان النور حجاب الله فجعلت الشمس للنهار واصطفاه الله بها مثل النهار وكضوء الإمام ومثل الشمس كمثل الرسول وكذلك القمر خلق من الحجاب الأدنى، فجعل الليل اصطفاه الله عز وجل به فهو يزيد وينقص في صفاته حتى يرجع إلى الحخجاب النوراني، فمثل القمر عند العارفين مثل الإمام ثم به الدين وهو الّذي أبدا كل شيء من الخلائق ومثل الشمس مثل الرسول الّذي يبدي كل شيء من الشرائع والسنين والدّين هو الحجاب الأعلى يطلع ويغرب لا يزيد ولا ينقص ومثل الليل والنهار مثل السّاكنين والمستبصرين لأن النهار هو ظهور الشخص المرئي، والليل ظاهر ذلك الشخص للغيبة .

قال المفضّل : مولاي، فالنجوم التي بني عليها الليل والنهار والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والخير قال مولاي منه السلام هم الأيتام الخمسة لأنهم خمسة .....».

الباب الثلاثون:

في معرفة النجوم الخمسة والنجوم الثابتة وذكر السموات السبعة وسكانها

قال العارف: قلت لمولاي: ما هي النجوم الخمسة التي يجري عليها الليل والنهار؟ قال: هي الحجب الخمسة التي بني عليها الليل والنهار والصلاة والزكاة والبنية في الخلق.

قلت: والنجوم الثاقبة التي نراها بين السماء والأرض متفرقة متعلقة؟ قال الصادق: تلك هي الأبدان النورانية التي جعلت للمؤمنين من أعمالهم، كذلك في سماء الأبدان شمس وقمر يراهم الّذين هم من دونهم على مثل ما ترون، أبدان المكرمين النورانيين، وفي كل سماء من هذه السبعة الآدميين آدم قائم ثابت، على مثال ما خلق الله من الخلق الأول، ولهم مراتب في السموات سماء فسماء، قدّ مراتبهم ودرجاتهم.

قلت لمولاي منه السلام: أخبرني هل السموات السبعة كلها واحدة أم قد يتفاضل بعضها على بعض، ومن هم سكان كل سماء وسماء؟ فقال: أما السماء الأولى، فهي مساكن الأئمة، وأما الثانية فللنطقاء، وأما الثالثة فللنجباء، وأما الرابعة فللمخلصين، وأما الخامسة فللأيتام، وأما السادسة فللحجب، وأما السابعة فللابواب، وكل له علل وأسباب في وطنه وفي اختصاصه، وكيف يتبين في سمائه والسلام ختام.

الباب الحادي والثلاثون: في معرفة العرش وأركانه

قال المفضّل: قرأت على مولاي الصادق قوله تعالى: «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ، أَكانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وبَشِّرِ الَّذِينَ

آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكافِرُونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ مُبِينٌ، إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ »، «وكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ».

فقال: يا مفضّل: وهل تعرف عن العرش شيئاً؟ **قلت: لا يا مولاي.**

قال عليه السلام: العرش في الباطن أربعة أركان أي أربعة أشخاص، فالركن الأول هو محمد (صلعم)، والركن الثاني أمير المؤمنين، والركن الثالث: الحسن، والركن الرابع الحسين.

قلت: وما معنى يا مولاي قوله: «وكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ»؟ قال الصادق: ألا تعلم تفسيرها؟

قلت: لا. قال: الماء هو العلم وقوله لعليّ هذا العلم أما سمعت قول الله تعالى: «وأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً، لِنُحْيِيَ بِه بَلْدَةً مَيْتاً ونُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وأَناسِيَّ كَثِيراً»، وقال: «ولَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً»، والمعنى: وأنزلنا من السماء ماء طهوراً، إنما هو العلم طهّره الله وخصّ به أوليائه وأنبياءه واصفياءه، ليحيي به بلدةً ميتاً، ونسقي بهذا العلم الباطن أولياء نعمتنا وأيّ نعمة أعظم من هذا العلم والسلام.

الباب الثاني والثلاثون:

في معرفة الجبال الرواسي والبحور الزواخر وحجب الآدميين

قال المفضّل: سألت مولانا الصادق علينا سلامه عن قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ ومِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً».

فأجاب: السموات السبع هي الحجب النورانية، وأما الأرضين فهي الحجب السبعة الآدميين، ثم فسرها لي فقال: وأمّا معنى أنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض

في يومين وتجعلون له أنداداً، ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين: ثم استوى إلى السماء، وهي دخان، فقال لها وللأرض: ائتيا طوعاً أو كرهاً. قالتا: «أَتَيْنا طائعينَ، فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وزَيَّنّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وحِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ». فخذ تفسيرها من باطن علمنا الّذي هو سر الله المكنون وخزائن علمه.

قلت: يا مولاي، خصّني بشيء من هذا العلم، وما معنى قوله تعالى أنداداً؟

فقال عليه السلام: يعني أتجعلون الحجب أنداداً، وتطيعونهم كما تطيعون الله رب العالمين، الّذي احتجب بهذه الحجب وجعل فيها رواسي من فوقها.

قلت: هذا عجزت الناس عن تفسيره، فالرواسي هم الأئمة يا مفضّل، لولا الأئمة لشككتم في دينكم وضللتم وزاغ بكم الهوى عن الطريق الواضح. وهم ينهونكم أن تزيفوا ما سمعته يقول: وألقى فيها «رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»، يعني الأرض، والأرض هم المؤمنون، والرواسي هم الأئمة يتبوؤكم كما قال الله تعالى.

الباب الثالث والثلاثون: في معرفة آدم الآخر وعصره

قال سيدي علينا سلامه ورحمته: إن الله أنزل آدم الآخر في آخر الأوقات والأعصار، وخلق له ولذريته أرض وسماء وهواء وماء وجنة ونار، كما خلق للّذي كان من قبلهم، لأن الله خلق في كل سماء جنة من صالح أعمال آدم وذريته، وخلق في كل أرض ناراً من معاصي إبليس وذريته والجنان في السماء والنار في الأرض، وخلق عيناً في الجنة يقال لها عين الحياة، والعين هي مستراح المؤمنين، فإذا مات المؤمن تحمل روحه حتى تصعد إلى السماء على قدر إيمانه، ثم تغمس في تلك العين، فينسى عندما ينغمس كل ما مرّ عليه في هذه الدنيا من الهمّ والغمّ، ويلبس بدنه النوريّ، ثم يقيم في الجنة مع الملائكة، ويغمد إلى نور آخر عندما تخرج نفسه

فيصير نطفة ثم لا ترد روحة في النطفة في ذلك الوقت بعينه، يعني عندما تخرج نفسه، والسلام.

الباب الرابع والثلاثون:

في معرفة المؤمنين مولدهم وأين يكون مستقرهم وكيف يردون بعد موتهم

قال المفضّل: سألت مولاي علينا سلامه ورحمته عن ميلاد المؤمنين؟

فقال: ما من مؤمن يموت إلا وتحمل روحه إلى الإمام عليّ فينظر فيها، فإذا كان مؤمناً ممتحناً صافياً صعدت الملائكة بروحه إلى السماء، فتغمسها في عين على باب الجنّة اسمها عين الحياة، فإذا خرجت لبس بدنه النوريّ وأقام في الجنة مع الملائكة والنبيين، والبدن يربى في بطن أمه، وذلك أنه في الساعة التي تخرج روحه من بدنه تقع نطفة في بطن أمه، وفي تلك الساعة وفي ذلك الوقت بعينه تربى النطفة وهي في البدن حتى تصير علقة، فإذا صارت علقة أخذت الملائكة روح من أرواح الكافرين، فتودع تلك العلقة فتعذّب روح الكافر في الأرحام في الدم والحيض، والعذر والظلام، حتى يصير بدناً، وروح المؤمن في الجنّة تتنعّم، بينما تتعذّب روح الكافر المستضعفة حتى تصير مضغة. فإذا صارت مضغة أخذت روح من أرواح المنكوسين في الكفر فتودع ذلك البدن في الرحم، فيجعل أسفلها أعلاها وتعلق منكوسة في الدم والحيض وغير ذلك مما يكون في البطن حتى يبلغ البدن مدّته، فإذا بلغ مدته اجتمعت الملائكة إلى الروح التي في الجنّة فيؤخذ عليها الميثاق ويأخذ الامرأة الطلق لاحتباس الروح، فإذا ما أبطأت الروح في هبوطها أبطأ الطلق على الامرأة ويشتدّ كربها، حينئذٍ تعرض الروح على الربّ. فيأخذ ميثاقها لنفسه بعد أخذ الملائكة ثم تنزل بها الملائكة والإمام معها، فإذا انتهى إلى موضع الامرأة زجرت الملائكة البدن زجراً، فينقلب البدن من خوفه من زجر الملائكة، فيصير أسفله أعلاه، فلذلك يخرج الرأس قبل الرجلين. فإذا خرج أولجت الملائكة روح هذا المؤمن فيه، وذلك عندما يسقط، قال: وعلامة ولادة المؤمن أن البدن إذا سقط وأولج فيه الروح

نظر المولود إلى السماء لأنه ينظر إلى إمامه وإلى الملائكة الّذين أهبطوه، فيتهلل وجهه ويبتسم ويضحك سروراً لإمامه ولملائكة، ولا يعبس ولا يكلح تلك الساعة، فذلك علامة المؤمن. فإذا غاب عنه إمامه والملائكة بكى على مفارقتهم والحمد لله هادياً ودليلاً والسلام.

الباب الخامس والثلاثون: في معرفة ميلاد الكافر

قال العالم: قلت لمولاي: كيف يكون ميلاد الكافر؟ فقال: يكون ميلاد الكافر إذا سقط المولود نظر إلى السماء خوفاً من الملائكة الّذين قد أحضروه، فيقطب وجهه ويعبس ويكلح، ويقع عليه البكاء من ساعته ولا يزال غاضباً باكياً معبساً مكلحاً حتى تغيب عنه الملائكة. فحينئذٍ يهدأ روعه ويسكن وترجع إليه نفسه ويزول بكاؤه، فذلك علامة سقوطه.

أما علامة ميلاده فإنه إذا خرجت روحه من جسده عند موته وقعت في تلك الساعة نطفة في بطن أمه، فتأتي الملائكة وقت خروج روحه من بدنه فيأخذونه حتى يأتون به إلى الهواء الأول من الأرض الأولى التي فيها النار الأولى، فيغمسها في عين من النار يقال لها عين الأراذل، لأن الأرواح ترذل في تلك العين ثم يغمسوها فيها غمسة، فتجد في تلك الغمسة من عذاب الإله ما لو وضع على جبل تهامة لهدّه، فينسى عند ذلك ما قد مرّ عليه من نعيم الدنيا ولذاتها، ثم تنزل الروح في تلك النار أربعين يوماً حتى تصير النطفة علقة، ثم تخرجها الملائكة من ذلك العذاب، فتسجنها في الرحم ولا تزال تمصّ الدم والحيض وتأكل العذر حتى يأتيها الوقت المعلوم، فتأتيها ملائكة العذاب، فإذا نظرت الروح إلى الملائكة ضاقت بها ذرعاً، فتظنّ أنها تخرج إلى العذاب وإلى العين التي كانت فيها، فعند ذلك يقع في الامرأة الطلق ويشتدّ عليها والملائكة حضور في غير صورتها، ويحضر الامام عليه السلام فيزجرها زجرةً نهائيّة فينقلب الرأس إلى أسفل فزعاً وخوفاً من صورة الإمام، فيخرج المولود

باكياً مقطب الوجه، وتخرج العذرة من حلقه وبصره، وربما انكب على وجهه وجنبه فزعاً، ويظل يبكي حتى يغيب عنه الإمام والملائكة والسلام.

الباب السادس والثلاثون: في معرفة الروحيين المحبوسين في البدن

قال المفضّل: قلت لمولاي الصادق: أخبرني عن الروحيين المحبوسين في البدن، وكل روح إلى أين مصيرها؟ قال: إن إحدى الأرواح تسمّى المشهرة، ومنها يكون العطاس، والتثاؤب والاختلاج في البدن والريا والغصيص والحكمة في البدن، فلذلك إذا عطس الإنسان يقولون له: يرحمك الله، وإذا تثاءب تعوّج واشتد في البدن، وأما الروح الآخرة المعلّقة، فمنها يكون الغائط والأرياح المنتنة، وذلك أن الرياح تجري في الفم والأنف، فلذلك يجري ما يخرج من أسفل الإنسان ولا يخرج من فوق الراس، وهذا من انقلاب الروح، والسلام.

الباب السابع والثلاثون:
في معرفة مولد النبيين والأوصياء والأصفياء والأولياء والأبواب والحجب

قال المفضّل: سألت مولاي علينا سلامه ورحمته عن مولد الأوصياء؟

فقال عليه السلام: هيهات... هيهات، يا مفضّل، والعجب كل العجب من هذا...

إذا كان مولد المؤمنين على هذا الشكل فكيف يكون مولد النبيين والأوصياء؟ واعلم أن مولد الأوصياء يختلف عن مولد المؤمنين، كما أن المؤمن مولده يختلف عن مولد الكافر، إذ أن أمهات الأوصياء مستودع سرّ وأمر جليل من الله، فقال

المفضّل: أخبرني، يا مولاي، عن ميلاد الأوصياء؟ فقال الصادق: أول العجب أن أمهات الأوصياء ذكور لا إناث.

قلت: يا مولاي، سبحان الله، كيف ذلك؟ قال الصادق عليه السلام: إن الملائكة هم في صورة النساء... ثم قرأ أبو عبد الله:«وجَعَلُوا الْمَلائكَةَ الَّذينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إناثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ ويُسْئَلُونَ»، أتدري، يا مفضّل، من عنى بهذا؟

قلت: لا يا مولاي... قال: يعني بذلك فاطمة..أتدري من فاطمة يا مفضّل؟

قلت: مولاي وحده يعرف... فقال: يا مفضّل: قد فضّلتك بسؤالك. قلت: عن سواك، الحمد لله الّذي أنعم عليّ في ذلك والشكر على جميع نعمه، وله المنّة على ذلك، وعلى هدايته ومعرفته، ثم قرأ: «ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها وما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

قلت: سيّدي: وما تفسير هذه الآية؟ قال: ما يفتح الله به للناس، من هذا العلم الباطن، فهو رحمة وفضل وخصوصيّة يخصّهم به، يا مفضّل، إن النّاس يظنّون أن أمهات الأوصياء يلدن، أما قرأت سورة « لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ، وأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ» إلى قوله «لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِي كَبَدٍ». إنّ لهذه الآية باطناً، أتراه والداً أو مولوداً، أم أنه والد ولا مولود، وكيف يكون مولوداً وتعالى يقول: ما ولد...

قلت: يا مولاي، هذه الآية خاصّة بالأوصياء وحدهم، أم إلى سائر الناس؟ قال الصادق: في الأوصياء خاصّة.

قلت: وقوله: «لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِي كَبَدٍ»، أي أنّ الإنسان أبو الفضل وهو الأول، وكلما كان في القرآن من ذكر للشيطان فهو الثاني.

ثم قرأ عليه السلام من كتاب الله في الأول والثاني، وأفرد الأول بالإنسانية، وأفرد الثاني بالشيطانية، قوله تعالى: «ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يا ويْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وكانَ الشَّيْطانُ لِلإِنْسانِ خَذُولاً»، يعني بذلك: أن الثاني كان لأبي الفضل خذولاً، وتلا: «لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِي كَبَدٍ» يعني الأول في شكّ ونصب وتعب

في ظلمات ثلاثة، ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة الشبهة، وهو في هذه الظلمات يأكل العذر والدم والحيض، يا مفضّل، والمؤمن أكرم على الله أن يطعمه من ذلك شيئاً وتحسبه بعقلك بل هم بريئون من ذلك.

فأمّا الأوصياء، فهم على حسب ما أنا مخبرك به، ثم تلا: «أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ»، يقول: «أَهلَكْتُ مالاً لُبَداً». ثم قال غيرها: «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ». بل نحن عليه قادرون وله معذبون.

قلت: يا مولاي... هلكوا الناس... قال: الناس شيعتنا، بل هلك الّذين أطاعوا أعداؤنا.

قلت: سيّدي: أحبّ الأشياء عندي أن تنهوا لي ميلاد الأوصياء. فقال الصادق: إن الله أنشأ أبدان الأوصياء أفخاذاً إلى الملائكة حتى يبلغوا المدى، هذا مع طهارة الملائكة كما أخبرتك، فإذا أراد الله إظهار الإمام في الظاهر تأديباً لهذا الخلق، أرسل روحاً من عنده فيدخل في المولود الّذي قد يتطهّر من كل دنس، ولم يزاحمه رحم ولكن تدخل الروح فيه تأديباً للناس.

أتدري يا مفضّل، ما مثل ذلك؟ **قلت: لا، يا مولاي...**

قال: إنّ ميلاد الإمام وموته ليس بميلاد ولا موت.

وإنما مثله مثل رجلٍ لبس قميصاً ونزعه حينما شاء. فلذلك قال الله: «نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا»، لهذه العلّة ألم تسمع إلى قوله تعالى في المهد حين قال: «كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا».

ثمّ قال الصادق: وإنّي لست صبيّاً، أتاني الكتاب من قبل أن تروني، وإنما دخلت في هذا البدن على التحيّر، وكذلك الأوصياء على مثال ذلك، لو كانوا صبياناً لم يفهموا أو لم يعقلوا، ومثله، كما أخبرتك عن رجل لبس قميصاً ونزعه حينما شاء.

فلذلك قال الله: «نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا»، لهذه العلّة ألم تسمع إلى قوله تعالى في المهد حين قال: «كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا»، ثم قال الصادق: وإني لست صبيّاً، أتاني الكتاب من قبل أن تروني، وإنما دخلت في هذا البدن على

التحيير، وكذلك الأوصياء، على مثال ذلك، لو كانوا صبياناً لم يفهموا أو لم يعقلوا ومثله كما أخبرتك عن رجلٍ لبس قميصه ونزعه والحمد لله دائماً وأبداً والسلام.

الباب الثامن والثلاثون: في معرفة قتل الإمام

قال المفضّل: قلت لمولاي الصادق: أخبرني عن موت الامام وقتله، وكيف يكون ذلك؟ فتبسّم حتى بدت نواجزه، ثم قال: لعلّك تقول في قتل الحسين وذبحه، ومقتل أمير المؤمنين، ومقتل زكريا ويحيى وعيسى..

قلت: يجول في صدري ذلك، يا مولاي.. فقال الصادق: إن هؤلاء، يا مفضّل، أصفياء الله وأوليائه وخيرته، فتتوهّم أنه يذوقهم حر الحديد على أيدي أعدائهم، وذلك في الظاهر تأكيداً لحجّة الله عليهم، وأما أن يقتلوا أو يذبحوا فإنّ الله يحفظ أوليائه وأصفيائه من ذلك والسلام.

الباب التاسع والثلاثون: في معرفة قتل الحسين في الباطن

قال المفضّل: سألت مولانا الصادق علينا سلامه عن قوله تعالى: «وفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ». قال الصادق: إن الحسن كان في زمن إبراهيم كان إسحاق والحسين كان إسماعيل.

قلت: يا مولاي، أخبرني بقصّة المسيح. قال: هل ترى المسيح أفضل عند الله من جميع النبيين والمرسلين والأوصياء الطاهرين، ولكن الله إذا أراد أن يظهر أمراً، أظهر بعضه ليستدلّ بذلك الظاهر على باطنه، ويستدل في البعض على الكلّ، لكي لا يستكبرون قدرة الله عز وجلّ، ولا تنقطع عظمة الله عن أنبيائه وأوصيائه وأصفيائه، وكان الحسين بن عليّ أكرم على اله من أن يذيقه الحديد على أيدي

الكفرة، وحاشا أن يذيقه حر الحديد، وإن عند الله من لطف التدبير ما يتلطّف بأوليائه، وينقذهم من أهل عداوته، ويهلك أعداءه وأعداء أوليائه بالحجّة البالغة، وإنّه عزّ وجلّ عادل لا يجوز، وحليم لا يميل، ولقد فعل الله سبحانه بالحسين فعلة لم يفعلها بالمسيح ولا بزكريا ولا بيحيى ولا بأحدٍ من الأنبياء، وإنّ الذّبح في الظاهر كان إلى إسماعيل الّذي فُدي بذبح عظيم، هو الحسين الّذي هو عينه واسمه ونسبه، وليس بينهما فرق كأنهما واحد، ولقد ذبح في الظاهر أكثر من ألف مرّة على ما يتوهمون أهل الكفر، وإنما الحسين مثله كمثل المسيح، وقوله تعالى: «وقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وإِنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وما قَتَلُوهُ يَقِيناً، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ».

فهذه الصّفة صفة قتل الأنبياء والأوصياء والأولياء والله يفعل ما يشاء.

ثم قال الصادق: ما تقول أهل الكوفة في هذه الآية، يا مفضّل: «إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُني إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ، فَلَمَّا أَسْلَما وتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، ونادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ، وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ».

قال المفضّل: هل تريد يا مولاي، قول شيعتك أم قول غيرها؟ قال: أريد ما تقوله غير شيعتي.

فقلت: يقولون أنّ الّذي فدى إسماعيل بذبح عظيم هو كبش أملح خرج من الجنّة. قال الصادق: سبحان الله، إن الله لم يخلق للجنة شيئاً يعذّبه بالقتل. إنّ هذا أيضاً من كفرهم، يزعمون أن اله أخرج من الجنة كبشاً فذبحه بلا جرمٍ ولا ذنب، والله تعالى عادل لا يجور.

يا مفضّل: أخبرني عن المفدي والمفدى، أيهما أعظم قدراً؟

قلت: كيف؟ قال: «وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» وجعل الأمر العظيم للمفدي.

قلت: سيّدي، هذا شيء لا أعلمه إلاّ تعلمني به؟ قال الصادق: ويحك، يا مفضّل، لو علم الناس أمر ذلك الذّبح العظيم لطال تعجبهم وولهت عقولهم وازداد

كفرهم وعدوانهم على الله ورسوله، ولكن طمس على أعينهم وختم على قلوبهم وحرمهم معرفة سرّه ومكنونه.

يا مفضّل، إنّ الكبش الّذي فدي به الحسين كان الأدلم، أدلم قريش، وهو يومئذٍ شيخ في تركيب كبش.

أما رأيت يا مفضّل، قرنيه في البيت الحرام معلّقين؟ **قلت: نعم، يا مولاي..**

قال: فذاك القرنان لذلك الكبش الّذي فدى به الحسين، ثم ضحك الصادق حتى بدت نواجذه...

قلت: يا مولاي ما الّذي أضحكك؟ قال: يا مفضّل: إنّ الناس إذا اجتمعوا بالموسم بمكّة المكرمة رغبوا أن ينظروا إلى قرني الكبش تعجّباً لأنّه من الجنّة، ونحن نقوم بالنظر إليهما تعجباً، إنهما قرنا دلامة. فالناس يتعجبون من شيء ونحن نتعجب من شيء خلافه.

ثمّ قال: يا مفضّل، ما تقول شيعتي في ذلك؟

قلت: يا مولاي، يروى عن جابر عن الباقر في قوله: «وفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» أنّ إسحق هو الحسن والحسين هو إسماعيل. قال الصادق: صدقوا بما قالوه، فالحسين أعظم خطراً عند الله من أن يذبح، ولكن الناس لا يعلمون منزلة أولياء الله تعالى وشيعتنا يسمعون الباطن منّا من علم الله وعلم وصيّه وعلم رسوله محمد، فيؤدّونه إلى إخوانهم المؤمنين، ولا يقبلون من غيرهم الباطل، وهو أعظم عند الله، ويبطلون الحقّ ويحقّون الباطل، والله أعلم بلطفه وتدبيره لا يسال عما يفعل وهم يسألون: «يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ». وقال: «انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ». وقال تعالى في موضع آخر: «لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ». فضرب سبحانه وتعالى أمثالاً في كتابه للناس وما يعقلها إلا العالمون.

قال المفضّل: يا مولاي، والله أشفيتني وأذهبت عنّي كلّ هم وغمّ. قال الصادق: إن الله تعالى شفاءً لما في الصدور وهدىً ورحمةً للمؤمنين، والباطن هو شفاء للصدور، قلت: الحمد لله على ذلك، فقال: يا مفضّل هذا سبب ذبح الكبش، ألم أخبرك بتفصيل اليوم الّذين اجتمعوا على قتل الحسين. قلت: نعم.

الباب الأربعون: في معرفة قتل الحسين على الباطن في زمن بني أمية

قال المفضّل: أخبرني، يا مولاي، عن قصّة الحسين كيف اشتبه على الناس قتله وذبحه كما اشتبه على من كان قبلهم في قتل المسيح.

قال الصادق: يا مفضّل، هذا سرّ من أسرار الله أشكله على الناس فعرفوه، خاصّة أولياءه وعباده المؤمنون المختصون من خلقه...

إنّ الإمام يدخل في الأبدان طوعاً وكرهاً ويخرج منها إذا شاء طوعاً وكرهاً كما ينزع أحدكم جبّته وقميصه بلا تكلف ولا ريب، فلما اجتمعوا على الحسين ليذبحوه، خرج من بدمه ورفعه الله إليه، ومنع الأعداء منه، وقد سخط سخطة جبّار عنيد ولا تقوم بعظمته السموات والأرض والجبال، إنه قادر سبحانه أن يعاجلهم العذاب، ولكنه حليم ذو بأس لا يخشى القوّة، ولا خلف لوعده، ولا معقب لحكمه كما وصف سبحانه، إنه يقول ما يشاء ويظهر في حجاب ما يشاء، وإنما يعجل من يخاف القوّة، فأمّا الله إذا أراد أن يخلق شيئاً يقول له: كن فيكون، فإنه تعالى لا يعجل العقوبة، وإن الحسين لمّا خرج إلى العراق وكان الله محتجب به وصار لا ينزل منزلاً صلوات الله عليه إلا ويأتيه جبريل فيحدّثه، حتى إذا كان اليوم الّذي اجتمعت فيه العساكر عليه واصطفّت الخيول لديه وقام الحرب، حينئذٍ دعا مولانا الحسين جبريل وقال له: يا أخي من أنا؟

قال: أنت الّذي لا إله إلا هو الحي القيوم والمميت المحيي، أنت الّذي تأمر السماء فتطيعك والأرض فتنتهي لأمرك والجبال فتجيبك، والبحار فتسارع إلى طاعتك، وأنت الّذي لا يصل إليك كيد كائد ولا ضرر ضارّ...

قال الحسين: يا جبريل.

قال جبريل: لبّيك يا مولاي.

قال الحسين: أفترى هذا الخلق المنكوس تحدّثهم أنفسهم أن يقتلوا سيدهم لضعفهم، ولكنهم لن يصلوا إلى ذلك، ولا إلى أحد من أولياء الله، كما أنهم لن يصلوا

إلى عيسى وإلى أمير المؤمنين علي، ولكنهم عملوا ذلك ليحلّ عليهم العذاب بعد الحجّة والبيان.

قال الحسين، يا جبريل، انطلق إلى هذا الملعون الضالّ الجاحد المنكوس، وقل له: من تريد أن تحارب؟ قال: فانطلق جبريل في صورة رجل غريب مجهول، فدخل على عمر بن سعد وهو جالس على كرسيّه بين قوّاده وحرّاسه وأبوابه، فخرق صفوفهم حتى وصل إليه ووقف بين يديه. فلمّا نظر إليه عمر بن سعد ارتاب منه، وارتعب وقال له: من أنت؟

قال جبريل: أنا عبد من عبيد الله جئت أسألك عمّن تريد أن تحارب؟

قال: أريد أن أحارب الحسين بن علي، وهذا كتاب عبيد الله بن زياد، يأمرني فيه أن أقتل الحسين بن عليّ وأوجّه إليه رأسه، واعتزل العسكر،

فقال له: ويحك تقتل ربّ العالمين واله الأولين والآخرين وخالق السموات والأرض وما بينهما.

فلمّا سمع عمر بن سعيد ذلك أخذه الخوف وقال لقوّاده: خذوه فتبادروا إليه بالأعمدة والسيوف، قال: فتفل في وجوههم تفلةً خرّوا على وجوههم من اثرها منكوسين، وخرّ الملعون ابن سعد على وجهه من فوق كرسيّه منكوس، فلمّا أفاق وأصحابه إذا بجبريل قد خرج ولم يروا شيئاً، فازداد عمر بن سعد رعباً وخوفاً، ونظرإلى أصحابه وقال: الويل لكم هل سمعتم بمثل ما مرّ عليكم وهل رأيتم مثل ما رأيتم؟

قالوا: ما رأينا ولا سمعنا أن رجلاً يدخل على ملك مثلك له بوّابين وحجّاب وعسكر وقوّاد، فيدخل عليه رجل غريب لا يعلم ولا يشعر به أحد حتى يتمثّل بين يديك، ويتكلم بمثل ما كلمك به، ثم هممت وهممنا أن نأخذه ونقتله تفل في وجوهنا تفلةً فخرّينا باهتين، فقال اللعين عمر بن سعد: أخبروني ما هذا وكيف العمل؟

فتكلّم شيخ من الحاضرين وقال: أصلح الله عملك أيها الأمير، لا يهولنّك ما رأيت، فربّما يكون إبليس اللّعين قد تزيّا لنا ولك، كي يخوّفنا.

فقال عمر: ويحكم، إنّ إبليس من أحد أعواننا، ونحن من حزبه وجنده، متفقين على قتل ابن بنت رسول الله، فكيف يخوننا ويروعنا؟ وأمّا أمر هذا الرجل فقد أخلج صدري وأشغلني عن أمري، فقال رجل من القوم: أصلح الله الأمير، إنه تحقق عندي معرفة ذلك الرجل، ولا يعرفه غيري.

قال: هات ما عندك.

قال الرجل: إن الحسين وأباه كانا يشتغلان بشيء من السّحر ولا بدّ قد بلغك عن عليّ شيء كثير من هذا الفنّ، وكان يزعم أنّ سحره دلالة.

قال: صدقت وأصبت، قد بلغني عنه شيء من ذلك السّحر، ولا يمكن أمرنا هذا إلا إلى السّحر، وما ذكرته إلى هذه الساعة، ولولا أن تكون قد ذكرتني من سحره لكان قد بدا إليّ عند محاربته، وكنت قد هممت باعتزالي، ولكن اتوني بقوسي فقد قوي قلبي وذهب عنّي رعبي، وأشهدكم عليّ أنّه بريء مما كان عليه علي بن أبي طالب، وما عليه ولده الحسين، ثمّ رمى سهمه، وقال إلى رجاله وعسكره: إنّي أوّل من يرمي سهمه في عسكر الساحر، وأمر الناس أن يتهيأوا بسلاحهم إلى قتال ابن بنت رسول الله.

وكان أوّل من طلعت طلائعه رجلان حبشيّان عظيمان، وكأنّ عيونهما الجمر، فلما نظرهما الحسين قال: يا جبريل، أريد أن تأتيني بهذين الرجلين في تراكيبهما في المسوخية، فحينئذٍ مدّ جبريل يده فأخذهما عن ظهر فرسيهما فأحضرهما بين يدي مولانا الحسين، فإذا هما كبشان أملحان، قال: فهتف الحسين هتفةً وقال: ارجعا إلى ما تعرفان به، فإذا هما رجلان أسودان ملعونان في دماغ كلّ أوحد منهما حديدة، فإذا هي تدخل في دماغ كل واحد منهما وتخرج من دبره.

قال الحسين: يا أخي يا جبريل، من هذين اللعينين.

قال: يا مولاي، هذان سعد ومعاوية، قال الحسين: قربا مني أيّها اللعينان، قال: كيف رأيتما عذابي ونقمتي في مسوخيتكما؟

قال: لقد رأينا أشدّ العذاب. فأخرجنا من المسوخية إلى الأبدان البشرية، فقد عرفنا سبيل الحقّ، فارحمنا برحمة منك، يا أرحم الراحمين.

قال: لا رحمكما الله، هذا لكما، ومردودين ألف سنة بالمسوخيّة في قالب بعد قالب أشدد عليكما عذابي ونكالي جزاءً بما كسبتما.

فقالوا: العفو، اغفر لنا، فقال: لا غفران لكما ولا رحمة، فإن رحمتي وعفوي للأولياء والأصفياء، وإن نقمتي وبأسي ونكالي لأعداء الله الظالمين.

ثمّ صاح بهم صيحة فساحا في الأرض. قال المفضّل: يا مولاي، إلى أين ذهبا؟

فقال الصادق: قد عادا إلى أصحابهما يقاتلان الحسين.

قال المفضّل: يا مولاي، هل كان مع الحسين يومئذٍ من المؤمنين الموحّدين أحد؟ قال الصادق: كان معه مؤمن موحد وستراه معنا.

قال وحضر أبو الخطاب، فقلت: اسمع يا أبا الخطاب ما يقول مولاي الصادق؟

فقال أبو الخطاب: نعم كنت أنا معه.

ثمّ رجع مولانا جعفر الصادق إلى حديثه، فقال: إن الحسين لمّا أحدقوا به طلب جبريل وميكائيل وإسرافيل فأجابوه: لبّيك ياربّنا، فقال: اعتلوني إلى الهواء، فأعلى الحسين وغلامه جبريل، ثم تلا قوله: «لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ». ثمّ أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

قال المفضّل: يا مولاي، أكان أصحاب الحسين يرون جبريل؟ قال الصادق: نعم ويرون ميكائيل واسرافيل، وأنا أراهم وأنت تراهم.

قال المفضّل: يا مولاي، وأنا أرى جبريل وإسرافيل وميكائيل...؟ قال:نعم.

قلت: يا مولاي في صورة واحدة أم في صور شتى؟ قال عليه السلام: بل في صورتنا.

قال المفضّل: يا مولاي، متى رأيت جبريل؟ قال: رأيته اليوم.

قال المفضّل: وأين؟ فقال: في منزلنا هذا.

قلت: وفي أي وقت؟ قال الصادق: في ساعتك هذه، أتحبّ أن يكلمك؟

قلت: أي والله. قال: يا أبا الخطّاب أنت جبريل؟

قال أبو الخطاب: والله أنا جبريل، وأنا والله الّذي وجّهني الحسين منه السلام إلى الملعون عمر بن سعد، وأنا الّذي كلمته وأكببت وجهه في النار هو وأصحابه أجمعهم، وأنا المتولّي بعذابهم بأمره، وأنا صاحب آدم الأول وأمرني فهتفت بالخلق هتفةً واحدة، فقطعت منهم الأوصال وأوثقتهم بالسلاسل و الأغلال، وأنا صاحب نوح ودعوة قومه إلى عبادة الله ووحدانيته فلم يقرّوا ففرّقتهم بالطوفان وأنا صاحب إبراهيم حين جحدوه ورموه بالنار، وأنا والله كنت معه فما أصابني إلا وإيّاه حرّ النار، وأنا صاحب دانيال والتابوت والصّحف وأنا والله صاحب موسى وعيسى ومحمد، وأنا أبو الخطاب وأبو الطّيبات، وأنا الّذي صاح بأهل المؤتفكة صيحةً فدمّرتهم، وأنا بين يدي كل إمام في كل عصر وزمان على صور مختلفة وأسماء مختلفة، وأنا مع القائم بين يديه أنسف الظالمين بسيفه، ويأمرني فأطيعه، وأنا أحيي وأميت وأرزق بأمر ربّي.

ثم أقبل رجلان لم أعرفهما، فقال الصادق: أتعرف هذين؟

قلت: لا يا مولاي. قال: هذان ميكائيل وإسرافيل، أحدهما كان في المشرق والآخر كان في المغرب.

قلت: يا مولاي، فما كانا يصنعان؟ فقال: وجّهتهما في حاجةٍ.

قال: هل كانا معك يا أبا الخطّاب على عهد رسول الله وعلى عهد أمير المؤمنين علي؟

قال أبو الخطاب: نعم وعلى عهد عيسى وموسى وإبراهيم ونوح، ومن قبل كانا على عهد آدم عليه السلام.

قال المفضّل: جلّ ربّي ما أعظم شأنه... فنظر إليّ مولاي الصادق، وقال لي: يا مفضّل، لقد أعطيت فضلاً كثيراً، وعلمت علماً باطناً، فعليك بكتمان سرّ الله ولا تطلع عليه إلا وليّاً مخلصاً فإن فشيته إلى أعدائنا فقد أعنت على قتل نفسك.

قلت: إنني سوف أفعل ذلك، وإنني، يا مولاي، رأيت العجب من كتمان هذا الخلق والبشر وكيف توصينا وتأمرنا بكتمانه... قال: يا مفضّل، إن الله عز وجلّ أحبّ سبحانه أن يُعبد سرّاً.

قلت: صدقت يا مولاي وسيّدي، والحمد لله رب العالمين.

الباب الحادي والأربعون:
في معرفة قصة سلمان مع عمر حين وجّهه أمير المؤمنين ليفكّ قرنيه

قال المفضّل: قال مولانا الصادق: إن أمير النحل علي قد بلغه عن عمر شيئاً فأرسل إليه سلمان الفارسي، فلما رآه قال له: يسألك أمير النّحل عمّا قلته أنت وفلان في هذا اليوم؟ فكرهت أن أفضحكما ولكن لا بدّ أن نفكّ هذين القرنين من المال الّذي قد حمل إليكما من خراسان.

قال سلمان: فلمّا قلت له ذلك، تغيّر وجهه – يعني الأدلم– وأسقط ما في يده وارتعدت فرائصه.

فقال عمر: أمّا الكلام، يا سلمان، الّذي جرى صبيحة أمس، فما اطلع عليه أحد إلا أنا وفلان، وليس من واحد يفشي سرّ صاحبه فمن أين، يا سلمان، علم صاحبك بذلك؟

وأمّا المال الّذي أتاني من خراسان، فوالله لم يعلم به أحدٌ من خراسان بتوجهه إليّ إلاّ صاحبي، ولم يفهم أحد من أهل المدينة غيري، وما أرى ابن أبي طالب عليّ إلاّ ساحراً عليماً بكل شيء، وها أني أخبرك عن سحره يا سلمان، فقال سلمان: فطلبت إليه أن يتكلم، فقال عمر: إنني أصدقك الحديث ولا أكتمك شيئاً وواجب أن أعرفك سحر ابن أبي طالب وكهانته، وهل قال لك ابن أبي طالب عن هذه المقالة حتى ذكرتها؟

قال سلمان: لا.

فقال عمر: فها أنني أحدثك بحديث تشهد أنه ليس في شرق الأرض وغربها أسحر من ابن أبي طالب.

ثمّ احمرّت عيناه وقال إلى سلمان... هيهات.... هيهات قل إلى صاحبك عليّ يلبس قميصاً غير الّذي لبسه.

قال سلمان: فتجاهلت وقلت له: يا عمر كيف يلبس قميصاً غير الّذي لبسه وليس له إلاّ قميصٌ واحدٌ؟

فنظر إليّ وظنّ أنّي لا أفهم ما يقول وضحك واستأنس بي، وقال: يا سلمان أنا مشفق عليك مقصّرٌ فيما يجب من حقّك، وإنّك قد فارقتنا والزمت نفسك ابن أبي طالب، ولو ملت إلينا لكان لك ما لنا وعليك ما علينا غير مدافعٍ ولا محصورٍ عنك، وإنّني أحذّرك من ابن أبي طالب فلا يغرّنّك ما ترى منه، أتدري ما رأيت من سحره؟

قلت: وما رأيت؟

قال: كنت ذات ليلة في منزلي وقد اختليت به في شيء بيني وبينه، فبينما نحن كذلك وقد طال الحديث بيننا، قال لي: مكانك حتى أنصرف وأعود إليك. فخرج عنّي، فما غاب يسيراً حتى عاد بأسرع من طرفة عين وعلى رأسه عمامة بيضاء، وعليها غبار.

فقلت له: أين ذهبت؟

فقال: إنّ طائفة من الملائكة أقبلت في عسكر ومعهم رسول الله وهو يريد مدينة في المشرق اسمها (شخور) تقع عند مطلع الشمس. فقمت واستقبلت رسول الله، ثم سلمت عليه، وهذا الغبار الّذي تراه يا عمر عليٍّ من عجاج الملائكة، فضحكت يا سلمان من قوله وقلت له: كيف يكون ذلك والرجل قد مات منذ خمس سنوات وأنت تزعم أنّك قد لقيته الساعة وسلّمت عليه؟

هذا لا يكون أبداً. فنظر إليّ نظرةً خفيفةً، ثمّ قال ويحك أتكذّبني؟

فقلت له: لا تغضب يا ابن أبي طالب، هذا لا يكون ولا يُسمع بمثله، من أين جئت له؟

فقال أمير المؤمنين: أتحبّ أن أعرضه عليك مع الملائكة؟ فلما سمعت ذلك قلت له: نعم، وكيف لا أحبّ أن أرى مثل هذه الأعجوبة.

فقال لي عليّ قم بنا، ثمّ أخرجني إلى طريق المدينة، ومسح عينيّ وقال لي: أنظر، فنظرت وإذا بِخيلٍ لا يحصي عددها إلاّ الله، وإذ برسول الله قد أقبل مع الملائكة فما أنكرت منه شيئاً غير أنه كان أبيض الرأس واللحية. ثم بقيت متعجّباً حتى جاوزني رسول الله ومضى مع الملائكة والخيول، وأنا أنظر في أثره، فنظر إليّ صاحبك، وقال: هل رأيت ما أخبرتك به؟

قلت: نعم، وأنا متعجّبٌ مما رأيت، ثمّ إنّه مسح بيده على عيني فإذا أنا لا أرى ولا أنظر لا الغبار ولا الخيول. فلمّا فعل ما فعل وأراني ما رأيته خفت منه وعلمت أنه ساحرٌ عليم، فلا يغرّنّك يا سلمان، سحره واجتنبه واكتم ما جرى بيني وبينك، وكن منّا وإلينا حتى أوليك وأعطيك هذه المدائن، وإذا أحببت أوليك بلاد فارس، وأرجو أن لا تخبر ابن أبي طالب بما أخبرتك لأنّي لا آمن سحره.

قال سلمان: وهل رأيت غير ذلك منه؟

قال عمر: رأيت ما هو أعجب... وهو أن عليّ إذا غضب أخرج قوساً فيرمي به الأرض فينقلب حيّةً عظيمةً تشبه ثعبان موسى فتفتح فمها كما فتح الثعبان فاه عند فرعون، ولو شاء عليّ أن يأمر هذه الحيّة أن تلتقم جبال تهامة لالتقمتها، فمن أجل هذا يا سلمان خفته وحذرته.

قال سلمان: وهل رأيت بعينك هذه العجائب منه؟

قال: نعم، يا سلمان، ولو لم أكن أراه لم أكن أشير عليك به.

فقال سلمان: وكيف رأيته حدّثني..

قال عمر: أتاني عليّ يوماً مغضباً ومعه هذا القوس الّذي أخبرتك عنه. فقال لي: يا عمر يا عدوّ الله وعدوّ رسوله وعدوّ وصيّه، وعدوّ ذرّيته الأبرار وأوليائه

التابعين، عليك يا عدوّ الله في شيعتك الطغاة ولا تتعرّض لشيعتي المؤمنين. فإنّني أنكّل بك وبحزبك الظالمين، ثمّ أسمعني كلاماً كثيراً وقع بيني وبينه.

فقلت له: يا ابن أبي طالب، أنسيت ما كان في إحساني إليك في عهد خلافة أبي بكر حين وثبوا عليك يريدون أن يخرجوك لتبايع أبا بكر. فلمّا نظرت فاطمة الزهراء ذلك استغاثت بصاحب القبر، وقالت: يا أبتاه ما لقيت من بعدك، وبكت، فلمّا صارت تبكي رحمتها وغضيت الطرف عنه ولا أظنّك تجحدها وذلك عندما همّ خالد بن الوليد أن يتقدّم عليك، فلمّا اجتمعت معهما ولا علم لي بشيء مما قد أضمروه، وهمّ خالد بن الوليد حين يفرغ أبو بكر من الصلاة أن يقتلك. فنادى أبو بكر قبل التسليم من الصلاة لا يفعل خالد مثل ما أمرته، وأنا يا عليّ قائم إلى جنبه وقد أحسست بالشّر، فعلمت أنه كان منّا إلى خالد ما كان وكنت أنا على خالد أشدّ منك لأفعاله بأهل الردّة وقتله ابن نوريه وانتزاعه منه زوجته، وكنت عزمت أن أقيّده فمنعني أبو بكر من ذلك وما فعلته على رؤوس الأشهاد وقلت أنّ بيعة أبا بكر كانت فتنةً وقّى الله المؤمنين شرّها. فمن عاد لمثلها فاقتلوه. ولكنكم أنتم يا بني هاشم لا تشكرون أحداً على يدٍ ولا على خيرٍ.

وأمّا ما بلغك عنّي من شيعتك فإنّهم يمزّقون جلدي ويركبون متني وينالون من عرضي والله لولا مكانك لبطشت بهم ولقتلتهم ولكن بعد يومي هذا لن أعترضكم، فلمّا سمع صاحبك يا سلمان هذه المقالة منّي استفرغ ضحكاً وقال لي: يا عدوّ الله تتلطّف بي ثمّ سكن عنه الغضب، ورما بقوسه إلى الأرض فإذا هو ثعبان عظيم ففتح فمه ثمّ أقبل نحوي وعليّ ينظر إليّ ويضحك، ويقول لي: يا عدوّ الله ماذا تريد أن أصنع بك؟

قلت له قد علمت ونظرت، فخذ يا عليّ قوسك وانصرف وثعبانك عنّي.

فصاح بي صيحةً عظيمةً ثمّ تناول قوسه فرجع كما كان لا ثعبان ولا حيّة، فما زلت يا سلمان أخافه وأحذره إلى يومي هذا. فتعجّب سلمان الفارسيّ وقال: بمثل هذه الأعجوبة والمعاجز الإلهيّة عرفنا عليّ.

ثمّ قال عمر: يا سلمان لولا أن ترى ذلك عيناي ما كنت أصدّق هذا، ولكنّي قد رأيته وشهدته وأخيراً قدرفعت ما بيني وبينك من الخوف والحشمة، وأرجو أن

ترفض ابن أبي طالب وتختار مخالطتنا، وأنا قد أخبرتك به ولعلك تكون قد سمعت من غيري بمثل هذا.

قال سلمان: يا عمر زدني حديثاً عن عليّ؟ فأنا أريد أن أبسطه واستخرج ما عنده، فقال عمر: يا سلمان، أخبرني والدي الخطّاب عن أبو طالب بأنّه رأى منه سحراً، قلمّا رآه من ساحر أو سمع بمثله أبداً، وذكر والدي أنّ عبد المطّلب كان يفعل هذا السحر، وأعجب العجب هؤلاء بنو هاشم، فإنهم يتوارثون السحر كابراً عن كابر، وجيلاً عن جيل.

فقال سلمان حدّثني يا عمر بما حدّثك أبوك عن عمران.

فقال: خرج والدي ذات يوم مع عمران في بعض أسفاره ومعهم جماعة كثيرة، فخرج عليهم قومٌ من الأعراب حاملين السلاح، يريدون أن يقطعوا عليهم الطريق. فقال والدي: وكانت يومئذٍ قافلتنا عظيمة المقدار وفيها دواب وجمال كثيرة. فلمّا رأينا الأعراب هالنا أمرهم وفزعنا ووقعت الصيحة وفرغ كل واحد منّا إلى سلاحه ولبسنا جميع ما معنا، ونحن خائفون وجلون، فلمّا أخذنا أهبتنا للحرب واجتمعنا، نظر والدي والجماعة إلى عمران فإذا هو بلا سلاح. فقالوا له: يا أبا طالب ألا ترى هؤلاء الأعراب قد أقبلوا نحونا يريدون أن يقطعوا علينا الطريق؟ فخذ أهبتك حتى نمنعهم من أذانا. فضحك أبو طالب وقال: ما أصنع بالسلاح لمحاربة هؤلاء الأقوام؟ يا ترى إذا حاربناهم وأوقعناهم نقوى عليهم؟

قلت: لا.

فقال أبو طالب: وما معنى محاربتهم؟

قال الخطّاب: وما الحيلة؟

فقال عمران: الحيلة أن ندخل إلى هذه الجزيرة الّتي خلفنا حتى يقطعوا ويتفرقوا عنّا.

فقال الخطّاب: فأخذني العجب من كلام أبي طالب وذكره الجزيرة ولم يكن هناك جزيرة.

فقال عمران: ويحك أنظر إلى خلفك، فنظرت خلفي، فإذا أنا والله في جزيرة من جزائر البحر ما رأيت مثلها قطّ.

قلت: والله هذا مما يُحكى عن سحر عمران ووالده عبد المطّلب فقد فعلا بنا خيراً وأسدوا إلينا معروفاً.

فقال والدي الخطّاب إلى أبي طالب: قل لي كيف نصل إلى هذه الجزيرة والبحر بيننا وليس معنا سفن نقطع بها هذا البحر؟

فقال أبو طالب: ويحك أنظر بعينيك إلى هذا الطريق اليابس الّذي هو في وسط البحر.

قال الخطّاب: ثمّ إنّ أبا طالب سلك الطريق أمامنا ونحن وراءه حتى انتهى بنا إلى الجزيرة. فقال: حطّوا رحالكم في هذا الموضع فإنّه لا يدخل إلينا أحد، ولا يصل لنا من كيدهم شيء. وعند ذلك أقبل الأعراب يركضون خلفنا وفي اثرنا حتى انتهوا إلى البحر فحال بيننا وبينهم. ثمّ نظر بعضهم لبعض تعجّباً ودهشوا، وقالوا لبعضهم بعض ما رأينا في حياتنا ههنا لا بحراً ولا ماء، فقال رجل منهم كبير السنّ: هل فيهم أحد من أولاد عبد المطّلب؟

قالوا: نعم فيهم عمران، فقال الشيخ: انصرفوا لا وصول لكم إليهم، فلا ترهقوا أنفسكم، فقال بعض الأعراب لا ننصرف عنهم حتى نبيدهم في هذه الجزيرة.

فقال رجل منهم إلى رفاقه الأعراب: أدخلوا البحر من هذا الطريق اليابس، ونحن ندخل وراءكم، فدخلوا وراء بعضهم حتى توسّطوا في البحر فغرقوا عن آخرهم.

قال الشيخ: لقد نصحتكم فلم تقبلوا نصيحتي، وقلت لكم: لا تتعرضوا لهم ما دام فيهم من بني عبد المطّلب. فإنّ أولاد عبد المطّلب من الله وقاية وحفظ فلا يقدر أحدٌ من الناس أن يصل إليهم بسوء فعصيتموني.

فقال الخطّاب: قلت: يا شيخ وهو محازي البحر ولم يلحق قومه الّذين غرقوا، ماذا تعلم يا شيخ عن بني عبد المطّلب؟

فقال: سرنا في يوم من الأيام في بعض المفاوز وإذا نحن بسرية عرب معهم خيول كثيرة، فقال بعضهم لبعض: ما ترون نفعل بهذه القافلة وما فيها من الأموال؟ قالوا: نعم، فتبادرنا نحاربهم حتى انكسرنا تقريباً فهربنا أمامهم وما زلنا نتراكض ثلاثة أيّام والقوم في اثرنا ونحن ننظر إليهم، وكلما قلنا أننا خالطناهم صار بيننا وبينهم أمد بعيد ولا نعلم سبب ذلك. ثمّ إنّنا عطبنا جوعاً وعطشاً، ولم نصل إليهم كما أنّهم لم يصلوا إلينا، وكان في القوم أخ لأبي طالب يقال له عبد الله بن عبد المطّلب، وكان يقول لأصحابه: سيروا ولا تخافوا وإنشاء الله لن يصلوا إليكم، فقال رجل منّا: ويحكم أريحوا أنفسكم وأريحونا، فقد عطبتم دوابكم، وإن هؤلاء القوم سحرة لا نلحقهم. والرأي عندي أن تنصرفوا عنهم قليلاً ريثما يغيبوا عنكم ويحطّوا رحالهم، ثمّ نهجم عليهم على غفلةٍ من حيث لا يشعرون. فقلنا: نعم الرأي والتدبير فانصرفنا عنهم حتى غبنا عن أبصارهم وحطّوا رحالهم ولكن عبد الله لم يكن غافلاً عن قومه، فخطّ خوطة حول رواحلهم وقال: يا معشر قريش، لا أحد منكم يخرج من هذه الخوطة. فإنّها أماناً لكم من عدوّكم.

فقال له قومه: سمعاً وطاعةً، فلمّا عرفناهم قد حطّوا رواحلهم وغفلوا ركبنا وعزمنا على أن نهجم عليهم ونقتحم، فلما اقتربنا من الخوطة التي خطّها عبد الله نظرنا فإذا بيننا وبينهم سداً لم نر قط أقوى وأمتن منه وبقينا ثلاثة أيّام نجتهد لكي نصل إليهم فلم نستطع، ورجعنا خائبين بعد أن هلكنا وهلك منّا جماعة كثيرة.

فلمّا سمع الخطّاب مقالة ذلك الشيخ تطلّع بنظره إلى عمران، فقال الخطّاب: يا أبا طالب أنتم أولاد عبد المطّلب قد ورثتم من أبيكم علماً جمّاً.

فقال أبو طالب: يا خطّاب هذا الّذي حكاه ذلك الشيخ وقد كنت معهم، وأنا يومئذٍ غلام صغير، وكان هذا الشيخ على جمل وواضع عليه سلاحه، وكان به حجّة، فقال الشيخ: والله صدقت وكنت أنا فيهم وحينئذٍ أرجعونا، فلمّا رجعوا ارتحلنا عنه من موضعنا، فما رأينا في الطريق الّذي سلكناه لا بحراً ولا ماءً ولا جزيرة وما زلنا حتى وصلنا إلى الشام.

ولقد مررنا في ذلك الطريق أكثر من عشرين مرّة، فوالله لم نر بحراً ولا جزيرة ولا ماء. فقال الخطّاب إلى الشيخ: لقد تحدّثت في ذلك أقوام كثيرة، فما حدّثت

أحداً إلاّ وتعجّب من ذلك، وقال لي: قد سلكنا في ذلك الطريق مرّتين، فلم نر شيئاً من ذلك.

قال عمر إلى سلمان الفارسيّ: هل سمعت أو رأيت بمثل هذا السحر؟

إنّ الناس يعلمون أن أهل البيت يتوارثون السحر.

فقال سلمان: يا عمر، ما أظنّ أحداً يعتقد بمثل ما تقول بأن صاحبي عليّ بن أبي طالب ساحر، ولا يحسن شيئاً من ذلك.

فقال عمر: أراك تظنّ أنّي كاذب.

فقال سلمان: لا يا عمر، والله كلّ هذا صحيح، وليس هو بسحر.

فقال عمر: يا سلمان، قد سحرك ابن أبي طالب.

فقال سلمان: فإذا تقول في فكاك القرنين والمال الّذي وافاك من خراسان؟

قال عمر: وهل أخبرك صاحبك علي عن قصّة المال والقرنين؟

قال سلمان: نعم أخبرني...

قال عمر: اسأل صاحبك ابن أبي طالب واعلمه أني أفكهم من هذا المال وأفرّق المال في كل شيء يريد أن أفرقه.

قال سلمان: فانصرفت إلى أمير المؤمنين علي، فلما أقبلت ونظرني قال: يا سلمان، ما جرى بينك وبين عمر شيء إلاّ علمت به، وإن شئت أخبرتك عنه.

فقال سلمان: والله أعلم أنّه لا يخفى عليك شيء وقد أخبرت عمر أنّك لست بساحر ولا كاهن. لقد قال لي عمر سحرك صاحبك، وأمّا القرنين فقد ضمن على نفسه أن يفكّهما وأن يصرف المال الّذي وافاه من خراسان إلى من تأمره أن يفرقه فيه.

فقال أمير المؤمنين: إنني رأيت أن يفرّقه في صعاليك المهاجرين والأنصار، فسر إليه يا سلمان وقل له حتى يحضره إلى مسجد رسول الله، ويفرقه فيه، قال سلمان: سمعاً يا مولاي، وطاعةً. ثمّ إنّه انصرف إلى عمر وذكر له ما أمره به أبو

الحسن، فأحضر المال حالاً إلى المسجد كما أمر عليّ. وكان أمير المؤمنين يفرّق في كل شهر مالاً كثيراً في فكاك القرنين، وكان عمر لا يمكنه أن يؤخّر شيء يأمر به أمير المؤمنين فزعاً من القوس، وما عاين من الثعبان.

ثم قال المفضّل إلى الصادق: كم كان مع أمير المؤمنين علي من الشيعة ومن أصحابه أيام عمر بن الخطّاب؟ فقال الصادق: كان معه أربعون رجلاً من الموحدين المقرّبين بالله. وكذلك يكون مع الأئمة جميعهم.

قال المفضّل: يا مولاي، هل الأربعون رجلاً شيء واحد؟ قال الصادق: منهم ثمانية وعشرون من النجباء في كل عصر وزمان واثني عشر من النقباء.

قال المفضّل: ما حدهم؟ قال الصادق: بهم تقوم الأنبياء و هم الّذين يسمون الأبدال في الظاهر ولولاهم، يا مفضّل، لانقلبت الأرض بأهلها...

وهؤلاء لا يفارقون الإمام وهم أوتاد الأرض. وإن الرجل منهم يسير في الأرض في اليوم الواحد من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق، وهم الحجب وأبوابهم وبهم يدفع الله البلاء عن أهل الأرض.

قال المفضّل: وهؤلاء الأربعون لا ينقصون ولا يزيدون؟ قال الصادق: إنهم لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً، وهم أولياء الله وأصفياؤه، وهم رسل الإمام، وتطرى لهم الأرض وهم سيارة عند النهار، اشتهروا بالمعرفة ما ليس عند أحد من أهل العلم والمعرفة مثل ما عندهم نالوا ما نالوه بالعمل وبسلامة صدورهم من الغلّ، وقد بلغوا ما بلغوه بالأعمال الطيبة. فأسقط الله عنهم الأعمال الظاهرة بالصبر وكفّوا مؤونة الطعام والشراب، وعن الاهتمام بأمور الدّنيا، وأقبلوا بنفوسهم على خدمة الرحمن لما خصّهم به من المعرفة الخالصة والإقرار بالربوبيّة والوحدانيّة إلى الفرد الصمد العليّ الأعلى.

قال المفضّل: وهل تراهم أنت يا مولاي كل يوم؟ قال الصادق: نعم، يا مفضّل، أراهم وأرسلهم في الآفاق إلى الأمم وهم سيارين، وهم أولياءنا وأولياء المؤمنين.

فقال المفضّل: الحمد لله الّذي هداني إلى معرفتهم وأسأله أن يمنّ علينا باللحاق بهم أنه عظيم قدير له الحمد سرمداً والسلام ختام.

الباب الثاني والأربعون:

في معرفة كم يلبث الكافر في تراكيب المسوخيّة بعد موته وقتله وذبحه

قال المفضّل: سألت مولاي الصادق: كم للكافر من ميتة وقتلة وذبحة في التراكيب المسوخيّة؟ فقال: للكافر ألف قتلة وألف ذبحة في التراكيب المسوخيّة وألف ميتة. **قال المفضل: وما الفرق بين القتل والذّبح؟** قال الصادق: بينهما علة التحليل والتحريم، ألا تعلم، يا مفضّل، أن كل شيء يقتل لا يحلّ أكله، والّذي يذبح يحل أكله[1]، وكذلك الكافر إذا ركب في التراكيب التي حلّ أكلها يذبح في تركيبه

---

[1] في نسخة : «و ما ذبح يحل أكله وذلك في الرتاكيب المحرمة يقتل ولا يذبح لأنه ما خرجت عنه نفس الناسوتية، فإذا حلّ ذبحه وأكله ويحلّ جميع ما حمله هيكله ولا يقتل فإن قتل لا يحل أكلـه ولا استعماله شيء مما يحمله هيكله، لأن الله تبارك وتعالى يوفي العالم المنكوس أجورهم في البشـرية والمسوخية بما عملوا مع المؤمنين من الجميل بهم بما يظهرون من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والاجتهاد في الخيرات يكافئهم به في البشرية بالعز والغنى والرفعة والرئاسة والنبل والقوة والشدة، ثم يعيد عليهم في المسوخية من هو مرفّه محبوبٌ محذومٌ عزيزٌ قويٌّ شديدٌ، وفيما هو فـي شعب ونصب وشقاء وكدّ وصنوفاً به ومنها ما هو قويّ شديد وصعب وذلول، فهذه أوصافهم فـي البشرية والمسوخية، ثم إذا حلوا فيها ردوا إليهم، وذلك عدلاً من الباري وإنصافاً، أما سمعت قولـه تعالى : «إني لا أضيع عمل عاملاً منكم من ذكر أو أنثى» وذلك أن الباري تعالى يجـازي العـالم المنكوس أهل الجحود والإنكار في البشرية ثم يعيد ذلك عليهم في المسوخية مثلاً بمثل عـدلاً منـه وإنصافاً وإلزاماً للحجّة في الحالتين وبذلك وصف نفسه فقال عزّ من قائل : «يوم توفى كل نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون»، وقال سبحانه : «فوفاه حسابه» وقوله تعالى : «إن يك مثقال حبـة مـن خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» وآيات في الكتاب كثيرة..»

وكذلك كلّ من يقتل أو يموت لأن القتل أخو الموت، لعلّة التحريم والتحليل في الآدميين من هذه العلة، وعلّة أخرى في المسوخيّة.

قال المفضّل: يا مولاي، وما هي؟ قال الصادق: إنه يكون المنعم قد وسّع عليه في عيشته وقد يكون متمرداً متمارساً قويا.

قال المفضّل: يا مولاي، إنّي عاجز عن فهم هذا؟ فقال الصادق: يا مفضّل، أما علمت أن منهم العارف والجاهل وفيهم من يميل إلى الديانة.

قال: يا مولاي، كيف يميل إلى الديانة وهو كافر؟ قال: إن العارف والجاهل من يسبح الله على قدر معرفته وعلمه.

وقال تعالى: «وإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ».

قال المفضّل: يا مولاي، أيؤجرون على ذلك؟ قال الصادق: نعم يوفون أجورهم في هذه الدنيا، فإذا رأيت، يا مفضّل، كافراً مترفاً منعماً موسع عليه، فإنما يكون ذلك لعمل عمله في كفره من أعمال البر للمؤمنين، فيوفيه الله أجره في الدنيا ويوسع عليه رزقه ويعافيه في بدنه حتى يستوفي ذلك في دنياه، لأنه عادلاً لا يجور. فإذا وافاه أجره في تركيبه في الناسوتيّة عاد في العذاب إلى المسوخيّة. فالّذي تراه فيهم من الحياة الطيبة فمن أجل ذلك، وأما الغنى والفقر فمن أعمالهم، لأن الله لا يضيع أجر عامل من ذكر وأنثى، وإن ركبوا في المسوخيّة وبقي لهم شيء من أعمالهم، أعطاهم الله من النعمة التي ترونها عدلاً وإنصافاً وحكماً فاصلاً وقضاءً مبرماً ومشيئةً نافذة في عبادة إله الخلق والأمر تبارك وتعالى علوّاً كبيراً له الحمد دائماً فسبّحه بكرة وأصيلا.

الباب الثالث والأربعون:

في معرفة نسل الكافر وما يصيبه من خير وشر في ماله وما العلة في ذلك

قال المفضّل: سألت مولانا الصادق عن الكافر ومناكحهم في المسوخيّة؟ وعن النسل الّذي يخرج منهم وما يصيبهم من الخير والشر والبلاء والصحّة وما العلّة في ذلك؟

فقال الصادق: يا مفضّل، إن من الكافرين من يتركب في المسوخيّة ومنهم من يتركب في خلق الإنسان، ومنهم من يتركب في البهيمة، وهي جزاء على قدر أعماله التي سلفت منه في التركيب الأول.

قال المفضّل: وكيف ذلك؟ قال الصادق: أما علمت أن من البهائم من يتدلل وينعم ويموت موتاً من غير ذبح أو كسر في بدمه، ومنهم من يذبح ذبحاً، منهم ما يقتل بالكسر ومنهم ما يعذّب بأنواع العذاب وتصيبهم آفات كثيرة، وكذلك ما يركب في الصورة الإنسانية من الكافرين يفعل الله به ذلك ومنهم من يموت موتاً على فراشه في عيش رغد.

ومنهم من يقتل قتلاً، ومنهم من يذبح ذبحاً ويعذّب بأنواع العذاب من الكدّ والتعب في طلب المعاش، فهو في عذاب شديد وجهد جهيد. فهذا هو الفرق بين الكافر وصورة الانسانية وصورة البهيمية، والفرق بينه وبين البهائم في المطعم والمشرب والملبس والتفاضل بينهم بالأعمال، فكل من سبقت له الأعمال من البرّ والخير من تسبيح وصلاة وزكاة، فإنما يوفى أجره على قدر ذلك من الإحسان والإساءة، وكذلك في هذه الدنيا.

قال المفضّل: يا مولاي، وهل يكون للكافر صلاة وزكاة وصيام وحجّ؟ قال الصادق: يا مفضّل، أما رأيت صلاة النّصارى وصيامهم وحجّهم؟

وكذلك اليهود وجميع أهل الأديان والشرائع المتغايرة ونوافلها معروفة؟

فمنهم من يميل إلى شيء من أعمال البرّ، ومنهم من يميل إلى اجتراح السيئات. فأمّا المائل إلى أعمال البرّ فهو بخلاف غيره، ثم قرأ: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ».

قال المفضّل: يا مولاي، هذه الآية في المؤمنين دون الكافرين، ألم يخصص المؤمن من الكافر في الأعمال خاصته، فما جزاء الكافرين؟ قال الصادق: يخفف العذاب عن الكافر في المسوخيّة وإنه أرحم الراحمين.

الباب الرابع والأربعون:

في معرفة هل يذلّ الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر

قال المفضّل: سألت مولانا الصادق: هل يذلّ الأعداء من دون الأولياء والأولياء من دون الأعداء في اصطناع الخير والشر فيما كان من أحدهما إلى الآخر؟ فقال: أما علمت أن المؤمن يكون في الناسوتية، والكافر في المسوخية وفي تراكيب شتى حتى يصنع كل واحد منهما إلى الآخر من الخير والشر مثلما كان يصنع إليه إن كان خيراً فخيراً وإن كان شراً فشرّاً، (حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة).

كذلك جرت سنّة الله في خلقه من جميع الأجناس والأصناف ليعلموا أن الله عادل لا يجور، وأنّه فطر الخلق على العدل والإنصاف، وليس لأحد عند الله هوادة ولا قربى ولا يظلم ربّك أحداً. فما نزل بالمؤمن من الكافر من الأذى والعنت والإظهار عليه في هذه الدنيا فمن هنا صار السبب.

قال المفضّل: إن ذلك يا مولاي، مدعاة للعجب العجاب. فقال الصادق: الأعجوبة يا مفضّل: في سرّ الله ومكنون علمه وصنعته وفعله متصلاً بأسباب العدل والإنصاف، وإنما يوجب على المؤمن التسليم لأمره والرضاء بحكمه لقوله تعالى: لا معقب لحكمه، فكل هذه الأسباب للعلّة التي أخبرتك بها وما تراه من كافر يؤذي

مؤمناً وكذلك علة الاستظهار للمؤمن على الكافر حتى يستأصله من أجل ما سبق إليه مثلاً بمثل والأمر إلى الله دائماً وله الحمد.

الباب الخامس والأربعون: في معرفة فعل الطغاة بالأولياء ودالة الهوام من الناس

قال المفضّل: سألت مولانا الصادق عن زلّة الطغاة الفجرة من الأولياء البررة؟ فقال: إن الطغاة إذا ركبوا في المسوخية على صورة الانسانية يظهرون على الأولياء الأمر القديم، فكان من الأولياء إليهم قبل ذلك في التراكيب المتقدمة من الصورة الإنسانية.

أما رأيت يا مفضّل مؤمناً ضرب كافراً وشتمه وربّما قتله؟

قال المفضّل: نعم رأيت من ذلك كثيراً. فقال الصادق: إنه أذلّه في التراكيب الأخرى من المسوخيّة وقد ذلّ منه.

قال المفضّل: كيف يذلّ من المؤمن؟ قال الصادق: كذلك يذلّ.

قال المفضّل: هذا ما فهمته، يا مولاي، ولكن كيف يذلّ من في تركيبه في غير الصورة الإنسانية، وإذا كان تله تبعة عند المؤمن؟ قال الصادق: يذلّ منه ويظهر عليه.

أما رأيت يا مفضّل، بهيمة تضرب رجلاً برجلها فتقتله أو عضّته أو داست برجليها عليه أو ربما انتزعت جلدة رأسه والرجل لم يكن منه ذنب أو جرم إليها، ولا أوصل إليها مكروه، أو ربّما شدّت بهيمة على رجل غافل مغتاظ فنالته بمكروه، فهذا لعلّة تقدّمت منه، والسبب من الرجل المؤمن إلى الكافر، وهو في التراكيب المتقدّمة قبل تركيبه في هذا الّذي قد ذلّ منه المؤمن، فهذا كذلك، وكذلك هذا المؤمن ربّما جرد على بهيمة فقتلها بسيف أو طعنها برمح أو رماها بحجر فكسر عضواً من أعضائها أو ربّما ضربها ضرباً شديداً، فهذا، يا مفضّل، كلّه، وأما شبهه فكان في التراكيب قبل تركيبه في هذه المسوخيّة.

قال المفضّل: صف لي يا سيّدي هذه الأجناس، فوصف حتى أتى على ذكر الكلاب. فقال: يا مفضّل، أما رأيت كلباً نائماً أو ساهياً أو غافلاً كيف يمرّ به الرجل فيضربه ويرميه أو يطعنه من غير أن يكون الكلب أجرم إليه في مكروه؟

قال المفضّل: نعم، يا مولاي، رأيت كثيراً من هذا وما العلّة فيه، وربّما وصفته لي يا مولاي؟ فقال الصادق: وكذلك يمرّ الرجل ويمرّ الكلب فيتبعه، ثمّ إنه يعضّ رجله أو يثب على ظهره فيعضّه، وإنّ الرجل حينما يمر بالكلب لا يعرفه ولا يكون قد رآه قبل ذلك اليوم أو ربما يكون الرجل متزوجاً امرأة هذا الكلب، لأنه كان مركباً في الإنسانيّة، وكان مجراه في باديء الأمر مجرى الانسان في المأكول والمشروب والملبوس والمركوب وغير ذلك، فأهلكه الله بعذاب ذبح أو قتل بما وصل من شقاوته في حالة الدنيا.

والرجل يكون قد تزوج امرأته وسكن داره، ولبس ثيابه، فيعرفه الكلب في مسوخيّته، فإذا نظر إليه نبح ووثب عليه أو عضّه في وجهه، وكذلك السباع وما يقتل الناس وقد يأكل بعضها البعض. ومن الناس من لا يأكلونها ومنهم من يأملها، وإنما يسألون عن كل إنسان بقدر جرمه وذنوبه، فخذ يا مفضّل سائر الهوام بمثل ذلك. ووصف الصادق كل شيء حتى البقّة والبعوضة والنملة والزنابير والنحل.

ثمّ قال: يا مفضّل، يزيل الصيف من الشتاء والشتاء من الصيف والعمار من الخراب والخراب من العمار والماء من النار والنار من الماء، وإن الحمى التي تصيب الانسان لسرّاً مخزوناً وعلماً مكنوناً، وإن الله لا يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السماء، ولا يشغله شيء عن شيء، ولا يظلم ربّك أحداً، ولا يأمر أحداً في الظلم وإنّه أخذ البهيمة من الرجال حتى تبصق في وجهه.

قال المفضّل: يا مولاي، ترد هذه البهيمة بالمسوخيّة حتى تبصق في وجه المؤمن. ثم قال الصادق: لأن البهيمة من عمل ذلك المؤمن والبهيمة خلقت من معاصي المؤمن، وكانت في الدور الأول في الصورة الإنسانية، فارتكب المؤمن جرماً أو ذنباً تجاه البهائم، فأوجب له القصاص في العذاب والانصاف، ثم الباب والسلام

الباب السادس والأربعون:

في معرفة تراكيب المسوخية في الكافر وتراكيب الناسوتية في المؤمن

قال المفضّل: سألت سيّدي عن تراكيب الكافر في المسوخيّة وتراكيب المؤمن في النسوخية؟ فقال: يا مفضّل: إن المؤمن قد يركب في النسوخية في صورة الإنسان، ثم يركب في غيرها من صورة الإنسان في كل الأدوار.

قلت: والكافر ما حاله في التراكيب؟ قال: إن الكافر إذا ركب في المسوخيّة وكذلك في صورة السباع والوحوش حتى يرد في صورة يستوحش منها، وهذا دأبه وديدنه، أبد الآبدين ودهر الداهرين، ولا يرد في صورة الإنسان، وأما المؤمن فقد أمّنه الله أن لا يركب في صورة البهائم أو السباع أو غير ذلك.

يا مفضّل، إنّ من دخل في المسوخيّة لا يرد في الانسانية، أما سمعت قوله تعالى: «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ»، وقال تعالى: «ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ». يعني من ذكر الأبدان، وقال تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ، آخذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ». ومعنى قوله تعالى: «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ». ذوقوا فتنتكم، ما هذه الفتنة الّتي يذوقونها.

يا مفضّل، يذوقونها في المسوخيّة من التعب والنّصب والرسخ والمسخ وغير ذلك من أنواع العذاب والقتل والذّبح والألم، وتلا قوله تعالى: «يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً ولا هُمْ يُنْصَرُونَ»، وقوله: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ، آخذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ».

يا مفضّل، إن قوله تعالى آخذين ما أتاهم ربهم من الأمان في المسوخيّة واللحاق بهم إلى درجة النقباء والنجباء والأبواب، حتى يلحقوا في الأصفياء، ويصافحوا الملائكة، ويعرجوا إلى السماء، وينزلوا إلى الأرض لا يحجبهم عن ذلك شيء. وقوله تعالى: «إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ»، يقول تعالى: إنهم مقرّين بالوحدانيّة مذعنين منتسبين إلى العليّ الأعلى الّذي يظهر في أي صورة شاء،

ويدخل في أيّ حجاب شاء، عالماً قبلما كان، وقبل أن يكون وهو العليّ العظيم والسلام.

الباب السابع والأربعون:

في معرفة هل يكون المؤمن عبداً للكافر والكافر عبداً للمؤمن؟

قال المفضّل: سألت مولانا الصادق عن المؤمن هل يكون عبد مملوك للمؤمن والكافر وعن السبب في ذلك؟

فقال الصّادق: يا مفضّل، إن معنى العبوديّة على وجهين: الوجه الأول أن المؤمن قد يكون عبداً مملوكاً للمؤمن أخيه، ولا يكون عبداً مملوكاً للكافر، والعلة في هذا أن المؤمن في الدور الأول كان أخاً لهذا المؤمن الّذي قد ملك في الدور الثاني، فكان هذا المؤمن أوسع دنيا وأيسر منه، فلم يواسيه ولم يقدم له ما يوجب له بحسب ما يوجب للأخ على أخيه. وكان هذا المؤمن صاحبه رجاءً أن يناله منه معروفاً أو خيراً، فكان من هذا المؤمن إليه تقصير في أداء حقّه الّذي يوجب له عليه . جعل يستكدّه ويتعبه في الأيام، ولم ينل منه خيراً حتى إذا ورد في الكرّة الثانية أذلّه الله لهذا المؤمن المتعوب المكدود من المؤمن الّذي لم يؤدّي حقّه وما وجب عليه من برّ الإخوان حتى انقطع رجاؤه فملك ذلك المكدّ المتعوب رقّ هذا المؤمن ليتعبه بكدّه في العبوديّة بقدر ما كان أتعبه وأكدّه مثلاً بمثل، لأن الله تعالى عادل لا يجور، وحكيم منصف، فما كان من طريق المملكة والعبودية فعلى ما أخبرتك به.

قلت: سيّدي صف لي الوجه الآخر؟ قال الصادق: أما الوجه الثاني فهو آخرته والعبودية مما بينه وبين ربّه سبحانه وتعالى، وذلك أن المؤمن له درجات كثيرة، ولكل حدّ من درجاته علامة، وإن من أدنى درجاته مما يوجب عليه في الظاهر من صلاة وصيام وحجّ وزكاة وجهاد، وغير ذلك من الشرائع على حدّ العبوديّة حتى يبلغ درجة الأحرار.

قال المفضّل: وما درجة الأحرار يا مولاي؟ فقال الصادق: إذا عرف الله حق معرفته، وانتهى في المعرفة فهو حينئذٍ حرّ قد أعتق وأسقطت عنه الأغلال والآصار، وخرج من التّيه.

قال المفضّل: يا مولاي، صف لي معرفة الله حق معرفته والانتهاء في المعرفة؟ قال الصادق: إذا عرف الله خالصاً من غير ارتياب ولا شكّ وأقرّ بأنّ ربّه العلي الأعلى، واعترف بربوبيّته ووحدانيّته، وأنه سبحانه غنيّ عزيز.

قال المفضّل: وما معنى غني عزيز؟ قال الصادق: غني بنفسه عن غيره ليست له حاجة إلى أحد من خلقه، والخلق كلهم محتاجون إليه مفتقرون إلى قدرته، وعظمته وعزته وبأسه، فحينئذٍ يكون المؤمن قد عرف الله حقّ معرفته وانتهى إلى المعرفة، ومن لم يعرف الله حقّ معرفته بهذه الصّفة فهو عبدٌ مملوك، ولكن إذا عرف الله بهذه الصفة فقد انتهى إلى المعرفة وصار حرّاً مطاعاً حيثما توجه من أرض أو سماء.

قال المفضّل: أو يصلح في السماء؟ قال الصادق: وهل يطاع إلا في السماء؟

وما من ملك مقرّب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد إلا ويعرفه ويطيعه ويعلم أنه وليّ مخلص لله تعالى، وأكثر مسكنه في السماء مع الملائكة يعرج إليهم متى شاء ويهبط متى شاء وتطوى له الأرض طيّاً، وتعرفه الأشجار والجبال وغير ذلك، إنّه وليٌّ مخلص.

قال المفضّل: يا مولاي، هل من سبيل من هذا الزمان إلى أحد ليكون بهذه الصفة؟ قال الصادق: نعم، يا مفضّل، يوجد أناس كثيرون، وربّما الواحد منهم يسلمون عليّ ويحضرون إلى عندي وأنتم حضور بمجلسي، إلا أنّكم لا تعرفونهم.

قال المفضّل: قد مننت، يا مولاي، عليّ، فلقيتني وعلمتني، فأريد أن أقول شيئاً. فقال الصادق: قد علمت ما قد خطر ببالك، وإنما خطر ببالك أن تسألني أن أعرض عليك بعض المؤمنين.

قال المفضّل: يا مولاي، والله هو كما قلت. فقال: لك ما تقول.. فوالله ما أتممت سؤالي حتى أتاه رجل وقد فتح الباب.

فقال الصادق: يا مفضّل، هذا منهم، فدخل وسلّم، فردّينا السلام وجلس عند مولاي الصادق، وقال: اسأله، يا مفضّل، عمّا شئت.

فقلت: من أين أقبلت يا أخي؟ قال: من السماء.

وإلى أين تريد الذهاب؟ قال: جئت أسلّم على سيدي ومولاي الصادق.

قلت: إن مولاي أخبرني أن الجبال والبحار والأشجار تأمرهم فيطيعونك. قال الرجل: نعم يطيعني ما هو أكثر من ذلك، وهو الأرض والسماء، وكذلك الجّنة والنار، فتبسّم مولاي الصادق وقال له: صدقت.

قال المفضّل: سبحان الله رب العالمين. قال: أتسبّح تعجّباً مما ذكرت؟

قلت: أي والله. قال المؤمن: ويعطيني ما هو أكبر من السموات والأرض والجنة والنار.

قلت: وما هو؟ قال: يطيعني الله رب العالمين، خالق هذه الأشياء ومقدّرها.

قلت: وما طاعة الله لك؟ قال: أسأله فيعطيني، وأدعوه فيستجيب لي، فأيّ طاعة أكبر من ذلك؟

قلت: صدق مولاي الصادق. قال الصادق: يا مفضّل، إنّك متعجّب ومصدّق بما قال، وليس الخبر كالعيان، فاسأله أن يعزم على شيء من ذلك.

قال المفضّل: فنظرت فإذا ليس لي أقرب من شجرة كانت في بيت مولاي، فسألته أن يأمر الشجرة في امر تختاره. فقال لها: أيتها الشجرة، أقبلي، فأقبلت الشجرة تخترق الأرض خوفاً حتى قامت بين يديه.

ثمّ قال: أيتها الشجرة أطعمينا من رطبك، ولم يكن أوان رطب، فتلألأت في أغصانها وتقارب سعفها بأوراقها حتى أطعمتنا، وإذا عليها رطب كثير، فمدّ مولانا يده وقطف بيده الكريمة حتى اجتنى من الرطب وطعمنا فتناولنا، وكان ثلاث رطبات.

ثمّ قال: انتشري، فانتشرت حتى حلّت بكل ناحية في الدار.

ثمّ قال لها: ارجعي، فرجعت إلى مكانها.

فقال لي: يا أخي، يا مفضّل، أتتعجّب من هذا الّذي رأيته؟**قلت: أي والله.**

فقال مولاي الصادق: لا تتعجّب، يا مفضّل، إنّه لو مر الجبال الرواسي أن تسير معه لسارت، وإن أمر البحار أن تفيض لفاضت، ولو أمر السماء أن تهطل لهطلت، ولو أمر الأرض أن تنبت لنبتت، يا مفضّل، وقد فعل في يومنا هذا أكثر من ذلك حينما سألتني، عن الأولياء والمؤمنين وصفاتهم ودرجاتهم، كان هذا الوليّ، يا مفضّل، في السماء السابعة فهبط في هذه الساعة، وهذا أكثر من جميع ما أخبرتك ورأيته من منازل الأولياء.

قلت: في كم بلغ هذا المبلغ يا مولاي؟ قال الصادق: في إحدى وعشرين كرّة.

قلت: كم مقدار الكرّة؟ قال سيأتي ذكرها في الباب الآتي إن شاء الله.

الباب الثامن والأربعون:

في معرفة متى يُخلّص المؤمن فيعرج إلى السماء وينزل إلى الأرض

قال المفضّل: سألت مولاي الصادق في كم يبلغ المؤمن ويرتقي إلى درجاته حتى يكون مخلصاً، يعرج إلى السماء وينزل إلى الأرض؟ قال: في إحدى وعشرين كرّة.

قلت: كم مقدار الكرّة من السنين يا مولاي؟ قال: ألف سنة وسبع وسبعون سنة، يكرر فيها المؤمن إحدى وعشرين كرّة وذلك أنّ لكل ماية سنة من هذه السنين كرّتين، فإذا كان في الكرة أكثر من خمسين سنة إنه ينقص من عمره في الكرة الثانية على قدر ما زاد من الخمسين في الكرة الأولى، وإذا عاش في الكرة الأولى أدنى من خمسين سنة زاد في عمره في الكرة الثانية على مقدار ما ينقص منه من الخمسين في الكرّة الأولى على هذا الحساب، حتى يكون إحدى وعشرون كرّة في هذه السنة ألف سنة وسبعة وسبعون سنة وسبع ساعات.

قلت: يا مولاي، فقد يعيش الرجل المائة سنة وعشرين سنة ولربّما زاد أيضاً على ذلك؟ فقال: وهذا أيضاً لأنه ولربّما يموت الساعة أو في يومه، فهو في كرته الأولى، وربّما كانت له كرّتان ويعيش فيهما سنة واحدة أو أقل من سنة، فما زاد على المائة فإنه يجذبه نقصان الكرتين.

فهذا من عدمت في نقص أو زيادة في ذلك، وأمّا الكرّة الاحدى وعشرين فلا تزيد على الألف سنة وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات. وكذلك حتى لا يبقى ولا كافر قدّم حسنة أو سيئة أو شيئاً من عمله إلاّ وافاه به في الدنيا. ثمّ قال الصادق: يا مفضّل، هذه الدار دار الجزاء ودار المكافأة والانتقام، حتى كل نفس توفي ما كسبت وهم لا يظلمون، ففي هذا المقدار تتغير المسوخيّة فيهما وما قبلهما من المسخ الّذي يدور إلى غيرها من كل ميت، وحيّ ومعذّب، ومركب مقتول، حتى يتفانوا بهذه الأوقات، وآخر هذا يوضع فيهم السيف فيكون تمام عقوبتهم حرّ الحديد، حتى لا يبقى إلاّ كلّ مؤمن مخلص الإيمان مختصّ صافي وذلك عند قيام القائم على ذكره السلام.

قال المفضّل: يا مولاي، كيف يصير هذا الأمر مخفياً وعند ظهور القائم يكون ظاهراً مكشوفاً؟ قال الصّادق: يا مفضّل، إنّه لا يوزن بالسماء والأرض والجبال والبحار والزمان وجميع ما خلق الله أنه يكشف أمور بني آدم، وأمور بني آدم لا تكشف إلاّ عند ظهور القائم.

أما علمت ما قاله رسول الله؟

قال: يقتل القائم منه السلام كل طاغوت متكبّر ويكسر الصليب ويكون الدّين كلّه لله تعالى حتى أن المؤمن يأمر بالجبل ويكون الكافر قد استتر؟

فإذا مرّ به المؤمن ناداه الجبل: يا مؤمن إنّ هذا الكافر قد استتر بي، فتعال اقتله، ويمرّ المؤمن بالشّجرة، فتقول له كذلك لأنّ القائم منه السلام يبعث حين ظهوره بالسّيف والكشف والإظهار والله تعالى عالم لطيف خبير يفعل ما يشاء ولا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون والحمد لله مولانا وهادينا ودليلنا.

الباب التاسع والأربعون:

في معرفة ما يعرف من العادات والآفات التي تعرض للمؤمن والكافر؟

قال المفضّل: سألت مولاي الصادق أن المؤمن تنزل به النوازل والعاهات والآفات في أهله ونفسه وولده، ونرى هذه العاهات كذلك تنزل بالكافر أيضاً، فما السبب في ذلك؟ فقال: أما العاهات والآفات وغيرها التي تنزل في المؤمن، فالمؤمن، يا مفضّل، الّذي يخطر في باله سوء في حقوق إخوانه ويسمع كلمة السوء فيهم، ثمّ يغتمّ بها ويذكر من الغير عنده فيهتمّ بها، كذلك فيخطر بباله أن أصل الكلمة في أنسابها مزاج من إخوانه فيتوهّم المؤمن على أخيه المؤمن توهّم السوء وإنّما ذلك المؤمن استحكم في ذلك من غير أن يصحّ عنده، حينئذٍ يضمر إلى أخيه المؤمن من السوء والبغضاء في نفسه، وأمّا المؤمن الآخر فيغفل عنه ويزوره على هذه الحالة، وقد أضمر له ما قد أضمر، ثمّ قصّر في سؤاله وأبدى له الجفاء من أجل ما قد بلغه عنه مما لا ذنب لأخيه المؤمن الآخر في ذلك، وقد يكون الأخ الأول قد ظلمه ونسبه إلى شيء ما ليس من شأنه، ثمّ لا يرضى بما توهّم على أخيه حتى يضمر له في قلبه سوءاً وحقداً، فيكون أجمع على أخيه ظلماً أحدهما ما توهّمه وهماً عليه فيما لم يقله والثاني ما يضمر له في قلبه من السوء. ثم لا يرضى حتى يلقاه بوجه عبوس مكلح، فيبدي له الجفاء والتقصير، مما يجب عليه من السؤال من أخيه وبراءته من ذلك، فهذا ظلم وسيئة. فربّما دعا ذلك إلى الوقيعة بينهم فيذكره بما ليس من شأنه فينسب أخاه إلى النميمة، وكل ذلك على جهالة من أمره من غير أن يستحقّ أخاه عنده هذا.

وإنّما هو خطوة الشيطان، استحكم ذلك في قلبه حتى لا يتوهّم على أحد غيره، وربّما ترقّى وارتفع ذلك إلى قطيعته وتهجينه عند إخوانه، فيتوهّم غيرهم من إخوانه كلّما ذكروا ذلك وكثر بين الناس حتى يذكروه ويتحدثون عنه في المجالس والطرقات، والمؤمن غافلاً لا ذنب له في شيء مما ذكره أخاه، حتى يبلغه ذلك فيقول:ويحك إنّ الناس يقولون أنّك تكلّمت فيّ كذا وكذا، فيقول: سبحان الله تتوهّم

عليّ بمثل هذا، فيقول: نعم، ثمّ يغتمّ غمّاً شديداً ويقول: اللهم إنّك تعلم أنّني لم أقل ذلك ولا خطر ببالي، وإنّني قد توكّلت عليك، فاكفيني، فينتقم له من أخيه المؤمن.

يا مفضّل، إنّ ربّك عادل حكيم، لا يجور، فينزل بهذا المؤمن العرضيات وربّما احتاج أهله وولده وصاحبته فتنة شديدة، وكل ذلك مما تقدّم له من جهالته بأخيه المؤمن من غير أن يتحكّم ذلك بعقله ويصحّ عنده، ولكن باستعماله جهلاً يراد به والرأي يخطيء ويصيب وبعض الظنّ إثم، وهذه العاهات والآفات التي تكون في الدنيا هذه وللّذي تنزل بهم فتنة، كذلك الاحتياج في النّفس والأهل والمال والولد في هذه العلّة التي قرأتها لك.

يا مفضّل: والله انتقم لصاحبه منه وهذه النازلة له وبه خيرة له في دنياه وآخرته لأنّ في هذه العاهات والآفات التي عرضت له وبه خيرة له في دنياه وآخرته، لأنّ في هذه العاهات والآفات التي عرضت والنازلة الّتي نزلت به بعدها يطهّره الله ويذهب عنه وسخ الخطيئة التي خطرت بباله وبما توهّم على أخيه المؤمن بما لم يكن له أصل أبداً، وبما يصيبه من الهمّ والغمّ على قدر ما صار بأخيه المؤمن حين ذره: أنّ فلاناً نسبك كذا وكذا، وأشكاله إلى إخوانه فيغتمّ ذلك غمّاً شديداً، فهذا الغمّ والهمّ الّذي يتزايد على المؤمن الثاني فكذلك الغمّ والهمّ، وردت على المؤمن الأول، فلو تنزل بهذا المؤمن الثاني - يا مفضّل - هذه الآفات والعاهات، لكان المؤمن الّذي قبله تابعه، فإذا انتقم الله منه فكل أفعال الله في المؤمن خيرة له ونظراً جميلاً، فلأجل ذلك يقول المؤمن الكامل إذا نزلت فيه نازلة، لعلّ هذه خير لي في الدّنيا والآخرة، وإنّني لست أتّهم ربّي سبحانه في قضاياه، وحكمه، وربّما قال له غيره من إخوانه المؤمنين: يا أخي، لا تغتمّ لذلك ولا تهتمّ، فلعلّ ذلك يكون خيراً لك، ولا تهتمّ ولا تتّهم ربّك بقضاياه، وارضَ بها فيسكن هذا المؤمن الكامل إلى هذا القول والكلام ويسكن قلبه ثمّ قلب ذلك المؤمن يسترق ويقول لنفسه كما قلت: إخواني ذلك وعلى نحو ما ذكرنا وما قيل له رجا حمد الله وشكره، وقال: اللهم، لك الحمد. فعندها يخرج من وسخ ما كان معلقاً به والأعراض من الذّنوب وبما قدم عليه بجهالته، فافهم ذلك، يا مفضّل، ويكون عاجلاً والعاجلة علّة والآجلة كذلك علّة.

قلت: سيّدي: هذا المؤمن قد عرفته وعرفت سبب العاهات والآفات، فأخبرني يا مولاي عن الكافر الّذي تنزل به العاهات والآفات التي تحتاجه وتوقع بأهله وماله وولده، وما السبب في ذلك؟ فقال الصادق: يا مفضّل، إن الكافر الّذي تنزل به العاهات والآفات هو صاحب المؤمن الّذي ذكر أخاه بسوء ونال منه، وكان ضدّ المؤمن الّذي ابتلي بذلك وقد غبِيَ على المؤمن أمره، ولكن الله، عز وجلّ، لا يخفى عليه خافية واجترح حقّ ذلك المؤمن الذّنب أضعافاً.

لذلك المؤمن المأخوذ به سوء وجهالة فكانت الحيرة الّتي خطرت ببال هذا المؤمن وتوهّمه على أخيه المؤمن خطأ، وإنّما كأنّه نكاية من أجل هذا الكافر: وقد عمي على المؤمن من أمره ومن ارتكابه وذلك شيء لا يخفى على الله فيغضب الله لوليّه المؤمن، فينتقم من هذا الكافر اجتراح من غير أن يتوب عليه، فإذا نزلت به نازلة احتاجه عوضاً عن الذّنوب من ذلك ومن غير أن يتوب ويجري مما يصيبه.

قلت: مولاي، وبما يعرض؟ قال الصادق: يختم له بسوء بأن يرد تركيبه في المسوخيّة الزنيّة، فهذا السبب النازل بالكافر والمؤمن، أمّا النوازل الّتي تنزل بالكافر فزلّةً وانتقاماً، وغضب الله عليه ويختم له بالمسوخيّة كما أخبرتك، وأنّ هذا العلم، يا مفضّل، سرّ الله ومكنون خزائنه الّذي لم يطلع عليه أحد من عباده إلا الأولياء المختصون، وأوجب سبحانه وتعالى أن لا يتطلع على هذا العلم الرعاع الأنجاس، ثم قرأ: «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَداً، إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَداً».

يا مفضّل، أنت وشيعتنا لا يخرج إليكم من علومنا إلاّ ما يوزن في الدّنيا ومن عليها، فلا تنعطفوا ولا تميلوا ولا تنحرفوا، قال المفضّل: يا مولاي ما معنى قولك انحرف؟

قال منه السلام: انعطف أي لو مال لملتم، وله الحمد دائماً.

الباب الخمسون:

في معرفة كيف يكون المؤمن موسع عليه في الدنيا والكافر كذلك

قال المفضّل: سألت مولاي الصادق عن الرجل المؤمن في هذه الدنيا مُقتراً عليه، محتاج إلى ما في أيدي الناس، مضطر ملهوف، يكابد جهداً شديداً وغموماً وهموماً متواترة. وقد يرى غيره من اخوانه موسع عليه، فما السّبب في ذلك وما العلّة فيهما؟ قال الصادق: يا مفضّل، أما المؤمن الّذي تراه في هذه الدنيا مقتّراً عليه فإن هذا المؤمن كان في نسخه الأول غنياً وكان له في عمره ودهره إخوانٌ من المؤمنين يجب عليه رعايتهم، وتفقّد أسبابهم ومشاركتهم في مطعمه وملبسه، ثمّ قصّر فيما يوجب عليه من ذلك وتغافل عنهم ولم يرعَ وصيّة الله في إخوانه المؤمنين.

قال المفضّل: يا مولاي، وهل يوجب على كل مؤمن إلى أخيه المؤمن أن يشاركه في هذه الأشياء؟ قال الصادق: نعم يا مفضّل، اقرأ هذه الآية:«ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْديكُمْ ويَعْفُوا عَنْ كَثيرٍ»، أما علمت، يا مفضّل، أن المؤمن له على أخيه المؤمن حقوق وهم سواء في هذه الحقوق؟

قلت: يا مولاي، وما هي هذه الحقوق؟ قال الصادق: يجب على المؤمن أن لا يأكل إلا بإذن أخيه المؤمن، ولا يضع شيئاً مما يتنعّم به في هذه الدّنيا إلا بإذنه.

قلت: سيّدي، وهل توجب هذه الحقوق على كل المؤمنين؟ قال منه السلام: لا، وإنما توجب هذه للمؤمن المفتقر المقتر عليه، المحتاج إلى الناس، وأمّا من كان مساوياً أخاه في المال فلا يجب عليه شيء من ذلك لهم، ومن يكون عنده شيء ليس عند أخيه بمثله ولو دينار واحد أو دابّة، فإنّه من الحق في من يربح الفضيلة ويراعي حقّ المؤمن الّذي هو ذريته في الايمان.

قلت: يا مولاي، إن هذا الأمر صعب، وما العلة في ذلك؟ قال الصادق: إنما صعب هذا الأمر، يا مفضّل، لأن المؤمن أخو المؤمن من أبيه وأمّه، يشاركه في كلما حوت يداه وجوارحه وما هو أعظم من ذلك.

قلت: وما هو يا مولاي؟ قال: طاعة المؤمن على أخيه المؤمن وطاعة الله ورسوله على عباده.

قلت: يا مولاي، من يطيق هذا أو من يمكنه أن يقوم في هذه الحقوق، ومن يقدر على أدائها. فقال الصادق: يا مفضّل، من أحبّ أن يدخل إلى دار السلام ويشتاق إلى العلي العلام ويخرج نفيه من أوساخ الظلام ويدخل في أنوار العلام يسهل عليه الّذي أخبرتك به.

فقال المفضّل: وكيف العمل في ذلك؟ قال الصّادق: كل مؤمن يدّعي ذلك يتدرّج في الدرجات العليا، ومن لم يرع ذلك فإنه يردّ في الصّفة التي سألتني عنها مقتراً عليه محقوراً محتاجاً إلى ما في أيدي الناس وإخوانه، ويلقى غموماً جمّة بما جرى وسلف منه في التراكيب الأولى إلى إخوانه المؤمنين، زلّة منه حتى يمت عليه جهداً جهيداً مثل الّذي عامل به إخوانه.

قال المفضّل: وكيف يُرد هذا المؤمن الّذي كان عليه التغير؟ قال الصادق: يُردّ ملكاً منعماً آمراً ناهياً، فإن رعا الله حقوقه مما يوجب عليه في مساواة إخوانه المؤمنين، ارتقى إلى درجته الأولى، وانقصر في النعيم، فهذه العلّة، يا مفضّل، تجري أبداً في المؤمنين في كل الأحوال مجازاةً لهم فما هم فيه.

ثمّ قال الصّادق: وأمّا الكافر، يا مفضّل، الّذي يتنعّم فإنّه يكون كافراً موسعاً عليه فيصنع المعروف في الدّنيا، وإن كان الكافر يحبّ الخير أو كان فيه إحسان إلى المؤمن بشيء من دنياه أو كلاماً طيباً أو قضاء حاجة لك أو إلى غيرك فإنّه بذلك يصيبه في الدنيا صحّة في جسمه وزيادة في ماله. وإذا مات ركب في المسوخيّة ويكون في مسوخيّته متنعّماً لاصطناع الخير الّذي تقدّم منه في الدنيا، والكافر الّذي هو مغترّ بما عليه مجهود، ومقتّر عليه، إنما ذلك مما تقدّم منه من الاساءات الى المؤمن في أخذ ماله ويكون أراه الله جزاء مثلاً بمثل، إن الله لا يظلم أحداً، هذا ما

أخبرتك به من اصطناع الخير في المؤمنين مع بعضهم في الدنيا، والكافرين وأعمالهم، وهذه علة ما سألت عنه، يا مفضّل، في أمر الرزق ولله المنّة والإحسان.

الباب الحادي والخمسون: في معرفة قلة المؤمنين وكثرة الكافرين

قال المفضّل: سألت مولاي الصّادق، لماذا صار المؤمنون قليلين والكافرون كثيرين في هذه الدنيا؟ قال الصّادق: لأن المؤمن إذا صفا صعد إلى السماء وكان من الملائكة، فمن أجل ذلك كثروا في السماء وقلّوا في الأرض، وأمّا كثرة الكافرين في الأرض فإن الكافر إذا ارتقى درجة في الكفر صار باغياً ثم يكرر فيصير متمرداً، فلا يزال يكرر حتى يصير باباً يضرب به المثل، فحينئذٍ يصير إبليساً ويردّ في المسوخيّة ويبقى في الأرض ولا يصعد به إلى السماء، لأن ليس في السماء مسخ وإنما المسخ في الأرض يعرف وينقل من قالب إلى قالب، وكلما ركب في تركيب تعذّب بنوعٍ من العذاب، ويزداد عذابه كذلك أبد الآبدين ودهر الداهرين، فافهم هذه العلّة في كثرة الكافرين وقلّة المؤمنين، والسلام والحمد لله رب العالمين.

الباب الثاني والخمسون: في معرفة الأرواح النورانية

قال المفضّل: سألت العالم علينا منه السلام عن قوله تعالى: «وقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ» قال الصادق: أقواتها يعني العلم وهو أقوات الأرواح تعيش به، أتدري ما تفسير قوله تعالى: فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ. قال: هي الأيّام التي خلق الله بها الأرض، وهي محمد وعلي والحسن والحسين، هم الأربعة أيام التي ذكرها الله في كتابه الكريم الّذي قدّر الله فيها الأرواح النورانية على هذه الأربعة أيام سواء للسائلين، ولكل روح، نور علم من علم آل محمد، وبذلك يعيش عمره بنورهم يهتدي لصلاح دينه ومعرفة ربّه، وليس في روح الكافر شيء

من هذا العلم لأنّ الكافرين ظالمون لا يهتدون إلى سبيل الله ولا يعرفون حقّاً، كما قال في كتابه: «أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها، إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأَمْلى لَهُمْ».

الباب الثالث والخمسون: في معرفة المأبون والسبب في ذلك

قال المفضّل: سألت سيدي منه السلام، كيف يحبّ الرجل من النّكاح ما تحبّ الامرأة، ويريد ويشتهي ويشتهر في ذلك ويفتضح؟ قال الصادق: إنك سألت، يا مفضّل، عن أخل النجاسة ثم الرجاسة، إن الله تبارك وتعالى لم يبتل أحداً من أوليائه وشيعتنا بذلك، ولا من المؤمنين أحداً أبداً.

يا مفضّل، إن هذا داء قد بريء منه جميع المؤمنين ولا يبتلى به إلاّ أعداؤنا وأعداء شيعتنا، وكيف يبتلي الله المؤمن بهذا الداء وهم الأطهار؟

وأمّا نساء المؤمنين من شيعتنا فهنّ المطهّرات البعيدات عن النجاسة، وكلّ من أنكر ولاية أمير المؤمنين أم سبق وبغض بقلبه لأحد من أولياءه فقد يبتليه الله بهذا الداء النجس.

قال المفضّل: قد بلغني يا مولاي، عن رجل فيه هذا الداء ويذكر في كلامه أنه يتولى أمير المؤمنين، فما تنظر في كلمه؟ قال الصّادق: إنه يقول كذباً، فوالّذي فلق الحبة وأبرأ النسمة، إنّ أمير المؤمنين قد يحبّه الكافر أيضاً والكافر الّذي يحبّه والمؤمن بريئان من هذا الداء، وإنّ هذا الاسم لا يصلح لأحد ولا يسمّى به أحد إلاّ ابتلي بابنه.

قلت: سيّدي، وما هذا الاسم؟ قال: إسم أمير المؤمنين، لأنه لا يجوز لأحد أن يتسمّى به إلاّ علي بن أبي طالب، وإنّما أصل ذلك الشيء كان في الرجل المأبون.

قال الصّادق: كان أصل هذه إمرأة باغية موسومة بالبغي، وكانت تفجر، وربّما علمت بغيها وفجورها عمل البرّ ألم تبلغ ذلك، يا مفضّل، وسمعته؟

قال: نعم، يا مولاي.

فقال الصّادق: وإنّ هذه الامرأة إذا ردّت في الكرّة الثانية ردّت رجلاً ويجعل قبلها دبرها فيكون سبب علّة شهوة النّكاح علها من الامرأة الأولى، وهذه الامرأة الفاجرة، وهذا الّذي سمعته لا يكون إلا في النجس كما وصفت لك. والعلّة فيه هو على ما أخبرتك من بغض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبغض شيعته وحبّ أعدائه، وما كان الله سبحانه يجعل هذه النجاسة في أحدٍ ممن اختصّ بالمعرفة وأقرّ بالوحدانيّة، وأحبّ أهل البيت. فهذا الّذي قد أخبرتك بِه مما سألتني به وما الّذي ينسب إلى حبّ أمير المؤمنين، هذا الحبّ الّذي لا يكون صافياً، لكون قلبه فيه غلّ والله أعلم وعليه توكلت.

الباب الرابع والخمسون:

في معرفة المؤمن هل يُردّ في صورة امرأة مؤمنة، وهل تردّ الامرأة رجلاً؟

قال المفضّل: سألت الصادق على ذكره السلام: أيردّ الرجل المؤمن في صورة الامرأة المؤمنة أم لا؟ فقال: لا والله لا يكون ذلك، يا مفضّل، فإمّا الامرأة المؤمنة فترد في صورة المؤمن إن قدّر الله لها التمام، وأما المؤمن فإنه أكرم على الله أن يُردّ في صورة الامرأة، ويحطّه الله من درجته التي سما إليها وارتقى؟ فهذا لا يكون أبداً، بل ترتقي الامرأة المؤمنة إلى منزلة أرفع من منزلتها، فأمّا المؤمن فإنه يرتقي إلى ما هو أرفع منها، والمؤمن يا مفضّل يزداد سموّاً ورفعةً حتى ينتهي إلى درجة أفضل من درجته، وإلى منزلة المختصين، وأمّا الكافر فينحطّ من درجة إلى درجة وضيعة إلى ما هو أخسّ منها، أي إلى المنزلة الدنيّة حتى يكون في أصناف المسوخيّة التي يستوحش الناس منها.

قلت: سيّدي: أفتكون الامرأة في صورة الرجل وفي صورة النساء؟

قال الصادق: لا تكن أصلاً في صورة النساء بعد ما قد ردّت رجلاً مؤمناً، وإنّما تكون في الصورة التي ارتقت إليها أبد الآبدين ودهر الداهرين، وأمّا الرجل المؤمن فقد أخبرتك أنه لا يُردّ أبداً في صورة النساء، ولكن ينقل إلى صورة ما هي أحسن منها وإلى منزلة هي أرفع وأعلى من منزلته التي كان فيه، فكيف تُردّ الامرأة بعدما قد ردّت إلى صورة الرّجل وارتقت إلى ما كانت من صورة النساء، بل ترتقي إلى منزلة الرجل المؤمن ولو كان ذلك كذلك كانت تكون بالانحطاط، وكان المؤمن ينزل من درجته إلى ما هو أدنى منها، وإن المؤمنة إذا ارتقت إلى درجة الرجل، يعني إنّما تكون درجة أعلى من درجتها ويكون سببها كسبب الرجل المؤمن الّذي يرتقي من درجة إلى درجة، وإلى ما هو أعلى منها، والمرأة ترتقي إلى درجة الرجال المؤمنين وصورتهما، فهذا سبيل العلّة في النساء وردّهم في صورة الرجل كما أخبرتك به والسلام.

الباب الخامس والخمسون:

في معرفة الكافر هل يردّ امرأة كافرة، والكافرة هل تردّ رجلاً كافراً؟

قال المفضّل: سألت مولاي الصادق عن الكافر والكافرة.

فقال: نعم يردّ الكافر في صورة الامرأة الكافرة، ولا تردّ الامرأة الكافرة في صورة الرجل الكافر، كما أن المؤمنين والمؤمنات يرتقون في الدرجات حتى يصيروا عامة رجالاً مؤمنين والرجال المؤمنين يرتقون إلى أعلى من ذلك: كذلك الكافرين ينحطّون من درجة الرجال حتى يصيرون عامّة نساء كافرات.

قال المفضّل: يا مولاي، رُوي عن أبيك أنّه قال: النساء أشرّ من الرجال، وأكثر احتيالاً ومكراً. قال الصادق: يا مفضّل، إنّ أصل كلّ شرّ النساء، وحين خرج أبونا آدم من الجنّة كان بسبب حوّاء، حين أغواه ضدّه على أكل الحبّة، وكذلك قتل قابيل أخاه هابيل بسبب النساء، ألم تسمع كلام الله في كتابه الكريم عن امرأة نوح

ولوط وكيف خانتاهما، وكذلك قتل يحيى بن زكريا بسبب امرأة باغية، وقد قال النبي وأبلغ في القول وأزجر في المعنى حين نظر في النار فرأى أكثر أهلها نساء.

ثم قال الصّادق: كيف لا يكون ذلك وهم غايلة وأقوى كيداً من الرجال، وقال تعالى: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ»، وقال منه السلام: والشياطين من الامرأة، وإنّ الإنسان إذا ارتقى في كفره وعتوّه وتمرّده وتناهى في ذلك صار إبليساً وردّ في صورة امرأة.

قلت: سبحان الله، يا مولاي، ما علمت ذلك ولا ظننت أنه يبكيني. قال الصّادق: ألم تقرأ في القرآن قوله تعالى: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً»، وقال:«إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ»، إذ هم صور النساء.**قلت: صدق مولاي عليه السلام.**

ثم قال: يا مفضّل، هذه تراكيب الكافر في صورة الكافرة.

الباب السادس والخمسون:

في معرفة تركيب البهائم وهل يرد الذّكر أنثى والأنثى ذكراً أم لا يردّ؟

قال المفضّل: سألت مولاي العالم منه السلام عن البهائم هل يرد الذّكر أنثى والانثى ذكراً أم لا يردّ؟

فقال: ما كان منها يحل أكله فإنه يرد الذّكر أنثى والأنثى ذكراً. والبهائم التي لا يحل أكلها من ذنوب المؤمنين، لأنه قد أذى مؤمناً، وإذا مضت البهائم وردّوا وردّت، فلا يحلّ أكل شيء منها، لأنّهم قد ركّبوا في مسوخ آخر مما لا يحلّ أكله لغيره، فحينئذٍ يردّ الذّكر ذكراً والأنثى أنثى، ولا يردّ الذّكر أنثى ولا الأنثى ذكراً، ثمّ يخرجون من ذلك المسوخ إلى مسوخ أوحش منه حتى يردّون في مسخ تستوحش منه البهايم، فضلاً عن الناس وهم ما بين ذلك في جميع التراكيب يمسخون ويعذّبون فلا يزالون كذلك في تراكيب المسوخيّة كلّما ركّبوا في بدن من المسوخيّة بأنواع العذاب مما قدرت لك ذكره، وكل ذلك بما سلف منهم إلى أولياء الله من المكروه

حتى يردون في مسوخ تعاديهم جميع البهايم والسّباع، فهم بعداوتهم إيّاهم يأكلونهم ثم يقتلونهم وفي العداوة لبعضهم بعض أشدّ من عداوة الكافر إلى المؤمن، والمؤمن للكافر، إلى أن يمسخوا في المسخ الّتي يكون في البحر، فيعاق كل دابّة في البحر وتعاقه من شدّة بغيه ونكايته.

فلذلك أقدر المسح وأشدّها مقدار فرسخ، وربّما وقع شراره الّذي يخرج من جوفه على علوّ فرسخ أو أكثر وربّما يمسخ على هذه الحالة ثعبان وله رؤوس كثيرة، والّذي يخرج من جوفه فيمرّ في الشجرة فيحرقها. فهذا وما أشبه وما هو أوحش وأبغض ما يكون، فنسأل الله العفو عن جرائمنا إنه رحيم والسلام.

الباب السابع والخمسون:
في معرفة هل يكون المؤمن مملوكاً للكافر، وهل يكون الكافر مملوكاً للمؤمن وكيف يردّ المؤمن إلى الحرية؟

قال المفضّل: سألت مولاي العالم منه السلام: هل يردّ المملوك العبد مولىً ويردّ المولى مملوكاً عبداً وهل يكون المؤمن عبداً للكافر والكافر عبداً للمؤمن؟

قال الصّادق: فأمّا المؤمن فلا يكون عبداً للكافر والكافر فلا يألوا من خدمة المؤمن ولكن يألوا من خدمة الكافر، وإنّما المؤمن يرد مولىً وسيّداً ملكاً عزيزاً قويّاً.

قلت: يا مولاي، أيردّ ملكاً آمراً ناهياً؟ قال: ويردّ مولى للّذي كان هذا المؤمن عبده، وعبداً لهذا المؤمن، لأنّه أخصّ عبيده وأقربهم إليه وصاحب أمره، ولا يقطع شيئاً من دونه، ويكون عليه معتمده في نفسه أمره ونهايته، ولا يقدم عليه أحداً ولا يؤتمن إلاّ من خدمته، بل يعد ذلك مجازاة ومغنم وذخر لما قد سبق من وجوب حقّه على أن يبعث المملوك الخاصّ الّذي عليه المعول ملكاً عزيزاً منعماً ولا يبعث

صاحبه مملوكاً لأنّه قد ذلّ لكل واحد من صاحبه زلّة في الطاعة واكتساب الذّخرة بدل الزلّة والمعصية واجتراح السيئة والذّنوب.

قلت: سيّدي، كيف يردّ فيما يرد فيه؟ قال: يردان شريفين عزيزين في أنسابهما، ويردّ كلّ واحد منهما قريشياً؟

قلت: قريشياً؟ قال: نعم هاشمياً، ألا تعلم، يا مفضّل، أن هذه الأنساب للمؤمنين والكافرين؟

قال المفضّل: وكيف للمؤمنين والكافرين؟ قال منه السلام: نعم يا مفضّل، إن المؤمنين والكافرين يدخلون في هذه الأنساب من الهاشمية والقريشية بحسناتهم وسيئاتهم، فالمؤمن يدخل في ذلك في الحسنات فيكون هاشمياً مؤمناً، والكافر طاغياً قريشياً.

قال المفضّل: يا مولاي، وهل يكون ذلك فيمن قد تكرر وتركّب؟ قال: نعم.

قلت: إلى متى؟ قال: في الميتة السابعة في صورة الإنسانية، ثم يدخل الكافر في التراكيب على قدر حسناته وسيئاته، فإن كان قد قدم إحساناً إلى أحد يكب أمداً قوياً عزيزاً مهاباً أو أشباه ذلك مما يهاب ويحذر، وإن كان قد أجرم إليه ذنوباً ركب ذئباً أو قرداً أو خنزيراً أو كلباً. نعوذ بالله من ذلك، والحمد لله على عفوه.

الباب الثامن والخمسون:

في معرفة تراكيب الكافر البار بأهل بيته وأهله وغيرهم؟

قال المفضّل: سألت مولاي على ذكره السلام، فقلت له: قد يكون فينا الكافر البارّ بأهله وعشيرته وسائر الناس، والكافر المؤذي لأهل بيته وغيرهم؟

قال: أمّا الكافر البار بأهله وغيرهم يكون ليّن الجانب سهل، وقد يكون فينا الكافر المؤذي إلى إخوانه وغيرهم. ففي ماذا يركّبان ويردّان؟

قال: أمّا الكافر البار بأهله المحسن إليهم، فإنه يركب في قالب أسد أو نمر وما أشبه ذلك. وما يناسب القوّة والبطش فيكون قوياً منيعاً في أعين الناس، وذلك مما تقدّم منه من الإحسان الّذي ذكرته، فهو في تراكيبه مهاباً.

أما ترى إلى الرجل إذا مدح الرجل قال: لله درّه كأنّه أسد أو ضرغاماً يمدحونه ويبجلونه. فهذا وما أشبه جزاء لما تقدّم من أعماله، وأمّا الكافر المؤذي لأهل بيته وغيرهم فإنّه يركب دبّاً وخنزيراً أو قرداً وما أشبه ذلك، فيكون خبيثاً ضعيف القدر عندنا وفي أعين الناس. أما ترى أن الإنسان إذا هجا إنساناً قال: لعنه الله ما أقذره كأنّه دبّاً أو خنزيراً أو كلباً، فيهجوه وينسبوه إلى النجاسة؟ كلّ ذلك مما تقدّم منه إلى إخوانه وجيرانه وأقاربه، والله الأمر بأحكامه وله الحمد بما منّه.

الباب التاسع والخمسون: في معرفة الحروف والفصل والوصل والكلام؟

قال العالم منه السلام: لم يخلق الله اسماً إلا وجعل له معنى، ولم يجعل له معنى إلا وجعل له شبحاً ولم يجعل له شبحاً إلاّ وجعل له حدوداً، ولم يجعل حدوداً إلا وجعل لها فطراً، ولم يجعل له فطراً إلا وجعل له فصلاً ووصلاً، ولم يعرف المفصول إلاّ بالموصول، وول كلّم الناس في المفصول لما عقلوا به موصولاً.

قلت: يا مولاي، كيف ذلك ولما عرف النّاس الكلام ومعانيه؟ قلت: وما ذلك؟

قال: مقطع الحروف ثمانية وعشرين حرفاً عقلوا بها موصولات.

قلت: وكيف ذلك يا مولاي؟ جعلني الله فداك؟ قال منه السلام: أما تعلم، يا مفضّل، أن الكلام ثمانية وعشرين حرفاً عبارةً بين الخلائق، ومعرفة لهم فيما أنكروه، فلو قلنا للرجل ألف ما فهم منها شيئاً، وإذا جمعت جمعاً تألّفت تأليفاً واحداً محدوداً ونسباً منسوباً باجتماع المعرفة، فقيل له: الله أعلم أنّه الله أولا ترى أن ههنا صفة واسم موصول بصفة؟ ألا ترى أن الاسم غير الهجاء والتفصل غير الموصول؟ أما تعلم أن الكلام نسخة الكتاب والكتاب لا يجوز إلا بالهجاء؟ أما تعلم أن الهجاء لا

يجوز إلا بالحروف؟ أما تعلم أن الكلام هو كلّه يخرج من ثمانية وعشرين حرفاً وهي الحروف المعجمة؟

قال المفضّل: يا مولايِ، فهل بهذا تمت المعرفة؟ قال منه السلام: فأما العربية فتمت، وأما غيرها فلا.

قال المفضّل: يا مولاي، وما ذلك؟ فقال: لأن الألسن، يا مفضّل، تبلبلت على عهد إبراهيم، فصار الكلام في العبرانية، وإن دعائم الكلام أربعة وزاد في الكلام الصغير والزجر والنقر من حروف وتوصيلها وتفصيلها والكلام بها عرف جميع الألسن المتبلبلة، ونطق كل طائر أدقّ نطق. فمن عرف ذلك فقد عرف نطق كل طائر وإلى كل طائر ذو أربع من البهائم وليس تعلم أنّك إذا صفرت في الطير صفر وتهتف بالحمام والبهائم فتنزجر، فلولا أنّك افتهمتها ما لم تفهم بالزّجر والهتف والنّقر والصّفير والنبح والنهيق والعويّ، وما يفتح به الفهم فهو الزّجر، وما يلزم من الفم فهو من الصّفير، وما رددته إلى الهواء فهو من النقر، وما فتحت به الفم، ويخرج من الحلق فهو من الهتف. فافهم ذلك إن شاء الله، عليه توكلنا وإليه أنبنا.

الباب الستون: في معرفة بيان السبعة الآدميين والأدوار والعدد

قال الصّادق: كان قبلنا سبعة أوادم وسبعة أدوار قد مضت، ونحن في الدور الثامن من آدم الثامن، ولكلّ ذريّة آدم بعث منهم، ثمّ حساب وثواب وعقاب، ففي الجمع الأكبر يقوم به محمد علينا سلامه ورحمته، فإذا جاء النّداء في الدّور الآخر صار ثواب أهل ذلك الدّور ثلاث فرق: فرقة صارت نورانيّة وفرقة ردّت إلى دار البلاء وفرقة صارت قشّة وفي الدور الثاني نسخة، وصار أهل العقاب ثلاث فرق، فرقة صارت نيرانيّة وفرقة ردّت إلى دار البلى، وفرقة صارت في الدّور الثالث مسخاً، فما كان منها نسخاً فهو من أهل الثواب، وما كان منها مسخاً فهو من أهل العقاب، ثمّ يصير المسخ والنّسخ في الجمع الأكبر والدّور الآخر، تم الباب والسلام.

الباب الحادي والستون: في معرفة السبعة الآدميين

قال الصّادق: لقد قامت عليهم القيامة وصاروا أهل الثواب إلى منازلهم وأهل العقاب إلى منازلهم في أربعة أدوار من العذاب والهوان والسعير الأليم والحريق. فلمّا اكتفى أهل الثواب وأهل العقاب بقدر ما كان منهم وخرجوا منها كقوله تعالى: «لابِثِينَ فِيها أَحقاباً، لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً ولا شَراباً، إلاَّ حَمِيماً وغَسَّاقاً، جَزاءً وِفاقاً»، موافق أعمالهم السيّئة والخبر في الدّور وذلك قوله تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ»، والنار أسرع الدّارين جواباً لقوله تعالى: «خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ». ولمّا أخرج أهل العقاب صاروا ثلاث فرق، فرقة ردّت إلى دار البلى، وفرقة قشاشاً تنتقل في صورة دودة، وذلك قوله تعالى: «فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ». يقول اسلكوه المشقّة في سبعين خلقة مصوّرة، وقال الله تعالى: «فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ». يقول في دودة تسهر ولا تنام ولا تتزوج، ولا يكون فيها شيء من الخلق لا ولد ولا بيض، ثم قال تعالى: «ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ»، يقول تعالى: دودةٌ لا عقب لها ولا ولد ولا شيء من الخلق أشرّ منها ولا أخسف منها، فإذا كان يوم القيامة أي يوم قيام محمد فيتلاشى القشاش، ثم يخرج أهل الثواب من الأدوار الأربعة، فيصيرون ثلاث فرق: فرقة تردّ إلى أفضل الثواب وهو إلى جنّة الفردوس وهي جنّة الخلد، وفرقة ترد إلى دار التّصفية، وفرقة إلى حواصل الطير وبطون السمك، ثم تنسخ سبعين مرة فتتلاشى في الجمع الأكبر، والقشاش سبع أصناف طير وسمك وبهائم وسباع وأهوام وحجرة ونبات وسبعين نوع سمك وسبعين نوع بهائم بريّة وأهليّة وسبعين نوع سباع برية وأهليّة، وذلك قوله: «وما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ». فأزكى البهايم وأطيبها لحماً ولبناً ما كان أكثر وأزكى الطيور، ما كان له قوانص وحواصل، وأزكى الاسماك وأطيبه لحماً ما كان له فلوس، فما كان منها هكذا فهو نسخ وما كان سوى هذا فهو مسخ، وما كان من القشاش في رحم فله أذناب، وما كان في البيض فهو له ذنب، وما كان في الأرحام فهو يرضع وما كان في البيض فهو يزق ويلقط، وما كان نسخ طاب أكله،

وما كان مسخ حرام أكله، وتقل نفسه وجوارحه مثل السّباع البهائم ثم سباع الطيور والهوام مسخ تقلب إلى الجوهر الّذي كانت منه، والدّر والياقوت والزبرجد نسخ، والحديد والنحاس والرصاص مسخ، وهو ما أخبر الله في كتابه: «وإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولكنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَليماً غفوراً». وقال تعالى: «كُونوا حِجارَةً أَو حَديداً، أَو خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ في صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعيدُنا قُلِ الَّذي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ ويَقُولُونَ مَتَى هُو قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَريباً» (الآية)، وقال تعالى: «أَولَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمينِ والشَّمائلِ سُجَّداً لِلَّهِ وهُمْ داخِرُونَ»، وقال تعالى: «كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وتَسْبِيحَهُ»، فهذا البيان في شأن الأدوار والسّلام.

الباب الثاني والستون: في معرفة الطبائع والطرائق والقدد

قال الصادق: إفهم ثبّتك الله القول الثابت أن الله سطح نوره، ثم خلق منه قدّةً وصورة، ثم أمره أن يقدّ صوراً، وقدّاً. فأقاموا صوراً وقدداً على النور المسطوح، ثم عبدوا الله ولم يعصونه، ثم أمر أن يخلق ناراً مسطوحة وأمره أن يقدّ منها قدداً ويصير منها طيوراً حوراً، فقاموا لله عابدين، فتهيأت النورانية أن تختلط في النارية فاختلط بعضها، فسطح خلق من خلقين، ثم أمره أن يخلق ريحاً، فخلق، ثم أمره فقدّ منها قدداً وصوّر منها صوراً، وقدّ منها قدداً فأمر الريحيّة أن لا تختلط في المائيّة، فاختلط ثم خلق طيناً من البحرين العذب الفرات والملح الأجاج، ثم أمره وقدّ منه قدداً وصوّر منه صوراً فأمر المائيّة أن لا تختلط بالطينية، فاختلط البعض، فسطح منه ما كان بدء الخلق الممزوج الأربعة النور والنار والريح والماء، وسطح منه طينة آدم، ثم خلق من شان الآخرة فركبت الأطباع، ومن الشيء نصفه خُلِقَ سافلاً من الصّخرة وهمّ عليها قرار الأرضين، لأن سطحه على حوت وصار الحوت على الماء، وصار الماء على الصخرة، والصخرة بيضاء، وهي على الهواء ما بين الهواء إلى الصّخرة والجنّ هناك جامدة مركب الطّبقة.

ثمّ خلق آدم وأسكنه ظهرها وأمره ونهاه وجعل ثوابه في الأمر والنّهي في الدّنيا والآخرة، وما على ظهر الطبق مما أجرى عليه الله وعلى ذريته ومنه مأكلها ومشربها والنوم، وطلب الأزواج، ثمّ قد فتح لهم فيها من شهواتها وزينتها ولهوها ولعبها، ثم قال تعالى في كتابه العزيز: «الْمالُ والْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا والْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وخَيْرٌ أَمَلاً». فالباقيات الصالحات الأمر بالمعروف وما يعملون إلى طاعته وتركيب مزاجه في زخرفها وباطلها وأزواجها وأموالها.

وقال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ»، ثم قال تعالى: «إِنَّما أَمْوالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ واللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ». ورغّبهم في الباقيات وجعل ما يفنا فتنة لهم وأمرهم أن يتخذوا منهم، فأمّا الّذي قد انتهوا عنه فقد جاءتهم العقوبات والآفات والبلى من أنواع الأسقام ومن النقصان في الأولاد والأنفس ومتى لم يقيموا ما أمروا به من طاعة الله جاءهم من العذاب ما وعدهم به من مسح وخسف، وقد قال تعالى في ذرية من تقدّم من ولد آدم فإنّه أهلكهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة فمنهم من أخذهم بالطوفان، ومنهم من أخذتهم الرجفة، ومنهم ممن مسخ قردة وخنازير وأشباه ذلك من عذاب الآخرة. ثم قال تعالى: «ولَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»، أي يعني يتناهون عمّا نهوا عنه، وقال تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ولَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ»، يقول تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ»، يعني في ثواب الدنيا والآخرة زيادة في الأموال والأولاد والمعاش، وقد قال نوح: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً، ويُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وبَنِينَ ويَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ويَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً» يقول تعالى عاجلاً وآجلاً فوقروا الله سبحانه عاجلاً وآجلاً، الّذي جعل لكم فيها مستمعاً في مشيئة أخرى لهم حججاً ورسلاً يخبرونهم عن ربّهم بحدّ ما نهوا عنه، فلمّا أعرضوا عن رسلهم ختم بما فتح لهم، ثمّ أنابوا إليه مناباً، فقال، جلّ ذكره: «ولَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ»، ثمّ قال: «أَولَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ، إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»، فالملكوت هو ملكوت الطريق والقدد الأولى والكلّ قدّه طريقه وملكوت في العليم

القديم، تعالى الله عما يقولوا الظالمون علوّاً كبيراً، وله الحمد دائماً وأبداً وعليه فليتوكّل المؤمنون.

الباب الثالث والستون:

في معرفة المرء ونفسه بأربع طبائع وأربع دعائم وأربع أركان

قال الصّادق: في شرح ذلك

إن طبائع الانسان هي: السّوداء والصفراء والبلغم والدّم.

وأركان النور والنار والريح والماء وصورة طينية.

فهو قد نظر في النور وأكل وشرب بالنار وجامع وتحرك ووجد الذّوق والطعم بالماء، فهذا باب من صورته، فإذا نزلت في النفس هذه الأركان كانت تسعة تسعى، وإيجاد بدء خلقها عقله، وهو دليله ونظره وسبيله ومفتاحه وبه يستكمل ما أنزل به، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذكيّاً فهيماً فطيناً، يعلم بذلك من نضجه وعزّه وكيف ولِمَ، فلمّا أفاد عرف مجراه وموصله ومفصله، فيكون قد أدرك بها الفناء وعاش بالبقاء بإخلاص الوحدانيّة، والآداب بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما قد فات وازاد على ما هو عليه، فعلى ذلك يأتي وعرف ما هو فيه ومن أي شيء هو ههنا، وإلى ما هو صائر إليه ولا يجد أصفر إلا في أصفر ولا أحمر إلا في أحمر، ولا أسود إلا في أسود، ولا بياض إلا في بياض، ولا يجد إلاّ شمّاً أو حلواً أو مرّاً أو حامضاً أو مالحاً، فإذا عرف الأحمر من غير حمرة، والأصفر من غير صفرة، والأبيض من غير بياض، والأسود من غير سواد، فكان تمام معرفته كيف يجد وهمه ولا يكون وهمه إلاّ بتأييد عقله، وقد يكون أن تجري فيه النّفس وهي حارّة، ثمّ تجري فيه وهي باردة، فإذا حلّت به الحارّة وقد سرّ وبطر وارتاح وابتهج واستبشر وفجر وزنا واهتزّ وفرح، وإذا جاءت به الباردة اهتمّ وحزن وقلّ وذلّ ونسي واستيأس، فهي العوارض التي يكون منها الأسقام وأن

سبيلها المأكول والمشروب في ساعات لا تكون ساعات موافقة لذلك المشرب والمأكل بحدّ خطيّة فيستوعب الآلام من الألوان، والأسقام على موجب العلل والحاجة، والسلام.

الباب الرابع والستون: في معرفة ما خلق الله وأقدّ منه القدد

قال الصادق: إن الله أقدّ القدود وصوّر الصور وخلق النور، ثمّ حجب النار بالريح، ثم خلق الماء وحجب الماء بالرّيح، وخلق الطّين من زبد البحر، فحجب به الماء ومن النور خلق الملائكة مصوّرين، والنار خلق منها الجنّ مصوّرين، والطّين صورة آدم وخلق آدم من طين والنار والريح والماء، وذلك من شأن الدّنيا، وخلق النور من شأن الآخرة، والريح من شأن الآخرة، وذلك لقوله تعالى: «وأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ ومِنَّا دُونَ ذلكَ كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً»، يقول تعالى: كون جوهراً خلق من جوهر وأقدّ منه صوراً منكم من جوهركم، ثمّ إن الملائكة صاروا يرون جميع الخلائق، والخلائق لا يرونهم من الخلق إلاّ الجان، لأنّهم خلقوا من نار وذلك قوله تعالى: «والْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ»، ولا يراهم من الجن والإنس إلا من أكرمه الله، وإنّما يراهم الناس في جوهر النور الّذي وصف، فصار الإنسان يأكل ويشرب بالنار، وينظر ويعلم بالنور، ويسمع ويشمّ بالرّيح، ويجد لذّة الطعام بالماء، ويتحرّك بالرّيح، فلولا أن النار في معدته فما عظمت حالات الطعام والشراب في جوفه، ولولا الرّيح ما التهبت نار المعدة ولا خرج الثّفل من بطنه ولا برد الماء، ولولا النور ما رأى بصره ولولا الرّوح لما جاء ولا ذهب، فالطّين صورته والعظم في جسده بمنزلة الشّجرة والأرض، والدّم في جسده بمنزلة الماء في الأرض، ولا قوام للأرض إلاّ بالماء، ولا قوام لجسد الإنسان إلا بالدّم، والشعر على جسده كالعشب على وجه الأرض، والمخّ رسب الدّم والزبد له، هكذا الإنسان، قد خلق من شأن الدّنيا والآخرة، فإن جمع الله بينهما صارت حياته في الأرض لأنها نزلت من السماء إلى الدّنيا من شأن الآخرة، فإذا فرّق الله بينهما صارت تلك الفرقة بالموت، لأن روحه نزلت إلى الدّنيا من شأن الآخرة، فالحياة بالأرض والموت في السماء،

وذلك أنّه فرّق بين الروح والجّسد، إذا دامت من شأن الدّنيا، وإذا مات فردّت الروح والنور والنار إلى القدة الأولى وترك الجّسد في الدّنيا لأنّ الرّيح ينشف وييبس الطّين فيصير رفاتاً، ويردّ كل شيء إلى جوهره الّذي خلق منه، ثمّ تحرّكت الروح بالنّفس والنفس حركتها من الرّوح، فما كان من نفس المؤمن فهو من نور حار مديداً بالعقل، وما كان من نفس الكافر فهو بارد مديداً بالنّار، فالمؤمن صورته نور والكافر صورته نار، والتحريك فيهما من الروح، فما تحرّك بالنّور والروح من يمينه، وما تحرّك بالنّار فهو شماله، وهو قوله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ» فإنّه يقرأه، وأمّا من أوتي كتابه بشماله فلن يحسن قراءته والموت رحمة من الله إلى عبده المؤمن ونقمة من الله إلى الكافر، وإن الله إذا أراد أن يخرج عبده المؤمن من الدّنيا إلى الآخرة فقد رحمه وعفى عنه، وأخرجه من سجنه، ودعاه إلى رحمته وردّه إلى نوره، لأنّ الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، وإذا أراد الله هوان للكافر أزهق نفسه وخرب صولته، ثم أخرجه من جنّته فردّت نفسه إلى النار، ولله في الدّنيا عقوبتان، إحداهما من الروح في عذاب الآخرة والأخرى من تسليط بعضهم لبعض لقوله تعالى: «وكَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» من الذّنوب، فما كانوا من ذلك فكلّ عقوبة للرّوح وإن ذلك سقم وفقر وكلّ ذلك جعل للمؤمنين عقوبة وللكافرين نقمة، وسوء العذاب في الآخرة ونقمة في الدّنيا، وليس على المؤمن نقمة في الدّنيا ولا عذاب في الآخرة، ولا يكون ذلك إلاّ بذنب، والذّنب من الشّهوة، فما كان من المؤمن فإن ذلك خطأ ونسيان، وما كان من الكافر فتعمّد وجحود، واعتداء وحسد، وذلك قوله تعالى: «أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ» «حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ». فأوّل خلق عبدوا الله الملائكة وصورتهم من نور ولا يخطون ولا يزلّون ولا يتعدّون ما أمروا به مطيعين لله فيما أخذ عليهم من الميثاق والعهد والأمانة ولم يغيروا ولم يبدلوا شيئاً مما أمروا به عارفين لا إله إلا الله، فلما خلق الجان فتن بعضهم لبعض فألقى عليهم غشاوة وخالطوهم فلا يرون الملائكة الّذين لم يفعلوا مثل أفعالهم، وجعل ذلك حجاباً بينهم.

فالحجب سبعة: حجاب بين المرء والروح، وحجاب بين الروح والملائكة، وحجاب بين الملائكة والجان، وحجاب بين الجان والإنس.

فأوّل من آمن بعمارة الأرض الجان، ففسقوا فيها بالفساد وسفك الدّماء، ونسوا العهد والميثاق والأمانة وبقوا في الأرض قائمين، ثم هلكوا وذلك قوله تعالى: «إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها»، فخلق آدم وعلّمه الأسماء وعدد السنين والحساب، ثم أهبط آدم إلى الأرض وأمر الفلك بالدوران، وكان الفلك على عهد الجان لا يدور، فبقي هو وذريته في اقليم الاقاليم انقطاع حساب العرب والعجم والروم ومبلغ حساب الهند، ولأقاليم الهند – وهم ثمانية– سبعة منها تدور وواحدة لا تتحرّك، فهو إقليم الجّان، فجعل في الفلك سبعة أقاليم يدور بها القطر، فمن أجل ذلك عرف الليل والنهار، ثم جعل بها اثني عشر برجاً، ومن ذلك يعرف السنة والشهور وثم تعرف الشهور في ثلاثين يوماً، لأن الشمس تطلع في كل برج ثلاثين يوماً، وجعل النهار مثل السّنة، لأن النهار جعل اثني عشر ساعة، فجعلت الساعات مثل الشّهور وإنّما صار الليل لا يحسب من عمر الإنسان لما كان النوم أخو الموت وبه يستدلّ على أنّ الميّت يحيا لأن النائم يستيقظ، وإنّما يعرف الموت من النوم، والبعث من الحياة بعد الموت من اليقظة، ويعرف خلق الإنسان من طبائعه من دوران الفلك وطلوع البروج وما فيها من الخنّس والجوار الكنّس، فإذا انقضى الدوران، فعندها لا يعرف الليل من النهار، ولا النهار من الليل وتضبط الدنيا بقدرة الله سبحانه من له الخلق والأمر.

الباب الخامس والستّون: في معرفة ما جاء في تصحيح الآدميين السّبعة

قال المفضّل: قلت لمولاي الصّادق: إنّي قد سمعت من الشّيعة أشياء لا يقوى عليها قلبي. قال: حدّثني عن بعض ما سمعت منهم إلاّ ذكرت لي شيء.

قال: أردت، يا مفضّل، أن تقول أنّهم يقولون كان في الأرض سبعة أوادم قبل أن يخلق الله آدم؟

قلت: نعم، يا مولاي، إن ذلك لمن قولهم. قال: صدقوا، لأنه كان في الأرض سبع آدميين قبل أن يخلق الله آدم، وإنّ جبريل من القرن الأول وميكائيل من القرن الثاني، وإن الدور خمسين ألف عاماً، فإذا بدأ الله بخلق آدميين، كان كيف يثبتهم في الجنّة خمسين ألف عاماً، فإذا بدأ الله بخلق آدم جعل أهل الجنّة ملائكة، وجعل أهل النار في مكان آخر، ثم خلق الآدميين، وكنّا أول مبعوثين إلى ذلك الخلق حججاً.

وعن محمد بن نصير عن يعقوب بن سالم، قال:

سأل الصادق رجلاً وأنا عنده عن هذه الآية: «فَأَمَّا الَّذينَ شَقُوا فَفي النَّارِ لَهُمْ فيها زَفيرٌ وشَهيقٌ، خالدينَ فيها ما دامَت السَّماواتُ والأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لما يُريدُ، وأَمَّا الَّذينَ سُعدُوا فَفي الْجَنَّةِ خالدينَ فيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ».

فقال: يعني غير ممنوع، ثمّ قال: يا فلان، لعلّك تريد حديث الهفت؟

قلت: سيّدي، وما حديث الهفت؟ قال: إنّه كان في الأرض سبعة آدميين قبل أبيك آدم وكلّهم قد عاشوا في الأرض وقامت عليهم القيامات وحوسبوا ودخلوا الجنّة والنار، ثمّ خرجوا منها.

قلت: جعلت فداك، أين المؤمنين؟ قال: فأما المؤمنين فيلحقون في الملائكة.

فقلت: وأهل النار؟ قال: فيلحقون في المسوخ، أما تقرأ في كتاب الله تعالى: «أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ في مَساكِنِهِمْ»، فهؤلاء القشاش الّذين تراهم الخنزير والدبّ والكلب وابن آوى وابن عرس.

وعن الحسن بن عليّ بن أبي الحمزة عن أبيه عن أبي بصير قال: كنّا جلوساً عند أبي جعفر الباقر علينا منه السلام، فجرى ذكرهم.

قال أبو جعفر: عليهم لعنة الله، فإنّهما ضالاّن مضلاّن، والله ما زال في القرون الأولى مبتدأ أول ما بعث الله آدم على وجه الأرض، فإنّ الله، جلّ ثناؤه، قد بعث سبعة آدميين قبل آدم، فما زال في تلك الأمم الماضية والقرون السالفة حتى بعث الله محمداً فصنع ما وصفناه وما قد علمتموه وبلغكم منها.

فهكذا أراد الله لهما حتى يبعث الله قائمهم فيخرجهما عضدين طريين فيحرقهما، والله لفتنة للناس بهما ذلك اليوم أعظم من فتنتهم بهما اليوم، ثم ينسفهما بالرّيح، ثمّ إنّ الله يبدل السماء غير السماء والأرض غير الأرض، فحينئذٍ تستقيم الدنيا لنا.

عن ابن عبد الله البرقي عن ابن عمر عن خالد بن سالم قالا: كنّا جلوساً عند مولانا جعفر الصّادق فذكرنا رجلاً، فقال: لا أعرفه.

قالوا: إن رجلاً أدرك مفاوز خراسان سبع مرات عامرة.

قال منه السلام: فكم ترون أدركها خراب؟

وسئل الصادق من الحاضرين عن الدّنيا. قال: هي أربع مائة دور، والدور أربع مائة ألف سنة، وفي كل دور سبع آدميين، وفي كل دور آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام.

وعن محمد بن إسماعيل عن البداية قال: دخلت على أبي قلت له: جعلت فداك، قبل آدمنا هل من آدم؟

قال: إنّ الدّنيا خلقت إذاً قريبة أيّام البداية قبل آدمكم هذا آدميّون غيره، ألم تقرأ قوله تعالى: «نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ»، قدرة نشأت نشأة لا يعلمها إلا الله.

فقال محمد بن إسماعيل: كل آدم – يا مولاي- كان بدوره محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وأبا بكر وعمر وعثمان وأنتم الأئمة بأعيانكم وجدّكم محمد بعينه، أم أسماء توافق الأسماء؟

قال الصّادق: نحن بأعيننا وجدّنا محمّد بعينه، وعلي وفاطمة والحسن والحسين بعينهم وأبو بكر وعمر وعثمان بعينهم.

ثمّ التفت الصادق وقال: إنّا منّا رسل الله ما دام الله في خلقه حاجة، فإذا بدأ الله أن يهلكهم رفعنا إليه، وإن بدأ أن يخلق خلقاً آخر كنّا نحن الرسل إليهم.

ثمّ إنّ المفضّل قال: يا مولاي، إن سلمان يملك في كل دور أربعة آلاف سنة.

وعن المفضّل قال: سألت مولاي أبو عبد الله قلت: هل، يا مولاي، مع دنيانا هذه دنيا أخرى؟ فقال (صلعم): يا مفضّل، خلق مثل قبّتكم هذه اثني عشر ألف قبّة، لو أخذت قبّتكم هذه ووضعت في وسط قبّة منها لم تبين فيها، ولكلّ قبّة اثني عشر ألف باب، وعرض كلّ مصراع منها اثني عشر ألف عام، فيها صفوفاً قياماً على أقدامهم حتى لو ألقيت إبرة ما وقعت إلاّ على رأس رجل منهم، يسبحون الله ويقدّسونه ويبلغون فلاناً وفلاناً في تسبيحهم.

قلت: يا مولاي، من ذرّية آدم هؤلاء؟ قال: لا يعرفون آدم ولا ذريته.

قلت: يعرفونكم أنتم الأئمة يا مولاي؟ قال: نحن عندهم أعرف بنا من عندكم.

قال المفضّل: قلت لمولاي الصّادق: إلى أي شيء يصير المؤمنين إذا انتهوا؟ قال منه السلام: ملائكة مقرّبين في جوار الرحمان، يحدّثهم ويحدثونه، ويكشف لهم بعد روح الجنان.

قال المفضّل: يا مولاي، إلى أين مصير الملاعين؟ قال - منه السلام-: ممسوخين مثل الهوام حيّات وعقارب.

عن ابن سنان عن خراش النّهري عن زرارة قال: كنت يوماً؟ عند أبي جعفر الباقر منه السلام، فقال لي: يا زرارة، ما عندك من حديث السبعة الكبار شيئاً؟

فقلت: بلى، يا مولاي، جعلت فداك ولكنها نفسي والله تحدّثني أن أسألك.

فقال لي الباقر: مرادك يا زرارة عن السبعة الآدميين، فلقد كان قبل أبينا آدم عليه السلام ستة آدميين قامت عليهم القيامات وحوسبوا ودخلوا الجنة والنار يا زرارة، ما علموا الملائكة حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، لولا ما قدّر من الأمر العظيم القديم.

وعن الصّادق قال: إذا سكن الله أولياءه الجنّة وأعداءه النّار فيصيرون إلى ما شاء الله، فإذا أحب الله تعالى أن يعيدهم جعل أهل الجنّة ملائكة روحانيين، وكنّا نحن رسله إلى خلقه.

وعن الصّادق أنّه قال: إن في القرآن العظيم سبعة آيات ممكنة مختلفة في مخاطبة موسى وفرعون وإلى كل آدم منهم موسى وفرعون، ستة منهم يفعل الله بهم ما يشاء وسابعهم هو آدمنا يجعل الله له الخلود.

عن عليّ بن يوسف عن إبراهيم بن هشام عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: قلت إلى الصّادق: مولاي، جعلت فداك، كان آدم قبل آدم أبونا هذا؟ قال منه السلام: نعم آدم قبل آدم حتّى عدّ احدى وعشرين آدم وإلى كل واحد عمره وعمر ولده في الدّنيا والجنّة والنار خمسون ألف سنة، ثم يصيرون أهل الجنّة ملائكة وأهل النار قشاش.

قال إبراهيم: قال إسماعيل بن عبد العزيز: سألت الصّادق – منه السلام– فقلت: – جعلت فداك –، مرادي الهفتيّة. قال – منه السلام–: نعم يقول الله سبع سموات وفي مثلهنّ يقول سبع أرضين، وفي كل أرض آدم ونوح مثل نوحكم.

قال صفوان بن صفوان بن يحيى عن الحسين منه السلام: كان معه رجلان قال لأحدهما حدّث فلان بما سمعت وحدّثتك به أمس.

قال: إنّه كان قبلنا سبعة آدميين عاشوا وأولادهم واستكملوا أرزاقهم وقامت عليهم القيامات ودخلو الاجنّة والنار، فكبر في قلب الرجل، فقال له: ها هو الحسين فاسأله، فإنني لم أكذب عليك، فقال الحسين: إن القيامة تقوم عليهم، ثم يدخلون الجنة والنار، ثم تعود الأرض ليس فيها أحد يعبده.

عن محمد بن سنان عن محمد بن الحي الخثعي عن كثير النّواي قال: قلت له: ويلك، يا كثير، ما أشدّ خلافك على أبي جعفر؟

قال: إنّي سمعت شيئاً لا يحبّ أبداً. قال: قلت له ويلك، ما سمعت منه؟

قال: سمعته يقول: كانوا الآدميين كلهم يفتح بهم بمحمد وآله.

وعن محمد بن إسماعيل عن جليس له عن أبي حمزة الثمالي[1] قال: قلت إلى أبي عبد الله منه السلام: جعلني الله فداك، أخبرني يا مولاي، عن قول الله: «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ»؟

قال: يا فلان، فيهلك كل شيء ولم يبق إلا وجه الله، وهو أعظم من أن يوصف بوصف، ولكن معنى كل شيء هالك إلا دينه ونحن الأئمة وجه الله الّذي لا يؤتى إلا منه، لا نزال في عباد الله، ما دام الله فيهم رؤيا.

قال الرّجل: جعلني الله فداك، ما الرؤيا يا مولاي؟ قال: حاجة فإذا لم يكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه وصنع بهم ما أحبّ.

وعن محمد بن سنان قال أبو عبد الله: إنّا منّا الرسل من الله إلى خلقه ما كان له في خلقه من حاجة، وإذا لم يكن فيهم حاجة رفعنا إليه حتى إذا أراد سبحانه وبدأ له أن يخلق خلقاً، كنّا أوّل المبعوثين إليهم وهداية إلى الخلق وحججاً عليهم.

وعن الحسن بن محمود عن هابيل الضرّاب وأبيه إسماعيل الحسن، عن أبي رافع الموصلّي عن جابر، قال أبو جعفر الباقر: يا جابر، لم تزل حجج الله في خلقه ما كان له حاجة، فإذا لم يكن له منهم حاجة رفعنا إليه ثمّ يهلكهم حرقاً وغرقاً، وكنّا نحن الأئمة الحجّة من بعدهم.

وعن أبي عبد الله البرقي وعن محمد بن سنان وعن صالح بن زياد النيلي، عن يونس بن ظبيان قال: سألت مولانا الصادق عن قوله تعالى: «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ولَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ، فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وما كُنَّا غائبِينَ».

قال الصّادق: قال: فالّذين نسألهم وما نسألهم إلاّ بعد فراقهم من الدّنيا ولسوف يعلمون.

وعن حسين بن يوسف عن أخيه عن أبيه سيف بن عميرة الحنفيّ قال: سألت مولانا جعفر عن قوله تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ»؟

---

[1] في نسخة الشّمالي ولعلّه تحريف.

فقال: نحن الأئمة في عباده لسانه الّذي ينطق به وأيّده في خلقه، ونحن وجه الله الّذي يؤتى منه، لا نزال في عباده له ما دام لله له فيهم رؤية.

قال الرّجل: ما الرؤية يا مولاي؟ قال: الحاجة، فإذا لم يكن له فيهم حاجة، رفعنا إليه كيف ما شاء صنع.

ثمّ قال: سمعت أبو عبد الله يقول: ما خلق الله خلقاً قبل محمد أكرم على الله من محمد.

وعن محمد بن أبي عبد الله البرقي عن إسحاق بن عمّار، سأل أبو عبد الله وهو جالس، فقال له: يا مولاي، أسألك بالّذي ميثاق العلماء عنده لينبيء الناس ولا يكتمونه أن تنبيني بالّذي أسألك عنه.

فقال له الصّادق –منه السلام– إسأل عمّا شئت.

قال، مولاي، قوله كل يوم هو في شأن، فما حُجُبُه في شأنه الّذي يحدث؟

قال الصّادق: نحن الأئمة حُجُبُه، وإن منّا رسله إلى جميع خلقه ما دام لله في خلقه حاجة، وإذا أراد تعالى هلاك خلقه رفعنا إليه، وإذا بدأ له تعالى في إنشاء خلقه خلقاً آخر كنّا أول مبعوثين، وكنّا ولاة ذلك الخلق.

وعن عبد الله القاسم قال: سمعت أبو عبد الله الصادق – منه السلام– يقول: إنّا منّا رسل الله للخلق ما دام لله في خلقه حاجة.

وعن الإمام الباقر، قال: إن الله بدأ بأدوار مطلع الشّمس وأجرى شمسها أربعون صباحاً من غداة إلى اللّيل ما بها شمس ولا قمر، فضيائها من نورها ما سفك عليها دم حرام ولا عمل خطية ولا يدرون الله كيف خلق إبليس.

وعن أبي قال: دخلت عليه فسألني ما عندك يا بنيّ من الأحاديث السّبعة؟

قلت: عندي شيء كثير، وقد هممت أن أوقد لها ناراً وأحرقها. قال: هات ما أنكرت منها.

فخطر في بالي الآدميّون. قال: وما كان علم الملائكة حين قال: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء».

قال أبو جعفر: مرّ رسول الله برجال من أصحابه وهم يتكلمون، فقال لهم: فما أنتم مفتكرون؟

قالوا له: يا رسول الله، نفتكر في القمر كيف لا يسير في السماء كما تسير النجوم في السماء إذا رمي بها. فقال: نعم في هذا تتفكرون، إن لله تسعة وثلاثون أرضاً، ليس فيها شمس وقمر، تضيء تلك الأرض بنورها ولا يعلم أحد أن أحداً يعمل في المعاصي، وإنّ أرضكم هذه تمام الأربعين.

ثمّ قال: إنّي ظننت ما من أرض حتى أنالها الله ووطئت ولا فيها موضع تقبر فيها جهته من ملك ساجداً أو قدماه واقفاً قائماً.

وعن محمد الباقر أنه قال إلى زرارة: يا زرارة، إن لله أرضاً بيضاء، ضوءها من نورها، ليس فيها شمس ولا قمر، وفيها خلق لا يعلمهم إلا الله، ولم يعصوا الله طرفة عين.

فقال زرارة: وإبليس، أين هو؟ قال الباقر: لا يعلمون أنّ الله خلق إبليس.

قال: جعلت فداك، من هم ولد آدم؟ قال: يعلمون أن الله خلق آدم.

وعن الصّادق قال أبونا آدم: إنّ اله صنع تسعة وثلاثون قبّة من ولد آدم.

وعن حميران قال: سألت الباقر عن الملائكة وقولهم قالوا تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟

قال: من أين علموا ذلك الملائكة إلاّ فيما كان قبل؟ وعن الباقر أنّه قال: مرّ على والدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رجلٌ فقال له: يا أمير المؤمنين، فما هذه الأنساب التي ينسب الناس إليها؟

فدعاه وقال له: إنتسب.

قال: نعم أنتسب إلى عاد وثمود وقارون وبين ذلك كثير، فقال: إنّك لا تعرف تنتسب، أنا أنسبكم وأنا عليّ سابع سبع أسابيع الآدميين.

وقال رسول الله: إن لله ثمانية عشر ألف عالم، والدنيا فيها عالم واحد، وفي الدنيا ألف أمة سوى الجنّ والإنس ست مائة في البحر وأربعمائة في البرّ.

وعن الصّادق أنّه قال: كان ثلاثة أدوار سبع مائة ألف سنة ودور سبعين ألف سنة ودور سبع آلاف سنة.

وعن الباقر قال: حدثت عن بني إسرائيل فقال رجل: جعلت فداك، والله في أحاديث السّبعة ما هو أعجب من أحاديثهم.

قال الباقر: لعلّك، يا رجل، تريد الهفتيّة؟ **قال نعم.**

فقال الباقر: فصدّق بها فإنّها حقّ.

وعن محمد بن عليّ عن أمير المؤمنين يقول: إنّ بعدي فتناً مظلمة عمياء مشكلة لا يبقى فيها إلا النّومة.

قيل: وما النّومة؟ قال: الّذي لا يدري الناس ما في نفسه.

وعن الباقر أنه قال: اثنتان بين يدي هذا الأمر كسوف القمر الخمس وكسوف الشّمس الخمس عشر، يكون ذلك من هبوط آدم إلى الأرض. فعند ذلك يسقط حساب المنجّمين.

وعنه عن يحيى بن عمران قال: سمعت علي بن الحسين يقول: من أدرك قائمنا وكان ذا علّة بريء منها، ومن مرض شفي منه، وقال ابن الحسين: هالكون ولد العبّاس على يدي قائمنا على ذكره السلام، وعن يحيى ابن عمران قال: سألت أبا عبد الله جعفر عن غيبة هذا الأمر متى يكون وما علامة غيبته؟

قال الصّادق: خسفٌ تخوم نهاوند وعند فوات الحسين عقبة حلوان ورجفة تصيب أهل فارس، وزلزلة تصيب أهل الرّوم،

فإذا رأيت ذلك وسمعت به فيقين لغيبة صاحب هذا الأمر.

قلت: يا مولاي، جعلت فداك، غيبته حتماً من الله؟

قال: هكذا أخرج إلينا وأمره إلى الله إن شاء مضى وإن شاء أبطأ.

قال –مولاي– أين تكون غيبته؟ قال الصّادق منه السّلام: من وراء قافكم **هذا؟**

قال: يا مولاي، ليس وراء قافنا المحيط بالدّنيا شيء؟ ثمّ ابتسم وقال: فإنّني أخبرك عن ذلك ولا أحرمك إنشاء الله، فمن وراء قافكم هذا مدن شتى كل مدينة لها اثني عشر ألف باب، وعلى كل باب في كل يوم وليلة اثني عشر ألف رجلاً لا ينوبهم إلى يوم.

قال: يا مولانا، وكم عدد المدن؟ قال الصّادق: تسعة وثلاثين قبّة سوى قبة آدم عليه السلام.

قال: يا مولاي، من أولاد آدم؟ قال الصّادق: هم لا يعلمون أن الله خلق آدم.

قال: وهل يتخطّاهم يا مولاي إبليس بخيله؟ قال الصّادق: إنّهم لا يعلمون أن الله خلق إبليس.

قال: يا مولاي، جعلني الله فداك، كيف يخترق القائم على ذكره السلام إليهم؟ قال: يخترق من حيث يشاء الله يصير بينهم.

قال: يا مولاي، أين تكون غيبته وفي أي مدينة يسكن من هذه المدن؟ قال الصّادق: يسكن أينما شاء والله الموفّق لنا ولكم.

قال: يا مولاي، فهل يصير إليهم أحد منكم؟ قال الصّادق: نعم، نحن حجج الله فيهم وعليهم يؤدّون إلينا خمس مالهم لا يعصون الله طرفة عين، قال: يا مولاي، وفي أيّ الأوقات مصيركم إليهم؟

قال الصّادق: إذا كنّا ههنا فنحن هناك، وإذا كنّا هناك فنحن ههنا.

قال: يا مولاي، من غير نقلة ولا سفر؟ فتبسّم الصّادق وقال: لا يحملنّك حبّنا أن تقول فينا بخلاف الحقّ، نحن عباد الله المكرمون لا نسبقه بالقول ونحن بأمره نعمل ونخافه بالغيب ونحن من خشيته مشفقون، سبحانه ما أعطانا الخيرات كلها إلا بحمده ونحن خزّان علمه وموضع سرّه ومستودع علمه وورثة أنبيائه ورسله وحججه على عباده من خلقه، اصطفانا الله، لا نقدر لأنفسنا على ضرّ ولا نفع إلا بما شاء، إنّ الّذي وصفته لك بقدرة ربّنا.

قال: يا مولاي، جعلت فداك من أين خروج قائمكم؟ قال الصّادق: من بيت الله الحرام، وأوّل من يصافحه بالبيعة جبريل في سبعين ألف ملك، ولا يبقى ملك في السماء إلا بايعه.

قال: يا مولاي، عندي مسائل يمنعني إجلالك أن أسألك عنها. قال الصّادق: يرحمك الله، أمرنا ربّنا أن نعرّفكم كلّما تحتاجون إليه، فاسأل عمّا بدا لك.

قال: يا مولاي، منذ كم خلق الله الدّنيا وكم يكون ابتداؤها إلى انقضائها؟

قال الصّادق: خمسون ألف دور، وكل دور أربعمائة ألف كور وكل كور أربعمائة ألف سنة.

قال: يا مولاي، جعلني الله فداك هذا الأمر لا ينقطع؟ قال الصّادق: علم ذلك عند الله، يرى السّاعة قريبة ونراها بعيدة.

قال: يا مولاي، أين الجنّة؟ قال: ههنا.

قلت: مولاي، في الدّنيا؟ قال: نعم.

قلت له: وأين النّار؟ قال: في حيث يشاء الله.

قلت: مولاي، الجنّة في الأرض ! قال: نعم، إن الله قال: «وقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ».

قال: يا مولاي، للجنّة والنار مدة وانقطاع؟ قال: نعم لأن الله تعالى قال في قصّة الجنة والنار:«خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ».

قال: يا مولاي، إلى أين مصير أهل الجنة والنار؟ قال منه السلام: أهل النار يصيرون قشاشاً.

قلت: يا مولاي، ما القشاش؟ قال: البقّ والذباب والنمل وما يشبه ذلك.

قال: يا مولاي، ينقلون من شيء إلى شيء؟ قال الصّادق: نعم، وينقلون من خلق إلى خلق، فهذا هو العذاب الأكبر.

قال: يا مولاي، وأهل الجنّة إلى ماذا يصيرون؟ قال: ملائكة.

قلت: بأعينهم؟ قال: يصيرون إنسيّون روحانيّون.

قلت: يا مولاي، لا ينقلون من شيء إلى شيء. قال الصّادق: لا.

قلت: يا مولاي، ما يصيرون الآدميّات والحور العين، وأين يكون مسكن أهل الجنّة؟ قال: يحدث الله إلى كل مؤمن جنّة على حدة ويتّخذ له فيها قصور ويصيرون الآدميات والحور العين إلى أزواجهنّ.

قال: يا مولاي، وأين يتّخذ لهم الجنان في الأرض وفي أي موضع؟ قال: بين قوائم الكرسي.

قال: يا مولاي، وأين قوائم الكرسي؟ قال الصّادق: الكرسي في طولها ألف ألف قائمة، بين القائمة والقائمة مسيرة ألف ألف عام، وكذلك عرضها وله ممن الله في كل موقف سبعون ألف زوارة، وكلّما زاروا ورجعوا إلى مساكنهم وقد زادوا سبعين ضعفاً مثل الّذي أعطي قبل ذلك.

قلت: يا مولاي، إنّ هذا لهو الفضل الكريم، وهل هم في هذه الجنان أنعم عيشاً أم في هذه الجنّة الأولى؟ فتبسّم الصّادق –منه السلام–، ثمّ قال: يا بشّار، أمّا الجنّات الأولى جوار الله خير من الجنّة الثانية، أما علمت أن الله يبدلهم في الجنات الأولى لقربه وجواره فاختار بهم من رؤيته.

قال: يا مولاي: ينقل الآدميّات من حال إلى حال؟ قال الصّادق: نعم يا بشّار، ينقلون من جنس إلى جنس ومن طيب إلى طيب ومن نور إلى نور، ومن نعمة إلى نعمة، إلى أفضل النعم.

قال: يا مولاي، الحمد لله الّذي لم يعط من علمه أحداً غيركم، اختصّكم بفضله دون جميع خلقه.

قال الصّادق: يا بشّار يرحمك الله، اكتم سرّ ما أودعتك من مكنون سرّ الله وحده أليسه.

ثمّ قال الصّادق: أمر القائم وقيامه إلى الله وحده.

قلت: يا مولاي، أليست له علامات؟ قال الصّادق: بلى له علامات شتّى.

قلت: ما هي يا مولاي؟ قال الصّادق: ناراً تقبل من ههنا، وأومأ بيده إلى ناحية القبلة، وإلى ناحية الشّرق.

قلت: يا مولاي، كلّ ذلك في ليلة واحدة؟ قال الصّادق: نعم، ومسخاً يكون في الهند والسند، ويدخل الحسين حلوان.

قلت: يا مولاي إلى أي موضع يريد؟ قال الصّادق: يريد مدينة محدثة، على شاطيء سيحان البصرة.

قلت: يا مولاي، أليس هي الزوراء؟ قال: لا.

قلت: مولاي، ثم ماذا يكون؟ قال: نزول العسكر على شاطيء سيحان البصرة ويخرج على شاطيء الدّجلة من البصرة رجل من ولد أبي عليه السّلام يريد دخولها فيُمنع من ذلك أشدّ المنع، ويعود خارجاً منها، ويجيش إليه الجيوش من بني مرداس، ويكون بينه وبينهم وقعات عديدة، ولم يزالوا، والله، على ذلك حتى يقتل عن يده ما ينوف عن ستين ألفاً.

قلت: يا مولاي، ثمّ ماذا يكون؟ قال الصّادق منه السّلام: لا يزال كذلك حتى يدخلها ويقتل عاملها وعامل بني مرداس، فيقيم بها ما شاء الله، ثم يبايعه أهلها كارهين غير طائعين، ويؤدّون إليه العشر. فإذا اطمأنّ واستمسك غدروا به وكبسوا منزله ليلاً فيقتلون أصحابه وينهبون منازلهم وهو يخلص نفسه ويفرّ من أصحابه وأهلها ويخرج هارباً منها ويرفع أصحابه بني مرداس رأس أحدهم على قناة، ويزعموا أنّهم قتلوه، وإن رأيت ربع رأسه على سريري أو بيدي فلا تصدّق بقتله، فإنّه يخرج والله هارباً منها ويسلم برأسه، ويذهب حتى يأتي اليمن، فيجتمع إليه الناس من قبائل العرب والموالي أقوامٌ كرام الأخلاق، ثمّ يخرج بهم حتى يوافي كوفاتكم، ويقيم فيها ما شاء الله. فيجتمع إليه قومٌ من أهل الكوفة، ويخرج منها حتى يوافي البصرة، فيكبسها ليلاً ويدخلها ويقتل منها خلقاً كثيراً ويحرق بها قبائل كثيرة، ثم يرجع إلى الكوفة.

قال بشّار: يا مولاي، ثم بعد ذلك ماذا يكون؟ قال الصّادق: يصير ما يريد الله.

قال: يا مولاي، جعلت فداك، أسرع بالجواب ما سألتك إلا مريداً إلى ذلك.

قال الصّادق: اعلم أن أحد أتباعنا لا يزال بالكوفة يحيي خراجها ويصرقه في أصحابه، ويخرج خمسه ويدفعه إلى أهله.

قال: يا مولاي، فأين يكون صاحب هذا الأمر يومئذٍ في غيبته؟ قال الصّادق: حيث شاء الله تعالى.

قلت: يا مولاي، وقد روي لنا عن أبيك محمد الباقر أن صاحب هذا الأمر غيبته في بعض أشعابكم.

فتبسّم الصّادق ثمّ قال: صدق والدي، إنّ صاحب هذا الأمر من وراء قافكم المحيط بالعلم في برّ وبحر. ثمّ قال الصّادق: بل في مدن شتى.

قال: يا مولاي، فما نصنع بالّذي قد روي عن أبيك؟ قال الصّادق: اعلموا أنت وإخوانك أنّه ما زال منازل الرجال عندنا على قدر احتمالهم عنّا. قال خليل الله إبراهيم: «إِنِّي سَقِيمٌ»، ولم سقيم؟ أفتراه كان كاذباً؟ لا والله، ولكنه كان صادقاً وهو أعلم بما قال صلى الله عليه وسلم.

ثمّ قال: يا مولاي، من في تلك المدائن من ولد آدم؟ قال: لا يعلمون أن الله خلق آدم.

قلت: يا مولاي، فيتخطّاهم إبليس. قال: لا يعلمون أن الله خلق إبليس.

قال بشّار: يا مولاي، يعرفونكم حقّ المعرفة. قال الصّادق: نعم يأتوننا بالفواكه بغير أوانها ويوردون إلينا خمسنا الّذي فرضه وأوجبه الله لنا في كتابه وهم أطوع لنا منكم.

قال: يا مولاي، بعث الله إليهم الرسل كما قد بعث إلى ولد آدم. قال الصّادق: نعم بعث الرسل إلى كافة الخلق وإلى من دون العرش وجميع من خلق.

قال: يا مولاي، وأقرّوا بولايتكم؟ قال الصّادق: من أنكر أحداً منّا فإنّه إلينا ولا وليّنا أنكروه ولا ينكروننا، نحن منار الله في أرضه، ثم أمناؤه على خليقته.

فقلت: الحمد لله الّذي عرفتني غاية فضلكم. قال الصّادق منه السلام: يرحمك الله ما عرَّف الله أحداً غاية فضلنا إلاّ مقدار شعرة بيضاء في ثور أسود. وأمّا مقدار فضلنا وعلمنا في علم الله وفضله إلاّ مقدار ما حمل الطائر بمنقاره من البحر الّتي ذكره الله تعالى في كتابه.

قال: يا مولاي، الحمد لله الّذي لا شبيهاً له إلا الله الّذي لا صفة له ولا نعت.

ثمّ قال: ربّنا قبل القبل وخالق القبل، وبعد البعد وخالق البعد وغاية كل غاية ومنشيء كل شيء وخالقه وإبداء البداية وأزل النهاية.

ثمّ إنّ الصّادق لصق خده في الأرض والله سمعته يقول ذلك: ربّي ومجيري، وسيّدي وسندي، وخالقي ورازقي، وإن شاء عذّبني فيحرمني وإن شاء رحمني فبفضله، ويل يومئذٍ للمكذّبين.

ثمّ إنّ الصّادق جعل يقلب خدّه على التراب وإنّه يقول: أنا عبدك وابن عبدك، وابن ابن عبدك، وابن أمتك، أصبحت فقيراً إلى رحمتك مؤمناً بوعدك، أسيراً بعملي مرتهناً به، يا إلهي ارحم زلّتي وفقري، وارحم فاقتي يا مولاي بالنّصر على أعدائي، فلولا نصرك كنت من المغلوبين.

ثمّ إنّ الصّادق رفع رأسه وقال كلاماً غير مسموع، فقال: لبّيك، مولاي، قال الصّادق: استر ما كشفناه إليك من علم الله الّذي ستره من ملائكته.

قال: يا مولاي، متى يكشف هذا الغطاء؟

قال: فبكى أبو عبد الله حتى جرت دموعه، ثمّ قال: ربعي إن شاء الله الّذي له الحول والقوّة بالخلق والأمر إن شاء الله تعالى له على الثقاة الأمناء.

وعن أبو عبد الله أنه قال: لمّا احتضر رسول الله محمد الوفاة قال: يا عليّ إذا متّ فغسّلني وحنّطني وألبسني وأجلسني، أخبرك بما يكون إلى يوم القيامة، فلمّا توفّي غسله علي وحنّطه، وألبسه، ثمّ أجلسه فأخبره محمد بما يكون إلى يوم القيامة.

وروي أن عبد المطلب بن هاشم قال في قصّة إبراهيم ابن الأشرم أبياتاً له وهي المتممة السّاكنة في مجراها للتفاهم وهي هذه:

أيهــا الــداعي لقــد أســمعتني كلّما قلت ومـا بـي مـن صـمم

أيــد الله أمــراً حقّــاً لـــه سـنته بـالقوم ليسـت بـالأمم

إن للبيـــت إلهـــاً مانعـــاً مـن يـرد يومـاً إليـه يصـطلم

قلــت للأشــرم يبــرى قلبــه إنّمـا الأشـرم يلحقـه نـدم

رامــه تبــع فــي أجنــاده حميـر والحـي مـن آل قـدم

أهلكته فـي الحمـى فـي حـزبهم بعـد طـايع ثـم خـدش وإرم

فـانثنى عنـه وفـي أوداجـه جارحـاً خدّيـه مـرديًّ الكلـم

وكـذاك الأمـر فيمـا قـد خلـق لـيس أمـر الله أمـراً مكتـتم

نعـرف الله وفينـا شـيمةٌ صـلة الـرّحم ونـوفي بالـذّمم

ولنـا فـي كـل دور كـرّة تـارة بـالعرب طـوراً بـالعجم

نحـن آل الله فيمـا قـد مضـى لم يـزل فينـا علـى مـرّ القـدم

نحـن آل الله فـي بلدتـه لـم نـزل آل علـيّ وابـرهم

نحـن سـكّان السّـموات العلـى نقسـم الأنـوار فيهـا والظّلـم

نحـن أرسـلنا رسـولاً ناصـحاً فـي قـرون مـن ثمـود وإرم

نحـن دمّرنـا ثمـوداً عنـوةً ثـمّ عـاداً قبلهـا منـذ القـدم

نحـن أرسـلنا النّبيّـين إلـى قـوم عـاد وثمـود ولخـم

ولنـا أنـزل هـدياً صـالحاً عربـيّ الأصـل قـرآن الكلـم

ولنـا التّـوراة يتلـى سـرّها ولنـا الإنجيـل يـروى للإمـم

ولـدينا عـالم نهـدى بـه وإمـام عنـده فضـل الحكـم

وكتـاب فصّـلت آياتـه فيـه أنبـاء أقاويـل الأمـم

وعلينـا الحـقّ والرّسـم الّـذي رسمت أعصـاره فـي كـم وكـم

ولنـا أمـر شـريفٌ علمـه ولنا الأنـوار مـن بـاري النّسـم

تمّ ذلك والفضل من الله عليه توكّلنا.

سأل بعض العارفين عن أخبار الباطن فقال له: من لم يعرف الأمر من جهته يكون من الأبدان البشريّة حتى يبلغ إلى المنتهى في المعرفة، على أن يكون ممّن يغشى عليكم فيؤخذ بزمام زوجه، فتخرج من دار المعرفة إلى دار الإنكار، فيكون من الخاسرين.

وعن أبي علي الكوفي قال: كنت عند الباقر، فدخل إلى عنده رجل أحمر عليه ثياب خضر، فقال: السّلام عليكم يا أبا جعفر ورحمة الله وبركاته، فردّ عليه الباقر بأحسن سلام.

فقلت له: من أنت يا رجل – يرحمك الله–؟ فقال لي: أنا أخوك وصاحبك، حين أتيتك بخراسان، فأضفتني بليلة كذا وكذا.

فقال أبو عليّ الكوفي لأبي جعفر الباقر –منه السلام– لم أره في هذه الهيئة يا مولاي. فتبسّم الباقر ثمّ قال: هو من المحجوبين، يحتجب بما شاء.

فقال: يا مولاي، وما بلغ من حقيقة إيمانه؟ فقال الباقر: يا دوال لم يكثر على الله شيء لقربه إليه.

قلت: يا مولاي، وما أغفل الناس عن مثل هذه، وغاب الرّجل. فقال الباقر – منه السلام–: هذا عبد إن سألت فقد أعطاه ستّ حجج حجب بها حيث يشاء من ملكوت السماء والأرض.

فقلت: يا مولاي، ما أعظم حق المؤمن عند الله. فقال الباقر: يا دوال، لا تتكبّر على عبد الله فتجعل ثوابك إلى ذلك فتهلك، فإن إلى كل أمين مؤمن سبع حجب، إذا خرجت من أبدانه وانكشفت عنه صار في جوار ذلك.

فقال الدوال: يا مولاي، صف ما ذقته من حلاوة الإيمان، فإلى ما يصير المؤمنون في الآخرة إذا انتهوا؟ قال الباقر: ملائكة مقرّبين في جوار الرحمان ويحدّثهم ويحدثونه بعدد روح الجنان.

قال: يا مولاي، إلى أين يصيروا الملاعين ممن خالفكم؟ قال: هوام ومسخ من الهوام حيات وعقارب وخنازير ومن لا خير فيه بعد شدّة العذاب والله أعلم أن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين، تمّ.

الباب السادس والستون: في معرفة ما جاء في الأظلة والأشباح

إن الله اختار بين الأرواح في الأظلة ثم أسكنها الأبدان، فإذا خرج قائمنا ورث الأخ الّذي آخى الله بينهما في الأظلة ولم يورث الأخ من الولادة الجسمانية، اعلمه من ذلك، ومن يعلم لا تبقى عليه بينة.

وعن محمد بن علي قال: إذا دارت الدائرة تدور على قوم بعد قوم وقرن بعد قرن حتى يخلص المؤمنون كما يخلص الذّهب الصّافي.

وعن محمد بن سنان قال: ما من طائر يطير إلا له أم وأب وعم وخال. ثمّ التفت أبو الحسن إلى نجّار ينجر بداره فقال: هذا النّجار كان في الدور الأول ديكاً وهو اليوم نجّاراً.

وعن ابن سنان عن المفضّل، قال: سألت مولاي الصّادق فقلت: أخبرني يا مولاي، عن قول الملائكة الّذين أوحى الله إليهم لقوله تعالى: «إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ». وقال الصّادق: أما علمتم بأن الآدميين يفسدون في الأرض؟

قال المفضّل: يا مولاي، بعلمٍ أم بغير علم؟ قال: بل بعلم، يا مفضّل.

قال المفضّل: يا مولاي، من أين علم ذلك وهل كان آدم قبل أبينا آدم؟

قال الصّادق: كان قبل آدم آدم وآدم وآدم حتى عدّ سبع أوادم.

قال: يا مولاي، سبعة. قال الصّادق: نعم يا مفضّل، وألف آدم أيضاً.

قال المفضّل: يا مولاي، أين كنتم في ذلك الوقت؟ قال الصّادق: يا مفضّل، كنّا في عرش الرحمن فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا وهلّلنا فهللت الملائكة بتهليلنا، وقدّسنا فقدّست الملائكة بتقديسنا.

فإذا أراد الله أن يخلق خلقاً أهبطنا إلى ذلك الخلق فدبّرناهم وعلّمناهم، فإذا أراد الله بذلك الخلق أمراً فإنّه يرفعنا إليه ثمّ يصنع بهم ما يشاء.

وعن محمد بن سنان عن المفضّل عن الصّادق منه السلام، قال: يركب الناكثان في صورة ضبعين، ويأتون البادية ويدخلان حيطان المدينة، فبينما هما يدوران إذ خرج عليهما أسدٌ فقتلهما، ثمّ ركّبا في بني فزازة، فخرج عليهما رجلٌ من بني فزازة فقتلهما، ثمّ يتركّبون في مسوخ البرّ حيّات وعقارب وخنافس، فسحقاً لهما في كلّ مسخٍ لا يؤكل من الطير والبهائم.

وعن الصّادق يقول: إنمسخ عدسي وحفصة ذبيحين؟

قلت: يا مولاي، وما الذّبح؟

فوضع ذلك غيرة من الله ومن نبيّه لأن لا يثبت عليهم شيء من السّباع.

وروي عن جعفر أنّه أمر بثور ذبح، فقال: أمّا هذا الثور فهو قرين في المسوخيّة في عهده، فسأله بعض من كان معه عن ذلك قال: إنّما إنّه إذ كان سلخ جلده وجد فيما بين الجلد واللّحم مغزل فيه سلكه.

وروي عن مولانا أمير المؤمنين عليّ أنّه بينما كان جالساً إذ مرَّ بهِ بعض أصحابه فقال: إنّ هذا جمل في بعض أودية اليمن، فضحك قومٌ من الأنصار.

فقال: أتهزأون بحديث رسول الله؟

فإمّا أحدكم تتركّب روحه في حمار ثمّ ركّبه هذا بالأمس وأشار إلى بعض أصحابه.

وعن الصّادق قال: إنّه مرّ يوماً برجل أعمى مُقعد، فوقف عليه، ثمّ قال له سابور: أما إنّك قد كنت جبّاراً عنيداً، فوثب الأعمى المقعد وهو يقول: مولاي،

ويدور ويطلبه، ومضى الصّادق إلى محلّه فقال له بعض أصحابه، من كان هذا الأعمى المقعد يا ابن بنت رسول الله؟

قال الصّادق: كان هذا رجلاً من ملوك العجم يعلق الناس في الخراج حتى يخلع أعناقهما، فمات، فمسخه الله في عشرين نوع من المسوخيّة، ثمّ عذّبه أشدّ ما يكون من النّار.

وعن **المفضّل، قال: سألت الصّادق عن القيامة.** فقال: أما سمعت قوله تعالى في كتابه الكريم: «واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ، إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وإِلَيْنَا الْمَصِيرُ، يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً ذلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ».

فقال الصّادق: يخرج والدنا عليّ بن أبي طالب فينادي بصوت الله أكبر، فيجيبه من كان في البرّ والبحر، ثمّ يبعثهم الله جميعاً، ثمّ يقبل عليّ ويأتي إلى النّاس وهو يوسم المؤمن مؤمناً بين عينيه، ويوسم الكافر كافراً بين عينيه، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: «خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ»، يعني من الوسم بين أعينهم، وقوله تعالى: «يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ، مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ» حتى يلقى الرّجل المؤمن، فيقول: يا مؤمن، من أين جئت؟ ويعرفه من الوسم. وكذلك يلقى الكافر يقول: يا كافر، من أين جئت؟ ويعرفه بالوسم، وكذلك قوله تعالى: «وإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ، ويَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذا جاؤُ قالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآياتِي ولَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً أَمَّا ذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

وعن عبد الصّمد عن أبي حكيم قال: سألت محمد الباقر عن قوله تعالى: «ومَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وهُو مُؤْمِنٌ». فقال الباقر: بالرّجعة: «فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ وإِنَّا لَهُ كاتِبُونَ».

فقال الباقر: وذكر السّاعة هوذا هي ألا ترى الله يقول في كتابه:«يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها والَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها ويَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ».

فصل في معرفة الأشباح والأظلّة:

وعن المفضّل بن عمر قال الصّادق: إنّ أوّل ما خلق الله المؤمنين، خلقهم أشباحاً قبل أن يخلقهم أظلّة، فسبّح الله نفسه وهلل نفسه، والأشباح يومئذٍ كالشّيء الّذي لا يتبين، والدّليل على ذلك أنّ الصّدى الّذي جعله الله في الدّنيا، فإذا تكلّم الرّجل أو صاح، أجابه مثل صوته، وذلك في موضع دون موضع، وجعل الله تعالى ذلك دليلاً على الأشباح، وأنّ الأشباح كانت تجيب الله بما يقول، ولا حياة فيها مركب ممزوج، بل حياة بسيطة حيّة لطيفة، كما أنّ الصّدى يجيب الإنسان بما يقول، ولا حياة فيه، ثمّ خلق الله تعالى الأظلّة فسبّح الله نفسه، وهلل نفسه، فأجابته الأشباح ثمّ الأظلّة أجابت الأشباح. والدّليل على ذلك أنّ الأشباح كما تراه في المرآة إذا تكلمت فكانت تتكلّم كأنّه ينطق والأرواح فيه، وكذلك الأظلّة أجابت الأشباح والأرواح فيها.

ثمّ خلق الله الأرواح، وإنّما سمّيت أرواحاً في راحتها بمعرفة الله، ووجه آخر أنّها راحت إلى الله، ثمّ قالت الأرواح: يا ربّ، كيف خلقتنا وكيف ابتدأتنا حتى نعرف بدء خلقنا وخلقك؟

فقال لهم: منّي ابتدأت الأشباح ثمّ الأظلّة ثمّ أنتم، يعني الأرواح.

فقالوا: يا ربّ، قد علّمتنا كيف خلقتنا، فعلّمنا فيما ننشأ، وفيما نموت، فقال لهم: تنشؤون في طاعتي، ثمّ تعصون بلا اعتماد منكم على معصيتي، ولو اعتمدتم معصيتي ما متّم أبداً. ثمّ احتجبت به عنكم، وأخلق أبداناً تحجب بعضكم عن بعض وأدعوكم إلى نفسي فيما احتجبت به عنكم، فتعبدوني وحجبي كثيرة، ومتى أختار منها حجاباً لا أفارقه ولا يفارقني، فمن عبدني به منكم كان مؤمناً حقّاً، ومن عبدني بحجبي كلّها كان كافراً، وذلك أنّ حجبي كثيرة، وكلّها أسكنتها (يعني أسكنتها غيري) وكلّ ذلك إبتلاءً إلى أولاد الشّيطان، لأنّهم لا يعرفونني، ولا يعبدونني بحقيقة المعرفة، فمن عبدني على إيمان وإيقان كافأته بالحجاب الّذي لا أفارقه ولا يفارقني، ولذلك أوجبت على نفسي وأردت أن لا يعبدني الشيطان وولده بذلك، وأن تعبدوني، أنتم به أحقّ، لأنّه حقيقة الإيمان.

فقال المؤمنون: يا ربّ، كيف نعصيك وكيف تخلق عدوّاً ومن أي شيء تخلقه؟

فقال الله تعالى: إنّي خلقتكم من تلك الأشباح، والأشباح أجابتني، وقد خلقتكم من الأظلّة وأجابت الأشباح، وكانت هفوتكم على غير إعتماد، قال: فتركهم أحد وخمسين ألف سنة، ثمّ تكلّم الله فقال: «إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً»، وهو عدوّكم وعدوّ الحجب وليس له ضدّ، وإنّما يكون الضدّ لمن يقهر.

قالوا: يا ربّ، ما يصنع ذلك العدوّ؟

فقال تعالى: إن ذكرتموني بحجابي قتلكم، وإن أمنتم بي من حجبي عذّبكم، ولا يبقى عليكم كلّ ذلك لما شككتم بي وعبدتم حجبي ولم تعرفوني، والحجاب الاسم بلا معنى، أتعبدون الاسم بلا معنى؟

فاجتمع المؤمنون على أن يستقبلوا الله، إذ قال لهم: إنّي كلّ يوم في شأن، وإنّه يبدوني.

قالوا: ما علينا أمن نستقبل الله، فكانت أوّل زلّة زلّها المؤمنون على غير علم ولا تعمّد، أنّ ذلك لله، قالوا: يا ربّ «أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ» ونهلّلك ونعبدك؟

قال: «إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ»، وإنّما خافوا حين قال لهم: إنّ حجبي كلّها أسكنتها غيري، وإنّي أحجبكم وأحجب بعضكم عن بعض، فداخلهم الضّعف والمخافة عند ذلك.

ثمّ قال تعالى: إنّ علمي فيكم ولو لم تراودوني لبطل علمي، فخلق من حجاب احتجبت به عنكم وهي الحروف، وهو حجاب آدم، ثمّ خلق إلى كل واحد حجاب من زلّته على قدر أنصاره، فحجبه عن صاحبه وخلق من حجابه الأوّل إبليس والشّيطان والّذي يوسوس في صدور النّاس وشيطان الجنّة خلق هؤلاء من حجابه الّذي خلقه من زلّة المؤمنين، ثمّ إنّ الله خلق لكلّ خلق روحاً وشيطاناً على عدوّهم، فكان خلق إبليس وولده من معصية المؤمنين، ثمّ في الجّملة، إنّ الله خلق حجباً كثيرة من حجب

المؤمنين، ثمّ إنّ الله دعى إبليس وذريته إلى عبادته، قالوا: أخبرنا كيف بدوء الخلق وخلقنا حتى نكون من ذلك على علم؟

فأخبرهم من أي شيء خلقهم، ولم يبين لهم من أي شيء خلق المؤمنون، ولم يسألوه من بداية المعصية ولا عن بداية خلقهم كما سأل المؤمنون، وقد عصي هؤلاء – يعني المؤمنون – فغفر لهم، وما علينا إن عصينا مرّة واحدة ثمّ يغفر لنا، فاعتقد إبليس وذريته معصية الله.

فلمّا احتجب الله بالحجاب الأول الّذي سمّاه آدم، وهو العليّ قال للملائكة اسجدوا لآدم، قال: إسجدوا لي من جهته، يقول: من جهة البيت يعني القالب، فسجدت الملائكة وهم المؤمنون من جهة آدم كما أمرهم الله، وإنّما سجدوا لله لا لآدم، فقال إبليس: أنا خيرٌ منه، خلقتني من نار، أي من حجابك، فجعل النّور نار، ولو قال: خلقتني من الشّيء الّذي له تأويل، ولكن خالف وضلّ وقال: وآدم«خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»، يقول: خلقته من الّذين هم بولائك «يعني المؤمنين» فلذلك سجدوا، وأنا أسجد لك لا إلى آدم، لأنّي منك لا منه، وهؤلاء يسجدون إلى آدم لأنّهم منه، يعين اللّعين بذلك المؤمنون، ثمّ إنّ الله قال وأخفى الله حجابه عن الأول، عن إبليس لعنه الله، وخلق من معصيته حجب المسوخيّة، وهو ما حرّم لحمه.

ثمّ إنّ إبليس لمّا رأى المؤمنين قد ذلّوا على غير تعمّد فحجبوا أو لبسوا الحجب، ثمّ رأى الحجب التي خلقت من معصيته تخوّف أن يركب فيها أو يلبس كما لبسوا المؤمنين، ولبس حجب معصية المؤمنين هو وذريته، ثمّ طلب أن يسجد الله بعد أن غاب ذلك الجّسم الّذي سجد له المؤمنون، فلم يجده، فعند ذلك سجد اللّعين وذريته إلى كل شيء له جسم، فصار ذلك سنّة إلى إبليس وذريته، وسجدوا إلى النار والماء والنجوم والشمس والقمر والليل والنهار والشجر وجميع ما خلق الله تعالى.

وقال إبليس: إذا غاب أن يكون بواحدة من هذه الأصناف ولم يعرف حجابه، وظنّ اللّعين أن يدركه بما فعل من هذا السّجود إلى كلّ شيء، وأعماه الله عن ذلك، فلذلك صار النّاس يعبدون الدّهر، الظلمة والنور، لأن إبليس يسجد لهم، وقال: لعلّ الله يحتجبن له، ثم سجد الناس ورجع إلى الحجاب الّذي رآه احتجب به من صورة الآدميين، وقال: لعلّ احتجب بالناس، فلذلك صار الناس يحجب بعضهم ببعض، فلم

يدرك تلك السّجدة قال المؤمنين إلى إبليس ما منعك من السّجود ولم تعرف الله، فسجدت له حجّابه، وقد غاب عنك، فعند ذلك اعتقد إبليس عداوة المؤمنين وقتلهم حسداً لهم كما ذكروه، وذكروا من السّجود والطّاعة وعلم إبليس، وولده أنّ آخر أمورهم إلى المسوخيّة، فلم ينالوا بما صنعوا، فلذلك أغرى بالمؤمنين، إذا لم يدرك السّجدة فأغراه الله بهم لذنوبهم وتقصيرهم في توحيده، وسكّنهم في الله الّذي قد خلقهم، فلذلك قد أخذ عليهم الميثاق، فقال: «وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ»، يعني من الأمر الّذي ظهروا عليه من التّوحيد لله، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى. يعني ذرية الّذين ذروهم وهم الأنفس وهم يعرفونه حين احتجب عنهم بذلك من قبل أن يغيب، فقال: إن يقولوا إنّا كنّا عن هذا غافلين من حين حجب وكيف خلق حجاباً، وكيف خلق إبليس من أنّه لا بدّ له أن يصير إلى المسوخيّة، إذ خلقت من معصيته ومعصية ذريته كما خلقت أبدان المؤمنين وأرواح الشياطين من معصية المؤمنين، وتسلّط عليهم بالقتل ولم يكن إبليس يقتلهم من ذاته، إلاّ بذنوب سابقة، فعرض ببعض وذلك أن ينتقم من الظّالم بالظّلم وما كان من عقوبة القتل. فلذلك قتل المؤمنين بعضهم بعضاً في أبدانٍ مختلفة لا نعرفها وإنّما أراد قتل البدن، لأنّ اللعين إبليس صار يقتل بعضه بعضاً، وهو جور عليهم وإنّ الشيطان خلق من معصية المؤمنين. لذلك فبعضه يقتل بعضاً، وذلك نقمةً عليهم ينتقم منه، وأمّا الفقر الّذي يصيب المؤمنين فهو من جحودهم لحقوق المؤمنين، وأخذهم منهم ما ليس لهم بحقّ، وأمّا أسماء القتل في الكافرين فتقتلهم المؤمنين في أبدان مختلفة، وامّا يعني الكافرين وحسن ما لهم فيه من الحال فيما صنعوا في المؤمنين في أبدان مختلفة، فمن جازى من الكافرين كافراً أو مؤمناً أعطاه في البدن الآخر ما يتجازى به، وكذلك إذا جازى نقيباً أو نجيباً أعطي سبعة لا ينازعه فيهنّ أحد إلاّ غلبه، وكذلك إذا جازى مؤمناً من آخر أعطي على قدر ما جازى المؤمن، والله أعلم وإنّه أرحم الراحمين، الإله الخلق والآمر تبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين.

الباب السابع والستون:

في معرفة حقوق الإخوان وفضل المؤمنين وأزيد فيه خبر المزاج

قال الصّادق منه السلام لبعض أصحابه: أعزل أهلك، وقاسم أخاك المؤمن مالك، فانعم فإن العلم مشاع غير مقسوم بين المؤمنين، وكذلك قال الله في كتابه الكريم: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ». وكذلك ورد عن جدّي رسول الله محمد أنه قال: جميع ما خلق الله في الدّنيا للمؤمنين مشاع غير مقسوم، وما لأعداء الله فيه نصيب.

وعن يعقوب السرّاج أنّه قال: بينما أنا أسير في الحرم الشريف، إذا أنا أفاجأ بنداء من فوق رأسي يقول: يا يعقوب، بشّر أولياء الله أن الله قد غفر لهم جميع الذّنوب الّتي اكتسبوها خلاف حقّ عبدي المؤمن، لأنه خلقته بيدي وأسكنت فيه من روحي، فمن أذاه وجفاه واستخفّ في حقّه لا يدخل في ملكوتي، وكتبته عندي أنّه من أولياء أعدائي الّذين يلعنهم اله ويلعنهم اللاعنون، فويل لهم يتهاونون في حقوق إخوانهم المؤمنين، وإن المؤمنين لمن نور عظمتي وجلال كبريائي، وأخبرهم إليه، ومن خالف فقد باهتني وبارز لي العداوة.

وسأل بعض العارفين الصّادق منه السلام: فقال: يا مولاي، **ما حقّ المؤمن على الله؟** فقال: أشدّ الحقوق واحدة أنّه لا ينطق إلاّ بإذنه ولا يأكل ولا يشرب إلاّ بإذنه وطاعة كل واحد منهم مفترضة على صاحبه المؤمن كطاعة الله ورسوله.

قال: يا مولاي، جعلت فداك، ومن يقدر عل هذا كله؟ قال الصّادق: من أراد أن يقرع باب الجنّة ويدخلها أماناً بسلام في جوار العليّ العلاّم والوليّ شخصه القمقام.

فقال السّائل: لو علمتها لربيتها في نفسي، ولم أسألك عنها الصّفوة له ما ورد عليّا. فقال الصّادق منه السّلام: إنّه أتاني رجل من إخوانك فسألني عن مثل هذا

الّذي سألت عنه، فأخبرته بمثل ما أخبرتك، وكان شاب طريّ، فخرج من عندي وهو أبيض الرأس واللّحية وهو يقول: تالله إنّا كنّا إلى يومنا هذا في ترك حقوق الاخوان المؤمنين وإنّنا لفي ضلال مبين، فرحمته وسألت ربّي أن يغفر له.

فقال الرّجل السّائل للصّادق: أمّا الشّاب فرحمته، يا مولاي، وأنا ما حالي؟

فقال الصّادق: يا رجل، أحسن إلى إخوانك بقدر ما عرفت من الله وأوليائه.

قال الرّجل: يا مولاي، في تكريري أطلب المغفرة؟ قال الصّادق: عسى الله أن يحدث ذلك، فعلمت أنّ الرحمة قد أدركتني.

وحدّثنا أحمد بن محمد عن محمد بن سليمان عن أبي علي محمد بن مهران قال: **سألت مولاي محمد الباقر فقلت: أخبرني عن المؤمن المستبصر من شيعتكم، إذا أكمل المعرفة، هل يزني؟** قال: لا.

قلت: هل يسرق؟ قال: لا.

قلت: هل يلوط؟ قال: لا.

قلت: وهل يذنب؟ قال: نعم لأنّه إذا أذنب لم يلحقه من ذلك الذّنب شيء.

فقال السّائل: سبحان الله، وكيف ذلك؟ قال الباقر: إن المؤمن مزاج الأمم، فلا يلحقه من ذنبه شيء.

قال سيّدي: بيّن لي ذلك يا ابن بنت رسول الله، قد خفي عليّ الأمم والمزاج.

قال الباقر: ويحك، أما سمعت قول الله في كتابه العزيز: «الَّذينَ يَجْتَنبُونَ كَبائرَ الإِثْمِ والْفَواحشَ إلاَّ اللَّمَمَ إنَّ ربَّكَ واسعُ الْمَغْفرَة هُو أَعْلَمُ بكُمْ إذْ أَنْشَأَكُمْ منَ الأَرْضِ وإذْ أَنْتُمْ أَجنَّةٌ في بُطُونِ أُمَّهاتكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُو أَعْلَمُ بمَنِ اتَّقى».

فسأل رجل من أصحاب الباقر كان بحضرته يقال له إبراهيم فقال: مولاي، أفيدنا كما سألك محمد بن مهران، جعلنا الله فداك، ما معنى اللمم؟

قال الباقر: أتدري، يا إبراهيم ما اللمم؟ قال: لا يا مولاي.

قال منه السلام وهو ما لم يكون في المؤمن من المزاج من نسخ الكافر وظنّه في الأظلّة والأشباح.

قال إبراهيم: يا مولاي، فسّرها إليّ، فقد خفي عليّ ذلك.

فقال: يا إبراهيم، هل يختلج في صدرك شيء غير هذا؟ **قال إبراهيم: نعم.**

قال الباقر: وما هو؟ **قلت: أخبرني هل يتدنّس بشيء من الأشياء، أعني شيعتكم.**

يا إبراهيم، إنّ المؤمن المستبصر العارف لا يتدنّس بشيء من الأعمال الرديئة.

قال: فبهت إبراهيم متعجّباً وقال: سبحان الله وبحمده.

قال الباقر: قد عرفت تعجّبك ممّا هو، فاسأل يا إبراهيم واستخبر تستفهم وتفهم.

قال إبراهيم: يا مولاي، كثر تعجّبي من تفسيرك إليّ وبماذا أقول أنّنا نرى أحد شيعتكم ومحبّيكم الّذين يخلصون المحبة لكم قد يشربون المسكر ويخيفون السبيل ويركبون العظائم ويتهاونون بالصلاة والصيام، والزكاة والحجّ وأبواب البرّ، وأنت، يا مولاي، تزعم أنّه لا يلحقه ذنب.

قال الباقر: ويحك يا إبراهيم، هل غير ما ذكرت لك، وما ذكرته كفاية، على أنّ أحد مناصبيكم يتجنّب ويقيم الصلاة في وقتها، ويؤدي الزّكاة المفروضة عليه، ويحرص على أعمال البرّ ويحبّها.

قال: ففيم ذلك وكيف ذلك يا سيّدي؟ قال: يا إبراهيم قد كثرت علي وأبلغت فيما أوردت، فكيف اعتقاد هؤلاء؟

قال إبراهيم: مولاي، أحد محبّيكم وشيعتكم على ما وصفتم به لو أعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة على أن يزول عن محبّتكم وولايتكم، فما زال ولو ضربت خياشيمه بالسّيف، والواحد النّاصب لكم الموالي عدوّكم على ما وصفتم به من أعمال البرّ لو أعطي أحدهم ملء الأرض ذهباً وفضّة أن يزول عن

ولاية الطواغيت، فما زال، ولو ضربت خياشيمه بالسّيف، قال: فتبسّم الباقر، ثمّ قال: يا إبراهيم، من هنا هلكت العاملة الناصبة تصلى نار حامية، ومن هنا قال الله تعالى: «وقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هباءً مَنْثُوراً».

ويحك، أتدري يا إبراهيم ما السّبب في ذلك؟

قال إبراهيم: لا يا ابن بنت رسول الله، فسرّها لي فقد أسهر الليل بطوله ولا أعلم السّبب.

قال الباقر: يا إبراهيم، إن الله لم يزل عالم قديم، خلق الأشياء لا من شيء، فمن زعم أن الله تعالى خلق الأشياء من شيء فقد كفر، فكان من أرض طيبة، ثمّ فجّر فيها ماء زلالاً عذب، فأعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتى طبقها وأعممها، ثمّ نضب الماء عنها، وأخذ من صفاء ذلك الطين طيناً، ثمّ جعله طين الأئمة، ثم أخذت تغسل ذلك الطّين، فخلق منها شيعتنا، ثمّ محبّينا، ولو تركت طينتكم، يا إبراهيم، كطينتنا كنتم ونحن شرع سواء.

فقال إبراهيم: يا مولاي، ما فعل بطينتنا؟ قال الباقر: إذاً أخبرك أن الله خلق الأرض فأصبحت خبيثة منتنة، ففجّر فيها ماء أجاجاً آسناً، فأعرض عليها ولايتنا أهل البيت فلم تقبلها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام، حتى طبقها وعمّمها، ثمّ نضب عنها الماء، فأخذ من ذلك الطين فخلق منه الطّغاة، وأئمة الكفر، ثمّ مزجها بطينتكم، يا إبراهيم، ولو تركت طينتكم لم تمزج بطينتهم، لم يشهدوا الشهادتين، ولم يصلّوا أو يصوموا أو يزكّوا أو يحجّوا، أو يؤدّوا الأمانة، ولا كانوا أشبهوكم في الصّور أيضاً، وليس من شيء أعظم على المؤمن أن يرى صورة عدوّه كصورته.

قال إبراهيم: يا مولاي، ما فعل بالطّينة؟ قال الباقر: مزجها وخلطها.

قلت: بماذا خلطها؟ قال: بالماء الأول الطيّب، والماء الثاني المالح، ثمّ عركها عرك الأديم، وأخذ منها قبضة، وقال: هؤلاء إلى الجنّة، ولا أبالي، وأخذ قبضةً أخرى وقال: هؤلاء إلى النار ولا أبالي، ثمّ خلط بينهما أيضاً فوضع من نسخ المؤمن وطينته على نسخ الكافر وطينته، فما أتاه أحد من شيعتنا من زنا أو لواط أو خيانة أو ترك صلاة أو صيام أو حجّ أو جهاد، فمن نسخ الكافر الّذي انمزج به، وما أتى النّاصب من صلاة وصيام وحجّ أو جهاد أو أعمال البرّ، فمن نسخ المؤمن

وطينته وعنصره، لأنه من نسخ المؤمن الصلاة والصيام والحجّ والجهاد وأعمال البرّ، ومن نسخ النواصب، الزنا واللواط، وشرب الخمر، وارتكاب الإثم والفواحش، فإذا عرضت هذه الأعمال على الله تعالى قال يعلمه الناطق وقضائه السابق[1].

وقال: أنا عليم حكيم وأنا عادل لا أجور ومنصف لا أظلم، ألحق و الأعمال بجوهرها فلحقت الأعمال، وعنصره الخبيث فألزموها إياها، إذ كانت منه ولحقت الحسنة بجوهرها التي منها الأعمال الحسنة الطاهرة بنسخ المؤمن وطينته، وعنصره الطاهر، إذ كانت منه، ثم قرأ الباقر: «مَعاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ».

يا إبراهيم، أخبرني عن الشمس إذا طلعت يرى شعاعها في البلدان هو باين من القرص أم هو كامن فيه؟

---

[1] في نسخة: «يا مفضل إن الله تعالى خلق الأرض من أضمار المؤمنين وأضمار الكافرين وجعلها طيباً وخبيثاً فمن كان منها طيباً فمن رائحة المؤمنين ومعرفتهم بربهم وإقرارهم بوحدانيته وموالاتهم لأوليائه، ومعاداتهم لأعدائه، وما كان من أعمال الجاحدين المنكرين كان رديئاً خبيثاً بجهلهم بربهم وإنكارهم لوحدانيته وموالاتهم لأعدائه ومعاداتهم لأوليائه وبطغيانهم في الخطايا والكفر وامتزاج بعضهم ببعض بالتزويج والتشبيه حين لبسوا الأبدان، فالكفار هم في المسوخية المؤمنين لا يعرفونهم أعين عالم الإقرار الّذين دخلوا في المزاج أنّهم مسوخ لموضع المزاج الّذي فيهم، لأن المقربين المؤمنين يؤاكلونهم ويشاربونهم ويبيتون معهم ويصافحونهم وهم لا يعلمون أنهم مسوخ لأنهم في صور الإنسانية ويظنون أنهم أناس وهم بخلاف ذلك مما يجانس، لأن المنكرين الجاحدين لما لبسوا الأبدان اشتبهوا على الناس واختلطوا معهم ووقع التزويج والنكاح كما وقع بهم الأكل والشرب، فهذا أصل الامتزاج بين المؤمنين والجاحدين في الظاهر .

أما في الباطن فله شرحٌ عجيبٌ وذلك في الأظلّة والأشباح وامتزاج البحر المالح بالعذب والبحر هو العالم والمالح هو علم الظاهر والعذب هو الباطن يشرح الحقيقة لقوله عز وجل : «مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان» والبرزخ هو الباب وهو قوله تعالى : «هذا عذب فراتٌ وهذا ملحٌ أجاجٌ» والعذب الفرات هو علم الباطن يشرح الحقيقة والملح الأجاج علم الظاهر الّذي في أيدي المخالفين...»

قلت: يا مولاي، فأمّا في حال طلوعها فباين، وأمّا في حال غروبها فمتّصل بها. قال الباقر: أليس إذا غابت الشمس يتّصل ذلك الشّعاع كله بالقرص؟

قلت: نعم يعود إليها كله. قال: كذلك يعود كل شيء إلى جنسه ونسخه وأصله، وعنصره، فإذا كان يوم القيامة عرضت هذه الأعمال على الله تعالى فينزع نسخ الناصبي وطينته الممزوجة بطينة المؤمن وينزع من المؤمن أوزاره وأثقاله فيردّها إلى النّاصبي وخبث طينته إذا كانت ممزوجة بطينة المؤمن، ويعطي الناصب الأوزار والأثقال، إذ كانت الأثقال والأوزار من نسخ الناصب وجوهره وعنصره، ويأمر الله فينزع طينة المؤمن من الناصبي مع صلاته ووصلته وبرّه فيردّها إلى المؤمن إذ كانت هذه الأعمال من نسخة المؤمن وجوهره وعنصره.

أفترى، يا إبراهيم، ههنا ظلماً وعدواناً أو جوراً وبهتاناً.

قلت: معاذ الله، إن الله بعباده وأعمالهم وعلمهم ونسخهم وجوهرهم، وإنّ هذا، يا مولاي، حكم الفصل يوم الجزاء. فقال الباقر: يا إبراهيم، إن هذا الحكم منه حكم الفصل والقضاء العادل والّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، ما أخبرتك إلاّ بالحقّ وما أنبأتك إلاّ بالصّدق، ولا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، ولا يظلم ربّك أحداً وما الله بظلاّم للعبيد، وإنّ الحقّ عند ربّك فلا تكن من الممترين.

قلت: سيّدي، إنني آمنت بسرّكم وعلانيتكم وظاهركم وباطنكم، ثم مكنون سرّكم وفي ظاهرك وباطنك، ثمّ مكنون سرايرك، والله يا مولاي، إنني أعجب مما قد بلغني عن أحدكم يا مولاي.قال – منه السلام– وما تتعجّب من ذلك؟

قال: يا ابن بنت رسول الله، إعجابي من الله وحكمته، وعلمه وإنصافه أنه يأخذ حسنات النواصب أعدائكم فيردّها إلى شيعتكم، ويأخذ سيئات شيعتكم ويردّها إلى أعدائكم. قال الباقر: أي والله، والّذي فلق الحبّة وأبرأ النّسمة، وخلق الجنة وفطر السموات والأرض، يا إبراهيم، إنني ما أخبرتك إلاّ الّذي موجود في القرآن الكريم كلّه.

قلت: مولاي، هذا بعينه في القرآن؟ قال: نعم يا إبراهيم، هذا بعينه في القرآن، أتحبّ أن أتلوه عليك قراءة؟

قلت: أي والله يا ابن بنت رسول الله. قال: ثمّ قرأ وقال: «وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا للَّذينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبيلَنا ولْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وما هُمْ بِحاملينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إنَّهُمْ لَكاذِبُونَ، ولَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وأَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ ولَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ» يعني يا إبراهيم يحملون أوزارهم مع أوزار المؤمنين، إذ كانت الأوزار من نسخهم وطبعهم وجوهرهم. هل أزيدك يا إبراهيم،

قلت: بلى يا مولاي. قال: ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة وأوزار الّذين يظلمون بغير علم ألا ساء ما يزرون، أي الّذين يظلمونهم بغير علم.

يا إبراهيم، أتدري ما قال في محبّينا وشيعتنا؟

قال إبراهيم: لا يا مولاي. قال الباقر: إقرأ هذه الآية: أولئك الّذين آمنوا «يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً». إنّه سبحانه ليبدّل سيّئات شيعتنا حسنات يوم القيامة، إنني أقسم بإبراهيم ووجه اله وجلال الله أنّ هذا كله من عدله وإنصافه في بريّته، ولا رادّاً لقضائه ولا مغيّراً لحكمه ! أتحبّ يا إبراهيم أن أقرأ لك ما قال في ذكر المزاج والطينتين والأرضين الطيبة والخبيث؟

قال إبراهيم: بلى أحبّ. قال الباقر: «الَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائرَ الإِثْمِ والْفَواحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ إنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُو أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُو أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى». يقول: لا يحتجّنّ أحدكم بصومه وصلاته وحجّه وجهاده، فإنّ الله غنيّ عن ذلك كلّه، وهو أعلم بعباده البارّ منهم والفاجر، ولا يفوز أحدكم في كثرة صلاته وصومه، إذ لم يعرف الله وأولياؤه وأعداؤه، وإمامه وحجّته فيما بينه وبين ربّه، قال: أزيدك يا إبراهيم؟

قال: نعم، يا مولاي. قال الباقر: إقرأ هذه الآية: «كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ، فَرِيقاً هَدى وفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ويَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ». يقول سبحانه: كما أخذكم من الأرضين الطيّبة والأرضين الخبيثة تعودون إلى جواهركم وأصولكم، فمن كانت طينته طيّبة عاد إلى ما منه خُلق، وقوله تعالى: «إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، يعن أنّهم يتوهّمون في كثرة صلاتهم وزكاتهم وحجّهم، ومن سائر الأعمال: يعني ويحسبون أنّهم مهتدون، وخذها إليك، يا ابن إسحاق، بما فيها أنّه من غرر أحاديثنا وإلى من مكر حقنا نحن الأئمّة،

أولياء الله، لا يفتر علينا من علمه شيء، لا في الأرض ولا في السماء، نحن يد الله، وجنبه، ونحن وجه الله وعينه، وأين ما نظر المؤمن يرانا، إن شئنا شاء الله، ولا تلقه إلاّ إلى أهله، والحمد لله الّذي اصطفانا من طينة نور قدرته، ووهبنا سرّ علم مشيئته، وأمرنا بأن نعرّف شيعتنا حق حقيقة معرفة أمانته، ونخلص نفوسهم من كدر العذاب بولايته، ونختم لهم في إيمان الهداية بالنّداء إلى دار السّلام وخيراته في جوار الرّحيم الرحمن وجنّاته، ونغمس أرواحهم في عين الهنيّة الزكيّة الراضية المرضيّة برحمته.

طوبى للعارفين الفاهمين فيهم يكون لله خالص نيّاته، وصلّى الله على سيّدنا محمد الهادي للحقّ برسالته، الّذي خلقه الله قبل القبل وأخصّه في بيان الحقّ المبين، وعلى آله وعترته الطيبين الطاهرين والذريّة من نسلهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب المكنون المسمّى بكتاب الهفت، الموهوب من فضائل مولانا جعفر الصادق، علينا منه السلام، وتسمّى بكتاب الهفت الشّريف لأنه خبر ابتداء الخلق وكيف أصلها وعن انتهائها وكيف فصلها، ونقل النفوس من حال إلى حال بموجب الهداية والنهاية والسلام ختام.

كتـــاب البـــدء والإعـــادة

للحسين بن هارون البغدادي

عاش الحسين بن هارون البغدادي في عصرٍ قريبٍ من عصر الشيخ الخصيبي، فهو من تلاميذ الشيخ الخصيبي.وكتابه هذا هو مختصر لكتابه الكبير الّذي يزعم أنّه وضع فيه ألف ومائة آية تشهد بالتناسخ.وقد أكثر في كتابه من القصص الدالة على التناسخ.وهذا دالٌ على انتشار هذه المعتقدات وشيوعها في ذلك الزمن

الحمد لله الّذي ليس لذاته تكييف، ولا لفعله تصريف، فالأفهام لا تبدعه والأفكار لا تحيط به، والشغل لا يشغله، والمنتهي عن بلوغ الحق لا يبلغه، يذهل العقول وكونه تقدّم عن كون الأصول، وصلى الله على اسمه المصطفى باصطفائه، المطهّر بارتقائه الباطن بلا بداية، والشاهد بلا نهاية، والمفضل له بالولاية على من دونه الباب سلسل، ومن به العارف يتوسّل، وعلى الخمسة الأيتام الكرام، صلاة تزلفهم إليه وتحيط بهم لديه، إنّه جواد كريم علي عظيم.

أمّا بعد أيها الأخ العارف، أخبركم أنّه سأل سائلٌ من الإخوان كفاهم الله شرّ كلّ خوّان، عن نقل هذا الخلق المنكوس في المسوخيّات وتكرارهم في المشوّهات، وإرساخهم في الجمادات؟

وعن شرح وبيان ذلك والشّاهد عليه بذلك من كتاب الله عزّ وجلّ، الّذي هو الدستور الكبير الإمام الجامع لنا فيه بيانُ ما خُفي عليه في الفترات عند تغيّبنا عن أهل الحجج وأهل المراتب بذنوبنا في عتيّنا وطغياننا، شواهد ذلك أيضاً من الآثار والأخبار الواردة إلينا عن الشيوخ والسادات وعن الموالي عليهم السلام من العلي العلاّم.

في دعوة الله للناس للإجابة ونكران المنكرين وإجابة المؤمنين

إعلم رحمك الله، أن الله تبارك وتعالى تفضّل على سائر هذا العالم فأوجد العالم من العدم إلى الوجود، وأخرجهم من جوهرٍ واحدٍ وأقامهم مقاماً واحداً ودعاهم إلى توحيده.

فأجاب في الأوّل أهل الصفوة الّذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال: «السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ».

ثمّ دعاهم الدعوة الثانية، فأجاب فيها من أجاب، الّذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال: «وأَمَّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ، فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ».

ثمّ دعاهم الدعوة الثالثة فأجاب فيها من أجاب وهم الّذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال: «ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ، وقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ»، ثمّ دعاهم بعد ذلك فأجاب أكثرهم كرهاً وقال عزّ من قائل: «أَصْحابُ الشِّمالِ، فِي سَمُومٍ وحَمِيمٍ، وظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ، لا بارِدٍ ولا كَرِيمٍ».

وهذه الإجابة له عليهم إلى يوم القيامة، ثمّ إنّه ردّهم بعد ذلك من الوجود إلى العدم بعدما أجاب جميعهم على ما شرحناه وهو أنّ أهل الدعوة الأولى ومن أجاب فيها هم أهل السّبق، وأهل الدعوة الثانية ومن أجاب فيها هم أصحاب اليمين، وأهل الدعوة الثالثة هم الّذين يجوزون بدرج الإيمان.

والسابقون السابقون هم العالم النوراني الخمسة آلاف الّذين هم أهل المراتب الّذين يفضّلون في مراتبهم، فمنهم: «الأبواب، الأيتام، النقباء، النجباء، المختصّين، المخلصين، الممتحنين»، وهم الّذين لم يسكنوا الأبدان الظلمانيّة ولا عليهم الكثافة الظلمانيّة، فهم نورانيون ويظهرون بظهور الشريعة يظهرون بنصرته، ويظهرهم أنّهم أنصاره، فهم من الطبقة العليا، وهم أصحاب الدعوة الأولى الّذين يجوزون الأولى.

وأمّا أصحاب اليمين فهم الّذين أجابوا في الدعوة الثانية وهم العالم الصغير البشري الّذين عدّتهم مئة ألف وتسعة عشرألفاً، فمنهم: «المقرّبون، الكروبيون، الروحانيون، المقدّسون، السائحون، المستمعون، اللاحقون».

وهم الّذين يدعو بهم الدّاعي فيقول: اللهم صلِّ على المائة ألف نبي وأربع وعشرون ألف نبي، وهم يقرّرون أنّهم الأنبياء المبعوثون، وليس حيث يذهبون، وإنّما هؤلاء العالمين الكبير النورانية الخمسة آلاف، والعالم الصغير البشري، المائة ألف نبي وتسعة عشر ألف نبي.

وأمّا من أجاب في الدّعوة الثانية فهم يوجدون في زماننا هذا، ومن كان مثلهم في الأمم ممّن وحّد ربّه وعرفه، فإذا عرفه رقّي إلى أعلى درجة رقّي إليها مثله، ولحق برتبة اللاحقين الّذين هم آخر درجات مراتب العالم الصغير البشري، لأنّ كلّ من صفا من هذا العالم يلحق بهذه الرتبة، وفيها يكون صفاؤه، ويكون في جملة أهلها إلى يوم الكشف وقيام القائم منه السلام، فيعطيه مولاه على قدر استحقاقه في توحيده وقيامه بما أمره مولاه عزّ وجلّ القيام به من إخلاص توحيده وتمحّض الإيمان محضاً ودحض الكفر دحضاً.

ومنهم من لا يجيب في أوّل قالبٍ يسكنه بالبشريّة حتّى يردّ فيها، ومنهم من يكرر ويردد في البشرية ويوحِّد، ومنهم من يردّ في البشريّة فلا يوحِّد، فينقل ثمّ يردّد في البشريّة، فيعرض عليه توحيده، ويدعى فيجيب إلى توحيد الله تعالى فيكرر في البشريّة إلى أن تعلو مرتبته بالإيمان، فإن أجاب تمحّص ذنوبه حتى لا يبقى عليه ذنب إلاّ تمحّص عنه، فحينئذٍ يلحق بمرتبة اللاحقين، وجميع أهل الدعوة لا يدعى أحدٌ منهم إلى توحيد الله عزّ وجلّ وهو فقيرٌ إلاّ وقد دعي وهو غنيّ، لأنّ الله أكرم من أن يدعو عبده إلى توحيده، وهو فقيرٌ، إلاّ بعد أن يدعوه وهو غنيّ، لأنّه عزّ وجلّ يخرجهم من العدم إلى الوجود الّذي ردّهم إليه.

والدّعوة جيل بعد جيل، ويبعث إليهم الرسل والحجج فيدعوهم ويبين لهم مراد ربّهم، ولماذا خلقهم، فأوّل ظهور يظهر كل واحد من هذا العالم، إنّما يظهر ملكاً أو أميراً أو وزيراً، وما جانس ذلك، ثمّ يبعث إليه من يدعوه إلى التوحيد، فإن أجاب في ذلك القالب الأول وعرف باريه واسمه وبابه نُقل من ذلك القالب إلى عالم الصّفاء،

لأنّه يكون قد وحّد ربّه، وليس عليه أعراضٌ من مظالم يطالب بها، ولا ذنوب تتمحّص عنه، فيكون من جملة اللاحقين.

وإذا لم يجب في ذلك القالب كرّر في البشريّة ولا يزال يكرَّر بها وحالة الدّنيا تتناقص عنه والتوحيد يعرض عليه، حتى يغرق في الذّنوب، لأنّه يدعى وهو فقيرٌ، ويدعى وهو غنيٌّ، ويدعى وهو متوسّط الحال.

ومتى أجاب إلى توحيد الله وعرف باريه، كرّر في البشريّة ويكون فيها موحِّداً لباريه وحاله في دينه يزداد، وعلمه يزداد وذنوبه تتمحّص لأنّه في طريق الامتحان والاختبار والبلوى الّذي تمحّص ذنوبه، وهو الّذي تتمحّص عنه مظالم العباد، والعبد الّذي يطالب بمظالم إخوانه المؤمنين.

وذلك مما روي عن السيد محمد منه السلام أنه قال: الذنوب ثلاثة، ذنبان لا يغفرهما الله تعالى وذنب لا يعبأ به، وقال العالم: إن جاز لي ظلم ظالمٍ فأنا الظالم والذنب الأول الّذي لا يغفره الله تعالى: الشرك بأمير المؤمنين واتخاذ معبود غيره، والذّنب الّذي لا يعبأ به الله فهو ما بين العبد وبين الله، فهو يغفره لأنه يقول إن الله يغفر الذنوب جميعاً والذّنب الّذي لا يغفره /الثاني/ فهو مظالم المؤمنين، لأن الكافرين ليس لهم على المؤمنين مظالمٌ، إلاّ ما كان على المؤمنين، وهم شفعاؤهم في دينهم، فمن محّص ذنوبه لحق باللاّحقين، واستراح من الكرّ في البشريّة وصارت روحه معه منعّمة مستريحة من الكرّ في البشريّة والنقل.

وأمّا الّذين أجابوا كرهاً، الّذين قال الله فيهم: «ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً».

فإنّهم لم يجبروا على الإجابة ولكنهم فزعوا ما عاينوا فأجابوا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم، فهم يخرجون من الوجود إلى العدم تنتقل من ذلك إلى المسوخيّة ويكرّ في أجناسها وهي خمسة: النسخ، المسخ، الفسخ، الرسخ، الوسخ.

جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، فلا يزالون ينتقلون في البشرية ويعرض عليهم كتاب الله عز وجل، وهم يجحدون ويتبرأون، ومع ذلك يكررون في البشرية إلى ثلاثين قالباً ومنهم من يكرر إلى فوق ذلك من القوالب ونهايته ثمانٍ وسبعين قالباً، وهو قوله عز وجل: « أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وجاءَكُمُ النَّذِيرُ ».

ولم ينقل إلى شيء من طبقات جهنّم حتى يُنكر جميع حقوق الله تعالى ويكفر ويجحد باريه ويعترف في جميع حقوق الباطل ويقرّ فيه ويعمل به، فإذا لم يبق شيء من الحقّ إلاّ كفر به، ولا شيء من الباطل إلاّ وقام به، فعند ذلك ينتقل في أجناس المسوخيّة يؤيّد ذلك قول الصادق منه السلام: أن السيد محمد أقام شخص الشيء وهو الولي وهو الباب المستولي على ما دلّ وجلّ إرادته بقدرته قاهراً وبضيائه زاهراً وبنوره قادراً، ثم أمره أن يخلق جميع ما في الملكوت من لا يعلمه إلا هو، فأقام الوليّ أول خلقه بقدرته العليّ، ثم إن الولي أقام المقداد من نور صفوته، ثم أمضى في مشيئته وبه فيه من مشيئة الله تعالى، وفوّض إليه فخلق المقداد أبا ذرّ، وفوض إليه لطيف الصّنعة، وتدبيره، فخلق أبا ذرّ ما يدركه من البصر من كلّ روحٍ حتى أقام الخمسة، ورتّب الرؤساء إلى الجبال الّذين هم الخمسة مراتب.

فأوّل ما خلق النقباء والنجباء والمختصين والمخلصين، والممتحنين، ثمّ أمدّ إليه من التدبير في نقلان الروح وتركيبها في النسخ والفسخ والمسخ والوسخ والرسخ والقش والقشاش.

ومنهم من يردّ إلى روح الإنسانية، ومنهم من يردّ من الإنسانية إلى التناسخ، وهو المأكول الّذي أحلّ أكله في الظاهر.

ومنهم من يردّ إلى الفسخ ومنهم إلى المسخ، وإلى الوسخ وإلى الرسخ وإلى القشّ والقشاش، وآخرهم أصحاب الأجنحة والزنابير على قدر درجاتهم ومنازلهم، ثمّ فوّض ذلك إلى أبي ذرّ الّذي ذرأ الخلق وبرأها، وذلك قوله تعالى: «وما منّا إلاّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ»، وهذه الأجناس من المسوخيات يكرّر فيها من أجاب في الدعوة الثالثة كرهاً، وأمّا الّذين أجابوا في الدعوة الثانية طوعاً فيسرع خروجهم من التكرار والنقل على قدر مراتبهم وإسراعهم في الإجابة الّتي كانت لهم.

وإنّما شرح تفاصيل هذه الأجناس من المسوخيات بأنّ النسخ هو ما نسخت روحه في ذوات الذّبح مما أكل لحمه وشحمه ولبنه واستعمل شعره ووبره، وصوفه، فتذوّق العذاب في ذلك الهيكل، وضيّقه مع انقطاع الكلام وحسرتهم على ما يفوتهم من طيّبات ما كان فيه من في البشريّة، ثمّ يذوق حرّ الحديد وبرده بالسّلخ والتفصيل، ويكرر في ذلك ما هو أكبر منه وأدقّ على قدر ذنوبه وطغيانه.

فمنهم من يكرّر في ذلك ولا يطول تكراره، ثمّ يردّ إلى البشرية، ومنه ممن يطول تكراره وترداده، حتى ينتقل في أنواع كثيرة من المذبوحات، ثم يردّ إلى البشرية فيعرض عليه توحيد باريه عزّ وجلّ، فإن أجاب وإلاّ يردّ إلى ما نقل منه رحمةً من مولاه وعدلاً منه.

وإنّما ينقلهم إلى المسوخيّات لتذلّ الأرواح المتجبّرة، ولو شاء أن يعذّبهم ممّا هو أشدّ من المسوخيّات لفعل، ولكنه رؤوف رحيم ممّا بهم من شديد العذاب إلاّ بعد طول التخويف والتحذير والترداد في قوالب البشرية ويبعث إليهم من يدعوهم إليه، و كلّما تمرّدوا وجحدوا ينقلهم إلى ما نقلوا منه إلى أن يعلو الواحد منهم في كفره وتمرّده، فحينئذٍ ينقل ويعلو الواحد منهم في كفره وتمرده في أصعب المسوخيات ويردّ في أنواعها.

ومع ذلك فإنّه لا يخليه من إعادته للبشريّة ويعرض عليه التوحيد، وكلّما اشتدّ تمرّده اشتدّ تعذيبه فيما ينقل إليه، لأن المولى جلّ وعلا لا يعذّب عبده بحقدٍ منه عليه، ولا يؤسف، وإنّما يحقد ويؤسف من يخاف الفوت، يؤيّد ذلك ما رويَ عن العالم منه السلام حين سئل عن العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون؟

فقال: إن الله جلّ وعلا رحيمٌ بعباده أن يعذّبهم بغضبٍ أو يحرقهم بالنّار، ومن زعم أنّ الله يبدو لخلقه بالغضب أو يعذّب أو يأسف من لا يخاف الفوت، وإنّما يغضب من حال الرضا إلى حال الغضب، بل هو الرحمن الرحيم الغفور، خلق خلقاً أكرمهم وشوّقهم فغضبهم غضبه ورضاهم رضاه.

وهو لا يزول عن حالٍ ولا يوصف بمثالٍ، ولا يدخله شيء، فمن رضي عنهم حلّت به الرحمة، وهي الجنة والنور، ومن غضب عليهم حلّ بهم الغضب والسّخط والظلمة والمسخ والتعذيب، وأمّا المسخ فإنّها تمسخ الروح بهيكلها الّذي هي فيه إلى غيره، مثل قوله تعالى: «فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسئِينَ»، فكانوا قردة بأجسامهم، ومثل قوله تعالى: «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وغَضِبَ عَلَيْهِ وجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ والْخَنازِيرَ وعَبَدَ الطَّاغُوتَ».

فكانوا كما فعل، وهذا هو المسخ وهو الّذي لا يحلّ أكل لحمه ولا شحمه ولا وبره، ولا صوفه، ولا يحل استمساك جلده، إلاّ التطهير على الشّرط، لأنّ الأحلّ فيه

إن كان هيكلاً بشريّاً فانقلب ذلك الهيكل فصار مسخاً، وذلك المسخ هو البشريّ بعينه، لأنه نكس في خلقه تنكيساً إذا استوجب الكون في المسوخيّات أنّه ينقل خلقه. فجعل رأسه مؤخّره ومؤخّره رأسه ولحيته تصير ذنباً وفمه مخرجه، وأنفه فرجه، ويديه رجليه، ورجليه يديه، فيكون خلقاً منكوساً نعوذ بالله مولانا من سخطه.

وأمّا الوسخ فهو ينتقل إلى أصغر الهياكل مثل الخنافس والجراد وما شابه ذلك والضبّ والوزغ والخلد، وما سكن في الأحشاش وكان أكله من العذرة والزفت، وقيل الروث وما جانس ذلك أيضاً محرّم أكله، لأنّ جنسهم من أجناس المسخ ولأنّه منقول بهيكله إلى ذلك الهيكل، فلهذه العلّة يكون محرّماً على المؤمنين.

ونرجع إلى رتبة الفسخ التي هي أولى الدرجات وهو الّذي تفسخ منه نفسه فتخرج عن جسمه وهو غير مفارق الحياة، ولا مفقود ولا ميت فتفسخ نفسه إلى هيكلٍ غير هيكله. ونفسخ نفس ذلك الهيكل المنقولة إليه تلك الروح وتنقل إلى هيكل الروح المنقول إليه، فتدخل نفس هذا في هذا، ونفس هذا في هذا، فتتغيّر أخلاقهما على أولادهما وأهلهما وأصحابهما وجميع أنسابهما، وكلّ من له معرفة في واحدٍ منهما.

يقول لمن لا يعرف: ألا ترى فلاناً كيف تغيّر حاله كأن ليس الّذي كنّا نعرفه، قد تغيّرت أخلاقه وكثر أذاه وبلاه، فيصير مبغضاً لأهله وأولاده، وإخوانه وأنسابه، ولا يطيق أحداً أن يكلّمه، ولا يعي إلى أحدٍ، فلا يبقى له محبّ من قريب أو بعيد، وينغّص عيشه، ويتكرر شرابه، ولا يكون في هذه إلاّ هو يتمنى الموت لعظمة ما هو فيه من معاداة أهله وعارفيه.

ومن وصفه هذا كان في بلاءٍ عظيم، فنعوذ برضا الرحمن من سخطه وأليم عذابه ونرجع إلى ما كنّا عليه.

وأمّا الرسخ فإنّه آخر أجناس المسوخيّة. وهو أشدّها وأتعبها تعذيباً وأبطؤها راحةً، ولا ينقل إليه إلاّ من نقل من أنواع المسوخيّات، فحينئذٍ ترسخ روحه في أجناس الجمادات كالذّهب والفضّة والحديد والنحاس والرصاص والجمادات والحجارة والخشب والطين وما يجانس ذلك مما لا روح فيه ولا حركة له، فيقاسي السّبك في البواتق، والحمي على النار، والضرب في المطارق وفيه ما يقاسي في

النار الأتون، كالكلس والجبصين والمستوقدات والليزان والأنابيب والنحاس والقطع في المناشير والحروق حتى يصير فحماً، فمرّةً في خشب ومرّة في قصبٍ.

وجميع أنوع التعذيب وهو لا يتحرك، وهذا من أنواع المسوخيات وأشدّها تعذيباً وأعظمها بلاءً نستجير بالله أن يبعدنا عنها وعن جميع ما ذكرناه من المسوخيات وأنواعها مما ينتقل في نبات الأرض والحشائش والبقول والأشجار.

وأما ثمرات الأشجار فأكثرها عناصر المؤمنين ما طاب منها وعذب وحلا واستطابت به المؤمنون، كما روي عن المولى الصادق علينا سلامه أنه قال: إن العنب من مراجع الحدق وقصب السكّر من مراجع الساقين، والقثّاء من مراجع الأذرعة.

وما جانس هذه الرواية يؤيّد ذلك ما حدّثني به أبو محمد الحسين بن شعبة الحراني رضي الله عنه قال: حدّثني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني قال: حدّثني علي بن محمد بن عبد الملك البصري قال: حدّثني أبو صدقة عن محمد بن سنان أنه قال: لا تتمنوا الموت إلاّ أن تعرفوا ما بعد الموت كيف يصير.

إن كنتم ههنا تعلمون كيف صار بالّذي سأل مولاه أن يركبه في بقلةٍ ويعرفه بماله. قال: فلمّا خرج من قميصه أوقعه في بقلةٍ، فبقي خائفاً أن يمرّ به شيء فيأكله، فمرّت بقرة فأكلتها فقاسى أنواع العذاب في بطنها، وهو يعلم، ثمّ خرج في الحليب في قصعة لبنٍ فبقي خائفاً أن يجيء إنسان فيشربه فيصير في أصلاب الرجال محبوساً، فجاء رجل فشرب اللبن، فصار في صلبه دهراً، ثم خرج من صلبه إلى الأرحام، وهو في نفسه حتى ربي في بطن أمه تسعة أشهر يقاسي كلّ ضيق وهو يعلم، ثم إن الامرأة وضعته وهو يريد أن يعلم آخرته، إلى أين ينتقل من ههنا، فقال: لا يدخل الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط.

ثمّ قال: يا محمد بن سنان، فإنه ينتقل بعد أن يكفر ويتمرّد ويجحد، فينتقل في جملٍ ومنه ما دونه حتى لا يبقى شيء من أجناس المسوخيات إلاّ نقل فيه، ثم ينقل إلى القطن والكتّان فيُغزل ويصير خيطاً ويدخل في ثقب إبرة، وقد سئل العالم منه السرم عن نبات الأرض وعن الحجارة والحديد هي لا ذاتٌ ولا نفسٌ.

فقال: ما من شيء إلا وله نفسٌ تعلم إلى ما تنتقل إليه وإلى ما تصل، وتصل إليها غير ناطقة ولا متحرّكة، وأما الناطقة والمتحركة من كان في المسوخية من نطقها أرى بأن صوابها فهو لأصحاب الكشف مثل الأبواب وإنطاق البهائم.

وقد روي أنه كان في زمن بني إسرائيل البهائم تنطق وتتكلم مع أولاد بني آدم، فإنّه جلّ اسمه من أن يخلق الدود عبثاً من هذه الدواب، ويعذّبها هذا العذاب من غير أن تستحق ذلك.

فهذا حتى تعرف ثمّ توحّد ثم تخلص ثم تنفي الصفات ثم تؤمن بشروط اله عز وجل ودينه، ثم تعلو درجة درجة، والخير والشرّ أسفل مردود، والمعرفة هي الجنة.

فمن عرف مولاه دخل الجنة، إلا أنها درجات، وهي آخر من عرفها من العالم علم التوحيد، وهي التي حملها وأقرّ بها كان محمد فمن عرفه فقد سكن الجنة، وقد روي عن النار أنها المسوخية، فمن أنكر مولاه حلّ في قميص المسوخيّة، وقد روي في كتاب الهفت الكبير عن مولانا جعفر الصادق منه الرحمة أنه قال: أن الله تبارك وتعالى سطح نوراً ثم خلق منه قدداً وصوراً ثم أمره أن يقدّ صوراً وقدداً فقاموا قدداً وصوراً على النور المسطوح يعبدون الله عز وجل ولا يعصون له أمراً، ثم أمر أن تخلق ناراً مسطوحة وأمر أن يقدّ منها قدداً وصوراً، فقدّ منها قدداً وصوراً فقاموا لله عابدين.

فنهيت النورانية أن تختلط بالنارية، فاختلطت بعضها ببعض فسطح الّذي اختلط خلقين كما سطح سائر المختلطات من القدرة المتقدمة.

ثم خلق طيناً من البحرين العذب والملح الأجاج، ثم أمره فقدّ منه قدداً وصوّر منه صوراً، فأمر المائية أن تختلط بالطينية، فاختلط بعضها ببعض، فسطح المختلط، ثمّ كان من بردي هذا الخلق الممزوج والأرواح الأربعة: النور – النار – الريح – الماء.

نسخ الطين آدم وخلق من شأن الدنيا وشأن الآخرة، وركبت الأطباق وسطّحت الأرض على قرن حوت، وصار الحوت على الماء وصار الماء على

الصخرة البيضاء، وصارت الصخرة على الهواء، وما بين الثور والصخرة الجنّ قيام هناك.

ثم خلق آدم وأسكنه سطح الأرض وأمره فيها، ونهاه عنها وجعل ثوابه في الأمر والنهي في الآخرة والدنيا، ثم أباح له في الدنيا شهواتها، وزيناتها، وذلك قوله تعالى: « الْمالُ والْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا والْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وخَيْرٌ أَمَلاً».

والباقيات الصالحات الأمر بالمعروف وما عملوا به من طاعة الله تعالى وترك آفات زخرفها وازدواجها وأموالها وباطلها.

وقال الله تعالى: «إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ»، وقال: «إِنَّما أَمْوالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ واللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ»، فمتى ارتكبوا أمراً نهاهم عنه جاءتهم العقوبات والآفات ومعارضة البلاء من أنواع الأسقام، ومن لم يقيموا بما أمر الله به من طاعةٍ جاءهم أنواع العذاب وما وعدهم به من مسخ وخسف وكسفٍ وقذفٍ، كما لم يزل العذاب يحلّ بهم ومن خالف منهم، فمنهم من أخذهم الطوفان، ومنهم من أخذتهم الرجفة، ومنه ممن مسخ فردةً خاسئين وخاسرين، ونشأة ذلك من عذاب الآخرة وهو كما قال تعالى: «ولَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» إلى قوله: «و ينتهوا عمّا نهوا عنه[1]»، فأمّا الطبق الّذي خلق آدم عليه السلام فإنّه خلق من النور والنار، ثم خلق الماء فحجب به الريح، ثم خلق الطين من زبد البحرين، فحجب به الماء، فمنه خلق آدم، وباطن ذلك أنّ النور خلق منه الملائكة مصوّرين، والنار خلق منها الجان مصوّرين، والريح خلق منها الجنّ مصوّرين، والطين صورة آدم، فخلق آدم الطين والنار والريح والماء، وذلك من شأن الدنيا، وخلق فيه النور والريح والروح من شأن الآخرة، وذلك قوله تعالى: «طَرائِقَ قِدَداً»، يقول: كلّ جوهر خلق من جوهره.

وقدّ الإنسان فصار يأكل ويشرب بالنار، ويبصر ويعلم بالنور ويسمع ويشمّ بالريح، ويجد لذّة الطعام والشراب بالماء ويتحرك بالروح.

---

[1] الآية غير موجودة في القرآن ولكن الآية المقصودة هي «ولَو رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ».

فلولا النار التي في معدته ما هضم الطعام والشراب، ولولا الريح ما تحرّك ولا جاء ولا ذهب، فالطين صورته والطعام في جسده بمنزلة الشجيرة في الأرض، والدم في عروقه بمنزلة الماء في الأرض، ولا تقوم إلا بالماء، ولا يقوم جسد الإنسان إلى بالدّم وشعر جسمه خارج كالعشب على وجه الأرض، ومنح رسمه الدم وزبده، وهكذا الإنسان مخلوق من شأن الدنيا والآخرة، فكل العالم يجري في البشرية من النداء في يوم الأظلّة على قدر طبائعهم في الإجابة في الوقت الّذي بدوا فيه خلقاً جديداً بأجسامٍ وصورٍ وآلاتٍ وذوات عقول.

وجاءتهم النّذر ودُعوا إلى ما أمروا به يوم الأظلّة، فمن أجاب هناك، أجاب هنا، ومن أنكر هناك أنكر ههنا، وجعل لهم آجالاً وأجساماً، ينقلون إليها تامّة وناقصة، وذلك قوله تعالى: «وما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ولا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ فِي كِتابٍ»، وقول العالم منه السلام: موت شيعتنا بذنوبهم أكثر من موتها بآجالها، لأن الله بذنوبهم أرسل الرسل إليهم والكتب والإنذار، ولا ترغيب والترهيب إلى ثلاثين قالباً، ثم شاء جلّ ذكره أن يلزمهم الحجّة من وجوه الحقّ ووجوه الباطل فأجلهم إلى ثمانين قميصاً أي قالباً.

وشاهد ذلك قوله تعالى: «أَولَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وجاءَكُمُ النَّذِيرُ»، والثمانين قالباً هي نهاية التأجيل والقوالب هي الناسوتية، فمنها أهل الصفاء، فمن دعي في أول قالب في البشرية وأجاب من جميع وجوه الحقّ وأنكر جميع وجوه الباطل صفا وخلص وردّ إلى سماء الدّنيا وصار نوراً زاهراً، يعني كوكب نورٍ، فيصير لا يحجبه شيءٌ، ولا يقصر عن شيء يريده، ولا يلحقه سهو ولا نسيان ولا غلط ولا ينام ولا يجوع ولا يعرى ولا يأكل ولا يشرب ولا ينكح ولا يتغير له صورة ولا يحتاج إلى عمارة شيء من جسده ولا يطول له شعرٌ ولا يتّسخ له ثوبٌ ولا يجد حرّ الصيف ولا برد الشتاء ولا تعرض له علّة ولا مرض ولا جنون ولا زيادةٌ ولا نقصانٌ، يسرح في الملكوت كيف يشاء أن يسرح، في السموات وإن شاء إلى الأرض يسرح فيها، وإن تاقت نفسه إلى شيء من شهواتها من الدّنيا مأكولها ومشروبها وملبوسها ومراكزها ومنازلها ومنكوحها كان له ذلك كما يشاء غير ممنوع عنه ينال جميع ما يريده ويشتهيه غير مدفوع عنه ذلك قوله تعالى: «وجَنَّة عَرْضُهَا السَّماواتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»، فالجنّة هي المعرفة، ومن وصل إيها

كان آمناً، فإذا وصل إلى هذه الحالة كان ممّن قال الله فيه:«وقالُوا الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إنَّ ربَّنا لَغفُورٌ شَكُورٌ، الَّذي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَة منْ فَضْله لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ» «نَتَبَوَّأُ منَ الْجَنَّة حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعاملِينَ».

فبيّن عز وجل المشيئة لهم ولا يكرهون على ما لا يريدون ولا يمنعون من شيء يحبونه.

ومن الناس من يجيب في قالب يسكنه في اثنين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك إلى ما لا نهاية إلى آخر الثمانين قالب، فإذا أجاب في قالبٍ من هذه القوالب كرّره في البشريّة حتى يزيد صفاؤه على قدر قوّته في معرفة باريه، ففي أي قالب صفا وعرف باريه جميع الحقّ من جميع وجوهه، وأنكر الباطل من جميع وجوهه، رفع إلى السماء فيكون كما شرحنا سابقاً.

في طريقة المسخ

وأمّا النقلة من حال إلى حال من قوالب البشرية من قوالب التناسخ إلى قوالب التناسخ بعضها من بعض، فإنها على طرقٍ شتّى، أحدها ما ينقل في الأرحام ويخرج بالولادة: المؤمنين والمخالفين والجاحدين.

فأمّا المؤمن: إذا أراد أن يخرج في الناسوتية بالأمم من قالبٍ إلى قالبٍ من العدم إلى الوجود، فإنه يخلق من النطقة التي تستقر في الرحم، وقد سئل العالم منه السلام عن ذلك فقال: يكون نطفة بيضاء عشرين يوماً، ثم غلفة عشرين يوماً، ثم دماً غبيطاً عشرين يوماً، ثم يصير مضغةً عشرين يوماً شبه قطعة اللحم، ثم يصير عظماً عشرين يوماً، ثم يكسى لحماً عشرين يوماً، ثم يخطط بصورٍ عشرين يوماً، فإذا تكامل خلقه وتخطيطه وتصويه وهو جمادٌ ليس فيه روحٌ ولا حركةٌ وهو قوله تعالى: «ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ منْ سُلالَة منْ طين، ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكين، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالقِينَ».

وأمّا سلوك النفس فيه، فإنها تنقل نفسها إذا استوفت أجلها في القوالب التي كانت فيها فتسلك في الجنين الّذي أكمل تصويره في بطن أمه.

فإذا سلكت فيه تحرّك تحركاً ضعيفاً مثل رفّ الجفن على العين وذلك لضعف نفسه وصعوبة النقل في ذلك الوقت، فإذا كان مؤمناً عارفاً تزداد إيمانه ومعرفته، فنفسه تنقل إلى ذلك الجنين في قوّة وصحّة وأنس، فإذا سكنت فيه الروح تحرّك تحريكاً قويّاً وفسح له بطن أمه فينظر إلى أعماله ويذكر إجابته في الندا يوم الأظلّة، وأعماله في كلّ هيكلٍ دخله ونُقل منه إلى غيره حتى لا ينسى منه شيئاً، ثمّ يغذّى بأطيب طعامٍ تأكله حاملته، ويُسقى مما تشرب حاملته، ويأنس ولا يرى وحشةً في حجابيته، فهو يرى زيادته في معرفته باريه، وترديده في يوم الأظلّة إلى ذلك الوقت مستبشراً واثقاً من مولاه أن يصفّيه ويجعله من خالص أهل معرفته، فيكون مغتبطاً بأمان وسرورٍ إلى تمام سبعة أشهر، أو تسعة أشهر من مسقط النطفة إلى ذلك اليوم، فإن أذن الله له في خروج خرج في دعة الله وسلامته في لين وسلامة ومرفوعاً به حتى يخرج، فإذا عاين الدنيا بكى شوقاً على ما كان فيه من الأنس، فإذا استهلّ وضعه وضع فيه ما يضع في المولود ذكر كلّ ما ذكره ببطن أمّه في إيمانه وإجابته في يوم الأظلّة إلى ذلك اليوم ويراه ويعرفه ويذكره ولا ينساه، ذلك إلى تمام الأربع وعشرين عدداً أشهر الرضاعة، فإن تفصّح نطقه وقوي عقله تناقص علمه بذلك، وتناساه حتى يغرب عليه ما كان يعرفه فلا يفصح بشيء منه ولا يذكره ويفزع من الدخول فيما يلزمه من العقوبة فيعمل على قدر شاكلته إلى أن تتمّ معرفته وصفاه، ثم يرجع إلى ما قدّمنا ذكره من النورانية بفضل مولاه عليه، هذا كون المؤمن العالم في الإجابة.

أما الكافر الجاحد، فإنّه إذا استوفى أجله في القالب الّذي هو فيه قبضت نفسه ونقل إلى جنينٍ يكون في بطن أمّه على ما وصفناه وقدّمنا ذكره، فينقل مغبوناً به مهجوراً معذّباً حتى يسلك في ضيق نفسٍ ونكسٍ وظلمةٍ كأنّه يسلك في سمّ الخياط، فيطول حزنه وفكره، ويرى في تنقّله كل ما اكتسب من جحوده وإنكاره وكفره من يوم الأظلّة إلى ذلك الوقت فيطول حزنه وبكاؤه على نفسه ويتمنى لو خسفت الأرض به ويصير تراباً ويكون غذاؤه من أنتن ما في بطنها، أي بطن والدته ومشروبه من مبالها ويطرق بالهول والأمراض والآلاء إلى أن يستحقّ الخروج منها

في سبعة أشهرٍ أو في تسعة أشهرٍ، فإذا خرج استهلّ ورأى الدنيا بكى وصرخ خوفاً على نفسه أن يكون خرج إلى صعوبةٍ هي أشدّ منها، وقد ناله صعوبةٌ في الولادة والحوض في العذرة، ويحبّ لو أنّه صار نسياً منسيّاً، وبرّ إلى سيّئات ما قد عمل ويذكرهم ويبكي على ذلك الوقت إلى تمام الأربعة وعشرين شهراً عدد أيام الرضاعة، ثم ينسى ما كان فيه إذا أراد أن ينطق حتى يظلم فإذا أظلم استحقّ عند كمال التعذيب الّذي ذكره الله تعالى في كتابه فقال: «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

والعذاب الأدنى هو التنقّل في درجات المسوخيّة فينقل في كلّ نوعٍ منها ردّه إلى البشرية قميصاً ويعرض لعيه التوحيد، فإن أجاب وإلاّ يعيده إلى المسوخيّة في قميصٍ غير ذلك الّذي كرّر فيه، فلا يزال كلّما خرج من نوع منها ردّه وعرض عليه التوحيد، فإذا لم يقبله ردّه إلى ما هو أصعب منه، حتى لم يبق شيء من أنواع البهائم والوحوش من كبير وصغيرٍ إلاّ كرّر فيه، ذي حركة ولحم دمويّ فيه، فإذا اكتمل ذلك وهو على تمرّده وعتوّه وطغيانه نقل إلى نبات الأرض من الأشجار والحشائش مما يؤكل ومما لا يؤكل، ومما يستعمل ومما لا يستعمل، فإذا اكتمل ذلك نقله في الرّسخ فيرسخ في الجمادات من الذّهب والفضّة والحديد والنحاس والرصاص والحجارة كما قال الله تعالى: «قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَو حَدِيداً، أَو خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ»، وهي الذّهب والفضّة اللّذان هما قوام أرواح هذا الخلق المنكوس فيقاسي السّبك في البواتق والحمي بالنار والضرب في المطارق على الحجارة والسنادين، فتراهم يعذّبون بعضهم بعضاً حتى أنّك تمرّ على الحدّاد، وهو يحمّي قطعة حديدٍ على سندان فيكون الحدّاد معذّب بهذا الكدّ والمطرقة معذّبة، والطّين الّذي يبنى فيه الكور معذّبٌ في ذلك القالب، فإذا ردّ إلى القالب الأول من البشرية عرض عليه التوحيد، فإن أجاب وعرف باريه واسمه وبابه نقل إلى عالم الصفا لأنه يكون قد وحّد الله وليس مطالباً بإقالة ولا ذنوب فتحتاج أن تمحّص عنه فيصير من جملة اللاحقين، وإذا لم يجب في ذلك القالب كرره في البشرية يعذّب، يؤيّد ذلك قوله تعالى: «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الأَبْصارِ».

وجميع ما ذكرنا أنّه معذّبٌ لا يخلو من أن يكون فيه نفسٌ راسخةٌ يعذّبه فيقيم بما كسب، لأنّ المولى جلّ وعلا أعظم من أن يخلق خلقاً ويعذّبهم بغير استحقاق للعذاب.

في دعائم الانسان واركانه

وأمّا نشوء العالم، فإنّه روي عن العالم منه السلام أنّه قال: عرفان المرء بنفسه يعرفها بأربع طبائع وأربع دعائم وأربع أركان، فالطبائع هي الدّم والبلغم والسوداء والصفراء.

والدعائم هي: العقل والعقل من الفطنة، والفهم والحفظ من العلم.

والأركان هي: النور والنار والهواء والماء وصورته الطينية، فيبصر ويعلم بالنور، ويأكل ويشرب بالنار، ويجامع ويتحرك بالريح، ويجد لذة الطعام والشراب بالماء.

فهذا تأسيس صورته، فإنّه مركّبٌ بهذه الأركان نسمة تسعى ومنه يوجد بدو خلقتها، وعقله دليله، وبصرهُ سبيله ومفتاحه، به يستكمل منازله، فإذا كان التّأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذكيّاً فطيناً، يعلم بذلك من نعمه وعزّه، فكيف إذا عرف مجراه وموصله وموصوفه، فيدرك العيشة في البقاء بإخلاص الوحدانية وأداء الطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً ما فاته، وأراد وعرف ما هو فيه من أين يأتي وإلى ما هو صائرٌ. يكون بذلك تمام معرفته وكيف يكون فهمه ولا يكون فهمه إلاّ بتأييد عقله، وقد يجدون أن تجري فيه النفس وهي حارّةٌ وتجري فيه وهي باردةٌ، فإذا حلّت الحارّة اشتدّ وبطر وباح وقتل وأسر وابتهج، فمن ذلك تعرض له العوارض، فالإنسان مخلوق من نشأة الدنيا والآخرة، فإذا جمع الله بينهما حارت في الأرض، لأنه يردّ شأن الآخرة إلى شأن الدنيا، فإذا فرّق الله بينهما حارت الفرقة في الموت لأنه يرد شأن الآخرة فالحياة في الأرض والموت في السماء.

وذلك أنه إذا فرّق بين الروح والجسد ردّت الروح والنار والنور إلى القدرة الإلهية، وتركت الجسد إذا كانت عنه شأن الدنيا، لأن الريح تشقّ الماء والنار تجفف الطين فيصير رقاقاً وردّ كلّ جوهر إلى ما خلق منه، والنفس حكمتها من الروح، فما كان من نفس المؤمن فهو نورٌ مؤيّدٌ لعلّها الباء تكون باءً بالعقل، وما كان من نفس الكافر فهو من النار لعلّها تكون باءً بالكفر.

وأمّا صورته فهي صورتان، صورة نار وتحريكه فيها بالروح وأما المتحرك بالروح فيمينه، وأما المتحرك بالنار فشماله، وذلك قوله عز وجل: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ»، «وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ» إلى قوله «هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ»، وذلك أجل المؤمن وأجل الكافر، فالموت رحمةٌ من الله على عبده المؤمن، ونعمةٌ للكافر العدوّ لله. ذلك أن الله عز وجل إذا أراد أن يخرج عبده المؤمن من الدنيا إلى الآخرة فقد رحمه وعفا عنه وأخرجه من طينته، ودعاه إلى رحمته، وردّه إلى نوره، لأن الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، وإذا أراد أن يميت الكافر تزهق نفسه إلى النار.

ولله عز وجل في الدنيا عقوبات أحدها للروح وهو نقلها إلى المسوخية، والأخرى تسليط بعضهم على بعض نقمةً، وذلك قوله تعالى: «وكَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» من الذّنوب، فيما كانوا فيه من سقمٍ وفقرٍ، وما جانس ذلك جعل للمؤمن عقوبةً وللكافر نقمةً وسوء العذاب في الآخرة ونقمة الدنيا.

وعذاب الكافر في الآخرة لا يكون إلاّ بذنبٍ، والذّنب من الشّهوة، فما كان من المؤمن فهو خطأ ونسيانٌ، وما كان من الكافر فهو نقمةٌ وجحودٌ واعتداءٌ وحسدٌ، وذلك قوله تعالى: «كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ».

وقد روي عن موالينا أهل البيت منهم السلام أنّ في المحلل لحمه وشحمه عشرة أعضاءٍ محرّمةٍ، وفي المحرّم لحمه وشحمه عشرة أعضاء محلّلةٍ فالمحلّلات هي النسخ والمحرمات هي المسخ.

فالمحرم أكله من النسخ: الدّم، المذبح، الحدقة، النخاع، الغدد، الطحال، الذّكر، الخصي، الفرج، المخرج.

وإنّما حرّمت هذه الأعضاء لأنها في حال بشريّتها لم تخلُ من النجاسات الممازجة للأجسام الظلمانيّة، فلمّا تلاشى الجسد الظلمانيّ وحصلت الروح منسوخةً في ذلك الهيكل المحلل أكله حصلت مواضع تلك النجاسات من الروح الممسوخة في تلك النجاسات الظلمانية من جسده الظاهر المنقول إلى تلك العناصر المحمودة المنتفع منها لأنّ جسد المؤمن إذا فارقته الروح ونقلت منه إلى غيره رجع ذلك الهيكل إلى عالمه الّذي أبداه منه، فتولد حينئذٍ من العناصر المنتفع.

وأمّا الأعضاء المحلل استعمالها من الهياكل المحرم أكلها هي: «الجلد، الشعر، الصوف، الوبر، الريش، القرن، الظلف، الناب، العظم، الحافر» والمحرّمات في هياكل المسوخيّات وأرواحها وأجسامها محلّل منها استعمال هذه الأعضاء لأنها كانت في حال بشريّتها لا تخلو من معرفة مؤمنٍ أو قضاء حاجةٍ، أو ردّ سلام عليه أو تبسّمٍ في وجهه، أو عاينه في حال ميسره، فيكون له منفعة أو فائدةٌ، فإذا نقل ذلك المستحقَ إلى الهيكل الممسوخ لم يخل أن يكون قد فعل بمؤمن ما ذكرناه.

وتحليل تلك الأعضاء مجزّأةٌ على ما فعل للمؤمن، والاستعمال لا يخلو أن يقع شيء منها في يد مؤمن فينتفع منها به، فمن أجل ذلك أشفعُ بشيءٍ من أعضائه المستعملة وهي في المسوخيّة.

وأمّا العاهات مثل: الأزمن، الأعمى، الفالج، الأعور، الأعرج، الأبرص، الأجزم، وسائر العاهات، فإنها لا تكون إلاّ فيمن كرّر في القوالب البشريّة حتى يستوفي السبعين قالباً الّذي أحلت له، فإنّه في آخر قالبٍ يكون فيه عاهةٌ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى المسوخيّة، وليس كلّ من ينتقل إلى المسوخيّة يكون هذا وصفهُ بل هذا جنسٌ منهم وقد شرحناه ونحن نشرح باقي الأجناس إن شاء الله تعالى كلٌّ في موضعه من كتابنا هذا.

ومما نقل إلى المسوخية مما يحبّ إليه ما ينقل فيه حتى يألفه، ودليل ذلك: أنّك ترى رجلاً يحبّ كلباً وآخر سنّوراً وآخر طيراً، وأكثر ذلك مما يحبّونه في البشريّة فهم راحلون إليه في المسوخية، ومن الناس من يحبّ البهائم والطيور وسائر ما حلّ في البشريّة، وإنّ الرجل منهم يألف البهيمة حتى أنّه لا يقدر أن يصبر عنها ساعةً فتكون أحبّ إليه من أهله وأولاده، وإن الرجل منهم ليحمل على نفسه عظيم

التعب وغليظ المودّة وشديد الكدّ حتى يبلغ ما يحبّه في البهيمة حبّاً علّه لها، وإنّما ذلك لما ألفته نفسه.

فإذا نقل إلى مثلها لم يستوحش من ذلك ولم يفزع، فكذلك وهم في مسوخيّتهم يأكلون ويشربون ويمرحون لأنّهم قد ألفوها في حال بشريّتهم رفقاً من مولاهم ولطفاً بهم لكفرهم وتمرّدهم عليه، يؤيّد ذلك ما رواه أبو علي محمد بن عبد الملك البصريّ قال: حدّثني البدوي عن عبد الله العلاء عن أبي الهيثم عن هاشم عن المفضل عن العالم منه السلام أنه قال: يا مفضّل الناس هم الّذين أنسوا بالله، قال المفضّل: مولاي أخبرني عن سبب هؤلاء الّذين ذكرهم الله في محبتهم لهؤلاء الأجناس كيف يصير بهم؟

قال: يا مفضّل: أما ترى المكاري أشدّ عوداً من الحمار، وأحمل منه، وأشبه بأخلاقه، فإذا نقله إليه لم يحزنه ذلك لطفاً من الله عز وجلّ ليعاقبهم بذنوبهم من حيث لا يعلمون، ولا يستوحشون، ولو استوحشوا لخروجهم من صور الناس إلى غيرها لتابوا واستغفروا ثمّ وقع ذلك الإقرار عندما عرض ولا يشاء.

وكذلك إذا أراد أن يُنقل من صور الكلاب والبهائم إلى صور الناس ليعرض عليهم ولو يشاء لجعله كلباً مع ملك في فراشه لئلاّ يستوحش بخروجه من الكلابيّة إلى الناسوتية، فتراه قد تخلّق وتأدّب وتنفّض أن يبول بين يدي الملك وهو في موضعٍ نظيفٍ، وترى السنّور يُضرب، ويُبعد من الفراش حتى يخرج ويحدث، والكلب يتفلّت من ذلك الملك ليبول.

قلت: سيّدي، فالطير ربّما رزق على حامله ! قال: ذلك أنّه كان بعيداً من نقلة الإنسانية، وكذلك فعل الكلب والسنور وسائر الأصناف، وإنما قولنا في الكرّة التي ينقل منها إلى أن يشبه بالإنسانية يا مفضّل.

قلت: أسألك بلاغاً.

قال: إلينا مرجعهم، ثم إن الواحد منهم ترى حركته ومشيته وأكله وشربه ونومه، يشبه ويشاكل أكل البهائم، فمن ذلك أن المكاري يحمل ثقل حمل الحمار، ويمشي كمشي الحمار، والجمّال يحمل تقريباً حمل الجمل الّذي يحمله عليه، ولا يهنأ له أكل ولا شربٌ إلاّ عند حمله، ولا يطيب له نومٌ إلاّ بقربه منه، والقرّاد لا ينام إلاّ

بالقرب من قرده أو معه، ويطعمه مما يأكله ولا يصبر عنه ساعةً، والكلاَّب لا ينام حتى يرى كلبه نائماً بجنبه أو يطعمه مما يأكل، والحرّاث لا يجلس إلاّ بقربه ولا يهنأ له عيش إلاّ عنده، وصاحب الحمام لا يأكل ولا يشرب إلاّ عند طيوره، وآخر صاحب سنّورٍ لا يأكل ولا يشرب حتى يطعمه من أطيب طعامه، ومثل ذلك مما يطول شرحه، ومع ذلك فإنّ كلّ واحدٍ مما ذكرناه إذا رأيته وتمثّله لأكله وشربه ونومه ومشبيته وجميع حركاته، فكلّ واحدٍ منهم تشابه حركته البهائم التي ألفها وأحبّها، وكلّ ذلك مطيباً ومحبوباً له لأنه ينقل إلى مثله يؤيّد ذلك ما حدّثني به أبو علي محمد بن عبد الملك البصري قال: حدثني البدوي عن عبد الملك بن العلاء، عن محمد بن صدقة قال أبو عبد الله منه السلام:

تُنقل هذه الحركات وهم في صور البشريّة إلى حركة المسوخيّة فيألفون إلى أعمالهم حتى كأنهم ليسوا بأناسٍ وربّما استوحشوا من الناس وأنسوا بالبهائم.

أما نظرت منهم في ولادة الواحد من المسخ، تلك الاثنين والثلاثة، فالشاة تلد توأماً، والبقرة تلد الواحد، والسنور تلد الخمسة والستة وأكثر من ذلك في الطيور من يبيض البيضتين والثلاث، والدرّاج والقطاة والدجاج والبطّ يجمع من البيض العش والخمس عشرة بيضة، وأكثر الفار والجراذين وأكثر الهوام والوحوش يكثر منها الولد.

والروح الّتي تكون في الجسم الانساني والمسوخيّ لا تقسم ولا تتجزأ وتتولّد في مولود الإنسان فهو ما قدّمنا ذكره صدر كتابنا هذا.

وأرواح المسوخية فهي إذا خرجت من الهيكل الّذي كانت فيه من الإنسان دخلت في الهيكل المسوخيّ مع طعامه وشرابه، ولا تزال تدور في جسده تطلب لها مسكناً يأويها، فلا تجد لأنّ كلّ عضوٍ من أعضاء الجسد الحيوانيّ فيه روحٌ حيوانيّة تمسكه فلا تزال تلك الروح تدور في الأعضاء، فلا تقبلها إلاّ أعضاء المني فتمازجه فتكون فيه ما يشاء الله.

تخرج إلى الرحم، ومن الرحم فيكون نسخاً أو مسخاً، يؤيّد ذلك ما حدّثني به أبو عليّ قدّسه الله عن العدوي عن عبد الله بن العلاء عن أبي الهيثم عن العالم منه السلام أنه قال:

إذا وقعت النطفة فلا بدّ أن يكون منها ولد، ولا يكون الولد إلاّ إذا كان في القالب نفسٌ غير نفسه، فلو كان من النفس التي ترى في القالب لكانت النفس تنقسم إنقساماً كثيراً، أفهمت؟

قلت: نعم يا سيّدي، قال: إعلم أن ولادة البقر والحمير والطيور والدواب تكون أرواحاً داخلةً على أرواح تلك القوالب، وأنّ الأرواح لا تتجزأ ولا تنقسم، فتكون من روح قالبٍ عشرة أقسامٍ لأنّ له الخمسة وله العشرة أفهمت ذلك؟

قلت: نعم يا سيّدي.

قال: بقي عليك علم الذّكر والأنثى.

قلت: أحسن إلى عبدك لأني فقيراً إلى علم ذلك.

قال: اعلم أنّ الذّكر لا يلد إلاّ ذكراً، والأنثى لا تلد إلاّ أنثى.

قلت: ما معنى ذلك؟

قال: من قول السيد محمد عليه السلام وإليه التسليم، أنه قال: إذا غلبت شهوة الرجل على شهوة الأنثى خرج الولد يشبه أعمامه، وإذا غلبت شهوة الأنثى على شهوة الرجل خرج الولد يشبه أخواله.

قلت: وكذلك البهائم؟

قال: إنّما تلك أرواحٌ تدخل فتتزاحم أرواح القوالب في الرحم، فتغلب شهوته إذا كانت بأنثى دخلت في الأنثى عليه شهوة الأنثى، وإن دخلت شهوة الذكر كانت الشهوة ذكراً، فكانت روحٌ من ذكر وأنثى، فالمولد ذكرٌ أو أنثى، وعلى هذا يخرج الأمر.

قلت: سيّدي هل تدخل على هذه الأنفس في مؤمن؟

قال: لا، ولكن النفس إذا أرادت أن تنقل إلى المسوخيّة فيصير لها في ذلك القميص البشريّ أحوالاً تشابه الحيوان، إذا كان في الإنسان، ألم تر إلى قوله تعالى لا يمكن أن تكون من القرآن «يخرج الخبيث من الطيب، ويخرج الطيب من

الخبيث[1]» وذلك لغلظ الأرواح المتجرّبة في الدخول تشبه الصورة بالصورة التي كانت فيها فتطلبها لأنها لا تدخل فيها إلا ألفتها.

وأمّا النطفة فإنّ المني إذا وقع في الرحم فيقيم نطفة عشرين يوماً وعشرين يوماً علقةً وهي دمٌ جامدٌ، ثم يصير مضغةً عشرين يوماً، والمضغة تشبه قطعة اللحم.

وفي المني عقدة بيضاء فتكون منه شبه الدودة، وهي التي تصير علقةً، ثم تصير مضغة، ويكون باقي المني غذاءها في تلك المدّة، فأوّل ما يخلق من ذلك البشر ومن النسخ والمسخ العينين ومخ الرأس من تلك العقدة التي كانت علقة ثم صارت مضغة، ثم تدور الرأس على العينين، والعينين أول شيء يخلق من الإنسان ومن كل مخلوقٍ ذي حركةٍ.

فإذا استقامت العينين وتدوّر الرأس جرى باقي البدن من ذلك، وهذا مما تراه مشاهداً أن المرأة إذا أسقطت ولدها دون الشهرين تراه قطعة لحمٍ وهي المضغة، وإذا أسقطته في ثلاثة أشهر رأيته قد تدوّر رأسه على العينين، وإذا أسقطته في الأربعة أشهر رأيته قد صار خلقاً سويّاً ولكن لا روح فيه، ثم يخرج على ما شرحناه بصدر كتابنا هذا، وجميع ما ذكرناه من هذه المسوخيّات يزيد بعضها بعضاً في البلاء والعذاب، فمنها ما يكون حماراً لتاجر يركبه في كلّ ساعةٍ من النهار وربّما لا يركبه، وهو في تالي نهاره وليلته يخدمه ويعلف له، وحماراً آخر يكون المكاري يحمل عليه الحمل الثقيل ويقلّل عليه علفه، ويكون عليه أشدّ الكدّ.

والطمّان يطمن عليه أكثر نهاره وليلته وما شاكل ذلك، وهكذا أيضاً البغال والبقر والخيل والكلاب والسنانير واطير وصغارها وكبارها، وهكذا سائر البهائم الأهليّة ما فيها إلاّ مكدوراً أو معذّباً، وفيهم من هو مرفوقٌ به ومكرّماً، وإن كان في عذاب المسوخيّة فبعض العذاب أهون من بعضٍ.

---

[1] الآية غير موجودة في القرآن «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» ولا يوجد في القرآن إخراج للخبيث من الطيب ولكن تمييز وذلك قوله «حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ»

وأما السبب في لك فهو: أن أول وقوعه في المسوخية يكون أشدّ عذاباً ولا يزال يخفف عذابه إلى أن ينتهي من قوالبه التي في المسوخيّة على قدر ذنوبه وكفره، فإذا قارب النقلة إلى البشريّة يُعرض عليه التوحيد لباريه، فإنّه يقلّ عذابه ويخفف بلاه، فأهون ما يكون عذابه في آخر قالبٍ لا يكون بعده قالب مسوخيّة إلاّ بعد ردّه في البشريّة قميصاً واحداً وتعرض عليه كلمة التوحيد، فإن أجاب وإلاّ يرجع إلى المسوخية يؤيّد ذلك ما روي عن الصادق منه السلام أنّه قال في فضل من يرجع إلى البشريّة على من لا يرجع كبيرٌ، لأنّ الصورة البشريّة هي التي ظهر بها المولى عزّ عزّه، وجلّ شأنه، وأظهر بها اسمه منه السلام وبابه إليه التسليم، فلذلك صارت أفضل الصور، ففضل من يرجع إلى البشريّة على من لا يرجع إليها لهذه العلّة ومن أبعد عنها فقد أبعد عن الآخرة وعن الخير وعن المعنى والاسم والباب، ومن قرب منها قرب من باريه واسمه وبابه، ولا تباعده ذنوبه لأنّه يكون قريباً من الصورة التي وقع بمثلها الظهور.

فبقربه منها يصير نوراً منيراً، وببعده عنها يصير ظلمانياً نعوذ بالله برضا الرحمن وعفوه من سخطه وعذابه.

قصص وأخبار عن المسوخية

وفي الناس آثارُ وعلاماتٌ منهم، ثمّ ترى فيهم من أكلهم وشربهم ونومهم ولباسهم وحركاتهم، فواحدةٌ تراه وهو جالسٌ منتصبٌ وآخر يأكل وهو قائمٌ، وآخرٌ وهو متكيء، وترى شرابهم ألواناً، فواحدٌ لا يشرب الماء إلاّ مصّاً، وآخر نومه على وجهه، وآخر لا ينام إلاّ منضجعاً، وآخر أكثر أوقاته نائم، وآخر قليل النوم من الناس، من إذا أراد القيام يرفع مؤخره ويمدّ رأسه، وآخر يثب قائماً فيقوم، وآخر لا يقوم إلاّ إذا وضع يده على الأرض، ومن الناس من لا يمكنه السكوت ويهذر بالكلام، وآخر كثير السكوت قليل الكلام، وآخر سكوته وكلامه مقدارٌ.

وفي الناس من تعجبه معاشرة النساء والقرب منهنّ ومنهم من لا يطيق الجلوس معهنّ، ومنهم من يعجبه الجماعة والاختلاط معهنّ، ومنهم من يفكّر في ولده ويتحنحن عليه، ولم يصبره ساعةً ومنهم من لا يفكّر في ولده وأهله وأقاربه، ومنهم من يعجبه أكل اللحم ومنهم من يميل إلى البقول، ومنهم من يميل إلى شرب عبد النور، والفرح، والسماع، ومنهم من لا يميل إلى ذلك، ومنهم من لا يعجبه جمع المال وحفظه، ومنهم من يعجبه إنفاقه وتدبيره، والناس من يعجبه تربية البهائم والطيور والغنم والماعز، والغزلان وسائر البهائم من الخيل والبقر والحمير وما جانس ذلك ومنهم من يميل إلى الكلاب وتربية القردة واللعب بها، والأجناس من هذه كثيرةٌ يطول شرحها، وهكذا هم أيضاً في الصنائع، فمن الناس من يحبّ طلب العلم، ومنهم من لا يحبّ ذلك، يكون في أحدٍ من العالم شيءٌ منها وهو في صورة البشريّة إلاّ لعلّةٍ ما نقل منه إلى البشريّة ففيه بقايا من تلك المسوخيّة وفيه وإليه نقل حركتها وطبعها وصفاتها وأفعالها وأكلها وشربها ونومها، وقد قدّمنا في كتابنا هذا أن الواحد منهم إذا كان في البشريّة واستوفى قوالبه فيها جعل فيه في آخر قالبٍ شيء من دلالات المسوخيّة وحركتها وطبعها كي يألف ذلك، فإذا نقل إليها لم يستوحش منها.

وهكذا إذا كان في حال المسوخية وأراد أن ينقل إلى البشريّة فيه شيء من دلالات البشرية كي لا يستوحش منها رفقاً من باريه عزّ وجلّ ولطفاً منه ورحمةً ورأفةً بهم، وجعل لهم هذه الأبدان البشريّة ينقلون إليها ليعرض عليهم توحيده أنّ الأمر ليس هو كما يذهب إليه العامّة أهل التقصير أنّ عذاب الله عز وجل في الآخرة هو نارٌ حصيرةٌ محتصرةٌ عليها كما رووا أنها نارٌ وقد علها ألف عام حتّى احمرّت وألفاً حتى ابيضّت، وألف عام حتى اسودّت، فهي سوداء مظلمةٌ ممزوجةٌ بغضب الله وسخطه ليس فيها لأهلها نفسٌ، والمولى عزّ عزّه أكرم وأرحم بعباده من أن يعذّبهم بما لا طاقة لهم به، وأما هذا لا تقوم له من الأسباب ولا تثبت له الجبال، فكيف بجسدٍ طميء ومريء، ولكن القوم قد جهلوا معرفة الله وحرّفوا كتابه وأخبار مقاماته، فنسبوا إليه ما لا يفعله وما هو عليه جلّ العليّ الكبير عمّا يقول الممترون علوّاً كبيراً، يؤيّد ذلك ما ذكره من قوله تعالى: «كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِه فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُو أَهْدى سَبِيلاً»، وكلّ واحدٍ في البشريّة يعمل على شاكلته في الّذي هو فيه

من المسوخيّة في أكله وشربه ونومه وحركاته وأفعاله جميعاً. والكلام في هذا يطول شرحه لأنّ هذا موجودٌ فيهم أيضاً في البشريّة في صورهم وقدورهم ومشيهم وسهواتهم، وأجد أن يطول الكلام، وفي ما ذكرناه بيانٌ لمن هل قلبٌ.

يؤيّد ذلك ما رواه عليّ بن محمد البرقيّ بالإسناد عن المفضّل بن عمر أنّه قال: قال الصادق منه السلام: يا مفضّل، إذا كان الإنسان منقولاً من شيء من المسوخيّة لم يخقف عن أهل الأبصار والبصائر، وحالته أنّك إذا رأيته وداومت النظر والفكر فيه وفي أفعاله وحركاته وأكله وشربه، بان لك الحقّ من الباطل، أما ترى الناس واختلاف صورهم، فرجلٌ يحبّ الأكل وهو نائمٌ، وآخر وهو يمشي، وآخر وهو جالسٌ مادّاً رجليه، وآخر على جنبه، وآخر يحبّ الأكل وهو قائمٌ.

فليس اختلاف ذلك إلاّ لعلّة ما نُقِل عنه، وكلٌّ من هؤلاء يحبُّ الأكل على ما كان عليه، ولا يميل إلاّ لذلك الجوهر وتلك العادة بذلك الجنس الّذي كان فيه، فاعرف كلامي وما شرحته لك، فإنّك لا تضلّ إن شاء الله تعالى، وكذلك إذا نقلوا من البشريّة إلى المسوخيّة تراهم في أوّل قالبٍ منها يأكلون فيهم شيء من حركات البشرية وأفعالها في أكلهم وشربهم ونومهم، حتّى يألفون ذلك.

وهكذا إذا نقلوا إلى شيء من الطيور تراهم ينطقون ويتكلمون ويصفرون صفيراً أشبه بالكلام في البشريّة.

وترى من بالبشريّة يصفر لهم فيسمعون منه وهم يصفرون مثله، ويجاوبونه، ويصيح لهم فيصيحون مثل الدرّاج والنضح ولغات البليل والقمري والشحروري والهزاز وما شابه ذلك، كلّ واحد يصيح ويصفر على منهاج ذلك على ما كانت عليه عادته في البشريّة.

وهكذا القرّاد يكلّم القردة فيفهمون منه ما يأمرهم قائدهم ولا يخالفون، وكذلك الدبّ ومثل هذا كثيرٌ تراه العيون وتشاهده ولا يمكن رفعه، ولكن قد عميت قلوب الخلق المنكوسين عن معرفته عناداً للحقّ والتقوى الغالية عليهم إلى أن يتمّ أمر الله تعالى عزّ وجلّ كما قال تعالى: «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ويَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ» «ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ».

وما من شيء ذكرناه في كتابنا هذا إلا استشهدنا عليه بخبرٍ، وأكثر الشواهد من كتاب الله عز وجل، وقد نقل ما تقدم من الشيوخ حرسهم الله وقدس أرواحهم أنّ في القرآن ألفاً ومائة آية تشهد بالتناسخ، وقد استخرجناها بمنّ الله علينا وذكرناها جميعها وطرحناها في كتابنا الكبير الّذي هذا الكتاب مختصرٌ منه ونحن نذكر منها في المختصر ما يصلح أن نذكره بتوفيق الله تعالى ومعرفته، فمن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: «إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها...» أي إلى ما هو أكبر منها من هياكل المسوخيّات، يؤيّد ذلك ما رواه أبو علي بن همام عن أبيه عن رجاله عن محمد بن سنان عن خالد القمّاط عن يونس بن ظبيان، قال: قلت لسيّدي أبي عبد الله منه السلام أن لي جاراً يكثر إيذائي ويعيّرني بكم، فقال لي: يكفيك الله أمره، قال: فما شعرت بعد أيّامٍ إلاّ وقد مرّ بنا جملٌ دموعه سائلةٌ من عينيه، فقال لي سيّدي: هذا صاحبك يا يونس، ثمّ مدّ يده ووضعها على عيني فرأيته والله بصورة إنسان وعلمت أنّه هو الّذي كان جاري يؤذيني، ثمّ عاده فكنت إذا رأيته في الطريق أذكره وأضحك وهو جملٌ.

وقوله عزّ وجلّ: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ....» يقول: أتتمرّدون على مولاكم وقد دعاكم إلى التوحيد فمتّم فأحياكم ثمّ كفرتم فمسحكم ثمّ يردّكم إلى البشريّة ويدعوكم إلى ذلك، ماقاله أبو علي ن همام عن أبيه عن رجاله عن محمد بن سنان عن عمر بن شمّر عن جابر أنه قال: دخلت على خزانة لمولاي أبي عبد الله منه السلام، فإذا فيها أعواد خشب، فقلت لمولاي أبي عبد الله منه السلام عن ذلك الخشب وما مآله فضحك ثمّ قال: هذه الأعواد التي جمعها قنفذ ليحرق بها عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، فإذا قام قائمنا دعا به وبالخشب والطاغوتين فيحرقهما بها، ثم قال: أتحبّ أن ترى قنفذاً؟

قلت: نعم يا مولاي، ثمّ مدّ يده على وجهي وقال: أنظر، فنظرت وإذا بقنفذٍ، فتأمّلته وقد حضر، فقلت: يا مولاي: أحبّ أن أراه في غير هذه الصورة، قال: إن رأيته في غيرها تعرفه؟

قلت: يا مولاي، إن عرّفتني به أعرفه، فنر إليه بعين الغضب، فعاد في صورة قنفذٍ كما كان اسمه، أكّدته في صورة ذلك المسخ، ثم عاد إلى حاله الأول، ثم قال مولاي: يا جابر هذا أهل المسخ.

وقوله تعالى عز وجل: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» الّتي نقلهم منها إلى المسوخيّة فيها، فهم فيها لا يسمعون ولا يعقلون من الغشاوة التي عليهم من العذاب في تلك القوالب.

يؤيّد ذلك قوله تعالى: «لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ ومِنْ فَوْقِهِمْ غَواش...» وقال تعالى: «واتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ولا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ ولا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ ولا هُمْ يُنْصَرُونَ» يقول: إتقوا يوماً تدخلون في المسوخية ولا يقبل من أحدكم شفاعةٌ، ولا ينفعه علمه ولا ينفعكم من عذاب الله أحدٌ.

يؤيّد ذلك ما رواه أبو علي بن همام عن أبيه عن رجاله عن عمر بن شمّر عن جابر قال: قلت لمولاي أبي جعفر منه السلام: يا مولاي، إن لي جاراً يؤذيني وأخرجني من المدينة، فإذا هو بكلبٍ فقال لي: هذا صاحبك.

قلت: أوَصار صاحبي الّذي كان يؤذيني كلباً؟

قال: أنظره حتى لا تشكّ فيه، ثمّ أعاده كلباً، ثم قال: هذا غضب الله عليه، وإنه يكرّ في الثانية غرابٌ أبقعٌ، فإذا نظرت إليه في الحرم فاقتله قوله عزّ وجلّ: مثل الّذين كفروا«قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ» طبع على قلوبهم بطبع المسوخيّة وهم في قوالب البشريّة يألفون المسوخيّة حتى إذا انقلبوا إليها لا يستوحشون منها ومن طبع قلبه فلذلك لم يُشرح قلبه للإيمان، يؤيّد ذلك ما رواه أبو علي بن همام عن عبد الله بن القاسم عن أبي عبد المؤمن، عن أبي سكان عن أبي نصر عن أبي جعفر منه السلام قال لي يا محمد كلّ من خالف قولك فهو كلبٌ أو خنزيرٌ أو حمارٌ، وهو يحشر يوم القيامة إلى جهنّم مع فرعون.

يا محمد لو كشف الغطاء لما رات الشيعة أعداءهم إلاّ في صورة المسوخيّة الملعونة، فأين يذهبون، قوله تعالى: «ومَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعاءً ونِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ» يقول: ينقلون في الأبدان البشرية تجانس الأبدان المسوخيّة بالصبر على الكدّ والتعب والنّصب، فه ملا

يسمعون من يدعوهم إلى الله، ولا صوته ولا كلمه، ولا يطيعون ولا يعقلون إذ يخاطبون، فهم صمٌّ عن النداء بكمٌ عن الحقّ عميٌ عن المعرفة، فهم لا يرجعون بعد ذلك إلى هيكل البشريّة.

يؤيّد ذلك ما رواه يونس بن ظبيان قال: كنت ذات يوم عند سيّدي جعفر علينا سلامه إذ دخل عليه أبو الطّيبات فشكا إليه من المقصّرة، فقال: وعزّتي وجلالي في أيّ صورةٍ ما شئت لأعذّبهم في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنّي أردّهم في المسوخيّة من قالبٍ إلى قالبٍ، ومن مسخٍ إلى مسخٍ، كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب بما كانوا يعملون.

فقلت: سيّدي، أهذا تفسير هذه الآية؟

قال: نعم، كلّما أخرجناهم من لونٍ من العذاب في المسوخيّة ركّبناهم في آخر ليذوقوا العذاب بما فعلوا، وأما الآخرة فهي فرقةٌ تردّ إلى دار فيها أشدّ العذاب، فأولئك هم فيها خالدون، وأخرى المؤمن رجوعه إلى الصّفا، وقوله تعالى: «أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ واللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ والْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ...» يقول: حجّة المنافقين والمخالفين تقود إلى النار لأنّهم ينقلون إلى المسوخيّة، والله يدعوكم إلى مغفرته وهي الجنّة ليغفر لكم ذنوبكم.

يؤيّد ذلك ما رواه محمد بن همام قدّسه الله تعالى يرفع ذلك إلى محمد بن سنان عن المفضّل بن عمر قال: يا مولاي أبو عبد الله الصّادق علينا سلامه، وكيف تركت الناس مختلفين مفتخرين؟

قال: ما لهم والفخر، قول الله ما هو إلاّ تبديل إسم وتغيير جسم، قلت: سيّدي، وكذلك المؤمنين؟

قال: لا، إن المؤمن زائر يزور به، والمؤمنون لا ينقلون في المسوخية ولا في شيءٍ من المنكرات، فهم أولياء الله أبداً، وقوله تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولَئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُون»، يقول الله تعالى: الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الأبدان البشريّة الظلمانيّة إلى الأبدان النورانية، والّذين

كفروا بالله وجحدوا توحيده أولئك هم أولياء الطاغوت من الأبدان البشريّة إلى الهياكل المسوخية، فهم أهلها وهم فيها خالدون.

وعن المولى الصادق منه السلام أنه قال: إذا خرج أهل العقاب صاروا ثلاثة فرقٍ تردّ إلى دارٍ فيها أشدّ العقاب، يعني العذاب، فأولئك هم فيها خالدون، وفرقةٌ تردّ إلى دار البلوى وفرقةٌ تردّ إلى القشاش، فتنقل إلى سبعين صورة، فيصير منها دودةٌ، وذلك قوله تعالى: «ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ»، يقول: القشّة تكون في سبعين خلقة، قال الله تعالى: «فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ» يقول: كلّ دودةٍ تسهر فلا تنام، ولا تتزاوج، ولا يكون منها شيء من الخلق والتوليد لا تبيض ولا تحرث.

قال الله تعالى: «ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ» يقول: جعلناه دودة لا عقب لها، ولا ولد ولا نسل ولا شيء من الخلق ولا شيء أضعف منها، فإذا كان يوم القيامة يوم الدين يقوم فيه السيّد محمد، ثم يتلاشى القشاش وهو البقّ والذباب والنمل والقمل والبراغيث، وما جانس ذلك فهذا هو القشاش من أهل العقوبات تكون القشّة منهم في سبعين نوع هوامٍ وبهائم بريّة وأهليّة وذلك قوله تعالى: «وما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ»، فهو قشّة مثل البقّ والذباب وما جانس ذلك نعوذ بالله سخطه قوله تعالى: «واتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ» يقول: خافوا يوم يقوم فيه القائم فيجازي أهل الأبدان المسوخيّة بما كسبت أيديهم وهم لا يظلمون.

وحدّثني أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي له من الله الرضا قال: حدّثني الحسين بن علي القمّي قال: حدّثني أبو الأزهر قال: حدّثني الحسين البصري، قال: حدّثني بكر بن العيداني قال: سمعت علي بن إسماعيل القمّي يقول وقد سئل عن الخنزير قال: حدّثني أحمد بن خالد البرقيّ عن أبيه قال محمد بن سنان سمعت المفضّل بن عمر قال: كان في جيرانه شيخٌ من مشايخ قريش وكان من الموالي لقوم سيّجهم، فأنس إليه حديثاً يحدّث به القوم من أهل التوحيد وكان الرجل يسترق السمع والقول ويخرج يذيعه ويتبرأ منه ومن القوم الّذين اعتمدوا قول تالمفضّل وأنكر عليهم فنسخ ذلك الشيخ خنزيراً، وإن الخنزير من الأربعة والعشرين طائفة التي مسخت في البر والبحر وهي حرامٌ على المؤمنين ولها شرحٌ وأسماءٌ في رسالة

رأس باش الديلمي، قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ ولا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وأُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ».

يقول: من كان جاحداً باريه ومعرفته لا ينفعه ماله ولا ولده من عذاب الله من شيء فيكون ممن سلك في المسوخيّة ووقودها المعذّبون فيها، وقد روي عن حمدان بن أعين أنه قال: قال المولى الصادق منه السلام في قوله تعالى: «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً».

ثمّ قال: إنّ الجلود اختلافٌ في الصور في المسوخيّة، وقوله تعالى: «وقالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ» يتساءلون ما رواه لهم شياطينهم تفسير قوله تعالى: «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً»، والحقب ثمانون سنة وإن فيهم من يقيم في الحقب نصف الحقب والأقلّ والأكثر، وليس حيث يذهبون إليه، وأما تفسير الأحقاب فهي أعمار أبدان أهل المسوخيّة.

وقد روي عن حمدان بن أعين أنه قال: سألت سيدي أبو عبد الله علينا سلامه عن المسوخيّات هل تذكر بما فعلت؟ قال: نعم إنها تذكر بما فعلت ويكشف الله عن قناع قلبها، فكلّما رأت شيئاً مما تعرفه تتجدّد عليها حسراتها، وهي زيادةٌ في حسراتها وعذابها، وقوله تعالى: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ»، يقول: إذا كان يوم قيام القائم تحسن وجوه المؤمنين لإسكانهم الأبدان النورانية، وتسودّ وجوه الكافرين بحلولهم الأبدان المسوخيّة، فيقول لهم المؤمنون: ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، وعن حمران بن أعين أنه قال: سمعت مولاي الصادق علينا سلامه يتلو هذه الآية: «الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ»، قال: إن وحّدت وأطاعت جزيت بعظيم كرامة الله، وكانت مع الروحانيين في جوار حزبه، وأوليائه، وأهل طاعته، وإن عصت وكفرت كان جزاؤها العذاب من الله عز وجل، والعقوبة هي الدخول في المسوخية لقوله تعالى: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ»، يقول: قد جرت السنّة قبلكم وقبل خلقكم في أمم كفروا ومسخوا في البراري والقفار يعذّبون في الهياكل، فسيروا في الأرض فلكم أن تسيروا وتعلموا كيف كانت عاقبة من كفر بربّه وجحد باريه.

وعن محمد بن سنان قال: خرجت في بعض السنين إلى مكّة مع جمّال وكان غلاماً يأخذ الجمال حتى إذا طال عليه السير والعسف رفع جملٌ رأسه ونادى باسم الجمّال قائلاً: أما تعرفني ما أنا إلاّ أبوك، لا بارك الله فيك، فإلى متى تضربني وتعذّبني وإن لم تصدّقني فاسأل هذا... وأشارإلى محمد بن سنان فقال: يا محمد هو على ما يقول أفلا أزيده؟

قلت: زده، فإنّه صدق، قال تعالى: «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا ويُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ» أي بعيدون من الله ولهم عذابٌ أليم، أي لا يحسبنّ الّذين ينافقون المؤمنين ويقررون أن يغفر لهم نفاقهم، أنّهم ينجون من المسوخيّات بل هم مع ذلك في عذاب أليمٍ يؤلم أرواحهم.

وعن علي بن أحمد البرقيّ، عن سخنة بن يحيى الأزديّ عن ماهات الأبلي، عن يونس بن ظبيان، عن المفضّل بن عمر عن العالم منه السلام أنه قال: يا مفضّل، إذا بلغ المؤمن الممتحن درجة الصّفا، لم يبق عليه درجةٌ يسكنها في شيءٍ من المكرهات، لأنه قد علم الأشياء وعرف قوالبها حتى أنّه يعرف المبتدأ وا لمنتهى، ويعرف كرّاته وأدواره، وفيما كان وكرّ في الأمم، ونُقل في ذلك، يعرف المسوخيّات وتنقّلها وكلّ ذلك بالفراسة، ويستدلّ على ذلك بقوله تعالى: «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي والأَقْدامِ»، وقوله تعالى: «لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ، مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمِهادُ»، يقول: لا تتمتعوا أيها المؤمنون بما قد تمتعوا من هذه الحياة الدّنيا، إن مدّتهم إلاّ يسيرة ثم ينقلون إلى ما هو أعظم هيكل من جهنّم وبئس المهاد لمن يسلكه.

وعن عليّ بن أحمد البرقي بإسناده عن المفضّل بن عمر قال: كان العالم عليه السلام وعلينا سلامه يقول: إذا رأى الجمّال البخاتي لا مرحباً بكم هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً، ويقول هذه الأعراف يا مفضّل أتدري ما فعلت؟ ولم سمّيت أعراف؟

قلت: لا والله يا سيّدي.

قال: لأن هؤلاء قد عرفوني في هذا المكان الّذين هم فيه، بل هذه الساعة، وفيما يكونوا وفيما ينقلوا، وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً»، يقول: إن الّذين يأكلون أموال اليتامى،

يعني الّذين علموا التوحيد وهم غير معتقدين به إنّما يظنّون بما ينقلون به إلى المسوخيّات، فسيكونون في المكدورات وتسعرهم الزبانية في الكدّ والذّبح، والسعير، يعني الزّجر.

وعن علي بن أحمد البرقي بإسناده عن المفضّل بن عمر أنه قال: قال العالم منه السلام: إذا رأيت الرجل ليس هو طويلٌ شاهقٌ ولا قصيرٌ لاصقٌ، ضعيف اللحم، متوسط العظام، مالج العنق، يعني ساكت، كثير الشهوة للجمال، كلما رأى امرأة مال إليها، وأحبّ قربها، كثير الحركة لا يقدر أن يحمل على رأسه شيئاً، طويل الوجه غليظ الشفّة، طويل الأنف، طويل الأظافر، مدوّر الأصابع، قليل الميل إلى أكل اللحم، مائل إلى نبات الأرض، فاعلم أنّه منقولٌ عن الحمير، فانظر ترى بيان ذلك، وكيف رأيته تجد بيان ذلك واضحاً، وكذلك فمن كان مثله في هذا العالم.

وقوله: وليست التوبة للّذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت وقال إنّي تبت الآن ولا الّذين يموتون وهم كفّار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً.

يقول: ليس التوبة لمن يجحد باريه حتى حضرته النقلة فرأى أمير المؤمنين جلّ وعلا، حيث يشاهده والموت حضره عند مفارقته لروحه، إذ قال في سرّه: قد تبت عمّا كنت فيه وما أنا بمصرٌ على الكفر، فلا يقبل منه وله عذابٌ أليم، وهي المسوخيّة، وفيها يهانون، وعن علي بن أحمد البرقي عن عبد الله الأسديّ، عن يحيى بن أم الطويل الثمالي، قال وهبة بن عبد الله: كنت جمّالاً في المدينة، فرحلت أنا وسيّدي يحيى إلى مكّة وكنت أكرمه وأخدمه، حتى كان ذات يوم، وقد نزلنا بقريةٍ إذ نظرت أعرابياً ومعه أرنباً، فاشتريته، فإذا هي أنثى، فلمّا جئت بها إلى رحلي بادرت فوضعتها بين يدي يحيى بن أم الطويل الثمالي، فلما رآها قال: من أين لك هذه؟

قلت: اشتريتها لك من بعض الأعراب.

فقال: أتعرفها؟ قلت: نعم أما هي أرنبٌ؟

فقال: ما هي إلاّ امرأةٌ من عظماء قريش وكبارها، أتحبّ أن نكلّمك حتى تعرف من هي؟

قلت: والله إنّي أحبّ ذلك.

فقال: التفت إليها، فالتفت إليها كما أمرني، فقال لها: بحقّ العليّ الأعلى الّذي خلقك وصوّرك، ونقلك أن تكلّمي وهبة بن عبد الله بلسانٍ عربيٍّ فصيحٍ، حتّى يعرف من أنت.

فقالت: أنا الحميراء بنت زازمد، عائشة صاحبة السيّد محمد، قال: أسمعت يا ابن عبد الله، وعلمت من هي، وسمعت كلامها وعرفتها، وعرفت أباها.

قلت: نعم يا سيّدي، فهي في المسخ، قال: نعم أما سمعت أنّ درجة المسخ هي العذاب الأكبر، فاعلم ذلك.

قال وهبة بن عبد الله، رأيته يكلّم الجمل وهو تحته، فكان الجمل يكلّمه، فإذا رأى ذلك قرأ: «قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ»، وقوله تعالى: «يَبْخَلُونَ ويَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ويَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وأَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً». يقول: الّذين ينادون المؤمنين بالإيمان ويبخلون عليهم بحطام الدنيا ويؤمرون الناس على إخوانهم ويكتمون ما وصل إليهم من العلوم عن مستحّيها ظلماً لهم وبخلاً، وجرأةً على ربّهم، فهم الّذين أعدّت لهم الأبدان المسوخيّة لكفرهم بنعم الله مولاهم مع شدّة العذاب الأليم.

وعن محمد بن علي البرقيّ قال: حدّثني إخواني الثّقات أنه ربط أتاناً كانت تحمل عشباً من حديقة النخل المحاطة بحائط له شيء من الثمر والصبيان يطمنون، قال: فلمّا كان ذات يوم وقد شدّت الأتان في الرّحى وهي تدور، فإذا هي وقفت وأعيت من الدوران، فصحت بها فلم تدر، فضربتها ضرباً عنيفاً، فنادتني: قطع الله يمينك، أما ترثي لي ممّا أنا فيه حتى تطمن عليّ، أما لي عليك حقٌّ، فتنبّهت وقلت: من أنتِ؟ قالت: أنا أمّك فلانة، فوقعت مغشيّاً على وجهي، فلمّا أفقت بادرت إلى أبي جعفر منه السلام.. الخبر، فقال: صدقت، أحسن إليها.

وقوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَو نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وكانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً»، يقول: يا أيّها الّذين نقل ربّهم التوحيد إليهم لعلّهم ينيبوا ليثبت أنه من قبل انتقالهم في المسوخيّات والمشوّهات ننكسهم في الخلق فنجعل وجوههم

أدبارهم، فتكون اللحية ذنباً، والفم مخرجاً، ويمسخون قردةً وخنازير كما مسخ أصحاب السّبت، وكان أمر الله لا مردّ له.

وعن حمدان بن أعين أنه قال: سمعت العالم منه السلام يقرأ هذه الآية:«الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ» قال: فسألت عنها فقال: عذاب الهون التكرير في المسوخيّات من قالب إلى قالب ومن صورةٍ إلى صورةٍ وقوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً، أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً».

وروي عن المولى الصادق منه السلام وقوله تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ» يقول: «من يكفر بتوحيد الله ومعرفته لا ينفعه عملٌ يعمله من أعمال الخير مع مخالفته لما أمر به من توحيد الله عز وجلّ ويكون في القالب الّذي ينتقل إليه وقد نُقِلَ من النّعيم والكون البشريّ وحصل في هياكل المسوخيّات».

وعن عليّ بن أحمد البرقيّ عن إسحاق بن الحسين، عن حمّاد بن عيسى الأفلح الجّهني يرفعه إلى يحيى بن أم الطويل الثمالي قال: سمعت زين العابدين ذات يوم يقول: إن الأول والثاني لعنهما الله قد عذّبا في هذا الوقت في هياكل الأزواج، فالأوّل الضبّ، والثاني الوزغ، لا يدرون بشيء من الأشياء إلاّ في المسوخيّات أبداً، وهو قوله تعالى: «وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً»، وذلك أنّه في عذاب دائمٍ إلى يوم الكشف، وقوله تعالى: «لَو أَنَّ لَهُمْ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذابِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ»، يقول: لو أنّهم ملّكوا جميع ما في الأرض من الذّهب والفضّة العظيمين عندهم ولقربهم من كونهم فيها ليدفعوا عن أنفسهم العذاب الأكبر في يوم القيامة الّذي هو قيام القائم وكشف الغطاء لم تنفعهم الآن أموالهم إنما هي رسوخٌ رسخت من الذّهب والفضّة، وفي يوم الكشف يخرجون من الرّسوخ وينقلون إلى الدّردور والفاعوس والقتل بالسّيف، فلا تكون تنفعهم أموالهم ولا تقبل منهم فديةٌ بل يمسسهم سوء العذاب.

وروي عن عليّ بن محمد البرقيّ عن الحسن بن الحسين عن إبراهيم بن عيسى الهاشمي عن أبيه قال: سمعت الوقّاد وقد عبر مرّةً يتحدّث في مسجد رسول

الله منه السلام يقول: إن الحمير والدواب كانت تتكلّم في عهد بني إسرائيل، حتى أنّ الرجل يسير على حماره أو دابّته، وهي تكلّمه من تحته وتقول: يا فلان بن فلان، أما ترحمني فيما أنا فيه، أوليس يكفيك حتى تكدّني هذا الكدّ وأنا أبوك أو أخوك، أو بعض أقاربك، أو أهلك، فذلك مبيّنٌ في القرآن حيث قال الله تعالى: «والْخَيْلَ والْبِغالَ والْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وزِينَةً ويَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ» أراد الله عز وجلّ أنّكم تركبونها ولا تعرفونها وقوله تعالى: «وكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ والْعَيْنَ بِالْعَيْنِ والأَنْفَ بِالأَنْفِ والأُذُنَ بِالأُذُنِ والسِّنَّ بِالسِّنِّ والْجُرُوحَ قِصاصٌ»، يقول: إذا نقلوا إلى الأبدان المسوخيّة كانت تلك الأنفس وأعينهم تلك الّتي كانت في البشريّة، وأنوفهم تلك الأنوف وآذانهم تلك الآذان، وأسنانهم تلك الأسنان، فإنّهم إذا انقلبوا في المسخ نُقلت أرواحهم في تلك الهياكل المذبوحة والفسخ نُقلوا بهياكلهم التي كانوا فيها في البشريّة الّذين هم فيها سابق المسخ، فالّذين قطعوا الدرجات الخمس يصيرون قشاشاً وجوارحهم تلك الجوارح، فمنهم من ينكس في الخلق مثل الأنف الّذي يصير فرجاً والفم الّذي يصير مخرجاً، واللحية الّتي تصير ذنباً، واليدان الّتان تصيران رُكباً وأجنحةً، وتصير صورهم مغيّرةً عن البشريّة.

وعن عليّ بن محمّد البرقيّ، عن إسحاق بن إبراهيم الأزرقيّ عن أبي جدّاش الأخمش قال: حدّثني أبي عن داؤود بن كثير الرقّي، أنه قال: كان لي جارٌ بالرقّة، وكان من أكابر العرب، وكان يتّخذ المهرة يربّيها، فصادف مرّة أنّه ربّى مهراً أبلق، وكانمن خيل جريرة، فكبر ذلك المهر عنده حتى شاع ذكره، وكان يداوم الركوب عليه، وكان يبغي عليه الصيد والقنص، قال: فرجع ذات يومٍ من ركوبه، فنزل عنه، ودخل منزله، وكان يوماً شديد الحرّ، وأنا قد دخلت منزلي، وأغلقت بابي، وإذا قد سمعت دقّاً على الباب، فقمت من وقتي وساعتي مبادراً، وإذا بذلك المهر على بابي واقفاً، ودموعه تجري على خدّيه، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فنطق المهر بلسان فصيح، وقال: يا فلان، إن لي عليك حقّاً، وأنا جارك فلان بن الأبرص، وهذا أبي فلانٌ، جئت أشكو إليك ممّا يفعل بي وهو يعلم ذلك، وأنا أكلّمه ويكلّمني، ولا يرحمني ممّا أنا فيه، وهو صائرٌ إلى ما أنا فيه وهو على ما أنا عليه، فعرّفه ذلك.

قال: فبادرت إلى أبيه الّذي عيّنه لي فعرّفته بالكلام وأخبرته الخبر، فقال لي: شيطانٌ ينطق على لسانه، فوالله لأزيدنّه عذاباً بذلك، قال: فما مضى مدّة أيّامٍ حتى مات الرجل، فكانا يجيئان هو وأبيه على تلك الصّفة والصّورة إلى عندي يبكيان وينصرفان عن داري، وقوله تعالى: «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ» يقول: إن تولوا عن توحيد الله، فإنّما يصيرون إلى هياكل المسوخيّة ببعض ذنوبهم وما فيها مدّخر لهم معاقبون به عند قيام القائم، وفيها يشتغلون ويتأسّفون مرّ الدّهور والأزمان من كثرة ما يكررون في أنواع العذاب.

وعن أبي الحسن الهمداني، عن ملالة القمّي، عن رجاله، قال المولى علينا سلامه: إذا جلس معكم الرجل ولم يذع سرّكم ولم يتكلّم بحقّكم فقد كرّمه الله مجازاةً لفعله وكتمانه، والمؤمن إذا رأى امرأةً حسنة الوجه مال إليها بالزواج.

ويقول الله لملائكته: إنّ عبدي رأى حالته فعرفتها، وقوله تعالى: «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وغَضِبَ عَلَيْهِ وجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ والْخَنازِيرَ وعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكاناً وأَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ[1]»، يقول: إنّهم كفروا وجحدوا توحيد الله فنسخهم قردةً وخنازير ثمّ ردّهم إلى البشريّة، فكفروا بالله وعبدوا طواغيتهم في أشدّ مكانٍ من الموسخيّة.

فالتعذيب فيها بما أنّهم خلّوا عن سواء السّبيل فجاءهم العذاب، وعن محمد بن عبد الملك البصري، عن العدوي، عن عبد الله بن العلاء، عن أبي الهيثم، عن هاشم، عن المفضّل، عن المولى الصادق الوعد علينا سلامه: أن المؤمنين هم الّذين سكنوا إلى الله وآنسوا به، وباقي الخلق همجٌ رعاعٌ، فهم مسخٌ. قلت: سيّدي أفي الناس همجٌ.

قال: في صورة النّاس، فإن لم يكونوا مسوخ الأبدان فهم مسوخ العقول والحركات، وقد وصلت بهم حركاتهم إلى الشكوك وتلك العقول في صور المسوخيّة المشاكلة، تلك العقول وتلك التميّزات، أفهمت يا مفضّل؟

---

[1] أوردت الآية على الشكل : «و منهم من غَضِبَ الله عَلَيْهِ ولعنه وجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِـرَدَةَ والْخَنـازِيرَ وعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً وأَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ»

قلت: نعم يا سيّدي، أفكان هو بيتها لما يريد أن يسلك فيه؟

قال: نعم، وتفكّر ساعة، وقال: ألا ترى أنّه أعدى من الحمار، وأحمل من الجمل، وأجلد من السّبع، وذلك لما يراد به من النّقل إليه لطفاً من الله عز وجلّ وإذهاباً لوحشتهم لما ينقلهم إليه ولم يفعل ذلك إلاّ لكي لا يستوحشون في أيّ درجةٍ ينقلون في صور الناس.

قلت: يا سيّدي، بيّن لي ذلك.

قال: نعم فمنهم من قد ردّد في صور الإبل سبعين مرّة، فيرى في صورة بقرة، فينقل بعد ذلك إلى صور الناس، وتعرض عليه الولاية، فإن قبل أعاده إلى البشريّة، وإن لم يقبل آلفه الله وهو في صور الناس قبل أن يموت أن يكون بقّاراً أو جمّالاً، أوسائساً، أو راعياً، فيعرف من ذلك أخلاق البقر ويألف الكينونة معها.

وكذلك الّذي أقرّ بعد المحنة يجعله الله تاجراً متعيّناً يدخل على الملوك يريد أن ينقله ملكاً، وعلى هذه الصّفة كلّ من أراد أن ينقل إلى حالٍ أسفل منها أم يرجع إلى حالٍ أعلى.

ألا ترى إلى بعض الكلاب كيف يختصّها ملك حتى يقعده على مصلاته ويدخله في كمّه، وذلك أنّ المحنة انقضت عنه في كلابيته ويريد أن يكون ملكاً.

قلت: سيّدي، علمت ما لم أعلم.

قال: بقي عليك من علم آل محمد أكثر يا مفضّل، اسأل بلاغاً.

قلت: مولاي، أسألك بلاغاً، فقال قوله تعالى: «فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ» يقول: لمّا علموا أن الأبدان المسوخيّة تمسخ في شرّ الهياكل ولا يلقون مهرباً من العذاب ومن الله، قال لهم: لا تركضوا ولا تهربوا وارجعوا وأنتم في صور المسوخيّة إلى منازلكم، وأهلكمك، ونذرهم في حسرةٍ وهم عذّبون.

ثمّ روي أنّ أوّل بارز برز من عسكر سعدٍ يوم مقتل الحسين منه السلام رجلان حبشيّان عظيما الخلقة وكانت أعينهما تتوقّدان ناراً، فلمّا صارا بين يدي مولانا الحسين منه السلام قال: يا جبرائيل آتني بالرّجلين في تركيبهما في

المسوخيّة، قال: فمدّ جبرائيل يده فأخذهما من ظهريهما ووضعهما بين يديه، فإذا هما كبشان أملحان.

قال: فلمّا أبصرهما مولانا الحسين نكسا رأسيهما، فقال لأصحابه: أتدرون من هذين؟

قالوا: ألا، هما كبشان.

فهتف مولانا الحسين هتفةً، وقال: ارجعا إلى ما تعرفان به، فإذا بهما رجلان أسودان مغلولان في ذراع كلّ واحدٍ منهما حديدة تدخل في دماغهما، وتخرج من دبرهما.

فقال مولانا الحسين منه السلام: يا جبرائيل، من هذين؟

قال: هذان عمر بن سعد، ومعاوية لعنهما الله، فقال لهما: أدنوا منّي، فدنوا منه، فقال: كيف رأيتما عذاب الله ونقمته في مسوخيّتكما؟

فقالا: يا سيّدنا أشدّ العذاب والنِّكال، فأخرجنا من أبدان المسوخيّة إلى أبدان البشريّة، فقد عرفنا يا سيّدي الحقّ واتّضح لنا الطريق فارحمنا يا أرحم الراحمين، ومنَّ علينا.

قال: لا رحمكما الله، هذا لكم في الترداد ألف سنةٍ من هذه المسوخيّة في قالبٍ بعد قالبٍ تجدّد عليكما عذاب الله، ونكاله جزاء لكما بما كسبتما، ثم قالا: العفو منك فاغفر لنا ذنوبنا، قال: لا غفر الله لكما، لا عفا الله عنكما، إنّ الله قال رحمتي وعفوتي لأصفيائي من المؤمنين، وإنّ نقمتي على أعدائي الظالمين، ثم صاح بهما صيحةً فساخا في الأرض.

وقوله تعالى: «فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ»، يقول: ما زالوا ينكرون الحقّ وتوحيد الله عزّ وجلّ إلى أن استحقّوا المسوخيّات فيسلكون فيها أليم العذاب، إذ لم يحسنوا إلى المؤمن في البشريّة.

وقد روي عن العالم منه السلام: قال في قوله تعالى: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ» قال: يكرّر سبع مرّات (تكريرات) في سبع أبدانٍ، فالمؤمن ينسخ نسخاً، والكافر يمسخ مسخاً ف أصناف المسوخيّة، ثم تلا قوله عز وجلّ، «ومنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ

إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً»، وقوله تعالى: «والتِّينِ والزَّيْتُونِ، وطُورِ سِينِينَ، وهذَا الْبَلَدِ الأمِينِ، لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ»، فإنّهم لا يُمسخون ولا يُفعل ذلك بهم، وإنّما يمسخ من كان من نسل إبليس وذريّته، لأنّه خلقهم من الظلمة والخطيئة، وقوله تعالى: «ويَقُولُونَ مَتَى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ، لَو يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ولا عَنْ ظُهُورِهِمْ ولا هُمْ يُنْصَرُونَ»، يقول: إذا هدّدوا بعذاب الله، وقيل لهم ما هو؟ يقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، استعمالاً منهم لذلك وللجّحود السّابق، ولو علموا ما يمسّهم من العذاب إذا هم حطّوا في هياكل المسوخيّة من الحمل الّذي على ظهورهم، وتضرب وجوههم النار لما قالوا ذلك، وعن المولى الصّادق الوعد –منه السلام– أنه قال: إذا تناهى الكافر وصار عدوّاً لله وأوليائه فحينئذٍ يركّب في المسوخيّات، فأوّل ما يركّب في المذبوحات التي يحلّ أكلها، فينقل فيها ألف سنةٍ، فكلّما خرج من تركيب ذبحٍ أو قتلٍ أو موتٍ عاد إلى تركيب آخر ليكمل له ألف سنة، ثم يركّب في المذبوحات التي لا يحلّ أكلها وكما أنّ الكافر له سبعة تراكيب في المسوخيات، فكذلك المؤمن له سبعة تراكيب في الناسوتية.

لعلها غلطٌ، وليس يدخل المؤمن في الناسوتية، ثم تمرّ عليه همومٌ وغمومٌ وتعبٌ ونصبٌ، وإنّما ذلك لئلاّ يكون لأحدٍ عليه تبعةٌ، حتى يُعرف المؤمن بإيمانه وكماله، وقوله تعالى: «ولَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ»، يقول: قد تمرّدت الأمّة على الرّسل قديماً فمسخوا بتمرّدهم وهزئهم وشتم رسلهم، وهكذا هذه الأمّة فإن لم تؤمن بالله ويسلّموا للرّسل وإلا يمسخون.

وعن أبي عبد الله محمد بن عبد الملك البصريّ عن عبد الله بن العلاء، عن إدريس، عن زيد، عن طلحة بن الحكم، عن جابر بن يزيد الجّعفي، قال: قلت لمولاي أبي جعفر محمد الباقر علينا سلامه: يا سيذدي من لم يكن عنده معرفةٌ بكم إلاّ أنّه يتولّى من تولاّكم ويعادي من عاداكمك، ويحبّ من يحبّكم ويبغض من يبغضكم ما يكون حاله عندكم؟

قال: يكرّر يا جابر حتى يصفو.

قلت: سيّدي، في المسوخيّة!؟

فنظر إليّ مغضباً ثمّ قال: المؤمن لا يدخل المسوخيّة، إلاّ أن يفشي لكم سرّاً أو يعين عليكم عدوّاً فيردّه الله أسفل السافلين.

وعن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت مع مولاي أبي جعفر منه السلام في بعض الأماكن، إذ نظرت إلى غزالين يسعيان حتى جاءاه ووقفا بين يديه، وخرّا له ساجدين وأطالا له السجود، ثم أذن لهما أبو جعفر منه السلام وقال: رافعا رأسيكما.

قال حمزة: فسمعت أبا جعفر يخاطبهما، فالتفت فإذا هما غلامان لم أر أحسن منهما، ثم تلا هذه الآية: «وهُو الَّذي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وهُو أَهْوَنُ عَلَيْه» وقوله تعالى: «أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وأَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً وجَعَلْنَا الأَنْهارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وأَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ»، يقول: ألم تنظر إلى هذه البهائم من الأنعام والأغنام والوحوش والقرود والخنازير والكلاب وسائر المسوخيّات ممّن حلّ في الفسخ والمسخ والرسخ والوسخ الّذين قد مكّناهم في الأرض وجعلناهم ملوكاً وأسبغنا عليهم النّعم فكفروا بها، فعوقبوا بما هم فيه من أنواع العذاب، ثم أنشأنا من بعدهم غيرهم، وهكذا أنتم أيها المخاطبون بهذا القول، والقرآن لم تؤمنوا به، واخترتم الكفر على الإيمان، فنفعل بكم كما فعلنا بهم وتسلّم إلى غيركم.

روى أبو محمد بن سنان عن أبي فضال عن جابر قال فرات بن الأحنف أنّه سمع أبا جعفر منه السلام يقول: إنّ عثمان بن عفّان نظر إلى أبي ذرّ في صورة منحه إيّاها أمير المؤمنين فبغضه وعاداه، فنهي عثمان عن ذلك، فأبى وزاد بغضه فمُسخ غراباً، فقال لي المولى: إن رأيته يا فرات بن الأحنف فقل له: «ولَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى فَلَو لا تَذَكَّرُونَ»، قال: فأتيت الغداة إلى الكوفة فإذا بالغراب واقفاً، فلمّا نظرته قله له: «ولَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى فَلَو لا تَذَكَّرُونَ»، قال: فتطاول إليّ ثمّ ثال: يا فرات بن الأحنف كرّرت سبعين مرّة خرجت عداوة عليّ من قلبي.

قال: فلمّا كان الغد حدّثت أبا جعفر منه السلام قصّته وأطرق ساعةً ثمّ قال: يا فرات بن الأحنف إنّ من بغض عليّاً فهو إلى الدردور، الدرك الأسفل، فقلت: سيّدي، وما الدردور؟

قال: موضعٌ يكون فيه المسخ وفيه تمسخ أرواحهم من جسمٍ إلى جسمٍ، قوله تعالى: «وإنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بضُرٌّ فَلا كاشِفَ لَهُ إلاّ هُو وإنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُو عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، يقول: إن عذّبكم بالمسوخيّة فلا يخرجكم منها إلاّ عفوه، وإن أسعدك بالمغفرة وجعلك من أهل النورانية فهو على كل شيء قدير.

وروي عن أبي عبد الله الصّادق أنه قال: بدن الكافر يعمر ألف سنة، مثلما يعمّر بدن المؤمن، لكن المؤمن لم يقع في تراكيب المأكول والمذبوح والمقتول، وما أشبه ذلك مما يصير في البراري، ولكن من بعد هذا يُعرف المؤمن بكمال إيمانه إذا حلّ في هذه الدرجا، ويُعرف الكافر بكمال كفره.

ويقول إسماعيل بن محمد، وهو صاحب الحديث: إنّ عمر المؤمن ألف سنةٍ يكرّر في جميع تراكيب المسوخيّة، وغير ذلك من المأكول كما ذكر المولى في التراكيب.

قال عزّ وجلّ:« قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بلِقاءِ اللَّه حَتَّى إذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فِيها وهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ»، يقول: لقد خسر الّذين كذّبوا بتوحيد الله حتى إذا جاءتهم النّقلة على غفلةٍ فكلٌّ منهم حينئذ يقول: يا حسرتنا ما كنّا نوحّد بارينا، وينظرون إلى أنفسهم في أنواعٍ المسوخيّة وقد كُسوا بالوبر والصوف والشعر والرّيش، فعند ذلك يعلمون أنّهم ليسوا على حقٍّ ألا ساء ما خسروا أنفسهم من كفرهم لباريهم.

وروي عن أبي عبد الله الصادق منه السلام أنه قال فيما يذهب ويؤكل لحمه حلالاً لكم ما خرج منكم وخلق من معصيتكم وكفروا، فإذا علمتم أنّهم أعداءكم وحلّوا بهذه الدّرجة فهو حلالٌ لكم تأكلوه وتشربوه وتقتلوه وتركبوه، وتتقرّبوا إلى الله بعقوبته وذبحهِ.

وما كان قبلكم في الزّمان الأوّل فهو محرَّمٌ عليكم، ثم تلا هذه الآية: «ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى»، وكذلك يقع التّحليل والتحريم، قال: فقلت: بيِّن لي ذلك، ما

الّذي حُرِّمَ. فقال أبو عبد الله منه السلام: أما ترى الوحش والحيتان والطير ودواب البحر والبرِّ ما يُقبل أكله، قد عُتّقوا وتمنّوا أن يكونوا قرباناً لله، لكن يؤخذ المحدث بذنبه عدلاً من الله عز وجلّ.

وقوله تعالى: «رُبَما يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا لَو كانُوا مُسلِمينَ»، يقولون إذا حلّوا في هياكل المسوخيّات يريدون أن يُسلِموا ومن يُسلِم لا يجحد باريه.

وروى الحسن بن سعد عن موسى بن الحسين البغدادي عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله الصادق منه السلام أنّ سلمان كرَّ سبعين مرّة (كرّة)، وما من كرّةٍ إلاّ وعرض عليه صعبُ ولايتنا فيقبل ويسلم إليه قضى سلمان بالتّسليم.

وقوله تعالى: «ذَرْهُمْ يَأكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعلَمُونَ» ما يأتي أهلالكفر والجحود، يأكلون ويتمتعون به من حطام الدّنيا ونعيمها، فإنّهم إذا نُقلوا إلى المسوخيّات ندموا وعلموا أنّهم إلى المسخ بجحودهم وتمرّدهم وقد صاروا كذلك.

وروى محمد بن آبان عن داؤود بن العلاء عن جعفر بن المرزبان عن محمد بن سنان أنه قال: خرجت في بعض السنين حاجّاً ومعتمراً واشتريت غنماً من غنم الحجاز، وكان فيها تيسٌ عظيمٌ، فقلت في نفسي: أذبح هذا لاتّيس عني، وكنت عازماً على ذبحه حتى صلّيت العشاء الآخر وانصرفت من المسجد إلى رحلي واضطجعت في مكاني غفوةً، وإذا بهاتفٍ يهتف بي: أن قم يا محمد بن سنان إذبح التيس الكبير بيدك، فإنّه مروان بن الحكم، فانتبهت من رقادي وعدت متفكّراً في ذلك، وكان الغنم قد استدار، فلمّا أشرفت على الأغنام نظرت إلى ذلك التيس وإذا به قد أخذ الشّفرة بفمه يدسّها بالتراب، وهي لا تندسّ معه، فأخذتها من فمه، فلمّا قضيت من المزدلفة جئت إلى منزلي ورميت جمرة العقبة، وأفضت من المشعر بادرت نحوه ثمّ أضجعته وذبحته بيدي كما أمرت في منامي، فكنت أطوف على التيوس فأشتريها، وأذبحها من ذلك اليوم، وقوله تعالى: «وإنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ، لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ» يقول: إن هياكل المسوخيّات موعد كلّ من تجبّر وعتى، وهي سبعة أجناس وهم: الفسخ والنّسخ، والرسخ والوسخ، والمسخ، والقشّ والقشاش، وكلّ نوع من هذه الأجناس قومٌ بأعينهم، يكرّون فيه إلى أن يشاء الله مولاهم فيهم ما يشاء إلى دار البلوى ويجعل من يشاء منهم بإرادته قشٌ وقشاشّ.

وحدّثني إبراهيم بن الحسن الرّشا الكرخي، قال: حدّثني عطا بن رياح الأنصاريّ عن أبيه، قال: سمعت يونس بن ظبيان يقول: كانت لي جاريةٌ وكانت تحيض من دبرها، فماتت، فسرت إلى العالم منه السلام، وأخبرته بها فقال لي: يا يونس بن ظبيان، أتحبّ أن تراها وتلعم ما صارت إليه؟

قلت: جُعلتُ فداك، كيف لي بذلك؟ فأخذ بيدي، وانطلق خرانق، فنظرت أرنبةً ترعى في تلك الصحراء، فناداها سيّدي فوثبت بأعلى شوطها إليه، وأقبل الباقون يتبادرون إليه ويسعون بين يديه، فقال: يا يونس بن ظبيان، هخذه حاجتك، فاسألها عمّا شئت، فقلت لها: يا فلانة، فقالت: لبّيك يا يونس، أأنتِ فلانة؟ قالت: نعم، فقلت: ما هذا الّذي أراك فيه؟

قالت: هذه منزلة من جحد أمير المؤمنين العلي الأعلى، فهل لي خروج ممّا أنا فيه؟

فقلت: جرى القلم وحقّ القضاء وقضي الأمر، ثم تركتها وانصرفت وتلت: اعلم أن الله على كل شيء قدير، وقوله تعالى: «يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا وهُمْ عَنِ الأخْرَةِ هُمْ غافِلُونَ»، يقول: إنّهم يعلمون أن الأبدان تنقل إلى النورانية أو إلى المسوخيّة.

وعن أبي نصر القاشاني عن رجاله عن المفضّل بن عمر عن المولى جعفر الصادق علينا سلامه أنه قال: إذا رأيت الرجل الطويل الأنف والرأس قائم الأذنين، ذو شفّة غليظة طويل العنق، واسع البطن، ضيّق الخواصر، طويل الرجلين، مدوّر الفخذين، قليل الألف والنشاط، ظاهر الأخلاق، سريع الحركة والانتقال، لا يحبّ مجالسة الناس، ولا محادثتهم، قليل التحنّن إلى الأولاد، لا يحبّ العلم ولا يرغب في تجارته، يميل إلى البقول، وما تنبت الأرض ولا يرغب في شرب النبيذ، ولا يحب السماع، ويجب الحمولة على ظهره، فإنّ ذلك الإنسان خاصّة إذا كان يميل إلى كلام العربية ويحبّ السّكن في أرض العراق، فإنّ ذلك الإنسان لا محالة منقولٌ من أرض فارس، إذا كان في هذه الصفة.

وإذا كان يحبّ الكلام بالفارسيّة المزعمة فهو من الخونديّة، وإن كان يحبّ السكن في أرض فارس وخوزستان لإنّه لا محالة منقول من الحمير والبرازين.

قال السيد محمد علينا سلامه: قوله تعالى: «اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»، قال: أخرجتهم إلى البشريّة فإذا كفروا واستحقّو الاعذاب فنقلتهم إلى المسوخيّة إلى يوم الكرّ والكشف يردّهم إلى البشريّة يحكم فيهم ما يشاء.

وعن الحسين بن القاسم العلوي عن محمد بن مهران عن محمد بن صدقة عن محمد بن سنان، عن المفضّل بن عمر عن المولى جعفر الصادق منه السلام أنّه قال: يا مفضّل، إذا رأيت الرجل مربوعاً من الرجال، لا طويلٌ شاهقٌ ولا قصيرٌ متلاصقٌ، مفاصله معتدلةٌ في جميع أحواله طويل الرأس، طويل الوجه، دقيق العنق، منكبٌ على وجهه إذا هو مشى، ضيّق الصّدر، مدوّر البطن، قد نبت على سائر جسده الشّعر، رقيق الألف إلى النّساء، كثير الكلام، إذا أكل غصّ، يمسك الطعام في فمه حتى يشرب الماء، يحبّ أكل البقول وما تنبت الأرض، لا يكون له تحنّنٌ إلى أولاده في صغرهم، فإنّ ذلك الإنسان منقولٌ إلى الأغنام، وإذا كان ممّا يحبّ السّكن في أرض العراق، وما يقرب منها، فإنّ ذلك منقولٌ من الأعراب، وإن كان يحبّ السّكن في أرض فارس والجبال، فإنّ ذلك الإنسان منقولٌ من العجم.

يا مفضّل، إن الضأن من الأعراب، وهي من بني ضبية، والمعزي من أولاد أميّة، والتيوس من جبابرة بني أميّة، قوله تعالى:«وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ»، يقول: إذا قام القائم منه السلام ويكشف الغطاء يتيه أهل الكفر والجحود بما يعاينوه من المسخ والرّسخ وأنواع العذاب في المسوخيّة، وما أعدّ لهم من بعد ذلك من العذاب في الدردور والفاعوس فلا يجيبون جواباً.

ورواه محمد بن أبي زهير الآبلي عن داؤود بن كثير الرّقي أنه قال: كان في جيراني رجل قرّاد، وكان له دبٌّ، فاشتراه منه رجلٌ حدّادٌ، وأقامه ينفخ في الكور، حتى إذا طال عليه المطال، صار الدبّ في جوف اللّيل، فصار يعوي ويصيح، قال: وكنت أغدو إلى المسجد في كثير من الأيام، فلا أزال أقرأ وأتفكّر في القرآن وقصص المنافقين فيه حتى يطلع الفجر، فأصلّي ركعتي الفجر وأنام إلى الغد، قال: فسار الدبّ إلى المسجد، فلمّا رأيته قمت لأطرده، فلما نظر إليّ قال: يا داؤود بن كثير الرقي، الله، الله، جئتك مستغيثاً على فلان الحدّاد، أفلا يكفيه ما أنا فيه من العذاب حتى يعذّبني بهذا العمل، وقد حرّجت الأعمال على أهل النار، وإنّ لي عليك

حقّاً، وأنا جارك فلانٌ، وقد صرت كما تراني ولا أدري آخر أمري إلى ما يكون، وقد جئتك الساعة لتسأل فلان الحدّاد أن يردّني إلى صاحبي القرّاد، فإنّي أجد الراحة عنده.

فقلت له: أفعل ذلك إنشاء الله تعالى، فلمّا أصبحت رحت إلى الحدّاد، وقلت له: لقد جئتك بحاجةٍ، فقال: سمعاً وطاعةً، فقلت: صاحب الحاجة يقصد في قضاء حاجته، فقال: أذكر لي حاجتك، فإنّي أقضيها لك ولو كانت مهما كانت.

قلت له: الدبّ تهديه لي، فإنّ صاحبه سألني وأنا أسألك أن تردّه عليه، فقال: هو لك، فافعل به ما شئت، فانصرف إلى منزلك فإنّي إذا فرغت من عملي أسير به إليك إنشاء الله تعالى، فما لحقت أن أصلّي الزوال إلاّ أتاني به ومعه جماعةٌ من أهل الرقّة، وكلٌّ يقول: أتبيع هذا الدبّ، فولاله إنّه لظريفٌ وعلينا شراؤه؟ فقلت لهم: إذا أخذتم هذا الدبّ الّذي تشترونه أتردّونه إلى صاحبه القرّاد، قال: فانصرفوا وتركوه، فرددته إلى صاحبه القرّاد، فكان إذا رآني رفع رأسه وجازاني خيراً، وقوله تعالى: «ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»، يقول: ظهرت الهياكل المسوخيّة من دواب البحر والبرّ عقوبةً بما كسبوا من الذّنوب في هياكل المسوخيّة لعلهم يرجعون عن كفرهم وتمرّدهم على توحيد الله.

وعن الحسن بن الحسين الفراري عن عمار بن زاهر عن الوشا عن أسد، عن محمد بن داؤود بن كثير، يرفعه إلى المفضّل بن عمر، عن العالم منه السلام: أن طائفة من بني إسرائيل كانت على دين نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، فغيّروا وبدّلوا ذلك الدّين، وكانوا على الحقّ فتركوا الحقّ واتبعوا الباطل، وكانوا يدينون به، فلمّا تركوا الحقّ مُسخوا ضفادع ولهم ضجيج وصياحٌ، يظنّون أنّ ذلك الصياح ينجيهم ممّا هم فيه، وما يزيدهم ذلك إلا بعداً من الله تعالى، وقد بيّن ذلك في القرآن الكريم، فقال: «قالُوا فَادْعُوا وما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ»، وقوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ» يقول: من قبل أن يقع الكشف والوقوع في المسوخيات فلا ينفعكم من شيء ولا ينقذكم شيء من العذاب، إن ذلك يوم تتكشف الأسرار فيه.

وعن أبي نصر القاشاني عن جدّه عن الحسن بن القاسم العلوي عن محمد بن مهران، عن محمد بن صدقة، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن العالم منه السلام أنه قال: إذا رأيت الرجل إحدى رجليه تجر الأخرى، مربوع من الرجال مدوّر الرأس طويل الأنف، ضيّق الذّقن، قصير العنق، قد دخل رأسه في عنقه، وعلا كتفه فوق رأسه، واسع الصّدر، مدوّر البطن، قصير العضدين والسّاقين، أفجع الفخذين، معوج القدمين، طويل الأصابع والأظافر، كثير الشعر على جسده، كثير الصياح والهمهمة، ويحبّ حديث النفس في الخلود، قليل الضّحك، كثير اللعاب والبصاق، قليل الألف إلى النساء، قريبٌ من الرجال الضعفاء، لا يحب العمل والحركة، كثير الانتقال من موضع إلى موضع، لا يحنّ على أولاده وما يكون له من نسلٍ، يأكل جميع الأشياء من اللحم والخبز والفاكهة، يحبّ شرب النبيذ والعنب، فإنّ ذلك الإنسان إذا كان بهذه الصفة فإنّه منقولٌ من الضّبع الّتي تسمّيه العامة الضبعة العرجاء، فاعلم ذلك قوله تعالى: «ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْو الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ويَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ» يقول: ومن الناس من يسمع كلام الأضداد أو يدين به ليضلّ عن سبيل الله، فكفر به ليضلّ عن طريق الحق ويتهاون بالحقّ، فجزاؤه التّعذيب في المسوخيات ليهان بها.

وعن القاسم بن الحسين العلوي، عن محمد بن مهران، عن محمد بن صدقة ' عن محمد بن سنان، عن العالم منه السلام أنه قال: إذا رأيت الرجل بغير قامة واقعةٍ على الأرض، ويكون معوجّ البدن حقيراً في الأرض من كلّ شيء، معوج المهل، يحبّ النزول حيث يقارب الماء ولا يكون أكله إلا بالماء، والأغلب كل أكله في الماء، ومن الماء، فإن ذلك الانسان منقول من الحيتان إلى الكراكي، أو في السرطان منقولٌ لا محالة.

قوله تعالى: «وإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَولَو كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ»، يقول: إذا دعوا إلى توحيد الله تعالى يقولون: لا نوحّد إلاّ من قدمنا من الآباء، والأجداد، يعبدون من الطواغيت الّذين أضلّوا الأمم وعلّموهم الكفر والجحد، لأن الشيطان يدعوهم إلى ما يعقبهم من النّقلة إلى المسوخيّة، إلى الهياكل المعذّبة وهي السّعير.

وعن محمد بن الغر الجواد الكوفي، عن محمد بن مهران، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، قال: كنت ذات يوم مع العالم منه السلام في جانب حائطٍ من حيطان الكوفة، وكنّا في بيتٍ نتحدّث إذ وقع نظري على عنكبوت وقد خرجت من تحت رجليه، فقال لها: لعنكِ الله، أما آن لك أن ترجعي، قم واقتلها يا مفضّل، فإنها الحميراء، قال: فبادرت إليها لأقتلها، فنادت: يا مفضّل، إن قتلتني فقد قتلت سبعين نفساً من أهلك، وإنّما هو واحدٌ بواحد، فقلت: خسئتِ، فلا قصاص على المؤمنين، ولا عقاب عليهم، والثواب كله للمؤمنين، ثم قلت: الحمد لله الّذي أذهب عنّا الحزن إن ربنا لغفور شكور.

وقوله تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ»، يقول: لا يحزنك حزن من كفر بالله العظيم، وجحد توحيده فيلج في هياكل المسوخيات ويكون فيها، فإلينا مصيره فننقله فيكون فيها على قد ركفره وتمرّده فيما أبدى من ذلك وأسرّ.

وعن إبان البصري عن محمد بن صدقة، عن العلاء بن الحسين الأسدي، قال: سألت محمد بن سنان عن الضبّ والورل والوزغ من فصيلةٍ واحدة، غير أنّ الورل أكبر من الاثنين حجماً وهو سام أبرص طويل الذّنب، سريع الحركة، والضبّ والوزغ والورل، فقال: كلّ شيء واحد فإنّهم إخوة وهم الأول والثاني والثالث لعنهم الله، ومن ذلك أن السيد محمد (ص) آخا بينهم لأنّهم في درجةٍ واحدةٍ من المسوخيّة، كما أن المؤمنين في الجنة والنعيم، كما قال الله تعالى: «إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ» وقوله: «وَقالُوا أَإِذا ضَلَلْنا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ»، قال: يقولون: إذا أخرجنا من هذه البشريّة ودفنت هياكلنا في التراب نكون في صورة المسوخيّة وغير صورنا لا نقبل ذلك فيكفرون بقولهم ذلك فاستحقوا الكون في المسوخية يرونها عياناً.

وعن داؤود بن علي الهاشمي عن بن الحسن القاسم الكوفي عن محمد بن مهران عن محمد بن صدقة، عن محمد بن سنان، قال: كنت مع العالم منه السلام نتحدّث في ذكر العين والميم ذات يوم، وإذا بهاتفٍ على حائطٍ، فإذا هو وزغٌ، قال العالم منه السلام: تُعِستَ من صائحٍ، ما أشدّ عداوتك.

قلت: ما يقول يا سيّدي؟

فقال: إنه يقول لئن لم تكفّوا عن ذكر محمد وعلي لأشتمنّك في محمد وعليّ وألعنهما، قال العالم منه السّلام: فذاب كما يذوب الرّصاص في النار.

قلت: يا سيّدي، من هذا؟

فقال: هو الأوّل لعنه الله إلى يوم الكشف، وقوله تعالى: «وَلَو تَرى إذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وسَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إنَّا مُوقِنُونَ»، يقول: إذا نقولا إلى الهياكل المسوخيّة نكسوا لكثرة ما عاينوا من أنواع المسوخيّات وكثيراً ممّا أتوا من الكفر والجحود، قال عز وجل: «رَبَّنا وآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ» من المسوخيّة، فقد أيقنّا بالعذاب، فيقول إخسؤوا فيها ولا تكلّمون.

روى دلف بن عبد الرحمن المصّاص، وقد كان من الثّقات الموحّدين، قال: حدّثني المفضّل بن عطا بن زياد الأزديّ، قال: كان لي أبٌ وكان أشدّ الناس نصباً، وكنت أقاتله على ذلك، فأخرجني من داره وقطعني من ماله، حتى أتاني البشير ذات يومٍ يقول: إنّ أباك قد مات، فبادرت إليه، فإذا هو أسود من اللّيل الدّامس، فقلت في نفسي: هذا قليلٌ له من الجزاء، فخشيت من الله، ثم قمت في جهازه إلى قبره، وفرغت من دفته، وسرت إلى منزلي، فلمّا كان ذات ليلةٍ وأنا مفتكرٌ فيه، وما صار إليه، وإذا بهاتفٍ ينادي من ورائي، يا فلان، إذا كنت تحبّ أن تنظر إلى أبيك، وإلى ما صار إليك، فاخرج غداة غدٍ واجلس على شاطيء البحر، فإنّ أباك يكلّمك، إنشاء الله تعالى، قال: فطالت عليّ ليلتي، إلى أن أصبحت، فصلّيت صلاة الفجر، ثم غدوت إلى النجف فجلست على طف البحر مفكراً بذلك، إذ نظرت إلى صدفةٍ مكبوبةٍ على وجهها تدبّ على الأرض حتى دنت منّي، فوقفت بين يديّ وأنا معٍ ذلك مفتكرٌ، فسمعت كلاماً ولم أر شخصاً، يقول: يا فلان، إنّ هذا أباك بين يديك، فكلّمه، فناديته، يا فلان، ولم أقل له يا أبي.

فقال الهاتف: إعلم أنّ الله يخرج الطيب من الخبيث والخبيث من الطّيب، فناديته فأجابني في الثانية، أنا فلان بن فلان، فما تريد منّي كفاك ما بي من الخزي وما حاجتك منّي، فهل عندك حيلة تخرجني ممّا أنا فيه من العذاب، قلت: وأيّ حيلةٍ

عندي، وقرأت: «ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ» «ويَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً»، فلمّا ستوفيت من كلامي انصرفت عنه وأنا ألعنه وأتبرأ منه.

وقد استوفينا الكلام في التناسخ وما في القرآن من الآيات التي تشهد بذلك في كتابنا الكبير المسمّى بكتاب البدء والإعادة، الّذي أوجدنا هذا الكتاب مختصراً له، وفّقنا الله وجميع المؤمنين لجميع ما تحظى به عنده ويؤلّف قلوبنا وقلوب إخواننا المؤمنين، ونزدلف لديه بتوفيقه، وتسديده، وإشارته وإرشادته وهو حسبنا ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهرس الموضوعات